



الأصولية الدينية حول العالم

" الأصولية الإنجيلية أنموذجاً "

إعداد
عبدالله أحمد لطفي الشقري

البحث الفائز
بجائزة عبدالله عبدالغني العالمية للإبداع الفكري

ISBN 978-9933-22-097-6
9 789933 220976



مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات
info@wa3icenter.com
wa3icenter@
الدوحة - قطر

عبد الله عبد الغني للتواصل الحضاري
HADARA

الأصولية الدينية حول العالم

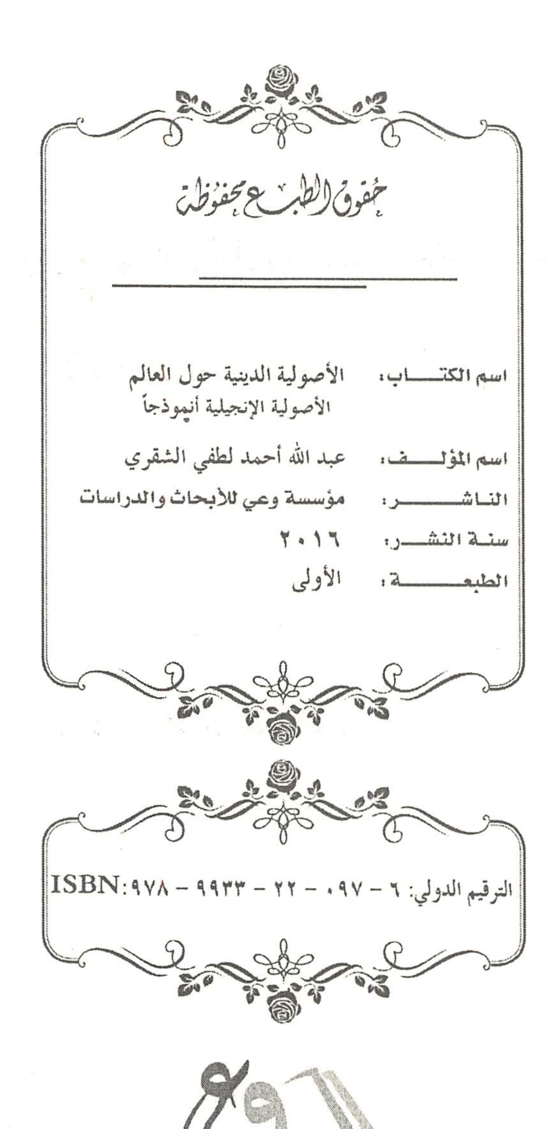
" الأصولية الإنجيلية أنموذجاً "

إعداد

عبد الله احمد لطفي الشقري

البحث الفائز

بجائزة عبد الله عبد الغني العالمية للإبداع الفكري



اسم الكتاب: الأصولية الدينية حول العالم
الأصولية الإنجيلية أنموذجاً

اسم المؤلف: عبد الله أحمد لطفي الشقري

الناشر: مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات

سنة النشر: ٢٠١٦

الطبعة: الأولى

الترقيم الدولي: ٦ - ٠٩٧ - ٢٢ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨:ISBN

ملخص الدراسة

تتحصر فكرة الدراسة في التعرف على مفاهيم الأصولية الدينية الإحيائية، وعوامل ظهور العديد من الفرق والجماعات ذات المرجعية الدينية السوية والأهداف المقبولة، وغيرها من ذوي المرجعيات المتطرفة والأهداف العنصرية التي يدّعي جميعها التمسك بحرفية النصوص الدينية والنبوءات الغيبية، لكنها تحمل في طياتها الحقد والغل على غيرها من الأمم وزرع الكراهية بينها. أما عن إشكالية الدراسة فتكمن في الجهل بمخططات الأصولية الإنجيلية، حيث تعرَّض الباحث للعديد من الدراسات المباشرة وغير المباشرة التي قام بالاطلاع عليها، منها ما يتعلق بالأصولية الدينية عموماً ويناقش فكرها وفلسفتها، ومنها ما كان يُفصِّلُ في نوع معين من أنواع الأصولية حيث يعد أخطرها الأصولية الإنجيلية. كما أوضحت الدراسات السابقة مدى التباين والاختلاف في النظرة إلى مفهوم ظاهرة الأصولية الدينية بحسب الثقافة السائدة، وبحسب الباحثين وفكرهم وأيديولوجيتهم، ما بين من اعتبرها نذير تخلف وجمود وتطرف وعنف، وبين من يراها أحد أشكال التدين المعتدل، والصحوة والاستنارة، وما بين هؤلاء وهؤلاء نجد القلة المحايدون الذين تجردوا وأبدوا تحفظاً تجاه بعض ممارسات الأصولية ومنها خلط الدين بالسياسة. وانتهاج بعضها للعنف وسيلة لبلوغ أهدافها، وكشفت الدراسة أن هناك تعمد في إلصاق المصطلح بالأصولية الإسلامية، كتهمة صريحة بالإرهاب أوشتيمة بالتطرف قُصد منه ربط المتلقي للمفهوم مع المدلولات السلبية لممارسات الأصولية المسيحية في العصور الوسطى وكذلك الصهيونية، على الرغم من كون الأصولية إنما خرجت من رحمهما. وإن استخدام الأصولية الدينية من شأنه إذابة الفوارق بين الدول، وإلا لما كانت دولة صغيرة مثل إسرائيل تتحكم في مصائر ملايين البشر-بالحروب- في العالم، ولما كان بلد الألف نسمة (الفاتيكان)، لها من النشاط التنصيري الواضح، فهي تقود ثمانمائة مليون كاثوليكي. وتشرف على أكثر من مائتي ألف كنيسة كاثوليكية، يتبعها مليون وستمائة ألف قسيس. وكذلك الأمر مع بلوغ الأصولية الإنجيلية ذات العقيدة البروتستانتية والنشأة الصهيونية المتطرفة أرفع المناصب السياسية في دول الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة وبريطانيا.

ولقد تميزت الدراسة عن غيرها من الدراسات في التخصص والتفصيل في الأصولية الدينية بأنواعها وتقسيماتها المختلفة مع مقارنة بين أسباب الإحياء

والأهـداف، مع تحليل عميق لعناصرها وجوانبها المتنوعة وأساليب عملها مُعززاً ببعض الجداول والرسـوم التوضيحية والخرائط الجغرافية لانتشار الأصوليات والإحصاءات الرقميـة الموثقة. مـع الربط بين الأبعاد الدينيـة والسياسية والجغرافيـة. ولقد تمثلت دوافع اختيار الدراسة: في دافع شخصي(ذاتي) ,

ويتمثـل في كتابة بحث يمس صحيح الديـن والعقيدة ويذود عن حمى الأمة، ويقف في وجـه المؤامـرات المشفوعة بالخرافـات الدينية، وخاصة أنه يمس المقدسات، وآخر موضوعـي، يتمثل في دراسة أخطـر الأصوليـات الدينية في العـالم، لارتباطها الديني الذي جعل كافة القـرارات السياسية ذات بعد ديني إرضاءً للرب فالإنجيليون يحرفون ويبدلـون في النصوص بهـدف التوسـع في الاحتلال وتوسيـع حجم المطامـع. أما عن منهجيـة الدراسة فقد أُستخدم في ذلك المنهج التكاملي، الذي يمزج بين مناهج علمية عـدة، تحليلية، لجوانـب وأبعاد الظاهرة، ووصفيـة، لوصف الظاهـرة بشكل منهجي، وتاريخيـة، لمناقشـة أثر البعـد التاريخي في نشـوء وتطور الظاهرة، فضـلاً عن المنهج المقارن الذي ساعد في إبراز إيجابيات وسلبيات الأصوليات في إطار الاختلاف الفكري والإيديولوجي، وعلاقة كل منها بالدولة، وكذلك مدى التزامها بمعايير حقوق الإنسان، وتجنب العنف من عدمه.

حيـث انصبـت تسـاؤلات وفرضيـات الدراسـة، علـى مـدى اختـلاف الأصولية الدينيـة الإحيائية، من حيـث الفكر والمضمون وكذلـك الدور السياسـي، وأيضاً تتعلق بمـدى خطورتها، وقدرتها على تحقيق النجاحات آنيـاً أومستقبلاً وناقش الباحث مدى احتماليـة استمرار المد الأصولي الدينـي -وبخاصة الإنجيلـي- في المستقبل، في ظل وقـوف العديد من القوى التـي تعمل جاهدة على الحد من آثـاره. وأيضاً القوى المؤيدة والداعمة، ومـع شرق أوسط ذي أهمية استراتيجية غير عادية، وذلك لارتباطه بوجود القضية المركزية الشائكة المتعلقة بالمناطق المقدسة، وكذلك في ظل وجود علاقة شراكة وطيدة بين إسرائيـل والأصولية الأم (الولايات المتحدة). وخصوصاً مع تزايد الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في دول الغرب والولايات المتحدة من جهة أخرى.

وفي سبيل ذلك قام الباحث بالعودة لأدبيات الأصولية الدينية التي تظهر في كتبها وبياناتهـا أونشراتهـا. وقد بدا لـه أن هذه المصادر لا تشفي الغليـل، ما دفع الباحث أن يقـوم بالتنقيب في مصادر عامة، عربية وأجنبيـة وموسوعات ودوائر المعارف، ووسائل الإعـلام وأخيراً شبكـة المعلومات العالمية. مستفيداً في ذلك مـن آراء المتخصصين في

مقارنــة الأديان والمستشرقين، بالإضافة إلى العديد من الشهادات المهمة للمحللين على اختــلاف أيديولوجياتهم من أصحــاب وجهات النظر المتعارضــة. وكان من الضروري تحرير مصطلحات الدراسة، ما وجد الباحث أن له أهمية في جلاء معانيه ومبانيه، مع وضع رأي مرجح يفصل بين كل شائك، كما وضع الباحث خلاصة في نهاية كل موضوع، لربـط أطراف الموضوعـات وبيان العلاقة بينهـا. ولقد زودت الدراســة بالإحصائيات والجـداول اللازمــة، كمــا قام الباحـث بتأصيـل الدراسة علميـاً، بمحاولـة إبراز دور المنهجيـات المتبعة في أسلـوب البحث، وكذلك إسناد كل قول إلى قائله، وكل معلومة إلى مصدرهـا، فضـلاً عن تخريج الاحاديث من كتب الحديـث المعتمدة وترقيم الآيات من القران الكريم أومن الكتاب المقدس.

لقـد عكست الدراسة الحالة التي يحياها العالم أجمـع، فالعصر الذي نعيش فيه هوعصـر تصفية الحسابـات وتقاسم المصالح بين القوى العالميـة الكبرى على حساب الفئـات المُستضعفة، حيـث كان من نتائج انفـراط عقد وحدة الأمة التــي عمل الشرق والغرب علـى ضربها من خلال تفتيت الخلافة العثمانية قـد تزايدت مظاهرها بشكل واضـح هذه الأيـام. وبعكس ما هوشائع ومتـداول في الإعلام الغربي مـن أن الأصولية هـي توصيف مرادف للإسلام والمسلمـين، وأن منشأها وجذورها هي من طبيعة عربية وإسلاميـة، فالأصولية إنما وُجِـدت ونشأت في المجتمعات الغربيـة وترعرعت وتطوّرت على أيدي غلاة غير إسلاميين، ووجدت بيئتها الحاضنة في غلاة المتصهينين وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وتمثلت في العديد من التيارات الدينية والسياسية وصولاً إلـى المحافظين الجـدد الذين حكمـوا بلادهم، ويحاولـون تنظيم العـالم على مقاس معتقداتهم المُحَرَّفة.

أما عن أبرز عوار بعض الأصوليات، فتُعَدُّ العنصرية المقيتة من اقبح سماتها، مثل اليهوديـة التي تُقَسِّم البشر من حيث القدسيـة إلى يهود وأغيار، والأصولية الهندوسية الطبقية التي تحتقر العديد من الجنس البشري، فضلاً عمن سواهم من غير الهندوس، وعدهم إياهم دون مرتبة الحيوان، في حين أن الأصولية الدينية الإسلامية المستنيرة لم تفرق بين البشر باعتبار الجنس أوالأصل، أوالحسب أوالنسب.

وفي نهاية الدراسة ختم الباحث بجملة من النتائج والتوصيات الهامة ركز فيها على ما يلي:

- اختلاف الأصولية الدينية في العالم باختلاف منهجها ومظاهرها والجهات الداعمة لها، حيث تم اختراع «الأصولية الإسلامية»، من بعد أن فرغ النصارى من أمر غالبية الأنظمة في العالم الإسلامي سواء بالموالاة أوبالعداء والحصار، وها هم أقبلوا إلى الشعوب المسلمة، ليناصبوا العداء كل من رغب في العودة لأصول الدين وبقي على الوفاء لعهد الله وصراطه المستقيم.

- إن الأصولية الوحيدة المُستهدفة بالحرب الشعواء التي بشّر الغرب بقيامها، يتم مواجهتها بالقوة العسكرية والمحاصرة الاقتصادية، والتسلط الدولي تحت مسمى الشرعية الدولية، فيما تظل دولة الاحتلال تلعب دور شرطي المنطقة، يعربد كما يشاء دون خوف من وازع أوحسيب أورقيب. أما الأصولية النصرانية المعتدلة فقد اتخذت من عزلة وطاعة الأفراد سبيلاً للنجاة، وذلك على خلاف الأنظمة الرسمية التي أشاعت في الكون فزعاً وهلعاً من محاكم متزمتة ظالمة هنا وهناك، وكهنوتية تلغي إعمال الفكر والعقل بل ولا تتورع في التخطيط للإرساليات الشيطانية، باستخدام أساليب تنصيرية متعددة لإلهاء المسلمين عن دينهم وتفتيت صفوفهم. فهذه الأصولية الغربية بوجهها القبيح التي تخرب على الأصفياء صفاءهم وعلى الأتقياء عقيدتهم، إن لم يستطيعوا تنصيرها واستمالتها إلى جانبهم.

- تُعَدُّ الأصولية الإنجيلية أخطر ما في الأصولية الدينية الإحيائية، وذلك لارتباطها بتأويلات دينية محرفة، لابد من العمل على تحقيقها، فهي تنسف كل الارتباطات والعلاقات والالتزامات البشرية، وتستخدم أساليب تدميرية وأهدافاً استعلائية، تنتهي بنشوب حرب عالمية نووية ثالثة، فهي ليست أملاً منتظراً وإنما قدر لابد من السعي إلى تحقيقه، ليقود اليهود العالم، بداية من تأمين الرفاه للصهاينة اليهود وحمايتهم من الأعداء، وحتى يتحقق لهم التمكين والسيطرة على المنطقة والعالم.

- إن من أبرز القضايا التي كشفت عنها الدراسة أن الدين متغلغل في السياسة في أوروبا، حيث تقوم الأصوليات الدينية هناك بتوظيف الدين لأغراضهم السياسية، ولم تكتف بذلك بل طغى البعد الديني على البعد السياسي، وأصبح القساوسة والكهنة هم من يحكمون العالم، وعجباً، فهم يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، ويُجرمون ويحاربون من يُتهم بتلك الجريمة الشنعاء.

- في إطار استشراف المستقبل، فإن الأصولية الدينية بشكل عام ستستمر

وتتوسع ما دامت الدنيا، وذلك لكونها تنبع من فكر وعقيدة ووجدان المؤمن، سواء ارتبط الأمر بالأصولية الحميدة أوتلك البغيضة، وهى تحمل الخير للمسلمين على وجه الخصوص، وتشير الإحصاءات والقراءات إلى السرعة الرهيبة لانتشار الإسلام، فلم يعد هناك شبر في العالم لم يصل إليه المسلمون، وفي ظل تراجع شعبية وفقدان جزئي لأدوار القوى المُستَعمرة وفقدان ثقة شعوبهم فيها، وحالة التشاؤم تجاه المستقبل، كذلك الأصولية الإنجيلية سوف تحاول تعزيز وجودها على خريطة النفوذ والسيطرة العالميين، وسوف تعمل على زيادة حشودها، وتكثف من استيطانها، وحفرياتها واقتحاماتها، مستفيدة من الدعم المادي والمعنوي، ومادام التوزان السياسي العالمي مفقوداً، وما دام غيرهم على حالة التبعية، والاستقواء بغيرهم، حتى تتفاعل عوامل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع فقدان النفوذ، فتدخل الأصولية الإنجيلية في معادلة صفرية تنهار بعدها بإذن الله.

- أما عن التوصيات فنجد أبرزها: هناك ضرورة فكرية وحتمية علمية للأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية لمواجهة قوى العنف والظلم والعنصرية في كل مكان، وتوجيهها لتعرية وكشف المؤامرات الصهيونية سواء المسيحية أم اليهودية، وكشف أساليب عملها، وخبثها الداعي للديمقراطيات باسم الدين. وعلى الأمة دور عقدي وسياسي هام، في توعية أفرادها وباحثيها وساستها بخطورة هذه الحركة، وما تحمله للبشرية من سوء وكذلك عليها دور في استنهاض الأمة في مواجهة أعدائها بالقوة المادية والعلم النافع، وصولاً إلى منظومة الحكم الرشيد.

***

قائمة المحتويات

* * *

إطار الدراسة العام

المقدمة:

بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها الدموية، وبعد انقضاء الحرب الباردة، وانقشاع ثلوجها وانطفاء بريقها، طغت على الساحة حرب المصطلحات الموجهة، والألفاظ العنصرية المتعمَّدة والتي تهيء وتمهد وتبرر لحروب مقبلة، يحملها سيل جارف من جمل وعبارات صاغها دعاة الدمار مثل: الحرب على الإرهاب، ومحوري الخير والشر، والشرق الأوسط الجديد، وصراع الحضارات وحوار الأديان، الأصالة والمعاصرة، والأصولية[1] .... الخ، ومعظم هذه الألفاظ من تلبيس الصهيونية العنصرية لدحض الأديان والقيم الثابتة، وما لاشك فيه أن المصطلح الأخير كان أكثرها إثارةً للجدل، لذا فقد لاقى من البحث والدراسة والتحليل ما لم يلاقه غيره، ولم لا؟! فالاحتلالُ وسلب الممتلكات وهتك الأعراض، وتقييد الحريات إنما يأتي بذريعة مكافحة الأصولية الشريرة ربيبة الإرهاب، حتى لووصل الأمر إلى فناء البشر جميعاً مقابل سعادة الآلاف منهم، تحقيقاً لنبوءات غيبية زائفة فالأصولية كمصطلح يشيرون به إلى التيار الذي يدعوإلى العودة إلى أصول الدين ومنهج السلف الصالح باعتباره فكر عنف وتطرف، حيث استغلوا الكثيرين ممن رضعوا ثقافة الغرب، والذين يسيرون في ركابهم مردديـن هذه الشعارات ومثبتين لهذه الاتهامات، ولولا ضيق أفق العديد منهم لفهموا، أن الإسلام من معانيه العدل والرحمة والسلام والأمن والاستقرار والخضوع لله[2].

ولقد باتت الأمة تتلقى سهام هذه الأصولية من أبنائها وأعدائها على حد سواء، تتلقاها وهي شاخصة حذرة مرتبكة، من مواجهة عدووهمي من الصعب تحديده، عدوجديد وهوليس بجديد، عتيقة جذوره، ولصيقة مخالبه، سُميَّ إرهابا واُلصِق بالتطرّف وشُخِصَ بالأصولية. ومهما يكن من أمر التوصيف، فثمَّة ظاهرة من الصعب تجاهلها أوالقفز فوقها، لها الكثير من العناصر والجوانب والمسببات والمظاهر، فالأصولية متعددة المنشأ ولا تقتصر على فترة زمنية محدَّدة، ولا يرتبط عملها

(١) لمزيد من التوضيح حول هذه المفاهيم يمكن الرجوع الى كتب أنور الجندي وأهمها: مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، (١٩٧٣).

(٢) عبدالسميع، عماد علي، الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٤).

بفئة أوجماعة واحدة. كان أخطرها ما عرف بـ «الأصولية الإنجيلية»، تلك الحركة التي جمعت بين الصهيونية والبروتستانتية في علاقة محرمة، وقد تسترتا بعباءة فضفاضة من النبوءات المحرفة، ومتحصنة خلف الكهنوت العتيق، فحبكت المخططات التي تحمل صلبان التثليث، برفقة سيف المؤامرات ذي النجمة السداسية، لتقتل من يقف أمام طموحها الخفي والمعلن في الاستيلاء على بلاد أريقت فيها دماء العباد، مستبيحة حرماتها، ومشردة أسرها من أجل مزاعم وأوهام تسكن مخيلاتها، للتعجيل بهوس ما يسمى بالمجيء الثاني للمسيح المنتظر، وأرض الميعاد[1]، للعيش في ألفيتهم السعيدة[2]، ذلك يحدث بعد أن تفوقت خير أمة أخرجت للناس على العالم شرقه وغربه، وتبوأت مكانة خفاقة، ودانت لها الشعوب معترفة لها بكيان العلم والإيمان، نجدها اليوم وقد تكالبت عليها قوى الظلم والطغيان، وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، في ظل غياب أسلحة النخبة الثقافية المخلصة التي تتوارى خذلاناً لأمة التوحيد، ولتساهم سلباً في حالة من تعتيم الرؤية، ومحاولات حجب الحقيقة الواضحة، رغم الأهداف المعلنة لهذه الأصولية من بسط السيادة «من النيل إلى الفرات»، وصولاً إلى فرض سيطرتها على العالم أجمع حيث تطأ أقدام كل يهودي، مُسخرة في ذلك مختلف أسلحتها الدعائية، التي تروج كذباً إن اليهود ضحية للإرهاب والتطرف الأصولي العربي، وبعد أن عانى اليهود صنوفاً من الاضطهاد والازدراء على يد النصارى في أوروبا لمدة ألف وخمسمائة عام باعتبارهم «أمة ملعونة»، حتى بزوغ فجر حركة الإصلاح الديني في أوروبا «مارتن لوثر»، فنشأ ما يسمى بـ «المسيحية الجديدة»، وأصبحت التوراة (العهد القديم) أكثر أهمية من الإنجيل (العهد الجديد)[3]. وتحول اليهود قتلة المسيح إلى «أبناء الرب»، ومن «الجيتو»[4] إلى «قمة المجتمع»، ومن «أمة مندسة» إلى «أمة مقدسة» و «شعب مختار»، ولقد تفاوت النصارى في استيعاب ذلك التحول، فالبروتستانت (الأمريكيون والبريطانيون)[5] تمثلوا هذا التحول كأعمق ما

---

(١) الأرض في المفهوم الصهيوني هى(الأرض المختارة) التي اختارها الرب لشعبه (شعب إسرائيل)، وحسب زعمهم هى فلسطين.

(٢) يطلق هذا التعبيرعلى الألفية السعيدة التي تنتظر النصارى، أى ألف عام من الرخاء الاقتصادي والاجتماعي والأمني للنصارى الموعودين.

(٣) مجلة الأسرة، غزوالعراق: أول حروب إسرائيل الكبرى، ع ١١٩، صفر (١٤٢٤) هـ.، أنظر أيضاً: الزامل، ناصر بن محمد، الصهاينة الجدد: مهمة لم تنته، مؤسسة فؤاد بيعنوللتجليد، الرياض، (٢٠٠٦) مـ.، ص ١٠٩.

(٤) مناطق العزل التي كان يسكنها اليهود في دول الشتات، وسوف نتطرق اليها لاحقاً بالتفصيل.

(٥) تعد الولايات المتحدة الامريكية وحليفتها بريطانيا، من أكثر الدول دعماً لهذه الحركة، لانتشار المذهب البروتستانتي، ومن بعدهما المانيا.

يكون، حتى أصبحت اليهودية جزءاً من لحمهم ودمهم، والكاثوليك (فرنسا وإيطاليا وإسبانيا) ظلوا أكثر تحفظاً إلى حد ما، ولذلك لم يبرئ الفاتيكان اليهود من دم المسيح إلا عام (١٩٦٦م)، أما الأرثوذكس (الأوربيون الشرقيون)، فلا يزالون يحتفظون بتلك النظرة المتوجسة تجاه اليهود واليهودية، وهذا ما يفسر إلى حد كبير التفاوت في المواقف السياسية، حيث التماهي مع الدولة اليهودية في أمريكا وبريطانيا، وأخيراً في ألمانيا البروتستانتية، والتحفظ في أوروبا الجنوبية على السياسات الإسرائيلية (خصوصاً من طرف فرنسا أكبر الأمم الكاثوليكية الغربية)، والريبة في أوروبا الشرقية وخصوصاً روسيا.

إن الدراسة تناقش ظاهرة الأصولية الدينية قديماً وحديثاً من حيث المظاهر والأبعاد، تم تركز على ظاهرة الأصولية الإنجيلية بشكل رئيس، فيما تناقش على هامش الدراسة قضايا هامة مثل قضية خلط المفاهيم واختراع المصطلحات، كذلك قضية علاقة الدين بالسياسة، وأسباب التحيز والعداء الغربي لأمة العرب، وعلاقة الأصوليات ببعضها البعض. ومدى اقترابها من الأديان التي تنبثق منها، وتقييمها في ضوء احترامها مبادئ حقوق الانسان.

وأخيراً أرجوأن تشكل هذه الدراسة إضافة نوعية للمكتبة العربية، تسهم ولوبقدر بسيط في فهم طبيعة الظاهرة، كي نتمكن من وضع تصور مستقبلي شامل يواجه الأصوليات المنبوذة منه، ويدعم الأصوليات المحمودة، حتى يكون التصور مبنياً على أسس سليمة وفهم صحيح ومعطيات دقيقة، من خلال الأحداث التاريخية ومن خلال أقوال وشهادات العلماء والباحثين وكذلك من خلال أقوال زعماء هذه الأصوليات، من استمر على موقفه منهم ومن تراجع عنها.

إشكالية الدراسة :

تكمن إشكالية الدراسة في ظاهرة الأصولية الدينية، والتي بدت في ظهور وانتشار العديد من الجماعات والطوائف الدينية والسياسية «الإحيائية»، ذات المرجعيات الدينية والقومية والعنصرية واليمينية، متخذاً من أخطر هذه الأصوليات وهي «الأصولية الإنجيلية» ذات العقيدة المزدوجة مجالاً للدراسة، لكونها ذائعة الصيت واسعة الانتشار، عميقة التأثير السياسي، والتي ظاهرها التمسك بالنصوص الدينية المحرفة (التوراة والتلمود)، وباطنها من قبله هدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل، وتوطين اليهود على أرض إسرائيل الكاملة. ولقد قام الباحث باختيار المناسب للفكرة

المطروحة والمُعالَجة من آراء النخبة الفلاسفة والعلماء ورجال السياسة والدين، ثم قام بتشريحها وتحليلها وتقديمها للقارئ العربي كمادة ثقافية، ذات بعد أكاديمي، محاولاً اتباع أسلوب تحليلي ومنهجي وشكل وإطار من الموضوعية، والمنطق، وكذلك استخدام لغة مبسطة يسهل فهمها واستيعابها.

ولقد تم تحديد إشكالية الدراسة بثلاثة محدّدات:

- **التحديد الموضوعي:** دراسة مفهوم الأصولية الدينية: من أحزاب وحركات ومنظمات مختلفة في العديد من مناطق العالم، مع التركيز على الأصولية الإنجيلية فهي أخطرهم.

- **التحديد المكاني:** نظراً لكون الظاهرة المرصودة ذات امتدادات عدة وكذلك تأثيراتها في جميع انحاء العالم، فهي تنتشر في الشرق الأوسط، والولايات المتحدة، وأوروبا الغربية، فيما تبدوآثارها واضحة في آسيا (أفغانستان والعراق)، وإفريقيا (الصومال)، وأمريكا اللاتينية (فنزويلا)، وغيرها من الدول، لذا فإن حدود الدراسة إنما هي: مناطق العالم أجمع.

-**التحديد الزماني:** من قبل ميلاد المسيح عليه السلام (ظهور الأصولية اليهودية)، وحتى العصور المقبلة استشرافاً لغد أفضل.

الدراسات السابقة:

لقد تناول الباحثون موضوع الحركات الدينية «الإحيائية» وبخاصة ما يطلق عليه (الأصولية الإسلامية) بمزيد من التفصيل والعمق والتحليل، أما موضوع (الأصولية الإنجيلية) فإنه لم ينل حظاً وافراً من البحث والتحليل الكافيين، ولقد قام الباحث بالاطلاع على الكثير من هذه الدراسات التي استفاد منها في جوانب مختلفة، إذ انقسمت الدراسات السابقة التي عالجت هذا الموضوع إلى نوعين أساسيين هما:

١- الدراسات المباشرة: تتمثل في الجهود العلمية التي تناولت الموضوع بصورة ضمنية أوتناولت جانباً من جوانب الموضوع المتعددة، وذلك بتركيزها على أصولية معينة دون غيرها أوتناول أحد أبعاد ظاهرة الأصولية دون باقي الأبعاد، ومن أبرز هذه الدراسات، الدراسة التي قدمها (هرتسل) مؤسس الدولة الصهيونية، والتي ركزت

على استراتيجية تكوين الوطن القومي لليهود، وحدود الدولة وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وفيما يلي بعض هذه الدراسات :

ثيودور هرتسل، الدولة اليهودية: ترجمة عادل غنيم، ١٨٩٦ م

ويعد هذا الكتاب أحد مصادر الإلهام للقيادات الصهيونية، وطبق ما جاء به إلى حد كبير، فقد أوجد لليهود دليلاً للعمل، محدداً لهم الاستراتيجية والمشكلات التي قد تواجه إقامة الوطن القومي ونجح في تأسيس دولة من عدم[١]، ومن أشهر ما جاء به: «سوف نحيا أخيراً رجالاً أحراراً على أرضنا، وسوف يتحرر العالم بتحررنا ويغتني بثروتنا، ويعظم بعظمتنا»[٢]،وقد بلور «**هرتسل**» في كتابه كل الأفكار السابقة عليه عن الصهيونية، ومنها الفكرة الرئيسة وهى حلم الوطن القومي، محدداً مقومات ووسائل بناء هذا الوطن[٣]، كما أن الكتاب نقل المسألة اليهودية من قضية محلية تخص اليهود في الوطن الذى يعيشون فيه إلي قضية سياسية عالمية، بعد محاولة تحريرهم من (الجيتو)[٤]، بالإضافة إلى تركيزه علي أهمية احتلال العرب وإقامة المستوطنات، «فالدولة دون أرض هي دولة دون سيادة». لذلك يرى ضرورة الاستيلاء علي بغداد ثم مكة ثم بحيرة قارون والفيوم.

عبدالغفار الدويك، أنبياء إسرائيل الجدد: رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ٢٠٠٣ م

ركز الكاتب على الدور الهام الذي لعبته الأصولية اليهودية، في نشأة المجتمع الإسرائيلي، فهي التي صاغت ذلك المجتمع وفقاً لمفاهيم وتصورات دينية متطرفة، ولا تزال تعمل على تدعيم أركان هذا المجتمع، وقام الكاتب بالتحليل السيسيولوجي للكشف عن جذور الظاهرة التاريخية وكيفية توظيفها لتحقيق مآرب سياسية. متناولا في ذلك رؤى مؤسسي علم الاجتماع الأوائل للدين والتدين. وأيضاً رؤى اليهود العلمانيين لليهودية، حيث أكد على أن الأيديولوجية الصهيونية هي أكثر نماذج الاتجاهات العلمانية

---

(١) رغم أهمية الكتاب الكبيرة، الا ان هرتسل في تواضع شديد، نعته في الخاتمة، بناقص التوضيح، خلل وامور معيبة، تكرار، عديم الفائدة.

(٢) تيودور هرتسل، لدولة اليهودية، ص ٦١.

(٣) الدولة اليهودية، مرجع سابق، ص ١٩.

(٤) كلمة (جيتو) تُستخدم بشكلٍ خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا، وقد أُقيم أول جيتويهودي في «روما» عام ١٥١٦. وللجيتوأسماء مُتعددة؛ من بينها ما أُطلق عليه: «الحي الرابع»، وهوعبارة عن جزء من المدينة تعمد الدولة إلى إسكان اليهود فيه؛ لتسهيل معرفة تحرُكاتهم والوقوف على أحوالهم، وكان أحد الأحياء يُخَصَّص لليهود.

تطرفاً، إلا إنها استخدمت الدين كأحد أدواتها في جذب مؤيديها، فكانت مدخلاً مقبولاً لدى اليهود في الشتات. وخلص الباحث إلى إن مساحة الحوار بين العلمانيين والمتدينين اليهود لا تزال واسعة، وإنما يكمن الخلاف في تحديد هوية المجتمع اليهودي.

هاشم صالح، الإسلام والانغلاق اللاهوتي، لماذا أصبحت الأصولية الإسلامية المشكلة رقم واحد للعالم؟ ٢٠١٠ م

حيث تناول المؤلف موضوع الإصلاح الديني في الإسلام من وجهة نظر معارضة بشكل تحليلي عميق، منتقداً فيه الأصولية الإسلامية وأدبياتها التي تتصف بالجمود والتزمت، وذلك من خلال كتابات بعض الباحثين مثل: «عبد الرحيم المشيشي»[١]، والذي حذر من القراءة الاختزالية وغير التاريخية للدين الإسلامي، معللاً سبب ظهور الأصوليات الإسلامية بكونها تربت في بيئة من الحرمان والإذلال. بينما استدل كذلك بكتابات «لعبد الوهاب المؤدب»[٢]، والتي يرى فيها الإسلام مريضاً بالسلفية المتزمتة، معتبراً أن هذا المرض قديم العهد يعود لأيام الإمام «أحمد بن حنبل»، الذي أسس مذهباً يرفض فيه التأويل والاجتهاد. فيما رأى «هانز كونغ»[٣] أن الطاغي في الإسلام اليوم هوفقه القرون الوسطى ولاهوتها وفتاواها، مقللاً من قدرة الإسلام على التأقلم مع عالم الحداثة كما فعلت المسيحية واليهودية، مدعياً أن القرآن محدود ببيئة وبزمن معين، فيما شدد «ميشال دوس»[٤]، في كتابه «الله في حالة حرب»، على أن الأديان التوحيدية الثلاثة مارست العنف باسم الله على مدار التاريخ، مستغرباً تأجيل كتب الوحي الثلاثة لتحقيق السلام والوئام بين البشر إلى الزمن الأخروي.

كتاب: عادل المعلم، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين، ٢٠٠٩ م.

حيث يشير الكاتب إلى السبب الخفي لخروج الولايات المتحدة وآلتها العسكرية الانتقامية بعد سبتمبر (٢٠٠١)، مركزاً على عمق البعد الديني الذي يحكم الأفكار السياسية والمرجعيات العقيدية لدى الولايات المتحدة والتحالف الغربي

(١) كاتب مغربي معاصر مقيم في الغرب.

(٢) كاتب وشاعر تونسي معاصر، مقيم في فرنسا، مهتم بقضايا التنوير.

(٣) من اكبر علماء اللاهوت الكاثوليكي في سويسرا قبل أن يشهر إسلامه،شغل منصب مدير معهد الأبحاث المسكوفية في (توبنجن) بألمانيا. له العديد من الكتابات في الشؤون اللاهوتية والدينة والسياسية.

(٤) كاتب فرنسي. شهير مهتم بمقارنة الأديان، وله العديد من المؤلفات اهمها كتاب« مريم المسلمة».

الأنجلو-سكسوني، في ظل تعاون وثيق مع الدوائر الصهيونية العالمية. هذا بجانب الأطماع الإمبراطورية الأمريكية، كدولة عُظمى تقود العالم منفردة، وتسعى للسيطرة على أكبر قدر من ثرواته ومقدراته، وأكد الباحث على فكرة «**الدين**» المتأصلة في التحالف الأمريكي- الغربي، من خلال سيطرة الكنيسة البروتستانتية التي تمثل الأصولية المسيحية داخل الولايات المتحدة وبريطانيا، حيث تلعب توجيهات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد دوراً كبيراً في رسم السياسة العامة للدولة الأمريكية أو على المستوى السلوكي لأفراد الإدارة الأمريكية، فمثلاً الخمور ممنوعة في البيت الأبيض، واستشهد الباحث بقول «فاينمان» في تقريره في «نيوزويك»: «أما داخل البيت الأبيض فإنَّ الأجواء مصبوغة بالصلاة، ومجموعة دراسة الكتاب المقدس، التي كانت دائماً موجودة في البيت الأبيض». بل إن «فاينمان» ذكر أنَّ والد وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندليزا رايس» كان واعظاً في إحدى كنائس ولاية «الاباما». وانطلاقاً من هذه الأجواء الإيمانية يُرضي الرئيس الأمريكي ضميره ويقول: «إن حرب العراق حرباً عادلة».

٢- الدراسات المباشرة: وهي الدراسات التي تناولت ظاهرة الأصولية الإنجيلية، ولعل أبرزها الدراسة التي قدمها الكاتب السعودي (صالح الهذلول) والتي حملت عنوان (الأصولية الإنجيلية نشأتها وغايتها وسبل مقاومتها)، والتي ركزت على البعد الديني للأصولية الإنجيلية وتأثيرها على الأمة وعقيدتها.

صالح عبدالله الهذلول، الأصولية الإنجيلية، نشأتها وغايتها وسبل مقاومتها، ١٤١٦ هـ

تناول الكاتب، الأصولية الإنجيلية القائمة على التعاون غير المشاهد والمحسوس بين الصهاينة وطائفة من النصارى. مستعرضاً فيه عوامل ظهورها ودلالتها، وجوانبها الفكرية والتنظيمية، وغاياتها، ووسائلها، وأهم مظاهرها وأبرز عقائدها، كما استعرض الكاتب الجهات الرئيسة التي تدعم هذه الحركة، ومدى تمكن الحركة الأصولية سياسياً في الغرب، ولم يفت الكاتب الإشارة إلى محاولات إسقاط مفهوم الأصولية على الإسلام من جانب المعسكرين اليساري والعلماني، موضحاً أن الفكر الأصولي الإنجيلي قائم على الإرهاب والتدمير، وفي النهاية حذر المؤلف من خطورة الاختراق الفكري والعقائدي، وأوصى الكاتب بوسائل عدة للوقوف في وجه هذه

الحركة العنصرية الخبيثة، منها وسائل للمقاومة، تعمل على هدم الفكرة الأصولية، ووسائل للبناء تقوم على حسن التنشئة، والتوعية للأفراد، والاهتمام بدعم المؤسسات الإسلامية، والتحصن ضد الأفكار الوافدة من الغرب.

دراسة: عبدالعزيز المطيري،الأصولية الإنجيلية المعاصرة، تعريفها نشأتها، عقائدها، ١٤٣٠ هـ

تحدث الكاتب عن الأصولية الإنجيلية، والتي ظهرت لتحقيق بعض الوعود الوهمية، مواكبة ظهور «البروتستانت» في القرن السادس عشر، حيث أصبح كل من يقف في وجه عودة اليهود إلى فلسطين عند الأصوليين من أعداء الإله، ويقف ضد الخلاص المسيحي والمرتبط بعودة اليهود إلى فلسطين. لذا يعد المجيء الثاني للمسيح أهم عقائد الأصوليين الإنجيليين، كما أنهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام سيقود قوى الخير لمحاربة قوى الشر في سهل «هر مجدون»، وسينتصر عليهم ويُقيم بعد ذلك ملكه الذي يمتد ألف عام ينشر فيه العدل والسلام والرحمة، وبعد ذلك ينتهي العالم. وأوصى الكاتب بالاهتمام بالدور الدعوي لتقوية الجانب العقدي لدى المسلمين حتى يكونوا أكثر تحصيناً تجاه محاولات الغزووالتشويه والاختراق الفكري من جانب أعداء الأمة.

دراسة: فاخر أحمد شريتح، المسيحية الصهيونية، دراسة لنيل درجة الماجستير، ٢٠٠٥م.

حيث تناول الباحث نتيجة التحالف الشيطاني المتستر باسم التوراة المحرفة، لينشر أوهاماً تطالب بتعجيل هوس مجيء المسيح المنتظر، لهدم الأقصى وإقامة الهيكل محله، أما النصارى فيستخدمون اليهود لاعتقادهم في ارتباط عودة المسيح برجوع اليهود إلى القدس، فالقدس هي محور الالتقاء بين النصارى واليهود، وباعتبار أن جغرافيتها مشتركة ومقدسة، لذا تُعَدُّ القدس بؤرة للصراع الأزلي ومطمعاً لكثير من أصحاب الأفكار المغلوطة، وشدد الباحث على شراسة الصراع المركب (ديني-حضاري-سياسي)، بين المسلمين من جانب، وبين الأصولية الإنجيلية من جهة أخرى، وفي نهاية البحث طالب الباحث بضرورة توحيد جهود الحركات الإسلامية في العالم، وتوجيهها لتعرية وكشف المؤامرات الصهيونية وكشف خبثها الداعي للديمقراطيات

باسم السلام، كما أوصى بضرورة التوعية الجادة للمفكرين والقادة والساسة العرب، وتبصيرهم بحقيقة الصراع الديني الحضاري، الذي هو في جوهره صراعاً فكرياً عقائدياً، وليس صراعاً قومياً.

دراسة: يوسف أجحا: الصهيونية المسيحية، مفهومها، نشأتها، مخاطرها، ٢٠٠٩ م.

قام الباحث بالرد اللاهوتي، ليثبت عدم صدق عقائد الصهيونية المسيحية، موضحاً في النهاية، تبعات انتشار الصهيونية المسيحية على الواقع الفلسطيني والعربي، ومقترحاً تدعيم موقف الكنيسة الفلسطينية الرافض للمسيحية الصهيونية، ومستشهداً بما قاله الأب «مروان اللحام «في أحد الندوات :» إن كان لا يجوز التلاعب بعقول البشر في الأمور الأرضية، احتراماً لقدسية الحقيقة ولكرامة البشر، فبالأحرى أنْ لا يمكنُ التلاعبُ بمشاعر البشر الإيمانية»، احتراماً لقدسية الإيمان ولأهميته في حياة المؤمن، واحتراماً لله نفسه الذي هدم الحاجز بين البشر بتجسُّد ابنه»[1].

الفرق بين الدراسة والدراسات السابقة:

رغم استفادة الباحث من الدراسات السابقة بأوجه عدة، إلا أنه قد لاحظ ندرة الدراسات العلمية المتخصصة عن الأصولية الإنجيلية وخاصة المُؤلفة باللغة العربية، وذلك في مقابل سيل من الدراسات يتناول الأصولية الإسلامية، في حين أُفردت لها المساحات في الغرب بشكل أعمق وأشمل مما كتب العرب عنه، كما لاحظ الباحث أن معظم الدراسات السابقة تركز على البعد التاريخي والديني للمشكلة محل الدراسة، بينما تناول القليل منها البعد الجيوسياسي، من حيث علاقة الأصولية الدينية بالدولة، وجغرافية مناطق الصراعات وتأثير الأصولية الإنجيلية داخل الأحزاب، كما أن أغلب هذه الدراسات قديمة، حيث جرت تحولات جذرية وجوهرية معاصرة في دور وحجم الأصولية الإنجيلية كمّاً ونوعاً. وقد اتسمت بعض هذه الدراسات بالطابع الوصفي، والسرد التاريخي على حساب التحليل العلمي المنهجي والموضوعي. كما أن كثيراً منها قد طغي لديه الجانب العقدي على الجانب السياسي (هذلول- المطيري)، وهناك من قام بقصر دراسته على الجانب اللاهوتي على حساب الجوانب الأخرى (يوسف

---

(١) أفسوس: (٢، ١٤).

أجحا)، والبعض الآخر تناول الأصولية من منظور فلسفي بحت (جارودي)، مُتأثراً بخلفية اشتراكية عدوة للرأسمالية، كما أن بعضها قد غلب عليه أسلوب التنميط والتعميم (كفروني- المؤدب). مستشهدين بوقائع تاريخية، تنتمي إلى حقبة معينة وتتصل بفئة أومجموعة أومجتمع إسلامي بعينه، ثم يقومون بتحليلها وإسقاط نتائج ذلك ومدلولاته، بشكل تعميمي واضح، حيث لم يتعرفوا على حقائق الإسلام، ولم يتصلوا بمنابع الثقافة الإسلامية الأصيلة، فساء ظنهم بماضي المسلمين، كما ساء ظنهم بحاضرهم.

وهذا ما حفز الباحث للبحث في هذا الموضوع ومحاولة توسيعه دينياً وسياسياً وجغرافياً، من خلال الربط بينها، لاكتشاف طبيعة الظاهرة ومظاهرها المختلفة على الحياة السياسية في ظل انتشارها الواسع على مستوى العالم.

صعوبات الدراسة :

لقد اكتنفت الدراسة جملة من الصعوبات، لعل أهمها ما يلي:

١- قلة المصادر التي تناولت الأصولية الإنجيلية كفكرة بحد ذاتها، إذ إنّها كانت غالباً ما تُدمَجُ ضمن نسيج المعتقدات والأفكار الأصولية الأخرى، وإن توفرت المصادر فهي تعالج خطوطاً عريضة دون التشعب في تفاصيلها.

٢- إن مجال هذه الدراسة يدخل ضمن حقول العلوم الإنسانية، وفي مثل هذه العلوم يلقى الباحث غالباً صعوبة كبيرة في التحرر من عواطفه وانفعالاته خاصة، أنَّ موضوع الدراسة متعلق بالعقيدة، وقد حاول الباحث الابتعاد قدر المستطاع عن أي تحيز أوانفعال.

٣-عدم إلمام الباحث ببعض اللغات كالعبرية والهندية، الأمر الذي حرمه من الرجوع إلى المصادر الأصلية للأصوليات الناطقة بتلك اللغات.

٤- تشابك موضوع الدراسة مع مواضيع أخرى تحتاج إلى بحث وتحليل عميقين، مثل قضية المصطلحات.

دوافع اختيار الدراسة :

بعد أن قامت لجنة «جائزة عبدالله عبدالغني العالمية للإبداع الفكري»، باختيار موضوع الدراسة، انقسمت دوافع الكتابة لدى الباحث إلى:

دوافع ذاتية، تنبع من إحساس الباحث بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق علماء وشباب الأمة وطلاب العلم النافع، في فضح كل الحيل والأكاذيب والشبهات المدسوسة في ظلام ليل أمة الإسلام، كي تظل معضلتاها الغفلة والجهل في أوج تعقيداتهما[1]. فتوفرت رغبةٌ حقيقيةٌ وسعيٌ جادٌ لدى الباحث لإثراء البحث العلمي من خلال التنافس الشريف مع غيره من الباحثين في هذه المسابقة الرصينة

ودوافع موضوعية نابعة من كون الدراسة تناقش جملة من الموضوعات الحساسة مثل : ظاهرة الأصولية الدينية والعمق الديني الذي من أجله تخوض حركة الأصولية الإنجيلية الحرب على الإسلام، فضلاً عن قضايا فرعية مثل: أسباب التحيز الغربي والعداء تجاه العرب. والتوظيف الديني للسياسة لدى الغرب ويمكن إيجاز أبرز الدوافع الموضوعية في ما يلي:-

- تُعني الدراسة بظاهرة الأصوليات الدينية الإحيائية عموماً، مع إلقاء الضوء على الأصولية الإنجيلية منذ النشأة وحتى بروزها، وتطورها التاريخي والديني.
- إن دعم الأصولية الإنجيلية لإسرائيل المغتصبة، لم يعد خافياً على أحد، ولمَا «للقدس» من خصوصية جيودينية، فهي تُعَدُّ بؤرة الصراع على مر العصور، لأهميتها القدسية والتاريخية.
- تناقش موضوعاً حساساً للأمة العربية والإسلامية، وهوأسباب تحيز التحالف الأمريكي البريطاني للأصوليتين اليهودية والإنجيلية، وسر عدائهما للعرب والمسلمين.
- الكشف عن البعد التاريخي للسياسة الإنجلوساكسونيا قديماً، ودورها في زرع إسرائيل في قلب الأمة العربية ودعم وجودها. ومحاربة وتدمير القوى التي قد تهدد وجودها.

فرضيات الدراسة وتساؤلاتها:

تستند هذه الدراسة إلى فرضية أساسية مفادها «أن الأصولية الإنجيلية تلعب دوراً مميزاً وفاعلاً في توجيه السياسة الدولية، لمساعدة الدولة الصهيونية على تحقيق أحلامها وأطماعها التوسعية». فهي صنيعة الفكر الصهيوني القديم، والعدوالأكبر

(١) لولا الجهل ما أصبح مسلماً يتبع مذاهب ضالة، كالبابية والبهائية والالقاديانية وما وجدت في البيئة الإسلامية تربة خصبة لنشر أفكارها، مع أنها حركات في لبِّها وحقيقتها وفي ظاهرها وعلانيتها مناقضة لثوابت الدين، مصادمة لحقيقته.

للبشرية جمعاء حيث تسعى إلى دمار البشرية وفناء أفرادها.. ومن أجل تحقيق الأهداف السابقة كانت الفروض كما يلي:

الفرض العدمي الأول[1]:

ليس هناك فرق بين الأصوليات الدينية الإحيائية، فأيديولوجيتها دينية بحتة، وكلها نشأت

لأسباب واحدة، وجميعها يعمل لتحقيق أهداف متقاربة، وأساليب عملها متشابهة.

الفرض العدمي الثاني:

لا تُعَدُّ الأصولية الإنجيلية حركة دينية، وإنما حركة سياسية الغرض، حالها في ذلك حال العديد من الأحزاب والحركات السياسية ذات الأيديولوجية الفكرية والسياسية الواضحة.

الفرض العدمي الثالث:

لا تُعَدُّ الأصوليةُ الإنجيليةُ الأخطر بين كافة الحركات الأصولية الدينية الإحيائية، على كافة المستويات الإقليمية والدولية.

الفرض العدمي الرابع:

ليس هناك علاقة بين المسار السياسي الدولي، والذي تقوده دولة القطب الأوحد (الولايات المتحدة) وبين توسع وامتداد الحركة الأصولية الإنجيلية.

الفرض العدمي الخامس:

ليس هناك مظاهر واضحة لنجاح الأصولية الإنجيلية في تحقيق أهدافها، من حيث تحقيق النبوءات سوى إقامة الدولة العبرية، ولم يتحقق هدف إعادة بناء الهيكل، ومن ثم عودة المسيح.

الفرض العدمي السادس:

لا يوجد مكان للأصولية الإنجيلية في المستقبل، في ظل التغيرات السياسية

---

(١) الفرض الصفري(فرض العدم) أو Hypothses Null هوالفرض الذي لم يوجه لأي جهة، فهومحايد ولا يستند على دراسات أونتائج سابقة، بل هوفرض رياضي، وينص عادةً على عدم وجود فرق في النتائج؛ أي تقول: إن المتغير المستقل لا يؤثر في المتغير التابع. ويقابل الفرض الصفري الفرض البديل أوالموجه - وهوالذي يشير إلى أن المتغير المستقل يؤثر في المتغير التابع - فهذا بلا شك يستند إلى معطيات معلومات سابقة.

المتلاحقة عبر أدوات التغير السلمي(الثورات)، وفي ظل تزايد الأزمات الاقتصادية الخانقة، وتراجع شعبية بعض الدول الغربية.

لذلك تسعى هذه الدراسة للإجابة عن جملة تساؤلات منبثقة من هذا الافتراض العلمي لعل أهمها:

- هل هناك فروق جوهرية بين مفاهيم ظاهرة الأصولية الدينية بالسلب أو بالإيجاب؟
- هل تُعَدُّ ظاهرة الأصولية الدينية ذات أبعاد وجوانب وتأثيرات حميدة أم أنها شر مستطير؟
- هل تُعَدُّ الأصولية الإنجيلية حركة سياسية ذات بعد ديني، أم أنها حركة دينية توظف السياسة لتحقيق أهدافها، من خلال الامتثال الديني المطلق، للتنبؤات الغيبية؟
- هل تُعَدُّ الأصولية الإنجيلية من أخطر الجماعات الأصولية الإحيائية على مر العصور؟
- هل هناك ارتباط بين القرارات المصيرية للسياسة الدولية من جهة، خاصة التي تُتخَذُ من الولايات المتحدة وبريطانيا، وبين الامتدادات الأصولية الإنجيلية المتغلغلة، ونشاطها الكبير من جهة أخرى؟
- هل نجحت الأصولية الإنجيلية في تحقيق أهدافها، أم أنها لا تقف أطماعها عند حدود أرض فلسطين، وتمتد إلى الوطن العربي الكبير في ظل تنامي الدور الصهيوني في المنطقة؟
- هل يصبح المستقبل القريب علامة أفول وانحسار لظاهرة الأصولية الإنجيلية؟

أهداف الدراسة وأهميتها:

إن أهمية الدراسة تنبع من الطبيعة الفكرية والثقافية التي صاحبت ظهور العديد من الحركات السياسية ذات الطابع الديني «الإحيائية»، ومن أبرزها «الأصولية الإنجيلية»، التي نرى أن كشف زيف ادعاءاتها، وإماطة اللثام عن أفكارها، يمثل أهمية قصوى وحاجة ماسة، بالتركيز على أهم عقائدها والرد اللاهوتي عليها، فهي تحتل

الأرض وتشن الحروب بأدوات سياسية للحليفين الغربيين، وحيث إنّ الأمة الإسلامية تواجه خطر المفاهيم والمصطلحات لذا يصبح من أهم أهداف الفكر الإسلامي المعاصر، تصحيح المفاهيم، وتحرير القيم من المفاهيم الوافدة أوالزائفة التي تريد أن تحل محل المفاهيم الأصيلة. حتى لا تتغلغل في مجتمع هش وفاقد لها، وغير محصن ذاتياً ضد ما تحمله من قيم ومبادئ. وذلك من خلال اختبار فروض الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، والتعرض للأبعاد التاريخية والدينية والسياسية التي أحدثت صراعاً أيديولوجياً بين الأفكار المختلفة محل الدراسة، وكذلك محاولة مجانستها مع أراء العلماء والمحللين للوصول إلى خلاصة حقيقة الأصولية الدينية.

حيث تسعى الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف التي يمكن صياغة بعضها فيما يلي:

- اختبار فروض الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها.
- بيان ظاهرة الأصولية الدينية. وتقييم جوانبها السلوكية ومدى اختلافها، في الأهداف والفكر الأيديولوجي، وتحليل أبعادها الدينية والسياسية وتأثيرهما على جوانب الظاهرة.
- دراسة ظاهرة الأصولية الإنجيلية (كنموذج)، والتعرف على مكوناتها منذ النشأة مروراً بمراحل تطورها،وصولاً إلى استشراف مستقبلها، خاصة بعد امتداد تأثيرها على الحياة السياسية في الدول التي تحتضنها وتدعمها.

منهجية الدراسة واستراتيجيتها :

لقد تم معالجة موضوع الدراسة وفقاً لإسلوب التكامل المنهجي للوصول إلى حقيقة الظاهرة، وحيثما دعت الضرورة لاستخدام وسائل التحليل لهذا المنهج أوذاك، ففكرة (الأصولية الدينية) هي فكرة دينية، واجتماعية وسياسية، لا ينبغي للباحث فيها الاقتصار على أداة تحليل واحدة دون الأخرى. فالمنهج الوصفي سيساعد في عملية وصف ظاهرة الأصوليات الدينية وانتشارها بشكل كبير، وما أسفرت عنه من الأصولية الإنجيلية ذات الأهداف الممتدة، والعلاقات المتشابكة، ومن جهة ثانية تأخذ الدراسة منحى الأسلوب التحليلي من خلال اختبار الفرضيات وتحليل النتائج، وذلك بالتركيز على طبيعة الظاهرة، من حيث تحديد أبعادها وجوانبها ومتغيراتها المختلفة التي يمكن أن تؤثر فيها. حيث تم تحليل ظاهرة الأصولية الدينية إلى مكونات رئيسة

تتمثل في دين أومذهب ديني له أتباع، هؤلاء الأتباع حريصون على التمسك بتعاليمه ونصوصه، سعياً لتحقيق أهدافه، ومظاهرهم تبدو في سلوكيات بعضُها معتدلٌ وآخر عنيفٌ، هذه الأصولية تعمل على الوصول أو الحفاظ على مكان مقدس موعود، أما أبعاد الظاهرة فهي دينية سياسية جغرافية، وسوف نلقي الضوء على أبعاد الظاهرة الثلاثة، حتى يمكن توضيح طبيعة العلاقة بين الدين والسياسة لدى الغرب، أما المنهج المقارن فيبدودوره في بيان اختلافات مقومات الأصوليات الدينية. وكذلك في تقييم المظاهر المختلفة الأخرى للأصوليات الدينية على أساس معايير دينية صحيحة سامية مثل: العدل والحريات والمساواة ونبذ العنف.

أما المنهج التاريخي فقد ساهم في إبراز دور الأحداث التاريخية المتتابعة من حروب ووعود واتفاقيات ووقائع في مسيرة الأصوليات الدينية، حيث يساعد في الرصد التاريخي والإيضاح، من خلال التتبع التاريخي لانتشار الظاهرة، كما إنه يساعد في الربط بين الظاهرة والأحداث التاريخية، ومدى ارتباط هذه الأحداث بنشأة وتطور تلك الأصوليات.

حيث اتضح كيف أن العزل والقتل والسبي القديم لليهود قد أَثَّر سلباً في تشكيل الشخصية الأصولية اليهودية المليئة بمشاعر الكراهية والحقد والانتقام والعنف، كما بين لنا كيف أن مواضع الخروج لبني إسرائيل من (مصر) والدخول في التيه، وكذلك السبي البابلي (العراق) قديماً والعزل حديثاً (أوروبا)، دفعتهم إلى إشعال هذه المناطق في الوقت الحالي والعمل على تطويعها للاستفادة منها أوالاستيلاء عليها وتدميرها. كذلك بَيّنَ المنهجُ التاريخيُ كيف أن سقوط الخلافة العثمانية، وما تبعه من انتشار النِّحَلِ والفرق الضالة مثل القاديانية والماسونية وغيرها ثم انتشار مظاهر الفساد، ومن بعده التضييق على المسلمين في بلاد الخلافة سابقاً، وزيادة تأثير دعاة التغريب الأعمى ساعد على نشوء الأصولية الإسلامية بمدلولها الإيجابي (الصحوة) والسلبي (التشدد)، كما بين التاريخ كيف أن الغرب حينما أراد أن يكفر عن آثامه تجاه اليهود، قام بمصالحتهم والتحالف معهم، واستخدم حلمهم مطية في تحقيق أغراضهم الاستعمارية في سلب خيرات بلاد المسلمين. وأخيراً المنهج الإقليمي[1]: فهو

(١) المنهج الإقليمي: The Regional Approach ويقوم هذا المنهج بتحليل الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتكون منها أوالتي تكونها مثل الظاهرات الطبيعية والاقتصادية والبشرية، وشكل وحجم ومناخ الدولة، والسكان وغيرها، وتحليل التاريخ السياسي للدولة، وحدودها، وعلاقاتها السياسية بالعالم الخارجي، حيث يتم تحليل المعلومات والبيانات المختلفة بطريقة «الجغرافي الإقليمي» الذي يختار ما يريده من الدراسة الإقليمية التي تفيد في فهم طبيعة المشكلة وأسبابها الجغرافية.

يركز على المعطيات الطبيعية والبشرية المؤثرة في قوة الدولة الصهيونية، وكذلك في كشف الحدود الجغرافية لأرض الميعاد وما يحدها من دول الجوار، كذلك سوف يساعد في وضع تصور مستقبلي لها، في إطار ما يظهره منهج تحليل القوة من مواطن القوة والضعف الجيوسياسية في الكيان الصهيوني[1]. ما قد يدفعها إلى المزيد من الحروب الاستباقية والتوسعية على حسابهم. فضلاً عن تطبيق المنهج العلمي.

خطة الدراسة :

ولكي تكون الإجابة عن هذه التساؤلات منظمة، فقد تمت تجزئة خطة الدراسة إلى قسمين أساسين من خمسة فصول، أولهما يتناول فكرة ظاهرة الأصولية الدينية في العالم لدى الديانات التوحيدية والمذهبية والوثنية، مستعرضاً إياها من حيث المفهوم وأسباب النشأة وأبرز أهدافها وبعض ملاح وجوانب تلك الظاهرة، ذلك في ثلاثة فصول حيث تم تقسيم كل فصل منها إلى مباحث فرعية مختلفة تناقش جانب معين من جوانب الموضوع الرئيس للفصل، إذ خُصِّص الفصل الأول لدراسة ماهية الأصولية الدينية في اللفظ والاصطلاح والمضمون ومفردات هذه الظاهرة، والعوامل التي ساعدت على نشأتها، وذلك في ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول منها مفهوم ظاهرة الأصولية الدينية حول العالم في اللغة والاصطلاح، بينما تناول المبحث الثاني عوامل نشأة وتطور الأصوليات التوحيدية الثلاثة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع التركيز على البعد التاريخي وارتباطه بظاهرة الأصولية، وكيف أن العوامل قد تشابهت من أصولية لأخرى، وبخاصة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ثم ناقش المبحث الثالث أحد أبرز مكونات الظاهرة (الدين)، وأوضحنا كيف كانت الأصوليات الدينية تقوم بتوظيف الدين سياسياً -منذ بدايتها- سراً وعلانية.

أما عن الفصل الثاني فجاء هو الآخر في ثلاثة مباحث، ناقش الباحث فيها نشأة الأصوليات التوحيدية الثلاثة، مستعرضاً أبرز الأهداف التي عملت على تحقيقها، كما ناقش الباحث فيها أبرز مظاهر الأصوليات التوحيدية ومن ضمن هذه المظاهر علاقتها بالدولة، ومدى استخدام العنف (المظاهر الدموية)، فضلاً عن ميادين عمل تلك الأصوليات الاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) منهج تحليل القوة: The analysis Approach، ينظر هذا المنهج في تحليل العوامل الجغرافية المؤثرة في قوة الدولة وضعفها وتكتلاتها مثل جوانب الطبيعية، وموارد الثروة الاقتصادية، والثروة البشرية، ووسائل النقل والمواصلات من حيث حجم الشبكة وكفاءتها وربطها جميع أجزاء الدولة» وكذلك عدد السكان وخصائصهم، والنظام السياسي، والموقع الجغرافي النسبي والفلكي وأثره على تنوع الموارد الاقتصادية، وشكل الدولة وحدودها، وأثر البيئة الجغرافية على علاقاتها السياسية الداخلية والخارجية.

بينما جاء الفصل الثالث هوالآخر في ثلاثة مباحث ليناقش فيه الأصوليات الدينية التي قامت على أساس مذهبي أوطبقاً لمعتقد وثني، التي نشأت في ظل ظروف استعمارية معينة، مثل الأصولية الشيعية والسيخية والبوذية منهياً الفصل بأبرز الأصوليات تأثيراً – أصولية الدولة- ذات الطباع الطائفي والطبقي مستدلاً بأصولية الولايات المتحدة الظالمة، والأصولية الكاثوليكية المتطرفة في إفريقيا الوسطى وأنجولا، فضلاً عما يحدث من الأصولية البوذية المتحالفة مع العسكر في محوالوجود الإسلامي في إندونيسيا وتايلاند.

أما القسم الثاني فيتناول في فصله الأول نموذج الدراسة-الأصولية الإنجيلية الإحيائية بالتفصيل التي تم التركيز من خلاله على ظروف نشأتها –قديماً وحديثاً- ومظاهرها وابعادها الدينية والسياسية والتاريخية والاعلامية ومدى الارتباط بين هذه الأبعاد، وبهدف التركيز على نموذج الدراسة فقد تم تقسيم الفصل إلى ثمانية مباحث يمثل كل مبحث منها أحد الموضوعات المهمة التي تكشف عنها الدراسة وأهما طغيان الموروث الديني البروتستانتي على ممارسات وميادين عمل الأصولية الإنجيلية، وأصبح الساسة الذين يدورون في فلك النصوص التوراتية وليس العكس، ثم ختمت الدراسة في فصلها الأخير باستشراف مستقبل هذه الظاهرة من خلال موضوعين مهمين، الأول يتناول علاقة الأصوليات الدينية بعضها البعض، والثني نُقيِّم من خلاله الظاهرة طبقاً لبعض مبادئ حقوق الإنسان الأساسية.

ويُعَدُّ الفصل الرابع الأهم في هذه الدراسة من خلال مباحثه الفرعية التي بدأ أولها في بيان كيف أن نشأة الظاهرة -قديماً وحديثاً -كانت نتيجة اختراق الصهيونية للفكر المسيحي، بينما تناول المبحث الثاني الأهداف الظاهرة والمسترة للأصولية الإنجيلية، أما المبحث الثالث فأتي ليلقي الضوء على أبرز عقائدها التي تمثل خطراً على البشرية جمعاء، وأهمها العودة الثانية، والعقدية الاسترجاعية، ونهاية العالم على طريقة هرمجدون النووية، بينما تطرق الباحث إلى أخطار الأصولية الإنجيلية المتعددة في المبحث الرابع، بينما تعرض المبحث الخامس لأبرز مظاهر الدعم المادي والسياسي من قبل رموز وشخصيات مؤثرة ومن منظمات سَخَّرت إمكانياتها المختلفة من أجل نصرة قضية زائفة، بينما ناقش المبحث السادس للتوزيع العددي والجغرافي للأصولية الإنجيلية، بينما ناقش المبحث السابع المنظور الجيوسياسي للأصولية الإنجيلية، من حيث الطبيعة الدينية والجغرافية للأرض المحتلة وبخاصة الأماكن المقدسة منها،

وفكـرة أرض الميعاد، وأخـيراً جاء المبحث الثامـن ليوضح بإيجاز أبـرز الطرق المادية والفكريـة التي يمكـن مجابهة الأصوليـة الإنجيلية بها، ولأغراض المقارنة جاء فصل الدراسـة الخامس والأخير، ليسدل الستار علـى الدراسة من خلال استعراض خرائط انتشـار وامتـداد الأصوليـات الدينية جغرافياً، كمـا تناول الباحـث في المبحث الثاني العلاقة بين الأصوليات المختلفة تاريخياً، ثم في مبحثها الثالث تم تقييم الأصوليات على أسـاس معيار احترامها لمبادئ حقوق الإنسان، ثم ختـم الفصل بالمبحث الرابع والذي تم فيـه استشـراف مستقبل هـذه الأصوليات في ضـوء التغييرات السياسيـة المختلفة، مـع إبـراز أحدث الإحصائيات والدراسـات التي تُقيِّم الواقع الحـالي ثم أنهى الباحث الدراسـة بخاتمـة تبرز أهم النتائـج والتوصيات التي خرجت بهـا الدراسة، ومفهرساً لمصادرها المختلفة.

* * *

الفصـل الأول

ظاهرة الأصولية الدينية في العالم

مفهومها وعوامل نشأتها وأبرز مكوناتها

تختلف مفاهيم الأصولية الدينية وتتباين من أقصى اليمين إلى أدنى اليسار، فالمعارضون ينظرون إليها نظرة تعميمية سلبية دموية جامدة، مقللين من صلاحيتها في طرح البديل الملائم المستمد من عدم صلاحية الأديان طاعنين في ثوابت وأولويات وعقيدة الدين الصحيح، أما الفريق الآخر فيرى فيها الخير ما التزمت بالعقيدة الصحيحة مع مراعاة أولويات العصر، وقد تمثل خطراً إن اقتصرت على الحرفية الصماء، أوالتأويل بحسب الأهواء، فالجوانب الإيجابية للأصولية الحسنة التي لا تنحرف جوانبها عن الفكر الحقيقي لعدل وسماحة وشمول الدين عديدة، طالما بقيت في إطار الاعتدال والاستنارة، تلفظ من يسيء إليها أوينتهج منهجاً شاذاً أومنحرفاً. أما من يرفض المفهوم بالأساس فقد تأثر بمحاكم تفتيش الأصولية النصرانية قديماً، ومن تصلب الكنيسة تجاه التقدم والاكتشافات العلمية والحضارية، ومن الحروب الصليبية المدمرة للمسلمين واليهود، ومن فكر صهيوني مغتصب للأوطان.

المبحث الأول

مفهوم الأصولية الدينية

الأصولية في اللغة والاصطلاح:

أولاً: معنى الأصولية في اللغة:

لا نجد ذكراً لهذه الكلمة (الأُصولية) في معاجم اللغة العربية، بل نجد جِذرها اللُّغوي وهي كلمة: (أصل) والنسبةُ إليها: (أُصولي). والأصل، وهو قاع الشيء وما يبنى عليه غيره، سواء أكان حسياً كالأساس الذي يشيّد عليه البناء فهو أصله، أم عقلياً كبناء الأحكام الجزئيّة على القواعد الكليّة.

قال الرازي في مختار الصحاح: (الأصلُ: واحدُ الأُصول. ورجل أَصيل: أي، مُحكم الرأي)[1].

وقال «ابن منظور» في (لسان العرب): (الأَصلُ: أسفل كل شيء، وجمعه: أُصول، وأَصُلَ الشيء: صار ذا أَصل. وأصّلَ الشيء: قتله علماً، فعرف أَصله)[2]. وأَصُلَ النسب أصالة: شَرُفَ، فهو أصيل. والأَصلُ: العقل. والأصيلُ: العشي، والجمع: أُصُل وآصال[3]. وقد جاءت كلمة أصل وما اشتُقَّ منها في القرآن الكريم في عشرة مواطن تقريبا، منها: قوله تعالى: «كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء»[4]. وقد جاءت كذلك في الكتاب المقدس، في سبعة وخمسين موضعاً منها[5]: ما ورد في إنجيل متى[6] (والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر..)[7].

---

(١) مختار الصحاح، للرازي: ص٣٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب: مجلد١: ص١٥٥.

(٣) المصباح المنير: للفيومي، ج١، ص١٦.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٢٤).

(٥) فهرس الكتاب المقدس، جورج بوست: ص٢٢-٢٣.

(٦) عدد إصحاحاته ٢٨ إصحاحا، وكاتب هذا الإنجيل: القديس متى، وهذا الإنجيل يتحدث عن نسب السيد المسيح، وميلاده، وموته، وقيامته، وغير ذلك. انظر: اعرف كتابك المقدس: ص٤٦-٤٧.

(٧) إنجيل متى: ٣/١٠.

تاريخ المصطلح ومعناه:

أما كلمة الأُصولية بالفرنسية (fundamentalist) فقد اشتُقَّت عام (١٩٦٦)م، وتعني معنيين:

أولهما: معنى عام، وهو «مَنْ يقوم بأبحاث في الأُصول».

والثاني: معنى دينيّ، وهو «مَنْ ينتمي إلى الأصولية».

وتُعَدُّ الحركات الإحيائية أُصوليّة، ومنها: حركة «بيلي جراهام»[1]. وقيل أنها عبارة عن اصطلاح سياسي فكري يشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، نابعة عن قناعة وإيمان بفكرة أومنظومة قناعات تكون في الغالب تصوراً دينياً أوعقيدةً دينيةً. أما الكلمة بالإنجليزية فجاءت كردً فعل للاكتشافات العلمية في أواخر القرن التاسع عشر، كصفة ذاتية أطلقها على أنفسهم فريقٌ من المسيحيين البروتستانت، فأصدروا سلسلة نشرات أوكتيبات، عبارة عن اثني عشر كتيباً تضمها تسعون مقالة، حيث سميت الأصول أو الأساسيات، والتي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة (١٩١٠-١٩١٥م)، حيث حاول مؤلفوها البروتستانتيون تفنيد كل المبادئ الأساسية للنصرانية التي يجب التسليم بها دون تشكيك، وعَزَتْ جماعة من المؤمنين تآكل أسس العقيدة المسيحية إلى العادات والأفكار الحديثة. فأدت المبادرة في عام (١٩١٩) إلى تأسيس (الجمعية العالمية للمسيحيين الأصوليين)، والتي دعت إلى التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، بالإضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت. ولذلك عُرفت بمذهب العصمة الحرفية، كما ترفض الفصل بين الدين والدولة، ما يؤدي إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي. ولقد بلورت هذه الكتيبات أربع (حقائق أساسية) سُميت «بالأصول» وهي: العصمة الحرفية للإنجيل، وألوهية المسيح، ومعجزة إنجاب مريم العذراء، واليقين غير القابل للشك بعدم إمكانية احتواء الإنجيل على أي خطأ، كما رأت أن أيّ خروج عن ذلك هوخروج عن المسيحية عموماً. وأما عن ظهور هذا المصطلح في المعاجم: فقد بين «جارودي» أن أول ظهور لهذا المصطلح كان في قاموس «لاروس الصغير» لسنة (١٩٦٦) م حيث عرفها

---

(١) بلى جراهام: أشهر واعظ أصولي في الولايات المتحدة الأمريكية، وله دور كبير في بروز الحركة الإنجيلية، انظر أيضاً: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني: يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٧، ص: ١٠.

بكيفيـة عامة «موقف أولئك الذين يرفضـون تكييف عقيدة مع الظروف الجديدة»، أما في سنـة (١٩٧٩) فنجـد القاموس نفسه، لكن مـن النوع الصغـير «لاروس الجيب» قد قصـر المصطلـح على الكاثوليك وحدهـم، حيث جاء فيه: «استعـداد فكري لدى بعض الكاثوليكيـين الذين يكرهون التكيف مع ظـروف الحياة الحديثة»، أما في سنة (١٩٨٤) ظهـر قاموس «لاروس الكبير» في اثني عشر جزءاً، وعرَّف الأصولية بشكل أكثر شمولاً، حيـث جاء فيه: « فالأصوليـة موقف جمود وتصُّلب معارض لكل نموّ أو لكل تطور». ثم يضيف متخطياً الإطار الديني: «مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد السياسي». ولا يذهـب أبعد من ذلك لاروس (١٩٨٧): «موقف بعضـ الكاثوليكيين الذين يرفضون كل تطـور، عندمـا يعلنون انتسابهم إلـى التراث»[١]، وفي عصر الحداثـة، وبعد مؤتمر الفاتيكان الثاني، يشهد المصطلح تطوراً كبيراً حين انتقل من مجال الدراسات الدينية الكاثوليكية إلى مجـال السياسة والاجتماع، حيث أُريد به: «المذهب المحافظ والمتصلّب في موضـوع المعتقـد السياسـي»، أما موسوعة (روبـير الإنجليزية اللغويـة) فتشير إلى إن كلمـة (fundamentalism) صيغـت عـام (١٩٢٠)م، وتعنـي تيـاراً لاهوتيـاً محافظاً، أصله بروتستانتي، نشـأ في الولايات المتحدة الأمريكية، أثناء الحرب العالمية الأولـى، ومتمسـك بالتعريف الحرفي للنصوص الإنجيلية. فهـي لم تُمَثَّل عام (١٩٦٦) في معجـم «**روبـير الكبـير**»، ولم تظهـر كذلـك سنـة (١٩٦٨) في الموسوعـة العالمية (Encyclopedia Universities)، بينمـا عرفها قاموس الكشاف من الناحية الفقهيـة فجاء فيه[٢]: «أصولُ العلوم قواعدُها التي تُبنَى عليها الأحكام» أما في قاموس «المورد» فقد جاء تعريفها كالتـالي: «**الأصولية** (Fundamentalism) (مذهب العصمة الفرديـة)، وهي حركة عرفتها البروتستانتية في القرن العشرين تؤكد عصمة الكتـاب المقدس في كل ما يتعلـق بالتاريخ، ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي»[٣].

وعَرّفتهـا الموسوعة الميسرة بتعريف مقـارب بأنها: (حركةٌ بروتستنتية ظهرت في الغـرب في القرن التاسع عشر الميـلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام (١٨٩٥)م، لتحيي من جديد أفكارَ أصحابِ عقيدة المجيء الثاني للمسيح مجيئاً حقيقياً حرفياً»[٤].

---

(١) روجيه، جارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهره، دار عام الفين، باريس، (٢٠٠٠)، ص ١٣

(٢) الشلهوب، صالح، قاموس الكشاف، ص٤١.

(٣) البعلبكي، منير قاموس المورد، دار العلم الملايين، بيروت، ط١١، (١٩٩٧م)، ص ٢٨٣.

(٤) الجهني، مانع حماد وآخرون، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، (١٤١٨) هـ..، ص ٦٢٦-٦٢٨.

ثانياً: معنى الأصولية في الاصطلاح:

والأصولية اصطلاحاً من «الأصول» المتعلقة بعلوم الدين. أما «ايان لوستك» فينظر للأصولية من خلال أبعادها الثلاثة المركبة: الديني والسياسي والاجتماعي، وذلك في كتابه (الأصولية اليهودية)[1]، فيقول: «الأصولية كلمة أشيع استعمالها، ولكنها لا تستعمل هنا للدلالة على المبالغة في التدين ولا للإيحاء بصور التعصب أو أساليب التفكير الساذجة، بل لتركز الانتباه على نوع معين من دروب السياسة، ولابد لذلك من تعريف الكلمة تعريفاً واضحاً واستعمالها استعمالاً متماسكا». فهي الرؤية التي تُتَّخذ من الأصل، سواء كان الأصل دينياً، أم سياسياً، أم اجتماعياً مرجعاً أساسياً لها، ولربما كانت الصهيونية العالمية- صانعة المفاهيم الغريبة والملتبسة- تكون خلف هذا المفهوم، بشكل يدعوللريبة والاستفزاز، بل الرعب من كل ما يمتُّ بصلة للإسلام سلماً كان أم حرباً، حواراً كان أم مقاومة.

ولقد ارتبطت الأصولية في الأذهان-حديثاً- بالتيارات الإسلامية، رغم ارتباطها التاريخي بالمسيحية الرافضة لكل أنواع التطور[2].

لذا يشير «عادل المعلِّم» إلى البعد السياسي لمصطلح «الأصولية الدينية» الذي جاء من رحم اليهودية والمسيحية، وتبلور أكثر بعد ظهور المذهب البروتستانتي في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي، وتحديداً في ألمانيا على يد (مارتن لوثر وجون كالفن)[3].

بينما يتجه «جارودي» في تعريفه الأصولية بنظرة فكرية فلسفية[4]، حيث يقول: «الأصولية تقوم على معتقد ديني أوسياسي مع الشكل الثقافي أوالمؤسسي، الذي تمكنت من ارتدائه في عصر سابق من تاريخها، وهكذا تعتقد أنها تمتلك حقيقة مطلقة، وأنها تفرضها»، وقسَّم جارودي الأصولية إلى أقسام عدة: «هناك أصوليوالعلموية والتكنوقراطية، وهناك الأصولية الستالينية، والأصولية الرومية، والأصولية الإيرانية، والأصولية الجزائرية، والأصولية الإسرائيلية، وأصولية الإخوان المسلمين، وأصولية لوبين le pen، مع كون السعودية هي المركز السطحي للزلزال الأصولي

(١) ايان لوستيك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (١٩٩١)م، ص٩.

(٢) تادرس مارلين، الأقباط بين الأصولية والتحديث، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (١٩٩٢)، ص٧.

(٣) المعلم، عادل، الأصولية المسيحية والرئيس الذي استدعاه الله. مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط١، (٢٠٠٩)، ص١٢.

(٤) روجيه، جارودي، الأسباب المعاصرة، أسبابها ومظاهره، دار عام الفين، باريس، (٢٠٠٠)، ص٦.

في العالم الإسلامي»[١].

أما» طارق علي[٢] في كتابه (صدام الأصوليّات)[٣]، فيطرح مفهوماً أوسع للأصولية، حيث انتقد فكرةَ مُنَظِّر صراع الحضارات «صامويل هنتنجنون»، والتي تفترض وجود صراع حقيقيّ بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بينما الحقيقة-بحسب رأيه-أن العالم يعيش أصولية واحدة كبرى هي (أم الأصوليات)، وهي الأصولية الإمبريالية الأميركية، وهي تسيطر على كل شيء في هذا الكون، وفي المقابل تأتي الأصوليات الدينية مجمعة ومنها الإسلامية التي هي في الحقيقة صغيرة جدًا.

إنَّ الأُصوليةَ تعني شيئاً مختلفاً ومغايراً تماماً، على حد قول «محمود أمين العالم»: «الأصوليةُ تختلف وتتمايز عن المفردات جميعاً، وتُشكِّلُ دلالة مذهبية وأيديولوجية خاصة، بمعنى أنها الرؤية التي تتخذ من الأصل سواءً أكانت نصوصاً دينية، أم مذهباً دينياً، أم سياسياً، أم مرجعاً أساسياً، وسنداً مطلقاً نهائياً في مفاهيمها وسلوكها. فليست كل مرجعية إلى أصل ثابت تتسم بالأصولية، وإنما تصبح هذه المرجعيةُ أصولية إذا تكررت هذه المرجعية واحتكرت، وطغت بشكل مطلق، وأصبحت منهجاً مسيطراً»[٤]. ويختلف مدلول المصطلح بحسب الثقافة السائدة، فالأصولية الإسلامية مثلاً لها عند الغرب مدلولات سلبية عدة، من عنف وتشدد وتطرف ورفض لكل جديد مع التمسك بنصوص تقليدية متشددة، وتسعى لتطبيقها من خلال مشروع سياسي إسلامي، فيما تعني عند الشرق الصحوة الدينية المعتدلة، أما «سامي كمال الدين» فيبدي رأياً مختلفاً فيراها وسيلة لشغل الناس من الجانبين بقوله:[٥] «لقد وجدت وسائلُ الإعلام الغربية في التطرف الإسلامي والأصولية الإسلامية» ومهاجمتها وسيلةً فعَّالةً لشغلَ الناس، كبديل لمهاجمة الشيوعية. ومن ناحية أخرى لجأ المعارضون المتدينون إلى استخدام

---

(١) الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، جارودي، مرجع سابق، ص٦.

(٢) منتج سينمائي مسلم،،بريطاني من أصل باكستاني، وكاتب يساري ومصلح اجتماعي، وله العديد من المؤلفات ومنها صدام الأصوليات، يتناول موضوعات عن الأصولية والحملات الصليبية والحداثة.

(٣) Tariq Ali .The clash of fundamentalism. crusades. jihad. and modernity. Verso .New York.(2003)Part iv.p.279

(٤) مراد وهبة: أصوليات هذا الزمان، سلسلة كتاب قضايا فكرية، بإشراف محمود أمين العالم، الكتاب الثالث، والرابع عشر. ١٩٩٣م. نقلا عن سليمان حريتاني، توظيف المحرم ط١، دار الحصاد، سوريا، ٢٠٠٠م. ص: ٣٥٦. وانظر: إشكالية الموقف الغربي من الأمة الإسلامية: ص: ٩-١٠.

(٥) كمال الدين، سامي، الصحافة الحرام، دار كيان للنشر والتوزيع، القاهرة،(٢٠١٣) م، ط١، ص٥٢.

نفس الصراع كبديل للانشغال بقضايا الناس الحقيقية، فراحوا يتهمون الخصوم بخروجهم على ثوابت الأمة، فيكون البديل السهل لحل مشاكل الناس هوتوجيه الكفر لكُتَّاب العلمانية، هكذا وجد الاثنان في الصراع البائس بين «العلمانية» و«الأصولية»، طريقة سهلة وآمنة لإثارة الناس دون اغضاب الحكومات.

أما إبراز مفهوم الأصولية الحميدة فيتم من قِبَلِ (أحمد ديدات)[١]، حيث يقول: «الأصولية تعنى التمسك القوي بالتعاليم الأصولية للدين والعقيدة، وهي بذلك تعدُّ كلمة جميلة، فنحن نؤمن بإله واحد، ونعتقد أنَّ نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ولا نتزحزح عن ذلك، ونصلى خمس مرات في اليوم، ولكن الغربيين شوهوا الكلمة بإعطائها معنى مغايرًا، يتضمن أن الأصولي إنسان متخلِّف ومتعصِّب وغير منطقي وإرهابي، مثلما فعلوا بكلمات أخرى فأطلقوا اسم (ابن الحُبِّ) على(ابن الزنى) واسم (المرح) على (اللواطي)».

وبالإضافة إلى مفهوم الأصولية الحميدة، فإن هناك الأصولية البغيضة التي تتنكر للحقائق، وتنظر للأمور من زاوية واحدة، وتتشبث بما لنا، وتغفل ما علينا من الأمور التي اعتدنا عليها في مجتمعاتنا. لا تعرف للعدل والاعتدال وإعطاء كلٍّ ذي حقٍ حقَّه سبيلاً. نكيل بمكاييل عديدة ومختلفة. إذا تعرَّضتَ للمضايقات، فهذا اضطهادٌ وتمييز وتفرقة عنصرية، وإذا اضطَهَدت هي وميَّزت وفرَّقت بين البشر، فهذا: إما احترام للتقاليد، أونزول على رغبة الأغلبية.

نشير هنا إلى أن البحث لم يتعرض لحركات المقاومة المدافعة عن أرضها وعرضها مثل حركة حماس في فلسطين حيث إن من أهم عوامل قيامها هوالدفاع عن حق طبيعّي، حيث يعاني الشعب كلَّ يوم، والعالم لا يفعل شيئاً. حكوماتهم ميتة، ساستهم فاسدونً، فهل من المستغرب أن تستجيب للإسلاميين بديلاً عن الولايات المتحدة التي لا تريد الديمقراطية[٢]؟

ونظراً لكون هذه الدراسة تتعرض لمفاهيم الأصولية الدينية التي تقع دائماً في مرمى اتهامات تحمل في طياتها معاني التطرف والإرهاب، فقد رأيت ضرورة تعريف مصطلح «الإرهاب»، ويستند المصطلح «إرهاب» إلى الكلمة اللاتينية (Terror)،

(١) أحمد ديدات، محمد المثال الأسمى، ترجمة محمد مختار، في حديثه مع ابناء مكة، (١٩٩٢) ص ١٣٩- ١٤١).

(٢) Ibid.P322

وتعني دلالتها رهبة، رعب، هول، ذُعر وهلع، ومن المألوف في العالم استخدام هذا المصطلح في وصف ظواهر متطرفة ترجع إلى عنف سياسي، لكنه في الحقيقة ليس له تعريف واضح مُتَّفَقٌ عليه[1]. ولا يوجد في القانون الإسرائيلي تعريف لمصطلح «إرهاب» وإنما تُعَدُّ لائحةُ منعِ الإرهابِ عام (١٩٤٨) الإطار القانوني لمحاربة الإرهاب، وتتضمن تعريفات للمصطلحات « تنظيم إرهابي» و «عضو في تنظيم إرهابي» وذلك على النحوالتالي[2]: تنظيم إرهابي: «مجموعة أشخاص يُستعان بهم للقيام بأعمال عنف تؤدي لموت إنسان، أوايذائه أوتهديده بأعمال عنف». ويقال: عضو في تنظيم إرهابي: الشخص الذي يشترك فيه بأعمال، أويشارك في نشاطاته، أويُروِّج دعاية لتنظيم إرهابي أويجمع نقوداً لصالحه. ولقد أصدرت (الأمم المتحدة) في عام (١٩٩٧) قانون الإرهاب[3]: «النشاطات الإجرامية ضد دولة يتم توجيهها لتؤدي إلى حالة إرهاب للجمهور، أولمجموعة أشخاص مُحدَّدينَ لأهداف سياسية، وهي غير عادلة مهما تكن الاعتبارات السياسية والفلسفية والأيديولوجية والعنصرية والعرقية والدينية».

الخلاصة:

بعد استعراض وجهات النظر المختلفة يتبين لنا أن الأصولية ليست خيراً مطلقاً ولا شراً مطبقاً، فهي خير متى كانت متمسكةً بصحيح الدين، وهي شرٌّ متى انحرفت عن الدين القويم، لذا فإنه يمكن تقسيمها إلى قسمين متضادين:

القسم الأول يشير إلى أصولية معتدلة حميدة، حيث:

التمسك بالمبادئ الدينية والنصوص الشرعية الحقيقية بحسب المباني وليس المعاني، وفهمها فهماً واقعياً بحسب المآل وليس تفسيرُها حرفياً، والعمل على تحقيق هدف نشر الدين، وقد يصل إلى السعي في تطبيقه في نواحي الحياة المختلفة متى سنحت الظروف بالوسائل المشروعة، وبشكل معتدل وسطي ومستنير ودون غلّو أوتضييق وباستخدام أساليب دعوية تتميز بالحسنى وروح الحوار والموعظة الحسنة، ودون العمل على استغلال ذلك في تحقيق أطماع توسُّعيَّة غير مشروعة، ودون تخطٍ للقيم الأخلاقية المعتبرة عند التعامل مع الآخرين، فلا يجوز ظلمهم مادياً بسلب ممتلكاتهم أومعنوياً

---

(١) عبدالحميد، هويدا، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، ط١، عام (٢٠١٠)، ص١٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦.

بالتعامل معهم بعنصرية. وهـذه في حقيقة الأمر أصولية مبررة أوموضوعية وقد تكون حسنة حميدة مرغوبة فيطلق عليها (أصولية معتدلة ممدوحة).

بينما القسم الثاني يشير الى أصولية متطرفة ذميمة، حيث:

التمسك الحرفي بالمبادئ الدينيـة والنصوص الشرعية سـواء كانت صحيحة أم مزيفـة، دون محاولة السعـي لتفسيرها أوتعمـد تفسيرها بحسب الأهـواء والرغبات، والعمـل علـى تحقيق هـدف نشر الديـن حتى لـوكان على حسـاب الآخريـن بظلمهم والانتقاص من حقوقهم وسلبهم ملكياتهم، أوحتى تخويفهم وإرهابهم وقتلهم وارتكاب المجـازر ضدهم، بل والسعي إلى هلاك البشريـة في سبيل تحقيق هدفها عملاً بمنطق أن الغاية تبرر الوسيلة. وهذه -مما لاشك فيه- أصولية عنصرية كريهة خبيثة بغيضة مرفوضة، فتوصف بأنها (أصولية متطرفة مذمومة).

* * *

المبحث الثاني

عوامل ظهور الأصولّية الدينية التوحيدية

تتفق الأصوليّات الدينية من حيث سبب الظهور، في: عوامل الدين الذاتية، والفساد والبطالة، والأسباب السياسية، وكذلك الأسباب الخارجية، مثل: الحروب والصراعات المسلحة، ويمكن اعتبار العولمة ضمن تلك الأسباب، لكنها تختلف بعض الشيء في الوسائل الأيديولوجية لتحقيق الهدف.

أما عن أسباب وجود ظاهرة الأصوليات الدينية، فقد تنوعت ما بين أسباب عامة مثل سقوط الشيوعية والصحوات الدينية، والحروب، والإحباطات السياسية، والمشاكل الاجتماعية، فإذا كانت الأصولية الإسلامية قد قامت على إثر سقوط الخلافة، وفشل المشروع الاشتراكي، فإن الأصولية النصرانية هي الأخرى نشأت بسبب انشطار الكنيسة وانقسامها، وكذلك فشل حروبهم الصليبية في استعادة بيت المقدس، أما الأصولية اليهودية فقد قامت كنتيجة لأسباب تاريخية عدة منذ عهود سبقت زمن المسيح عليه السلام، ثم نشطت في أواخر أيام الخلافة الإسلامية، وتطورت عقب قيام الدولة المغتصبة، وعزز من وجودها انتصار حرب الأيام الست التي بعثت فيهم روح تحقيق النصوص الدينية[1].

المطلب الأول: عوامل نشأة الأصوليّة اليهودية:

تُعَدُّ الأصوليّة اليهوديّة من أقدم الأصولياّت، حيث ظهرت مؤشّرات لها قبل ميلاد المسيح عليه السلام، بسبب ظروف الاضطهاد التي عاشوها في ذاك الوقت، ثم بدت واضحة بعد ظهوره، حيث كانت المسيحية واليهودية يتجاذبها تياران كبيران: التيار «**الفريسيّ**»، وهوتيار الكهنة الرجعيين الذين تمسّكوا بظاهر النص التوراتي لا بروحه[2]. والتيار الثاني، وهوتيار «**الصدقيين**»،وهم طبقة الأغنياء المتعصبين للثقافة الهلينية. وثمة طائفة ثالثة من المتنسّكين الذين كرهوا الزواج وعاشوا متقشفين، فكان

---

(١) هاشم صالح، كاتب عربي ليبرالي يقيم في باريس، له العديد من المؤلفات التي تعني بالفكر الحديث، وتناقش موضوعات (الاصولية- الحداثة).

(٢) أشهرهم جماعة الغيوريون، من معنى الغيرة على ملك الرب، وكان تنظيم سياسي عسكري ضد الحكم الروماني، وطلبوا حكم الله على الشعب مباشرة.

منهم «يوحنا المعمدان»، ولكل فرقة منهم عوامل أثّرت في وجودها، كما سنتعرض لها لاحقاً، أما عن عوامل نموها في العصر الحديث، فقد نمت أهميتها السياسية نمواً هائلاً في ربع القرن الأخير، بعد أن حازت النخبة المتدينة هناك نسبة تتراوح بين (٢٥:٢٠)٪ من السكان. كما حازوا على نفوذ لا يتناسب مع أعدادهم، ما أثّر في العملية السياسية الإسرائيلية برمتها، خصوصاً فيما يتعلق باليمين القومي المتطرف الذي يشاطرهم- من خلف مظهره الخارجي العلماني- جزءاً كبيراً من نظرتهم المحمومة المتعالية إلى العالم. إن من أبرز عوامل نشأة وبروز الأصولية اليهودية العواملَ القوميَّةَ والدينيَّةَ التي تتمّثل في أهداف تحقيق حلم إسرائيل الكاملة وإقامة وطنٍ قومي لليهود، ويمكن اعتبار الحركة الصهيونية حركة أصولية في اتجاهها العلمانّي واتجّاهاتها الدينية المتطرفة. فالارتباط بين الاتجاه السياسي والديني قوي وواضح، ولا يمكن الفصل بينهما، لأن التطرف الديني اليهودي يخدم المشروع الصهيوني بامتياز[١]. لقد سبق للصهيوني «هرتزل» أن أظهر للأوروبيين الفوائد التي يمثلها وجود دولة يهودية بالنسبة إلى مصالح أوروبا حيث قال:» ستكون هذه الدولة حصناً متقدماً للحضارة الغربية في مواجهة البربرية الشرقية»[٢]. وبدت تخطوالأصولية اليهودية بثبات منذ تأسيس الصهيونية، حتى تطورت بشكل كبير إثر حربي (١٩٦٧) والغفران(١٩٧٣)، حيث تُعَدُّ هاتين الحربين مفتاحاً لباب الأصولية اليهودية والذي لم يغلق بعد وحتى تحقيق الحلم اليهودي. وهناك عوامل أخرى تجعل من الأصولية اليهودية شريكاً في إدارة الحكم، وتستخدمه السلطة المدنية متى شاءت وكيفما شاءت، كما أن الأصوليين اليهود لهم وضع خاص في دستور الدولة الأصولي، وفي مؤسسات الجيش فهم لا يؤدون الخدمة العسكرية، كما إن للحاخامات وضعاً مميزاً وحصانة خاصة بالمجتمع.

عند تحليلنا لظاهرة الأصولية اليهودية من الناحية التاريخية وجدنا أنها استفادت عبر مراحل التاريخ المختلفة، بزيادة انتشار وبروز مظاهر أصوليتها، حينما كانت قوية، وكذلك الأمر حينما دخلوا في التيه والسبي والعزل، قاموا بابتزاز واستغلال ظالميهم بطرق شتى، فمنذ ظهور الفرسيين والصدقيين في عهد المسيح عليه السلام، غرست بذرة للأصولية اليهودية بشقيها السلبي والإيجابي، ثم فترة السبي البابلي، والخروج من مصر، والدخول في مرحلة التيه في الصحراء، ثم العزل في أوروبا، والظلم الذي لاقوه من الجيوش الصليبية، ثم نشأة الصهيونية على إثر فشل

---

(١) Ibid.p81.82

(٢) الدولة اليهودية (تيودور هرتزل)، ص ٣٢.

الحروب الصليبية(١٨٩٣)، يليه وعد «بلفور» (١٩١٧)، ثم تأسيس الدولة على إثر حرب عام(١٩٤٨) وهجرة اليهود، يليها فترة تطور كبير للأصولية وجوانبها المختلفة في حرب الأيام الستة(١٩٦٧)، والتي مثّلت حافزاً مباشراً لبزوغ الأصولية اليهودية المعاصرة، حيث بثت التفاؤل بقرب تحقيق الوعد، ما أحدث ثورة حقيقية في بنية الحياة اليهودية، تلك الحرب التي أثبتت كم كان النظام العربي هشاً قليل الخبرة، أمام قدرة إسرائيل الحربية والسياسية، وكذلك على مستوى التنظيم العسكري[1]. وحتى الهزيمة في حرب الغفران لم تثنيها عن تحقيق أهدافها في التوسع، حيث اعتبرت ذلك دافعاً لها في النمووالعودة من جديد.

المطلب الثاني: الأصولية المسيحية، عوامل النشأة والبروز:

إن ظاهرة الأصوليةِ كفكرةٍ كانت موجودة منذ عهد نبي الله «عيسى» (عليه السلام)، الذي أزعجه كثيراً مَن محيطيه من اليهود المتنازعين (الفريسيّن الحرفين[2]، والصدقيين، وكذلك بعض الزاهدين)، حيث شهدت هذه الفترة صراعاً أيديولوجياً، حول مدى ميل الأصولية إلى المسيحية، أواليهودية في وقت مبكر، وقبل حدوث الاختراق الصهيوني للمسيحية، وهنا يبرز البعد الديني قديماً لدى الأصولية المسيحية التي نشأت وفي داخلها هذا التنازع الشديد بين النزوع إلى الأصل اليهودي، والرغبة في العقيدة الجديدة المتحرِّرة من نص الماضي. ما أسفر عن نشوء حزبين داخل المسيحية الأولى، هما: حزبٌ ميّالٌ إلى اليهودية والتوراة وأصولها، وحزبٌ روماني كان مقدراً له فيما بعد أن يصبح حاكماً في الإمبراطوريةَ على استحياء أولاً في القرن الثالث الميلادي، ثم علناً في أوائل القرن الرابع في عهد الامبراطور «قسطنطين» الأول.

ولكن هذه الفكرة تطورت تدريجياً لتشهد خليطاً من المظاهر والأبعاد الدينية والسياسية، حيث تُعَدُّ الانقسامات الكنسية عاملاً مهمًا في نشأة الأصولية الدينية المسيحية، وذلك بما أسَّست له من حركات إصلاحية عدة وكذلك تُعَدُّ من أبرز مظاهر الأصولية المسيحية في آن واحد، وذلك بما اقترفته من آثام، حيث شهدت الكنيسة انشقاقات وانقسامات عدة، بين الشرق والغرب تارة، وداخل الكنيسة الواحدة تارة أخرى، بعضها كان داخلياً، والآخر كان خارجياً. لنبدأ بأول انقسام حقيقي ولم يكن

---

(١) The clash of fundamentalism .crusades. jihad. and modernity Ibid. P.403

(٢) جماعة من علماء اليهود قسمت العالم الى دهرين: الدهر الحالي، والدهر الآتي، بين ملكوت الارض وملكوت السماء، واخذوا فكرة ملكوت السماء بشكل حرفي، وملكوت الارض مادي حقيقي، ظهرت في العام (٦) م

الأخير، والذي حدث في وقت مبكر نسبيًا من ميلاد الأصولية المسيحية الحقيقية، فقد حدث خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين انشقاق داخلي في الشرق بسبب الجدالات حول عقيدة (سرّ التجسد)، وكان من نتيجته أن استقلّت الكنيسة الفارسيّة (النسطوريّة)، ثم السريانيّة، وتلتها (القبطيّة) وأخيراً الكنيسة الأرمنيّة، ثم تلاه هذا الانقسام ما بات يُعرف بـ(الانشقاق الداخلي الكبير)، الذي أسفر عن قطيعة دائمة بين الكنيسة الغربية الرومانيّة، والكنيسة الشرقيّة البيزنطيّة التي تقرّ بالمجامع السبعة لأسباب ثقافية وقوميّة وقانونيّة جعلت من العسير متابعة تعايش الكتلتين المسيحيتين في وحدة الشركة الكنسيّة. لذلك فقد اصطُلِحَ على اعتبار عام (١٠٥٤) تاريخَ انفصال الكنيستين الشرقيّة والغربيّة عقب ما ذُكِرَ عن مشادة كبيرة بين البطريرك القسطنطيني «كارولاريوس» والموفد البابوي الكاردينال «اومبرتو».

إن هذه القطيعة بين الكنيستين ليست بنت ساعتها ولا صنيعة رجل واحد، فقد بدت بوادرها منذ القرن الرابع الميلادي، الذي بدأ فيه كلٌّ من الشرق والغرب يأخذ ملامحه الخاصة من الوجهتين السياسيّة والثقافيّة والتنظيميّة فكانت حصيلة تطور مستقل وتباعد بين العالمين الشرقي والغربي، وهيّأت لها أزمات ومشادات متعدّدة، ولم تأخذ منذ البدء العمق الذي وصلت إليه فيما بعدُ، بعدَ أن أمضيا معاً فترة طويلة من الوحدة الدينية والثقافية (ثلاثة قرون)، وأخيراً كان انفصال «لوثر» ومصلحيه عن الكنيسة الكاثوليكية في العام (١٥٢١)، ثم تبعه انقسام داخلي غربي جديد، وذلك بقيام هنري «الثامن»، بفصل تبعية الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في العام (١٥٣٨)، وذلك خلال القرن السادس عشر بسبب ما يسمى بالإصلاح والجدالات حول طبيعة الكنيسة ودورها والأسرار والنعمة.

وتخلل تلك الفترة من الانقسامات عاملٌ مهمٌّ تسبَّب في تحوُّل الأصولية المسيحية وغيرها من الأصوليات الدينية إلى ظاهرة عنيفة تجسَّدت في الحروب الصليبية التي شهدت مرحلة من توظيف الدين لخدمة السياسة، وذلك من خلال دعوة البابا «أوربان الثاني» الفرسان المسيحيين، عام (١٠٩٥) للاندفاع نحوالشرق، ليدشن بداية أليمة للحروب الصليبية (الحرب المقدسة)، ولتبدأ معها موجة أولى من الحروب الدينية الفاشية بدعوى تحرير القدس من قبضة المسلمين بعد فترة طويلة من العيش في سلام، والتعايش في أمان بين الأديان الثلاثة في أغلب بقاع الأرض. ولقد وُجهت الحرب ضد المسلمين واليهود معاً، وبعد استنقاذ الدولة البيزنطية المسيحية

من هجمات الترك (السلاجقة) الذين استولوا على أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى، فُقتل منهم الآلاف[1]. وذُبح حوالي (٤٠٠٠) من اليهود والمسلمين في القدس، ومع ذلك فقد عاشت الطوائف الثلاث مرة أخرى في سلام تحت الحكم الإسلامي في علاقات وروابط منسجمة لمدة (٤٦٠) سنة، منذ وصول صلاح الدين إليها عام (١١٨٧) حيث بقيت تحت الحكم الإسلامي (٨٠٠) سنة. وما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الفرسان الصلبيين، وفي أثر ديني مهم قادهم -عملياً وللمرة الأولى- رجال الدين المسيحيون، الذين أرسلهم البابا معهم، وهؤلاء لم يكن من حقهم ولا من تقاليدهم استخدام السلاح بأنفسهم، ولكنها الحماسة الدينية الهائلة حول الحرب المقدسة أوالحرب العادلة التي جعلت رجال الدين فرساناً مقاتلين عند أسوار القسطنطينية وفي أنطاكية، وسائر أنحاء المشرق. لقد كان الغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وهويخوض حرباً ضروساً في حملات دموية متتابعة يبحث عن روح جديدة، تُشكل لديه إحساسات لا يمكن تحقيقها إلا بالحرب باسم المسيح، لكنها في الوقت نفسه تعيد تشكيل المجتمع الأوروبي، والكنيسة الأوروبية. حيث تفرعت عن الحرب ضد المسلمين حروب ضد الأرثوذكس، ثم حروب وحملات ومحاكم تفتيش ضد الهراطقة والمنشقين في الداخل الأوروبي استمرت حتى القرن السادس عشر، وما توقف الأمر عند هذا الحد[2].

لقد تأثر الهدف من الظاهرة بالبعد الديني منذ ظهورها قديماً بهدف التمسك بحرفية الدين ونشره، والدفاع عن المقدسات، ثم برز البعد السياسي من خلال دور السلطة السياسية منذ ظهور الأصولية المسيحية الصهيونية الأولى في بريطانيا في العصر الحديث في عهد «كرومويل» في القرن السابع عشر، حيث دعت هذه الأصولية إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وكان الدعاة تحالفاً بين رجال دين وجنرالات عسكريين، ولم يكن الدافع دينياً صرفاً في هذه المرحلة، وإنما اتجه إلى الدوافع التجارية والعسكرية، التي تبدوواضحة مع صعود بريطانيا كقوة إمبراطورية عظمى.

وترجع أصولية العصر الحديث إلى مطلع القرن العشرين في الولايات المتحدة الأميركية، حيث قاد اليهود هذه الحركة في مواجهة المسيحية الكاثوليكية. وعلاقة المسيحية بالكاثوليكية قديمة قِدَم المسيحية نفسها منذ ظهور السيد المسيح واليهودية، جوله التيارات الثالثة المتنازعة.

---

(١) Armstrong. Karen. Holy War::The Crusades And Their Impact On Today's World. Anchor Books. New York (2001). P. 1.

(٢) Ibid. Preface.IX.

لقد عززت علاقة الكنيسة المتسلطة داخلياً وخارجياً من عملية تغير مفهوم الأصولية مرة أخرى- تاريخياً -من البعد الديني إلى البعد السياسي، حيث اقترنت نشأة الأصولية في التجربة الأوروبية حديثاً بتسلط الكنيسة على المجتمع والدولة واستبدادها بالوهم والخرافة، لكن بعد الانشطار ارتبط بنواح سياسية واجتماعية تتمثل في: سلطة التعليم والتشريع والموروث الديني، وصولاً إلى هيمنتها شبه الكاملة مع نشوء الدولة القُطرية من مخاض أحلام قومية وتحديداً أيامنا هذه، ولم يظهر في هذه الفترة نشاطات للأصوليات الدينية الأخرى. وهكذا نجد أن الأصولية في العصر الحديث قد ارتبطت بعصور الظلام التي سيطرت على أوروبا، وأفرزت حركة التنوير كحركة مضادة قادت معركة استغرقت أربعة قرون، من لوثر ويراسم، إلى هيغل ونيتشه، مروراً بفولتير، وروسووغيرهم.

ففي القرن السادس عشر -وعندما كانت الحروب الدينية ضد المسلمين قد شارفت على الانتهاء- واجهت أوروبا الكاثوليكية تحديين كبيرين: ثورة الإصلاح البروتستانتي الحديث، واختراق العثمانيين بعد المغول لأوروبا من أدناها إلى أقصاها، وسط ظروف وأفكار جديدة.

إن الأثر التاريخي يبرز بنحو واضح على الأصولية المسيحية على مر التاريخ، حيث ارتبطت في البداية بالنزاع الفكري حول الميل الديني للأصول في عهد المسيح عليه السلام، لكن تغيرت الفكرة وتطورت، فتبدلت الأهداف متأثرةً بالتطورات التاريخية المتلاحقة، مثل انقسام الكنيسة، ثم انشطارها نصفين، تلاها فترة الحروب الصليبية، كذلك فإن اكتشاف القارة الأمريكية له بُعْدٌ تاريخيٌّ هامٌّ، حيث أنه أحيا لدى اليهود والبروتستانت عقيدة (أرض الميعاد)، خاصة أنّها قد اكتشفت في وقت كانت الحربَ على البروتستانت من قِبَل الكاثوليك كبيرة وعنيفة، الأمر الذي اضطُرَّ معه البروتستانت إلى الهجرة إلى العالم الجديد، فأخذوا يتدفقون نحوها، وإلى الآن لا يزالون هم أكثر سكان أمريكا.[1] وقد ارتبط هذا الحدث التاريخي العالمي الهام بميلاد الأصولية المسيحية الثانية (الإنجيلية). ثم يأتي دور محاكم التفتيش الفرنسية، (١٢٣٣-١٣١٩) والإسبانية (١٤٩٢-١٦٠٩) ثم الرومانية (١٥٤٢-١٥٨٩)، وما واكبها من حركات التنوير والإصلاح الديني. فاندماج البروتستانت مع اليهود كان نتيجة مباشرة لحركة الاصلاح الديني، حيث مثّلت فرصة تاريخية ومنفذاً تسلّلت منه

(١) المطيري، عبدالعزيز، الأصولية الإنجيلية: نشأتها، أبرز عقائدها، بحث غير منشور. كلية التربية، جامعة الملك سعود، (١٤٣٠) هـ.، ص ٥.

النزعات التوراتية إلى المذاهب الجديدة في أوروبا، فحدث الاختراق الصهيوني الكبير للمسيحية، حيث كان المستعمرون الجدد بحاجة إلى عقيدة تضفي على هذا الاستعمار الصفة الشرعية، فكانت نظرية (أرض الميعاد)، هي العقيدة المنشودة التي أباحت لجحافل (الانغلوساكسون) وجماعات (الجرمانيين) أن يستوطنوا أمريكا، ويبيدوا شعبها وحضارتها وهم مرتاحون إلى صواب فعلهم. فأيُّ شرعية يمكن أن تسمو على شرعية وعد صريح من الله أن يهب شعبه المختار تلك الأرض الجديدة؟!

وظهرت تلك النظرة الغربية الجديدة لليهود -أعداء الأمس- فأصبحوا حلفاء اليوم، ومن يلحقون بديانتهم فسوف يعيشون مع المسيح في القدس ألف عام قبل يوم القيامة، جاء في الإنجيل في سفر رؤيا يوحنا: «**هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا. تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ. ¹² مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ، وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلهِي، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلهِي، أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ إِلهِي، وَاسْمِي الْجَدِيدَ**»[(١)]. وأخذ اليهود في نشر هذه المبادئ بين سائر طوائف النصارى، وشهد القرنان الماضيان من الحروب الطائفية في أوروبا ما لا نظير له في التاريخ.

ثم كان للأثر التاريخي دورٌ مهمٌّ في عام (١٩١٧) بعودة الأصولية المسيحية للظهور بعد نحو ثلاثمئة عام مع وعد بلفور لحاييم وايزمن[(٢)]. ثم دخلت الأصولية المسيحية الصهيونية في طور نشاط، وفي الولايات المتحدة أيضاً بعد وراثتها للاستعمارين البريطاني والفرنسي عقب حرب السويس (١٩٥٦)، وبشكل أكبر بعد حرب العدوان الصهيوني (١٩٦٧)، ثم تمكنت من بسط سيطرتها بشكل كامل على المنطقة بعدوانها على العراق مرة تلو المرة وبخاصة الحرب الأخيرة، التي أحدثت العديد من التغييرات الهائلة وغير المتوقعة في المنطقة، حيث كان من نتيجتها وجود تيار قوي ضد الهجوم على العراق خاصة بعد استخدام لفظ (الحرب الصليبية)[(٣)].

الخلاصة:

إننا لو قمنا بتحليل الظاهرة من الناحية الدينية، لوجدنا أن الوازع الديني الذي كان موجوداً عند بعض المسيحين منذ عهد نبي الله «عيسى»، -عليه الصلاة والسلام-،

---

(١) رؤيا يوحنا، الإصحاح، ٣/١٢،١١ .

(٢) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص١٥١.

(٣) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World .Ibid. Vii

والـذي تجلَّـى في عزلتهم، ثـم تحول هذا الـوازع الديني إلى وازع استعمـاري سياسي، يتجلى في الحروب الصليبية التي سعت إلى هدم الخلافة الإسلامية واستعادة مجدها السليـب باستخدام أساليـب وحشية ضد المسلمين واليهود على حد سـواء، أمَّا لوحللنا الظَّاهـرة من النَّاحية السياسيَّة لرصدنا أيضاً تحـوُّل الوازع الديني إلى آخر سياسي بـدءا مـن تسلط الكنيسة بشـكل واضح، ثم تجلَّـى هذا البعدُ في عهـد «كرومويل»، ثم في مرحلـة استخـدام الكنيسة لمحاكـم التفتيش ضد العلماء خوفـاً على سلطة الحكم، ليسيطـر على الأصولية المسيحية في أوروبا حالةٌ من زواج الدين بالسياسة. كما أنَّ من ملامـح تلك العلاقة سيطـرة الكنيسة على مقاليد الأمور، والتـي أسفرت عن مشاركة رجـال الدين (الفرسان) في الحروب الصليبية، مما هيأ الأجواء هناك لظهور حركات دينيـة، رأت في الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية ضرورة تمليها عليها غيرتها الدينية. وكان مـن أبرز تلك الحـركات، حركة البروتستانـت التي أفرزت حـركات (إحيائية) كانت الأصولية الإنجيلية من أهمها وأوسعها انتشاراً.

المطلب الثالث: الأصولية الإسلامية، عوامل النشأة والبروز:

لقد نشأت الأصوليةُ الإسلاميةُ نتيجةَ الباعث الدينيّ الذاتي الذي يتكوَّن استجابة لظروف وعوامل زمانية ومكانية في مواجهة: استشراء الفساد، واستعلاء المنكر، وظهور الباطـل، وتطـرف العلمانيين واللادينـين، وغربة الإسلام في ديـار الإسلام، حتى غدا المعـروف منكراً، والمنكر معروفـاً، في مجتمع هشٍ وقابل لكل المُضلاَّت التي تجر أبناءه وبناتـه إلى الهاوية، فإما إدمان وعرى ومخدراتٍ ونصب وسرقة، وإما عنف غير مبرر، وما «عبدة الشيطان» إلا نتاج لهذا المجتمع الخاوي على عروشه[1].

أمـا عـن الأصوليـة العنيفة (الجهادية)، فقد نشـأت في أجواء الفسـاد والقسوة داخلياً، والهيمنة والظلم والكيل بمكيالين عالمياً. بعد أن أصبح المسلمون يرون إخوانهم وأخواتهم يُضطهدون اضطهادًا منظماً ويُذلون في سلم أوحرب.

لقـد اهتمَّ الغربُ كثيراً بالأصولية الإسلاميـة وكرَّس لها العديـد من الدراسات والأبحـاث دون باقي الأصوليات، ففي منتصـف الثمانينيات دعا الكونجرس الأمريكي إلى ندوة حضرها عدد من الباحثين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط، ليبحثوا

(١) القرضـاوي، يوسـف، مستقبـل الأصوليـة الإسلاميـة، سلسلـة رسائـل ترشيـد الصحـوة، المكتـب الإسلامـي، ط٢، (١٩٩٨)م، ص٢٩.

في شأن الحركات الإسلامية أوما أطلقوا هم عليه «الأصولية» وترجمت هذه البحوث بعد نشرها في مجلة المجتمع الكويتية قبيل حرب الخليج الثانية (١٩٩٠م)، كما أصدر الباحث الأمريكي «ريتشارد هرير دكمجيان» دراسة أقرب إلى الدراسات الاستخباراتية بعنوان (الأصولية في العالم العربي)[١]. ولقد قامت بوصف الأصوليين الإسلاميين بصفات تبدوغير منطقية وغير متوازنة، حيث كان من أهم تلك الصفات:

العزلة والاكتمال، النضج قبل الأوان، الحركية العدوانية، والفاشية، وعدم التسامح، والمثالية، والقسوة، والجرأة، والتصلب في الطاعة، والاستعداد للكفاح والتضحية.

ويقول علماء الغرب المتابعون للصحوة الإسلامية: «لأصوليةُ الإسلاميةُ في معناها الواسع إنما تشير إلى تجديد الإسلام في مناحي الحياة العامة والشخصية للمسلمين، ممثلة في زيادة ممارسة الشعائر الدينية، والإكثار من المطبوعات الدينية والبرامج الإعلامية الداعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإنشاء البنوك الإسلامية وتطوير التنظيمات الإسلامية وحركات النشطين»[٢].

وفي عام (١٩٤٨)م كتبت صحفيّةٌ يهودية في صحيفة بريطانية (صنداي ميرور) تقول فيها: «إن قادة الحركة الإسلامية يحاولون إقناع العرب بأنهم أسمى الشعوب على وجه البسيطة، وأن الإسلام هو خير الأديان جميعاً، وأفضل قانون تحيا عليه شعوب الأرض كلها»[٣].

عوامل سياسية

تبرز الأسباب السياسية والحضارية المُتمثّلةً في كم الإحباطات الناتجة عن هزائم سياسية كما حدث عقب سقوط الأندلس والخلافة الإسلامية، وما حدث في مصر عقب نكسة (١٩٦٧). وتأتي في مقدمة نشأة وتطور وبروز الأصولية الإسلامية بشقيها العنيف والمتسامح، حيث يبرز العامل التاريخي مجدداً في سقوط الـ (٨٠٠) عام للحكم الإسلامي في إسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، وبروز عصر النهضة

---

(١) ريتشارد هيبري د كمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة وتعليق عبدالوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٨٩.

(٢) أحمد ابراهيم خضر، الإسلام والكونجرس، دار الاعتصام، الرياض، ط١، (١٩٩٤)، ص٨

(٣) زياد محمود علي، عداء اليهود للحركة الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع جبل الحسين الاردن١٩٨٢ ص (١٤).

الأوروبي، في مقابل بداية فترة الانحطاط البالغة التي عاشها المسلمون والمقترنة باستعمار إنجليزي وبريطاني وفرنسي في أرجاء العالم الإسلامي. ومن جهة أخرى كانت النظم الإقطاعية في البلدان الإسلامية قد شكلت عائقا أمام التنمية الاجتماعية، وكانت ثمّة عدّة حركات مستندة إلى الإحياء الإسلامي ضدّ هذه الحكومات الملكية الإقطاعية وضدّ الحكّام.

أما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أصبحت الأصولية الإسلامية ظاهرة مضادة للعديد من المظاهر السلبية مثل تقسيم البلاد العربية. ويبدوهنا الأثر التاريخي على نشأة وتطور الأصولية الإسلامية، حيث اقترنت في البداية بسقوط الاندلس، وممارسة النصارى عمليات التعذيب والقتل والتنصير القسري، ثم بنتائج الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من التقسيم والتفكيك عبر (وعد بلفور، معاهدة سايكس بيكو). أعقبها سلسلة من الحروب والنكسات ضد اليهود والغرب البروتستانتي في أعوام (١٩٤٨و١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣) في لبنان، ثم في عام (١٩٨٣) ثم حرب الخليج التي شهدت تدمير القوة العراقية العسكرية والاقتصادية، وأخيراً افتعال(١١) سبتمبر من جانب الأصولية المسيحية والسياسة الأمريكية، لتصبح ذريعة جديدة للهجوم على العالم الإسلامي مبتدئاً بأفغانستان ولتشمل(٦٠) دولة، وتستمر لمدة سنوات، رغم عدم وجود أدلة مقنعة على قيام القاعدة بذلك[١]، ولتكون مبرراً لشن حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، تُستنزف فيه موارده ونفطه وسلاحه وسوف نلخص في النقاط التالية بعض هذه العوامل:

- زيادة نظرة العداء إلى الولايات المتحدة بسبب تحول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط سلباً بمجرد وصول «المحافظين الجدد» إلى السلطة، ما أدّى إلى تشكيل بيئة مواجهة عسكرية دامية.
- فشل الأحزاب القومية والشيوعية في تحقيق الآمال التي تغنت بها، ما أدى إلى واقع اجتماعي سياسي تعبوي مختلف، فكان أحد أسباب قوة الأحزاب الأصولية الإسلامية.
- حالات التغيير السياسي المسلح ساهمت بشكل كبير في نشأة وبروز الأصولية

(١) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World . Ibid.. p.11

الإسلامية، كما تسببت ثورة يوليو(١٩٥٢) -مثلاً- في ظهور الأصولية الإسلامية في مصر، نتيجة تبدل الحال السياسي من حرية سياسية وتعددية حزبية، واحترام الدستور، إلى إلغاء التعددية والأحزاب، فلم يتبق سوى حزب وحيد، تبدلت أسماؤه، ما زاد من فرص (الإخوان المسلمين)، واليساريين قبل أن يُزَجَّ بهم في السجون، بل وشنق العديد منهم[١].

وهذا أدى إلى انتكاسة الخطاب العربي السياسي «التقدمي» بانتكاسة أنظمتها الخاسرة، لتلتف الشعوب حول الخطاب البديل (الإسلام هوالحل)، وذلك على حساب الشعار المهزوم عسكرياً هزيمة منكرة (الاشتراكية العربية هي الحل)، بعد أن ظن الرئيس «عبدالناصر» أن القومية العربية تصلح أساساً لاستراتيجية الدولة المحور في الشرق الأوسط عقب الثورة، وذلك لمقاومة الصهيونية، ونظراً لكون عبدالناصر ذا خلفية عسكرية وأيديولوجية علمانية، لذا لم يُبْدِ أيَّ مساحة للحوار والتفاوض حتى دخل في صدام مع كبرى الحركات الإسلامية الأصولية في العالم (جماعة الإخوان) في عام (١٩٥٤)، بهدف القضاء على أي أمل في رؤية دولة إسلامية في مصر، فقد كان يدرك أن محاربة الهوية الدينية ليس أمراً سهل المنال، وهذا ما تفطن إليه عندما ذهب للحج عام (١٩٥٣) فكان يعتقد في وجود خلفيات دينية سياسة لهذه الحشود الضخمة من حجاج بيت الله الحرام، أي أن الحج من الممكن تسيسه، وبالتالي يمكن أن تشكل هذه قوة سياسية كبيرة في المستقبل لذا لابد من وأدها الآن[٢]. لذا سعى عبدالناصر وبموافقة ودعم السعودية إلى مواجهة بوادر الأصولية الإسلامية وذلك بإنشاء (المؤتمر الإسلامي)، برئاسة زميله العلماني ذي البزَّة العسكرية (أنور السادات)، إلا إن المؤتمر وُلد ميتاً كما مات مُؤسِّسه بسبب استخدام عبدالناصر المنظمة في دعم وتعزيز ثورة الضباط آنذاك، ولم يكن يُعنيَ بوجود دور قوي له لمواكبة الأحداث الجارية[٣].

وتصلح العولمة ونظام القطب السياسي الواحد وحصار الدول العربية، -كما حدث في حصار غزة ومن قبلها ليبيا والعراق التي قُضى أطفالها بسببه-، سبباً مباشراً لوجود حركات الأصولية الإسلامية، وبخاصة جماعات الأصولية الجهادية، بالإضافة إلى هيمنة الولايات المتحدة على القوى الدولية، ورعايتها لدولة الاحتلال الإسرائيلي، وسيطرتها على المنظمات الدولية.

---

(١) هاشم صالح، معضلة الأصولية الإسلامية دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، (٢٠٠٦) ص ٢٩.

(٢) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today's World. Ibid.. P. 127

(٣) Ibid.

عوامل اجتماعية

يبرز الدور الاجتماعي عند الحديث عن نشأة العديد من الأصوليات الإسلامية لدورها الاجتماعي البارز في بيئات فقيرة قد تصل لحد العدم، كما بمصر ودول شمال إفريقيا، وكذلك الأمر في فلسطين حيث نشطت الأصولية الإسلامية ليس فقط بسبب معارضتها لاتفاقية (أوسلو)، لكن أيضاً لكون هذه المنظمات ذات دور اجتماعي كبير، هذا الدور الذي كان مفقوداً من النظام الفاسد لياسر عرفات. فكلما تركزت السلطة في أيدي النخبة- والتي تُعَدُّ أيديولوجية في حد ذاتها، تماماً كما كان الحال مع القومية العربية، والاشتراكية- ساعد ذلك في بروز التيارات الدينية التي قد تهدف إلى إنشاء نظام لاهوتي[1]. ويسير «برنارد لويس» على نفس المنوال، حيث يرى أن» الأنماط الاقتصادية الغربية لم تجلب لمنطقة الشرق الأوسط سوى الفقر، والنظم السياسية الغربية لم تنتج لهم سوى الديكتاتورية، وأما أسلحة الغرب فلم تأتِ بغير الهزائم»[2]. بينما كان لآثار الاستعمار من قمع واضطهاد هوية متخذها أوثقافتها أودينها، أثرٌ مباشرٌ على نشوء الأصولية في الجزائر[3].

أما خلال تسعينيات القرن الماضي، وبعد سقوط الشيوعية وتحرر دول أوروبا الشرقية، فقد عمدت الولايات المتحدة- كعادتها منذ الحرب العالمية الثانية- إلى صناعة عدوٍ جديد يشكل خطراً جديداً بعد نهاية الحرب الباردة، وهناك من الكتاب من روّج لهذه الفكرة، ومن هؤلاء «شارلز كروتهامر» الذي كتب في (١٩٩٠/٢/١٩)م تحت عنوان «الإسلام يشن حرباً عالمية» معتبراً أن هذه الحركة «انتفاضة كونية»[4]. وقد كتب الدكتور «زغلول النجار» تحليلاً لكتاب (إيان ليسر وجراهام فوللر) «الإسلام تحت الحصار» موضحاً الأسباب التي أدت بالغرب إلى النظر إلى الإسلام على أنه العدوالقادم بعد سقوط الشيوعية وانهيار جدار برلين والأنظمة الشمولية في أوروبا الشرقية، وأتى بمقتطفات عدد من الباحثين الغربيين، ومنها ما جاء على لسان «جون كالفن» الذي قال: «لقد كسبنا الحرب الباردة بين الشرق والغرب، لكنَّ هناك

---

(١) See: Takis Fotopoulos' The War against 'Terrorism'. Athens. Gordios. 2003

(٢) برنارد، لويس، «مستقبل الشرق الأوسط»(٦) الصادر عام(١٩٩٧).

(٣) الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، مرجع سابق، ص ٦١.

(٤) مطبقاني، مازن، لماذا يخوفون الغرب بالإسلام،، المسلمون، ع(٣٠٧) بتاريخ (٤جمادى الآخرة ١٤١١هـ ٢١ ديسمبر)١٩٩٠م.

خلافاً قديماً سوف يتجدد، عاجلاً أم آجلاً بيننا وبين الإسلام، ولا ندري من الذي سيكسب المعركة»[1].

عوامل اقتصادية

قد يكون أحد أسباب وجود الحركات الأصولية، هو في افتقاد المواطن الحصول على حد الكفاية، وغياب العدالة الاجتماعية عند توزيع ثروات الأمة، والتفاوت الطبقي الذي أدى إلى تآكل الطبقة المتوسطة تماماً في المجتمعات العربية، التي تحولت إلى فقر مدقع أوثراء فاحش. ويقع الشباب في صلب الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العالم منذ منتصف القرن الماضي، وتتجلى أزمة الشباب في البطالة والسكن والهجرة الداخلية والخارجية[2].

عوامل ثقافية

وتُعَدُّ أحد أهم الاسباب، ذلك أن الحركات الإسلامية في الأساس قد نشأت نتيجة صحوة دينية وارتفاع في مستوى الوعي الديني وتفتحه. فأمة العرب لم تنل من تقدم الغرب إلا الهيمنة والغطرسة والذل والاستعباد، حتى صارت سلة مهملات لغذائهم، فضلاً عن قضية الهوية إحدى الإشكاليات المطروحة لطبيعة العلاقة بين (الأنا والآخر)، وثنائية (الأصالة والمعاصرة)، وخلال العقدين الاخيرين، الذين شهدا تطورات علمية وتقنية هائلة، ودخول العالم منظومة العولمة كمنظومة ثقافية سياسية اجتماعية تعكس تحالف قوى الرأسمالية العالمية، ما فاقم من أزمات الشباب في البلاد الفقيرة[3]. لقد بات المسلمون في مأزق بسبب التحولات والأحداث السلبية مُتَمَثِّلةً في الديكتاتوريات والانقلابات العسكرية والحروب من جهة، والفساد والمحسوبية وتدني مستوى التعليم، وسوء توزيع الثروة والفشل في بناء الدولة الحديثة، من جهة اخرى[4].

المطلب الرابع: دور الاستعمار البريطاني في ظهور الأصوليات الدينية وبروزها

كانت بريطانيا هي الحاضر الغائب في ميلاد جميع الأصوليات الدينية، سواء كان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، حيث ساهمت بجزء كبير في بروز صراع

(١) الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، مرجع سابق، ص ٢٣

(٢) العزعزي، وديع، الشباب بين ثقافة الصورة وثقافة الأصولية، بدون ناشر، (٢٠٠٨)، ص ٣ بتصرف.

(٣) المرجع السابق.

(٤) حيدر إبراهيم، الحداثة المعكوسة في الفكر الإسلامي، كتاب لفكر العربي في القرن الواحد والعشرين، القاهرة، (١٩٩٥)، ص٢٦٩، نقلاً عن الشباب بين ثقافة الصورة وثقافة الأصولية، ص ٧٧.

أصولي خماسي الأطراف في شبه القارة الهندية (بوذي-شيوعي-هندوسي-إسلامي-علماني)، فضلاً عن دعمها للأصوليات الملية الأخرى (القاديانية- البابية-البهائية-السيخية..إلخ)، كما لا يُنسى دورها الأشهر في نشأة الصهيونية العالمية من خلال وعد بلفور الشهير، ولنبدأ بشبه القارة الهندية حيث كانت الهند إحدى المناطق التي بسطت عليها بريطانيا سيطرتها الاستعمارية بعد البرتغاليين في القرن الثامن عشر الميلادي وقبل أن يرحل الاستعمار البريطاني سنة (١٩٤٧)، لجأ كعادته إلى زرع بؤر للتوتر والنزاع التي يمكن توظيفها فيما بعد بما يخدم المصالح الغربية، من تقسيم للدول وإعادة ترسيم الحدود، فقسمت بريطانيا القارة الهندية على أسس دينية بعد أن أخضعتها لأطر حكم غربية، فتمخض عنها دولتان أعلنتا استقلالهما عام (١٩٤٨)م (الهند الهندوسية، وباكستان الإسلامية)، فيما أبقت على بعض الإمارات الكبرى دون تحديد لمصيرها، وخُير حكامها بين الانضمام للهند أوباكستان أوالاستقلال، وكان من نتيجة هذا التخيير الغريب أن قامت الحكومة الهندية باحتلالها عنوة (إمارة جوناكره، وإمارة حيدر أباد، أغلب إمارة كشمير في الشمال الشرقي).

الاستعمار البريطاني ورسم حدود الخارطة الدينية- الإثنو-طائفية:

لقد تم رسم الحدود الهندية- الصينية، بحيث ترتب عليها تقسيم البوذية التيبتية إلى بوذية تبتية توجد ضمن إقليم «التيبت» الصيني، وبوذية هندية توجد ضمن إقليم «التيبت» الهندي، ما أجج صراعاً أصولياً بوذياً شيوعياً، ثم قامت بترسيم خط الحدود الباكستانية- الأفغانية، بحيث تم تقسيم مناطق «الباشتون» الإسلامية السنية إلى منطقة «باشتونية» أفغانية توجد ضمن الأراضي الأفغانية، ومنطقة باشتونية باكستانية توجد ضمن الأراضي الباكستانية، ما ساعد على نشأة عداء تاريخي بين الأصولية الإسلامية الجهادية وبين باكستان الليبرالية، بالإضافة الى الخلاف التاريخي حول كشمير بين الأصولية الهندوسية ممثلة في الهند من جهة، وبين الأصولية الإسلامية ممثلة في جماعات التحرير الكشميرية الإسلامية مدعومة من حكومة باكستان، فضلاً عن دور بريطاني شهير في دعم المشروع الصهيوني تاريخياً، وكذلك في تهيئة الأجواء لميلاد الأصولية الإنجيلية من خلال انقسام الكنيسة وانشطارها مرتين، وخاصة حينما صدر الأمر الملكي من الملك «هنري» بإلغاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس وتفسيره في عام (١٥٣٨).

الخلاصة:

لقد تأثّرت الأصوليات الدينية بالظروف التاريخية والتي بدت واضحة ومؤثرة في عملية النشأة والتطور التي أتت في أعقاب الحروب الصليبية، والحربين العالميتين الأولى والثانية، خاصة ما ترتب على الحرب العالمية الأولى من انهيار الخلافة العثمانية التي كان لها عظيم الأثر على الأصوليات الثلاثة (الإسلامية-اليهودية-الإنجيلية)، كذلك ما تلاها من عملية التفكيك الاستعماري للإمبراطوريات، وما أسفر عنه من عملية ترسيم للحدود على أساس اثني-طائفي، ما جعلها أشبه بقنابل موقوتة تنفجر في أي وقت وفي كل وقت، كذلك ما أسفرت عنه الحرب الثانية من حدثين هامين، أولهما يبدو في بزوغ قوتين جديدتين لقيادة العالم (الولايات المتحدة وروسيا)، وثانيهما يتمثل في بداية موجة الهجرات المتتابعة لليهود من بلاد شتى إلى فلسطين بداية من عام (١٩٤٨) كما أسلفنا.



المبحث الثالث

مكونات ظاهرة الأصولية الدينية

لقد تعرضت الدراسة على هامش الموضوع الأصلي لبعض الموضوعات الفرعية التي ارتأى الباحث ضرورة التعرض لها، لما لها من أهمية قصوى في تفسير بعض الأمور والمسائل الشائكة المتمثلة في أبعاد الظاهرة. حيث ناقش الباحث مسألة التوظيف الديني للسياسة لدى الأصوليات الدينية، وبين كيف أن الغرب لا يوظف دينه لخدمة السياسة، بل إنما هونهج ديني عميق متجذر في عقيدة الساسة، ومغلف بشعارات السياسة الجوفاء، كما ناقش الباحث أسباب التحيز والعداء للإسلام كدين وللأصوليات الاسلامية كفكرة وتيار، حيث تبين أنها حالة تاريخية مرتبطة بنجاح الدين الحنيف في اختراق الأديان المحرفة الأخرى.

من المعلوم أن لكل ظاهرة مكونات، والأصولية الدينية لا تشذ عن هذه القاعدة، فعناصر الأصولية كثيرة، من أهمها أن هناك ديناً، له أتباع ومحبون متمسكون بتعاليمه ونصوصه (شريعة)، ويطمحون في نشره والدعوة إليه وتطبيقه بشكل شمولي في مناحي الحياة المختلفة باعتباره منهجاً فكرياً وأيديولوجياً، من خلال أساليب عمل وحركات تراعي في عملها أبعاداً مختلفة (دينية، سياسية، جغرافية، إعلامية)، ويتجلى هذه الهدف في مظاهر وميادين عمل اجتماعية واقتصادية ودينية، حيث تنبثق من هدف ظاهرة الأصولية الدينية الرئيس العديد من الأهداف الفرعية وسوف نكتفي هنا بالتركيز على البعدين الديني والسياسي ودورهما في إحياء وتطور الظاهرة.

المطلب الأول: التوظيف السياسي للدين في الأصوليات الدينية

لم تقتصر ظاهرة العودة إلى الدين على العالم الإسلامي فقط، بل امتدت لتشمل الدول الصناعية الرأسمالية عموماً والولايات المتحدة على وجه الخصوص ما حدا بمجلة «نيوز ويك الأمريكية»، إلى اعتبار عام (١٩٧٦) سنة الإنجيليين[١]. إن القول بالفصل بين السلطة السياسية، والسلطة الدينية في الولايات المتحدة قول مناف للحقيقة، فالحاكم الأمريكي لابد أن يحظى بموافقة الكنيسة، كما أن الدولة العلمانية

---

(١) فائز صالح محمود، مجلة أوراق سياسية، العدد الأول، ٢٠٠٧م.

هي التي تجمع الضرائب للكنيسة، وهناك العديد من الأحداث السياسية لعبت الكنيسة فيها دوراً كبيراً، والتعليم الأساسي يقوم تربوياً على الدين. كل هذه العوامل هيأت المجال للأصولية أن تخترق الحكم والسياسة، فلقد دارت تحركات معظم المجتمعات ما بين تديين السياسية وتسييس الدين، فترى البعض قد استهواه إضفاء الصبغة الدينية على كل توجه يقوم به الحاكم وإن خالف معلومًا من دين المحكومين بالضرورة، وفي المقابل رأينا دولًا تسخّر كافة طاقاتها لتأييد فكرة دينية تعتقدها، وهذا الأمر ليس مقصورًا على ملة معينة أوحتى ثقافة معينة[١].

في المقابل من النظرة السابقة يرى كثيرون أن النص الديني سابق ومؤسس للوجهة السياسية، وأن الدين لم يكن في يوم من الأيام بمعزل عن سياسات أتباعه، يقول القس «أكرم لمعي» في مقدمة كتابه (الاختراق الصهيوني للمسيحية): «على الرغم من الدور الهام الذي لعبه الدين في الحضارات القديمة وعبر تاريخ الإنسان إلا أن الدين اليوم يدخل كشريك أساسي في كل الأدوار والنظريات»[٢]. وكما أن هناك من المستغلين والمتلاعبين ممن يستخدمون الدين الذاتي لتحقيق المزيد من أغراضهم الأنانية، فيوجد هناك أيضاً من المخلصين المتعمقين في الدين في العالم كله من نراهم يقاتلون بجانب الفقراء[٣].

أولاً: علاقة الدين بالسياسة لدى الأصولية اليهودية

لقد أدخلت الأصولية اليهودية تغييراً جذرياً في مناخ الحياة السياسية في إسرائيل أدت إلى الوضع الذي وجدنا فيه السياسة الأمريكية تقع اسيرة السياسة اليهودية لدولة إسرائيل بشكل يجعل الكثيرين يتساءلون عن سر رعاية الولايات المتحدة الأمريكية لليهود، وكذلك عن الكرم الذي لا سابق له حيال دولة إسرائيل، سواء كان ذلك في العلاقات الدولية أم على صعيد نهج السياسة الأمريكية. ولقد بدأ الميل الأصولي اليهودي يبرز في حياة اليهود القومية في أواسط السبعينيات، وذلك بعد فترة هدوء دامت أكثر من ثمانية عشر قرناً، عادت لتنثر ذلك المزيج من التوقعات المسيحائية[٤] والعمل السياسي النضالي، والانغلاق الفكري الشديد، والولاء المتفاني لأرض إسرائيل، الذي

---

(١) الغنام، رمضان، التوظيف السياسي لعقيدة (الانتظار) في العقلية (الصهيو مسيحية)، مقالة منشورة،موقع طريق الإسلام، التصنيف: اليهودية والنصرانية، بتاريخ (٢٠١٣/٤/١٤).

(٢) لمعي، أكرام، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، ط٢، عام (١٩٩٣)،،ص١٠.

(٣) The clash of fundmentalism.Ibid.P330 - 331

(٤) معنى المسيحائية: تلك الفترة التي تنتظر مجيء المسيح.

ميّز فيما مضى تلك الفرقة من غلاة اليهود أيام الرومان، فألهب مخيلة الألوف من الشباب الإسرائيلي ومن الصهيونيين العلمانيين المثاليين، حتى وصل الأصوليون اليهود من خلال استيطانهم المكثف وغير المرخص في الضفة والقطاع، ومن خلال الوساطات والضغوط الفاعلة على الساسة الإسرائيليين والتأثير الأيديولوجي والثقافي في قطاعات واسعة من المجتمع الإسرائيلي، ومن خلال الاستعداد الدائم للتنكر للشرعية لأية حكومة إسرائيلية تعمل من أجل الانسحاب من (أجزاء من أرض إسرائيل)، إلى اكتساب قدر من الأهمية في السياسة الإسرائيلية وفي بنية الشؤون العربية- الإسرائيلية يناقض ضآلة عددهم النسبية. ولقد برزت الحركة الأصولية اليهودية كأحد أكبر العوائق أمام أية مفاوضات جدية تسعى لتسوية سلمية شاملة للنزاع العربي- الإسرائيلي[1]. ويؤكد على ذلك «بينيامين نتيناهو» في فبراير (١٩٨٥)، أثناء صلاة الصبح التي أقامها المسيحيون الأمريكيون لإسرائيل وقت أن كان سفيراً لإسرائيل في أمريكا: «بيننا زمالة تاريخية بين المسيحين المؤمنين واليهود هذه الزمالة عملت بنجاح على تحقيق الحلم الصهيوني، مُبدياً دهشته من جهل هؤلاء الذين يتعجبون من دعم المسحيين الإنجيلين لإسرائيل وكأنه ظاهرة جديدة، حيث أن هناك انخراطاً مسيحياً عميقاً في الحركة الصهيونية جعل القساوسة ورجال الدين والصحفيين ورجال الدولة، تنتهج خطوات عملية لتحقيق الحلم الصهيوني»[2].

وهنا يبدوتأثر سياسات وقرارات «بوش الابن» بالمعتقد الديني المتأصل في وجدانه، ما أدى به إلى انحيازه للتحالف الصهيونصراني، متحدياً بذلك المجتمع الدولي بحروبه الظالمة على دول العالم المختلفة، إرضاءً لخاطر الصهيونية المتطرفة، وما حدث في العراق وأفغانستان مرتبط بما يحدث على أرض فلسطين، ونذهب بعيداً لنتذكر ما حدث للزنوج والهنود الحمر في الولايات المتحدة، وما حدث في فيتنام وهيروشيما وأمريكا اللاتينية، فقد حضر الدين بكل هذه المشاهد، وكان التراث الديني المستمد من التوراة ونبوءاتها وتفسيراتها هوالمحرك للحروب الصليبية التي جرت لتطهير أمريكا من الهنود الحمر، ولنهب واستغلال وثروات شعوب العالم الأخرى، مستندين على شعارات براقة ومفاهيم رنانة مثل «حقوق الإنسان» و«القانون الدولي»، مُسبغين على أنفسهم الصبغة الدينية ومحملين أنفسهم عبء العناية الإلهية للبشر جميعاً[3].

(١) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) الطويل،يوسف العاصي، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم، صوت القلم العربي، مصر، ط٢، عام (٢٠١٠)،، ص١٣.

(٣) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World . Ibid..p.15.16.

ثانياً: علاقة الدين بالسياسة لدى الأصولية المسيحية

رغم أن الدستور في العديد من البلدان الأوروبية، وكذلك الولايات المتحدة، يعتبر الدولة علمانية ويفصل بين الدولة ودينها، لكن الواقع يثبت أن الغرب لا يخلط الدين بالسياسة فحسب، بل إن أساسه دين توراتي بحت، وقليل من السياسة، في عملية خلط نراها غير متكافئة. فالدين في الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة قديم، حيث سبق نشأة الدولة ذاتها، وله تأثير كبير على السياسة. فالولايات المتحدة تعدُّ نفسها (وطن الله)، وهذا وعي مترسخ منذ هروب اتباع المصلح «كالفن» من البيوريتانيين البروتستانت على الباخرة «ماى فلاور» عام (١٦٢٠)، منتحلين صفة الحجاج إلى وطن الخلاص أومملكة الرب بعد أن اختاروا الإقامة في التلال تأكيدًا لعزلتهم الدينية والحضارية وحفاظًا علي طهوريتهم التي لم ترى بأساً في قتل السكان الأصليين واغتصاب أراضيهم، بل استندوا في تبرير أفعالهم هذه إلى نصوص إنجيلية [١]، حيث نص ميثاقها الشهير على إقامة مدينة مسيحية مثالية على الأرض وطُبِّقَ الأمر في مستوطنة «بلايموث»، حيث ألزم السكَّانُ بإطاعة الطقوس الدينية وطُبِّقَتْ فيها تعاليم الإنجيل بحرفيتها، خاصة فيما يتعلق بيوم الأحد[٢]، فكان من أهم أسباب استقرار المهاجرين هناك حيث انتشر الفكر البروتستانتي إلى العالم الجديد عبر البيوريتانيين الذين نقلوا الصهيونية المسيحية إليها[٣]، وقد خرجوا من أوروبا بروح التدين التوراتي، فلما دخلوا أمريكا تفاءلوا بأن هذا خروج كخروج بني إسرائيل ودخولهم إلى الأرض المقدسة، وأخذوا يسمون المدن والمناطق في أمريكا بأسماء من التوراة، واعتقدوا أن هذه الأرض البكر بشَّرى بشَّرهم الله بها في الدنيا، وتأسس المجتمع الأمريكي على أساس بروتستانتي توراتي[٤]، وصارت الولايات المتحدة عند هؤلاء المهاجرين «كنعان الجديدة» وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء، حينما هربوا من ظلم فرعون من أرض مصر بحثاً عن أرض الميعاد الجديدة[٥].

---

(١) عربيد، مسعد، التوظيف السياسي للدين: الولايات المتحدة نموذجًا، الجزء الأول، كنعان، النشرة الإلكترونية-٢٠٠٧/٦/٢٩م- ع ١١٩٧.

(٢) George Jr. ‹Religion in America 50 years 1935 - 1985›. Gallup export no.234. Princeton. NJ (1985)

(٣) الأصولية المسيحية، جورجي كنعان، ص٤٥.

(٤) http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.SubContent&contentID=3973

(٥) سعود، الخلف، دراسات في الأديان دار أضواء السلف الرياض، ١٤٢٥هـ،ط٤، ص٣٧٦)، الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند مكتبة الرشد،الرياض-١٤٢٢هـ- ط١، ص (٤٧٦-٤٧٨).

ومنـذ ذلك الحين والدين يلعب دوراً محورياً في الثقافة العامة والسياسات العامة حيث امتد تأثيره ليمتزج بالتعليم والطب والفنون والسياسة، وكما يقول «شنايدر» فإنه «عـن طريق الدين يمكـن القيام بكل شـيء».[1] ويصرح «جيري فالويـل» : «لقد بارك الله هـذه الأمة لأنها في أيامهـا الأولى حاولت الإخلاص لله والإنجيل وسيجد أيُّ طالب مجتهـد للتاريخ الأمريكي أن أمتنا العظيمة قد أُنشِئَت من قِبَلِ رجال ربانيين لتكون أمةً مسيحيـةً».[2] إن هـذا الوعي الديني والأثـر التاريخي هوالذي منـع الفصل بين الدين والدولة في أمريكا، حيث يظهر لدى الأمريكيين نزعة قوية للانتماء إلى عضوية الكنائس ويحرصـون علـى حضـور المناسبات الدينيـة، ومنذ ذلك الحـين تم تأسيـس الولايات المتحـدة على أساس أنها دولة دينية وسيطر الدين على الدولة فيها[3]. لذا فليس عجباً أن ترتمي أمريكا الأصولية في أحضان إسرائيل الأصولية أيضاً، فالأصوليون المسيحيون إنمـا تأثَّروا بإرثهـم الديني والروحي المشترك مع اليهود مـا يجعل هذه العلاقة علاقة حميمة غير قابلة للانفصال، فليس الأمر مجرد تحالف استراتيجي أوتنظيم إمبريالي محـدود، لكنه استلهام لتعاليم التوراة في عملية إحياء ديني توراتي ذات أبعاد سياسية لفئـات تتستر بالنصوص الدينية لتحقيق مصالـح معينة لجهات محددة، فهي في عون الصهيونيـة متـى احتاجت للتأييـد، فهي تقدم لهـا المسوغات باسم الديـن، كما يكون مطلوباً لترويج سوق السـلاح أن تدعوإلى شن الحرب المقدسـة[4]. لقد مثلت أمريكا نموذجًـا دينياً (إمبرياليـاً) من الطراز الأول، فأمريكا لم تكـن في يوم من الأيام أرضاً أمريكيـة قبـل أن يطأهـا الإنجليـز ويبيـدوا سكانها الأصليـين[5]، بـل «إن كريستوفر كولمبـس»، كان قـد اكتشـف أمريكا بدافع الاعتقـاد بأن رحلاته هي جـزء من سيناريو ألفـي - مسيحـاني سوف يقود في النهايـة إلى تحرير القدس مـن المسلمين (الكفار)، وإعـادة بناء المعبد، كما أن هناك دراسات تاريخيـة أوضحت أن يهود المارانوا (اليهود المسيحيـين في إسبانيا) هـم الذين تبنوا مشروع كولمبس ودعمـوه بالتمويل والخرائط، وأنهم (يهود المارانوا) كانوا من أوائل المستوطنين في أمريكا»[6].

(١) البعد الديني للسياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) Farwell. Jerry. 1980. Listen America. NY.: Bantam. p.250

(٣) السقا، أحمد حجازي، عودة المسيح المنتظر، دار الكتاب العربي، القاهرة، عام(٢٠٠٣م)، ص٤٨.

(٤) النيجيري محمود، أكذوبة الأصولية الإسلامية، والغارة الأصولية الإنجيلية اليهودية على العالم الإسلامي دار البشير، القاهرة،(١٩٩٨) ص٩٩.

(٥) The clash of fundamentalism. crusades. jihad. and modernity Ibid .Viii

(٦) هلال، رضا، المسيح اليهودي ونهاية العالم:«المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا»، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٢، (٢٠٠١)م، ص:٣٠.

إننا لو حللنا الظاهرة سياسياً لوجدنا ان البعد السياسي يعد من أهم أبعادها بجانب البعد الديني، ثم البعد الإعلامي والمتمثل في توظيف الوسائل الإعلامية (محطات وقنوات إذاعية) في اجتذاب المزيد من الأصوليين، والذي ارتبط بالبعد الديني على أكتاف شخصيات دينية إعلامية مثل، «فرانكلين جراهام» و«فالويل»، و«روبرتسون»، وهم الجزء الأهم والأساسي من إدارة «بوش» والمقربين منه، وهم الجسر بينه وبين الإدارة الإسرائيلية[1]. ويكفي أن نذكر أن أول من رفع الشعار «فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» هم قيادات مسيحية أصولية أوروبية وأمريكية، وذلك قبل بلوغ هرتزل سن الرشد، وكذلك فإن أول جماعة ضغط (لوبي) صهيونية لدعم إقامة دولة لليهود في فلسطين أسسها كنسيون أصوليون في الولايات المتحدة عام (١٨٨٧) بزعامة القس «بلاكستون» حيث أنشأ في شيكاغو (البعثة العبرية بالنيابة عن إسرائيل)[2]. إذن فقد ارتبطت فكرة الدولة الدينية بأمريكا منذ النشأة ولقد استمرت الفكرة وتطورت بتغير الحقب الزمنية.

عند تحليلنا لمواقف السياسة الأمريكية المتبعة حيال القضايا الخارجية التي ترتبط بإسرائيل، نجد أن عنصر التوظيف للخلفيات التوراتية والإنجيلية واضح، بل يصعب الفصل بين أي قرار تتخذه الإدارتان الأمريكية والإسرائيلية، وواقع النبوءات التوراتية، فالسياسة تذلل لخدمة الدين، بعد أن استطاعت الصهيونية بمنظماتها العديدة أن توجه الكنائس الأمريكية بثقافتها التوراتية والتلمودية، واستطاعت هذه المنظمات أن تحوّل المسيحية بشكل جذري إلى اليهودية، وأن تتبنى كنائس الولايات المتحدة وجهات النظر الإسرائيلية، لذلك نرى أن بعض المحافظين في الإدارة الأمريكية الحالية، وغيرهم ممن سبقوهم- وقد غُسِلَتْ أدمغتهم وتمسكوا بالتوراة ونبوءاتها- يحاولون جاهدين تحقيقها، وإكسابها صفة القدسية الروحانية[3]، حتى تحول الشتات اليهودي إلى دولة ذات مؤسسات وتحول اليهود من عصابات إلى دولة صاحبة جيش قوي يمتلك أحدث وأقوى أنواع السلاح في المنطقة، وما كان ليتم هذا لولا عقيدة الانتظار التي يؤمن بها أصحاب القرار الأمريكي ويشاركهم فيها الصهاينة. يقول «محمّد السمّاك»[4]: «أن مسؤولاً من المسيحية الصهيونية كان يحضر اجتماعات مجلس الأمن القومي

---

(١) عودة المسيح المنتظر، مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) فائز صالح محمود مجلة أوراق سياسية، العدد الأول، عام (٢٠٠٧)، ص١.

(٣) مروان، الماضي، الإدارة الأمريكية المحافظة وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان دار الفكر دمشق، ص١٧.

(٤) كاتب ومؤلف لبناني، أمين عام مجلس الحوار الإسلامي المسيحي، وله العديد من المؤلفات عن الصهيونية.

الأمريكي حتى يضمن أن القرارات التي تصدر تكون متوافقة مع معتقدات المسيحية الصهيونية»[1].

ثالثاً: البعد الإعلامي للأصولية المسيحية

لا شك إن من أبرز نجاح الاصولية المسيحة الأولى، والثانية (الإنجيلية)، كان بسبب حُسن استخدام وتوظيف الأدوات الإعلامية، في عملية التبشير، وقد برعوا في ذلك، فبجانب البعد الديني، نجد البعد الإعلامي يفرض نفسه على طاولة الأصولية الإنجيلية، بما فعله مبشروالإنجيلية الكبار، وفي ذلك يؤكد (**روبرتوسافيو**) على أهمية هذا البعد، وقيمة هذا الدور قائلاً[2]: «لقد تنبأ المفكر الفرنسي (**أندريه مارلو**) بأن القرن الحادي والعشرين سيشهد بعثاً دينياً، **وما** حدث هوتسجيل الطوائف البروتستانتية انتشاراً عظيماً في العالم المسيحي بفضل ما يدعى بـ(التبشير الإنجيلي التلفزيوني)»، وبينما تلقى الأصولية المسيحية قدراً أقل من انتباه وسائل الإعلام رغم قدمها. نجد أن الطوائف البروتستانتية قد زادت من انتشارها في الولايات المتحدة، بدفعة من مبشرين تلفزيونين تُقيم أنشطتهم ب (٢٠٠) مليون دولار سنوياً، ويصدرون الأصولية المسيحية إلى كافة أرجاء العالم، خاصة (إفريقيا وأمريكا اللاتينية). وعلى الرغم من وصم الحركة الأصولية في أمريكا بالتشدد إلا إنها قد خلت بشكل مباشر من أساليب العنف[3]، حيث استخدم الأصوليون التكنولوجيات الحديثة وأحدث وسائل الاتصال. وتوجد حالياً في الولايات المتحدة (١٦٠٠) محطة إذاعية و(٢٥٠)محطة تلفزيونية، حيث تبشر هذه المنظمات بالعديد من المفاهيم داخل أمريكا وخارجها، والتي لا تخرج عن استمرار دعم اسرائيل حتى تسترد أرضها الموعودة، والالتزام بذلك إرضاء للرب، حتى لوتعارضت إرادة اسرائيل مع المواثيق الدولية.

أسباب التحيز الأمريكي البريطاني لإسرائيل:

لا شك أن التحيزَ الغربي تجاه قضايا الشرق الأوسط النابعَ عن كُرهِ كل ما يمتُّ للإسلام بصلة، قد أورث حالة من العداء المتأصل لدى الطرف الآخر، نتيجة الإحساس

---

(١) يوسف اجحا، دراسة حول الصهيونية المسيحية: مفهومها – نشأتها – مخاطرها، صيف ٢٠٠٩ (بدون ناشر)،،ص١٠.

(٢) روبرتوسافيو، مؤسس وكالة الأنباء العالمية «آي بى اس» ورئيسها الفخري، وعضواللجنة الدولية للمنتدى الاجتماعي العالمي. (آي بي إس(٢٠٠٧)

(٣) الأقباط بين الأصولية وبين التحديث، مرجع سابق، ص ٧.

بالغبن، والذي أدى بطبيعة الحال إلى نشأة حركات أصولية عنيفة في كل مكان في العالم، كرد فعل على غياب العدل وانتشار الظلم تحت مسميات العولمة والنظام العالمي الجديد. وقد أرجعت «آرمسترونج»[1]، -في شهادة مهمة- سبب الكراهية المسيحية الوسيطة المتأصلة ضد الإسلام إلى «ضخامة الإسلام» كدين ونجاحه التاريخي، ونجاحه في عملية التحدي للمسيحية واليهودية عقائدياً وتاريخياً رغم أن معاملة المسلمين لهم بالحسنى كانت سباقة، خصوصاً اليهود الذين كانوا مضطهدون من جانب المسيحيين في أوروبا، وقد ذُبحوا من جانب الغزاة مثل المسلمين. أما عن أسباب التحيز، فقد أرجعها الباحثون إلى حسابات المصالح والبرجماتية السياسية وجماعات الضغط وقوة الصوت الانتخابي اليهودي، وهذا الأمر غير دقيق، لأننا لوقسناها بمنطق المصالح لَتَعَارَضَ هذا مع ما أفرزته سياسات الولايات المتحدة من حجم العداء الهائل في المنطقة العربية والإسلامية تحديداً، ما يزيد من احتمالية وقوع الخطر ضد تلك المصالح، وإلا ما كانت الدول الأوروبية لتغير من سياساتها -نسبياً- تجاه الدول العربية وقضية الصراع العربي الإسرائيلي، ليصبح أكثر اعتدالاً ومعقولية من ذي قبل ولوبالظاهر، فضلاً عن اللجوء إلى تكتلات مضادة ومعادية للولايات المتحدة وحلفائها. أما عن اللوبي الصهيوني في أمريكا فهناك مبالغة كبيرة في حجمه وقوة تأثيره على السياسات الأمريكية، وكذلك في دور الزعماء الصهاينة الذين سبقت ميلادهم الأفكار الصهيونية وبفترة كبيرة، وكان اليهود هم من يحاربون هذه الأفكار من الأوروبيين والأمريكان. بل إن عباقرة اليهود كانوا قد حققوا إبداعهم عن طريق الانسلاخ الفعلي أوالمجازي عن مورثهم اليهودي، وعن طريق الانخراط في الحضارة العلمانية الغربية الحديثة. وأخيراً يظل الصوت اليهودي الانتخابي، محدود الأثر رغم المبالغة في قوة تأثيره، فهوغير موحد، بل متباين مختلف بل ومنقسم على نفسه، كما أن نسبة الأصوات اليهودية في الولايات المتحدة لا تتعدى ٣,٣٪ في مجتمع يغلب عليه الاقليات والزنوج

---

(١) كاتبة أكاديمية بريطانية الجنسية من أصل أيرلندي، متخصصة في علم الدين المقارن، ولدت في ١٤ نوفمبر ١٩٤٤، وفي أواخر مرحلة المراهقة، أصبحت راهبة في مجتمع الطفل المقدس، ودخلت سلك الرهبنة، ثم أرسلت إلى كليّة سان آن، بأكسفورد، لدراسة اللغة الإنجليزية، نشرت كتابها: القدس مدينة واحدة وثلاث معتقدات ١٩٩٦، ومحمد رسول لهذا العصر، والحروب المقدسة، الجهاد المقدس: الحملات الصليبية، وتأثيرها في العالم اليوم ١٩٨٨، محمد «صلى الله عليه وسلم»: سيرة النبي ١٩٩١، المسعى ٤٠٠٠ سنة من اليهودية، والمسيحية، والإسلام ١٩٩٣، القدس: مدينة واحدة، وثلاث معتقدات ١٩٩٦، المعركة لأجل الله: الأصولية في اليهودية، والمسيحية، والإسلام ٢٠٠٠، الإسلام: موجز تاريخي ٢٠٠٠، الإيمان بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠٢، محمد «صلى الله عليه وسلم» أي نبي لعصرنا ٢٠٠٦.وكتبت في الجارديان أن معاناة المسلمين في جوانتنامو، وأبوغريب، وفلسطين أدت إلى تضامن الناس والعدالة، وبسبب انشغالنا بما يسمى بصراع الحضارات، حدث هذا التوتر الداخلي.

السود أصحاب أكبر كتلة تصويتية هناك[1].

إذن من خلال التحليل الموجز يتبين لنا أنَّ العاملَ المؤثرَّ والحاسم في تعليل التحيز الأعمى لليهود من قبل الانجلوسكسوني، هوالعنصر الديني. فهذه المسألة لديهما مسألة محورية، من خلالها تتشكل غالب السياسات والرؤى لكلا الكيانين مع الاتفاق على الثوابت العامة التي على رأسها مسألة العودة الثانية للمسيح المنتظر. كما أنه إلى جانب الإيمان الأمريكي بعقيدة الانتظار التي على أساسها يرعى الأمريكيون إسرائيل، هناك أطماع أمريكية توسعية لا يمكننا إغفالها. فأمريكا دولة إمبريالية يقوم اقتصادها على الحروب والسلب والنهب واستغلال ثروات الدول الفقيرة وطاقاتها، غير أنه يبقى هدفًا ثانويًا وإن تعاظمت فائدته. وإسرائيل الجديدة ليست الكنيسة المسيحية كما اعتبرها القديس (أوغسطين)، بل هي حي لبني إسرائيل وعودتهم إليه هي مقدمة ضرورية للمجيء الثاني وتحقيق الألفية السعيدة، أما الكنيسة بالنسبة إليهم فهي مملكة الله السماوية، وبالتالي أصبح البروتستانت من أشد أنصار إسرائيل حماساً ودعماً لها[2].

رابعاً: علاقة الدين بالسياسة لدى الأصولية الإسلامية

لقد أُثير جدل كبير حول علاقة الدين بالسياسة لدى جماعات الإسلام السياسي، حيث افترض الباحثون في دول الغرب، من أن (الإسلام) لا يُفرق بين الدين كعقيدة من جهة، وبين المجال السياسي من جهة أخرى، كما أن الفكر الإسلامي يؤكد على أهمية ارتباط الدين بالسياسة، حاله في ذلك حال الفكر السياسي المسيحي، إن القراءة المتأنية للتاريخ الإسلامي، يشير إلى أن انفصال الدين عن السياسة لم يكن من السهل أن يتم منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث التزم من بعده الخلفاء الراشدين بنهجه، فمن ديوان المظالم، إلى المحاكم الشرعية، قد عززت من مكانة الدين لدى الساسة الحكام، من عهد الخلافة الراشدة، وحتى سقوط دولة الخلافة العثمانية، مروراً بالدولة السلجوقية، والدولة الأموية، وكذلك الدولة العباسية[3].

ويحاول المسلمون في كل مكان، سواء في البلاد الإسلامية، أوفي بلاد أخرى، يعملون على زيادة حضورهم فيها على المستوى العالمي في تجمعات مؤثرة، كما في

---

(١) الحملة الصليبية، مرجع سابق، ص ٢١-٢٧ بتصرف.

(٢) المسيحية والإسلام والاستشراق، محمد فاروق الزين، دار الفكر، دمشق، ط٢، عام (٢٠٠٠)، ص ٣٧٢.

(٣) Dale F.Eickelman and James Piscatori.Muslim Plotics.Princeton Unversity Press.Princeton and Oxford.2-nd Edition. (2004).p.46:47

أوروبا، وأمريكا الشمالية، وروسيا وغيرهم كثير، حيث لدى هؤلاء الوعي الكافي ليكونوا جزءاً من المجتمع الدولي، وإعادة تشكيله على هذا النحو، وذلك من خلال العمل على زيادة تأثر صوتهم، وكذلك حجمهم وقوتهم السياسية، على الصعيد الدولي[١]. وقد يستخدم بعض أنصار الأصولية الإسلامية العنف، لتحقيق أهداف سياسية، كما حدث في حادثة الهجوم على الحرم (١٩٧٩) من التكفيرين، وأيضاً واقعة اغتيال السادات في عام (١٩٨١).

وقد يتملق بعض الساسة من الحكام من أنصار العلمانية، إلى شعوبهم الإسلامية، بهدف تعزيز سلطاتهم الشعرية القائمة، وطمعاً في اعتلاء قمة الهرم السياسي الشرعي كولاة أمور، وكسب المزيد من المؤيدين واستغفال الكثير من الباحثين، حيث قام كلا من الرئيس المصري «السادات»، بمنح نفسه لقب (الرئيس المؤمن)، وكذلك فعل ملك المغرب «الحسن»، بانتحال لقب (أمير المؤمنين)، وعلى العكس من ذلك فقد أثار عليهم عاصفة من الإنكار والرفض، من قبل من هم خارج السلطة، مما أدى بدوره إلى تكفيرهم من قبل بعض التنظيمات التكفيرية في البلدين، واعتبروا أن ديارهم بمثابة (دار كفر)، وأن الرئيس المؤمن، هوعبد (كافر) و(جاهل) فعملوا على قتله[٢].

تتبنى بعض الأصوليات الإسلامية مشروعاً إسلامياً، اعتقاداً منهم أنَّ الأحكامَ الفقهية ملزمةٌ في كل وقائع الحياة وتُحَوِّلُ بعضُ هذه الجماعات هذا الطموح إلى برامج سياسية، تعمل على تحقيقها من خلال أدوات التغيير السياسي السلمية والعنيفة، فهناك تيارات إسلامية جادة وفاعلة وعلى معرفة معمقة بالإسلام عقيدة وشريعة قدمت مشروعاً حضارياً متبصراً، دون أن تتورط في اعتبار معرفتها بالإسلام نهائية وملزمة ومطلقة، ودون استخدام أدوات القوة المسلحة للتغيير، بل كانت في كل ذلك داعية إلى العودة إلى الأصول وتصفيتها مما شابها من زيادات مشوَهة، وقابلة خيار الديمقراطية وإرادة الأغلبية عبر صناديق الاقتراع، هذا الخيار الذي صادرته الأنظمة التي تزعم الحداثة وتنشد النهضة للشعوب.[٣] والأمثلة في هذا المجال عديدة من تركيا إلى مصر مروراً بتونس. حيث تسعى الأصولية الإسلامية ضمن أهدافها إلى إقامة

---

(١) Ibid. P.4:5.

(٢) Muslim Ploitics. Ibid. p.12.

(٣) فريد هاليداي، الأمة والدين في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الإله النعيمي، دار الساقي، بيروت، ط١، (٢٠٠٠): ص٧٤ وما بعدها بتصرف.

الحكومـة الإسلامية التي تحكم المجتمعـات بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلـم، أومـا يطلق عليه «دولة الخلافة». فهي حكومة تعمـل بالإسلام بحق ومهمتها أن تخـدم الأمة، وعاملة علـى مصلحتها، منفـذة لتعاليمه وأحكامـه، فالحكم بشرع الله معصوم من الأخطاء لحكمة من أنزلها وعصمة من أنزلت عليه، على خلاف الحكومة العلمانيـة التي يحكم فيهـا الشعب الذي لا يسلـم من الاخطاء[١]، يقـول «فنرجرالد»: «ليس الإسلام ديناً فحسـب لكنه نظام سياسيٍ أيضاً»[٢]، وقـال «نالينو» : «لقد أسس محمـد صلى الله عليه وسلم، في وقت واحد دينا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته... لقد صار واضحاً أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وإنما تستوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة به».[٣]

أمـا مُنَظِّر صـدام الحضـارات «هانتغتون» فقـد قرن بـين الأصوليـة والإسلام السياسـي: «إنهـا الإسـلام السياسي الـذي يدعو لإحياء قيـم الإسـلام، والدعوة إلى السيطرة على الأفكار والمعتقدات العالمية».[٤]

وفي استعراض سريـع لبعض التصريحات المتعاقبة مـن السياسيين في إسرائيل، يتبـين لنـا أن العديد من القـادة هناك لم يفوتـوا فرصة إلا ونهشوا مـن لحم الإسلام السياسـي، وتمسكوا بوجهـة نظر سلبية قوية تجاه هذا التيار، ومنهم الرئيس السادس لإسرائيـل «حاييـم هيرتـزوج»، والـذي تحـدث في بداية العـام(١٩٩٢) إلـى البرلمان البولنـدي، محذراً مما أسمـاه مرض (الأصوليـة الإسلامية)، الـذي ينتشر بسرعة، ومدعيـاً أنـه لا يشـكل خطراً علـى اليهود فحسـب وإنما يمتـد الخطر ليشمـل البشر بشـكل عـام[٥]. وسار علـى نهجه في ذلـك رئيس الـوزراء «إسحق رابـين»، والذي كان يشـير في زياراته المتكـررة للدولة الحليف (الولايات المتحـدة)، إلى خطر المد الأصولي الإسلامـي، ليشـير إل الساسة هناك، أن «إيران» ينبغـي أن تلقى نفس معاملة «روسيا» في الأيـام السابقـة، وأخـيراً فقـد استغل «رابين» حـادث الحادي عشر مـن سبتمبر، ليشير إلى دعم «إيران» للأصولية الإسلامية التي قامت بتفجير البرجين الشهيرين في

---

(١) الصاوي، صلاح، تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين، دار الأعلام الدولي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، (١٩٩٤)، ص١٥-١٦.

(٢) الحجر، السيد رزق، مدخل لدراسة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، .دار الهاني، بدون تاريخ ..ص.٢٧

(٣) الطنطاوي علي، رجال من التاريخ، مؤسسة الرسالة، ط٦، (١٩٨١)، ص ٩٠.

(٤) صاموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي: ترجمة : طلعت الشايب.(١٩٨٨)م، ص ١٨١.

(٥) Fawaz A.Gerges.America and Political Islam:.Clash of Culutures Or Clash Of Interests..Sara H Lawrance College.Cambredge Unversity Press.(1999).P.53

الولايات المتحدة[1].

المطلب الثاني: أرض الميعاد في المصادر القدسية اليهودية

يُعَدُّ المكان المقدس أحد أبرز عناصر ومرتكزات الأصوليات الدينية، وخصوصاً الأصولية اليهودية، وإلا لما تصارعت الأصوليات التوحيدية الثلاثة على «القدس»، فالمسيحية أرادتها صليبية، واليهودية احتلتها بقوة السلاح أما الإسلامية فقد حررتها من أيدي الغزاة « فرسان الصليبية»، حتى احتلتها قوى الصهيونية المغتصبة، لذا سنحاول في عجالة تقصي مفهوم «الوعد» في بعض المصادر المقدسة، وكذلك التعرف على أسبابه، وكيفية تحوله من منحه إلهيه مشروطة وقتية في التوراة، إلى حق دائم ومطلق للشعب اليهودي في التلمود؟. ثم نناقش في عجالة حدود هذه الأرض.

أولاً: الوعد الإلهي في العهد القديم

تتحدث مرويات العهد القديم عن سلسلة من الوعود والعهود التي قطعها الله على نفسه، بداية من عهد نوح عليه السلام، ثم جاء الوعد الثاني لإبراهيم عليه السلام، في موعد متكرر، ومتباين الصياغة، لكنه ثابت ومتفق في المضمون الذي فحواه ملكية خليل الله وذريته أرض (فلسطين) وما حولها ملكية أبدية. ولقد تكرر الوعد في الأسفار لكن بصياغات متباينة، تسانده فكرة الشعب المختار، ورغم الاختلاف في الصياغة إلاّ أنّ المضمون بقي ثابتاً تسانده فكرة (الشعب المختار)، وذلك للتلازم الوثيق بينهما، وهذا ما أشار إليه العديد من الكتاب اليهود ومنهم «فيربلوفسكي»: «إذا كان هناك شعب مختار، فثمة أرض مختارة (أرض معاد) أيضاً»[2]. ولقد تطور منطوق الوعد في أسفار التوراة تطوراً تدريجياً. ففي البداية كان الوعد بأرض ليس لها مقومات واضحة: «١وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ٣وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[3].

ثم تطور لتصبح في (أرض كنعان) على عمومها، في قوله: «٦وَاجْتَازَ أَبْرَامُ

---

(١) Ibid

(٢) حماد، مجدي، الإطار المرجعي للأعلام الإسرائيلي، ندور الاعلام الصهيوني: اطروحات ومواقف، تونس، ١٩٨٦، ص١١-١٣

(٣) تكوين (١٢: ١-٣).

في الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. ٧وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ»(١).

واستمر الوعد، يلازمه الغموض، فارتبط هذه المرة بالقدرة البصرية لنبي الله (إبراهيم)، في قوله: ١٤: «**ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ١٥لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ.**»، ثم اقترب الوضع من منطق التعيين والوضوح فحُدِّدت الأرض من (النيل إلى الفرات)، ولكن بقيت المساحة على حالها مجهولة، وذلك في قوله: ١٨: «**لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ.**»(٢). ثم انتقل الوعد إلى نسله- متخطِّياً إسماعيل- من خلال ولده «إسحق»، ومن رواء إسحق «يعقوب»، وهكذا الأمر حتى انتقاله إلى -كليم الله- موسى عليه السلام، في محاولة صريحة لربط كلا التاريخين، بني إسرائيل، وقوم موسى، حيث تتكامل نصوص الأسفار، بشكل يعزز من قدسية الوعد، فلقد طابق سفر «الخروج» ما جاء بسفر «التكوين»، فيما يتعلق بالوعد بالملك الأبدي في أرض كنعان وذلك في: «**٧وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ**»(٣).

بينما جاء في سفر «الخروج»:

«**٤وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمِ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا.... ٨وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ**»(٤)، ثم انتقل الوعد إلى منطقة هامة وخطيرة في الوقت نفسه، فقد جعلت التوراة كل موطن قدم يهودي هي له، دون أن يسكنها، لكنَّ هذا الوعد قد تم تقييده بشرط أساسي (التمسك بوصايا الرب)، ولقد طبق اليهود هذه الوصية في جزئها الثاني، وتعمَّدوا إغفال الجزء

(١) تكوين (١٢: ٦-٩)

(٢) تكوين (١٥ ١٨-٢٠)

(٣) تكوين (١٧:٥-٨)

(٤) خروج (٦ :٢-٨)

الأول والمتعلق بالوصايا، حتى يبقى الوعد على إطلاقه:

«٢٢لأَنَّهُ إِذَا حَفِظْتُمْ جَمِيعَ هذِهِ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا لِتَعْمَلُوهَا، لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَسْلُكُوا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَتَلْتَصِقُوا بِهِ، ٢٣...فَتَرِثُونَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكُمْ. ٢٤كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ يَكُونُ تُخْمُكُمْ[(١)].

إذن من خلال السرد النصي لبعض نصوص التوراة ومن صياغات الوعد المختلفة يتبين لنا ما يلي:

١. أن هدية الأرض كانت أحد وعود أربعة، لذا يجب وضع القيود الثلاثة الأخرى التي تتعلق بالأمة، بمباركة البشر، بالأرض، بالعهد، قيد الاعتبار، عند مناقشة فكرة «الأرض الموعودة».

٢. لقد تطور مفهوم «الوعد» بشكل متدرج، من وعد بسيط غير محددة معالمه أوحدوده الجغرافية، إلى أن تم تحديده، (من النيل إلى الفرات) في الوعد الأخير لإبراهيم عليه السلام.

٣. لقد أقصت النصوص «إسماعيل» عليه السلام وذريته، من وعد أبيه رغم أنه لذريته جميعاً، بحجة أنه ابن جارية، مع أن الوعد جاء قبل ولادة أخيه «إسحق».

٤. أن الوعد ليس محدداً بزمان، بل إنه إرث تاريخي للأجيال، طبقاً لما جاء بسفر « التثنية»، ومن ثمّ فإنّ الوعد هووعد أزلي وملزم للأبد. فهوعهد وليس عقد[(٢)].

أما عن الوعد الإلهي في التلمود، فنجد هنا أيضاً، كيف أنَ الفكرة قد تطورت بشكل ملحوظ لتتحول من مجرد منحة من الإله إلى حق مقدس مطلق لليهود في كل زمان ومكان. وذلك في إطار الترويج لفكرة (الحلولية الإلهية)، وهوما يعبر عنه بالثالوث الحلولي (الإله، والشعب، والأرض)، فتنشأ وحدة مقدسة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما، وتوحده معهما، بحيث أصبح الشعب امتداداً لله في الأرض. وحلول المادة الإلهية في الشعب اليهودي هوما ميزه عن غيره من الشعوب الأولى، فهم الشعب المختار، والناس عبيد لهم، وترتفع مكانة الأرض، لتصل إلى درجة أنها تضاهي

---

(١) تثنية (١١: ١٨-٢٥).

(٢) مهدي، عبير، أرض الميعاد في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، (٢٠١٢). بتصرف.

درجة الإيمان بالله، فنشأ (لاهوت الأرض المقدسة)، نتيجة تعمق الارتباط اليهودي بالأرض، وبذلك انقسم العالم إلى قسمين: اليهود المقدسين، والأغيار من غير اليهود فهم يعيشون خارج دائرة القداسة، وباتت الأرض التي يقطنها الشعب اليهودي (أرض الميعاد) هي الأخرى (أرضاً مقدسة) فلا تسري عليها القوانين التاريخية العادية.

والخلاصة: أن (الوعد الإلهي) في المصادر القدسية اليهودية قد اتسم بالسمات الآتية:

١. أنه وعد مادي يعطي لبني إسرائيل الحق في ملكية فلسطين وما حولها.

٢. أن وعد الله ليس وقفاً على» إبراهيم» -عليه السلام- ونسله، وإنما لبني إسرائيل الحقوق نفسها بغض النظر عن مدى أحقيتهم باستثناء «إسماعيل» وذريته.

٣. أن هذا الوعد غير محدد، وليس بمقيد، ولا مشروط، وليس هناك أي التزامات من جانب إسرائيل اعتماداً على فكرة (الشعب المختار).

٤. وهكذا تحول (الوعد الإلهي) من مجرد منحه إلهية إلى حق مطلق يستحقه الشعب اليهودي.

***

الفصل الثاني

نشأة الأصولية الدينية ومظاهرها وأبرز أهدافها

سبق أن ناقشنا أبرز العوامل التي ساعدت على ظهور الأصولية الدينية إلى النور، سياسية كانت، اجتماعية أم اقتصادية، لآن سوف نكشف عن المظاهر المختلفة لأصولية الدينية، وتركز على الممارسات الدينية والسياسية . أما من حيث الأهداف، فالأصوليات المحمودة تسعى دائماً إلى نشر الدين وتبليغه للبشر في أقاصي الارض وتطبيق نصوصه، فيما كانت أهداف الأصوليات البغيضة دائماً عنيفة استيطانية تدميرية، وقد تتعدى إلى إقصاء ومحاولة هدم الأصوليات الأخرى، ومن أسوأها على الإطلاق أصولية الولايات المتحدة (الأم) ، داعمة الأصولية الإنجيلية، وصاحبة الحروب والتدخلات العسكرية وراعية إرهاب الدولة في العالم، التي أقامت أسوأ المعتقلات عبر التاريخ، معتقلات أرضية في خليج «جوانتاناموا» سيء السمعة، أوفضائية عبر طائرات المخابرات المركزيّة، أوبحرية عبر السفن العائمة التي تجوب البحار والمحيطات محملة بأوزار ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. بينما كانت تحلم الأصولية اليهودية بإقامة دولة إسرائيل (وقد أقامته) ، وهدم الأقصى وإعادة بناء الهيكل محله، وإقامة وطن قومي لليهود يتيح لها السيطرة والهيمنة والسيادة على العالم شرقه وغربه. حتى قيام الألفية السعيدة ونهاية العالم، ولا تزال تعمل على تحقيق هذه الأهداف جميعاً مستغلة إمكانيات القوى العظمى، التي سُخِّرَت كافة وسائلها المادية والمعنوية في خدمة قوى الشر.

المبحث الأول

الأصولية اليهودية: نشأتها ومظاهرها وأبرز أهدافها

تختلف الأصولية اليهودية عن باقي الأصوليات في ملامح شتى، فهي أقدمهم نشأةً وأكثرهم دهاءً وأشدهم عنصرية وطبقية وأقساهم دموية، كما انها تتميز بالعمل في الخفاء كما تتقنه في العلن، فضلاً عن علاقتها بباقي الأصوليات الدينية -عدا الإسلامية على الأقل ظاهرياً- متميزة، تحكمها البراجماتية السياسية، مستفيدة من الدور الكبير الذي تقوم به الصهيونية العالمية وأذرعتها السياسية والإعلامية في تهيئة الأجواء قبل تنفيذ مهام سيئة الجمعة تجاه (الأغيار)، ثم تقوم بتبرير تلك الأفاعيل النكراء بدعاوى خبيثة مختلفة، فتحول من الضحية مجرماً ومن بطل حر شجاع إل مجرم إرهابي ومُخَرِّب. نتناول سويا البعد التاريخي الذي صاحب ظهور الأصولية اليهودية وعلاقتها بأبرز أهدافها المعلنة والخفية.

المطلب الأول: نشأة الأصولية اليهودية

الأصول التاريخية:

تُعَدُّ الأصولية اليهودية من أقدم الأصوليات الدينية على الإطلاق، منذ عهد الإسكندر (قبل الميلاد)، فحين غزا اليونان إفريقيا، زرعوا مدناً ومستعمرات وممالك يونانية كثيرة، فحكمت عائلة «بطليموس في مصر»، والسلجوق في سوريا، وحكم البطالمة اليهود (٣٣٢-٢٠٠) ق.م[1]، ثم بعد ذلك بوساطة السلاجقة، فقام اليهود من الأصوليين السلفيين الى الصحراء، للحفاظ على التراث اليهودي القديم، فيما كان البعض الآخر من رفض الانفصال عن العالم والتطرف، وأسسوا فكرهم اللاهوتي على كتاب «يونان» النبي الذي ركز على أن غير اليهودي مقبول من الله[2]، ومن هؤلاء من تطرف، فاعتبروا محاولة قبول الحضارة اليونانية، إنما هي كفر وعلمانية، فقالوا «ملعون من يلمس خنزيراً، وملعون من يربي ابنه على حكمة اليونان»[3]. أما في عهد نبي الله عيسى-عليه السلام-، فقد كان هناك تياران متنازعان (الحرفية والصوفية والزهد)[4]، ثم برزت في أعقاب الأصولية المسيحية حيث كان يُطلق

(١) الدويك، عبدالغفار، أنبياء إسرائيل الجدد: رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ميريت للنشر - القاهرة (٢٠٠٢) مـ، ص١٨.

(٢) الاختراق الصهيوني للمسيحية، مرجع سابق، ص٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٦.

(٤) الفريسين والصديقين..

على الأصوليين اليهود، الأرثوذكس بجناحيه من المتطرفين والمعتدلين، ومعنى كلمة الأرثوذكسية «العقيدة القويمة» أو«الرأي القويم». وكان الإصلاحيون من اليهود هم أول من استخدم هذه الكلمة ذات المدلول الأصولي السلبي وذلك في عام (١٧٩٥)، وذلك لوصف معارضيهم من اليهود التلموديين، وهى تعني عندهم «التزمت والتطرف». وقد قبل التلموديون هذا الوصف وإن كانوا يطلقون على أنفسهم اسم «اليهودية المصدقة للتوراة». ويفرق الأدب الديني اليهودي اليوم بين الأرثوذكسية والأرثوذكسية المتطرفة (هَحَرديم بالعبرية)، إذ تطلق صفة الأرثوذكس على اليهود الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل وأغلبهم من أنصار الصهيونية العالمية مثل حزب «المفدال».

الأصولية اليهودية في العصر الحديث

يقول الباحث «لطف الله حيدر»[١]: «لقد شهد القرنُ الثامنَ عشرَ اتجاهين دينيين رئيسيين متميزين ومتنافسين في حياة اليهود الاجتماعية والفكرية، وقد ارتبط الاتجاه الأول ارتباطاً عضوياً باسم مؤسسة «مندلسون»[٢] الذي دعا إلى التخلي عن العقائد اليهودية والطقوس الدينية القديمة. وقاد أنصار هذا الاتجاه حملة في سبيل التنوير (هاسكالاه)، بينما كان الاتجاه الثاني يجسد النزعة نحوالتمسك الصارم بحرفية التعاليم اليهودية التوراتية القديمة وشعائرها الجامدة والحفاظ على انعزالية اليهود ضمن (الجيتو) بانتظار المسيح المنقذ الذي سيقود اليهود إلى أرض الميعاد (فلسطين)، وقد سُمِّيَ الاتجاه الأول (التيار الغربي) نظراً لانتشاره الواسع بين يهود غرب أوروبا، وأطلق على الاتجاه الثاني اسم (التيار الشرقي) نسبة إلى شطر أوروبا الشرقي. لقد كان ويلسون وفياً لعقيدته البروتستانتية ذات النكهة التوراتية، وهوما أملته عليه - في الدرجة الأولى - تربيته الدينية كابن لقسيس إنجيلي يؤمن بأن الله أعطاه فرصة تاريخية لتحقيق الإرادة الإلهية بمساعدة شعبه المختار على استعادة أرضه التي خصه الله بها»[٣].

---

(١) أنبياء: إسرائيل الجدد: رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم مرجع سابق، ص١٨-١٩.

(٢) تأسست الحركة الإصلاحية على يد موسى مندلسون (بن مناحم)، الذي ولد في ديسوي بألمانيا سنة(١٧٢٩)، ومات في (١٧٨٦). وقد أشاع العلوم العصرية بين اليهود ، وكان قد جمع بين علوم الدين اليهودي وفلسفته ومعارف القرن الثامن عشر ، وكان شعاره : (الاستجابة للعادات وأعراف المجتمع العصرية ، مع المحافظة والإخلاص لدين الآباء،ونمت من خلال تفاعل الثقافة اليهودية مع التجربة الأمريكية . ،حيث سعى إلى بيان طبيعة الصلة بين الوحي والفلسفة، يقول« المسيري» : (يوجد إذن جانبان في اليهودية: واحد إنساني يقبل الآخر ويحاول التعايش معه وهوجانب أقل ما يوصف به أنه كان هامشياً، وجانب آخر غير إنساني عدواني يرفض الآخر تماماً.

(٣) السماك، محمد،الصهيونية المسيحية،دار النفائس بيروت،ط٣، (٢٠٠٠)،ص٦٠، وانظر:الصهاينةالجدد مهمة لم تنته،مرجع سابق،ص ١٨٠.

المطلب الثاني: أبرز مظاهر الأصولية اليهودية

في سائر الديانات التوحيدية، توجد توجهات لأصولية متشددة، وأخرى متسامحة. فلدى اليهود أصولية سعت من أجل إنشاء كيانهم التوراتي والخلاص من الاضطهاد والتمييز المسيحي والأوروبي. ويوجد من المتدينين اليهود من تصَّوف، وهناك من عارض الصهيونية ويرفض الذهاب لإسرائيل، ولدى المسيحيين (الإنجيليين الجدد على الخصوص) أصولية سعت للسيطرة باسم الدين.[1]

ينقسم اليهود حول مكانة الدين في العصر الحديث، ففريق أصولي يحلم بالعودة إلى الأرض المقدسة، وبالتالي ففلسطين أرض للميعاد مقدسة ولا تفاوض عليها. بل يجب العمل بكل الوسائل على تحقيق الحلم اليهودي. وفريق أصولي آخر يرى أن المعتقد يجب أن يظل في القلب ولننظر ماذا يخبئ لنا المستقبل، وكيف ستتحقق أحلام اليهود في أرض الميعاد؟[2] وتتعدد مظاهر الأصولية اليهودية الدينية والسياسية والتاريخية والجغرافية، بداية من الاسم الديني ذي العاطفة الدينية المتخذ لدولتهم الغاصبة، ليجمع اليهود في جميع أنحاء العالم إلى الوطن القومي لليهود تحت قاسم مشترك وهونبي الله «يعقوب». وتغذي التوراة والتلمود هذا المظهر باعتبارهم الصفوة وشعب الله المختار، ما أورثهم كذلك الروح الاستعلائية والعدوانية. ففي سفر اللاويين ورد هذا المعنى: "٢٦ **وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي**"[3].

أما عن المظهر التالي فهواختيار الموقع المناسب باعتبار فلسطين ذات علاقات تاريخية باليهود، ولهم فيها مقدسات دينية. وبالتالي يلهبون مشاعر اليهود فيعودون إلى أصولهم المكانية، فعادوا في أسراب من الهجرات المنظمة حتى إعلان قيام الدولة (١٩٤٨) ليمثل لهم عودة للأصولية الحقة بعودة حقهم الطبيعي كما يزعمون.

ويأتي ثالث هذه المظاهر في إعلان التوراة دستوراً لدولتهم، فالأصوليون اليهود يتبعون تعليماً مغزاه عدم تطبيق القوانين الوضعية في إسرائيل، ومن بين شعوب الأرض فإن الإسرائيليين وحدهم لا تُطَبَّقُ عليهم قوانين شَرَعها الإنسانَ ولكن تُطَبَّقُ فقط قوانين الله التي هي في الحقيقة أقوال الحاخامات

(١) Holy War.Ibid.P.114

(٢) Ibid. p12.13

(٣) الكتاب المقدس-سفر اللاويين، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، (١٩٩٣)، ٢٠:٢٦.

الكاذبة[1]. ولا يقتصر تدخل الحاخامات على الأحوال الشخصية والدينية وإنما يمتد إلى التأثير على الحياة السياسية في إسرائيل، وكذلك إلى التشريعات والقوانين. وليس هذا مقيداً برجال الدين المحافظين وإنما يمتد إلى العلمانيين من رجال الدولة الذين يجارونهم في الحديث بلغة دينية بحتة وكأنهم رجال دين. وطالما تعلق الأمر بغير اليهودي فهم جميعاً أصوليون.

أما عن رابع المظاهر فهويتأتى في اتخاذهم العبرية لغة رسمية للبلاد، وبعثها بعد فترة موت لأكثر من ألفي عام لربط الأجيال اليهودية الجديدة بأصولها اللغوية بعد أصولها الدينية. وأخيراً فإن من مظاهرها أيضاً صبغ الحياة بالتعاليم اليهودية.

ويركز مفهوم الأصولية اليهودية كما بالأصوليات الدينية الأخرى مثل المسيحية والهندوسية، على عنصرين رئيسين هما: تقديس النص بتطبيقه حرفياً، ومنحه سلطة أعلى من أي سلطة أخرى، وتقديس الشخص بتقديس كلامه بل باعتبار كلامه نصّاً، وهذا متمثّل في الحاخام عند اليهود[2]. فيرفعون مرتبته فوق مرتبة الأنبياءً بما في ذلك تقديس أقواله ومنحها سلطةً أعلى من سلطة التوراة[3]. ويذكر صاحب كتاب (الأصولية اليهودية) على لسان المتحدث باسم إحدى المستوطنات اليهودية، قوله: (لوطلب منا حاخاماتنا الرحيل بهدوء فلن تجد الحكومة في مدينة يهوذا والسامرة[4]، أسهل في الإخلاء من مدينتنا، أما إذا طلبوا البقاء فسنناضلُ أكثر من أي مدينة..)[5]. ويلخص «عبد الله بركات» أبرز مظاهر تلك الأصولية بقوله: «تُجسد النصوص المقدسة عند اليهود (الأسفار الكتابية، والتلمود)»، هذا المفهومَ الأصوليَّ من مصادمة للعلم، والثوابت اليقينية، والبديهيات العقلية وتعميق العنصرية والدمويّة، والتهاون بمحرمات كل الأجناس غير اليهودية في نصوصٍ لا تقبل المناقشةَ والجدل بينما تنفردُ التعاليم الشفوية باعتبار الشخص المعتبر عندهم (الحاخام) أصلاً تفوق أهميتُهُ وقداستُه، واعتبارُهُ النصَّ ذاتَهُ. ومن هنا كانت المصادرُ اليهوديةُ (نصوصاً وأشخاصاً)، محور

---

(١) جريس هالسيل، النبوءة والسياسة: ترجمة محمد السماك، دار الشروق،ط٢، ٢٠٠٣م، ص ٧٤.

(٢) الحاخام: كلمة عبرية معناها الرجل الحكيم، أوالعاقل. انظر الموسوعة اليهودية، للمسيري مجلد:٥ ص١٥١.

(٣) الشربيني، محمد إبراهيم، الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وعلاقتها بالصهيونية،دار التوزيع والنشر الإسلامية،القاهرة، ط١، عام (١٤٢٤) هـ، ص٣٠-٣١.

(٤) يهوذا والسامرة: هوالاسم الذي يطلقه اليهود على الضفة الغربية التي احتلوها في حرب الأيام الستة. انظر الأصولية اليهودية، إيما نويل هيمان: ص١٢٣.

(٥) الأصولية اليهودية: ايمانويل هيمان، الأصولية اليهودية: فرنسا إسرائيل الولايات المتحدة الامريكية، ترجمة سعد الطويل: مراجعة جمال الرفاعي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠١٢، ص ١٢٣..

الأصولية الذميمة في المجتمع الغربي[1]. ويقدس الأصوليون اليهودُ كثيراً من النصوص التي تُصادم العقل وتُناقض النَّقل، من ذلك مثلاً:

١- ما جاء في سفر «أشعيا»: **"٢٢ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ. ٢٣ وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لاَ يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ»**[2]. فهم يدللون بهذا على كونهم شعب الله المختار، المفضل على جميع الخلق.

٢- وجاء في التلمود[3]: أُقتل الصالحَ من غيرِ الإسرائيليين، ومُحرمٌ على اليهودي أن ينقذ أحداً من باقي الأمم من هلاك، أويخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك قد حفظ حياة أحد الوثنيين)[4] هذه بعض النصوص المقدسة المزعومة التي تفوح منها رائحة **العنصرية والقتل**، وغير ذلك من الصفات الذميمة.

الأصولية اليهودية المتطرفة

تُعَدُّ الأصولية اليهودية الأكثر دموية على الإطلاق، فهي تقوم على فكر الإقصاء، وعقيدة القتل، والعنصرية البغيضة والاستعلاء بالاستيلاء على حقوق وملك الآخرين. تبيح استخدام الإكراه في الدين، وكذلك الأسلحة المحرمة في سبيل تحقيق أهدافها الدموية. ويطلق اليهود صفة الأرثوذكسية المتطرفة على الذين لا يعترفون بالصهيونية العلمانية مثل حزب «أغودات يسرائيل» وحركة «نطوري كرتا» (حراس المدينة) وحزب «شاس» وغيرها. ولقد ظهرت اليهودية الأرثوذكسية رداً على اليهودية الإصلاحية لدرء الخطر الذي يمكن بزعمهم أن يهدد اليهود بالذوبان إذا ما استجابوا إلى دعوة الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، فدافعت عن تراث «الغيتو» اليهودي وعن

(١) مفهوم الأصولية الإسلامية عند الغربيين، عرض ونقد. ص: ٢٤. نقلاً عن مقالة سامي عبدالرحمن: الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي، مجلة التسامح الإلكترونية، مرجع سابق.

(٢) سفر أشعيا: ٤٩: ٢٢-٢٣)

(٣) التلمود: كلمة مشتقة من الجذر العبري: لامد، الذي يعني: الدراسة والتعليم. والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود. وهوالثمرة الأساسية للشريعة الشفوية، أي: تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة). انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري: مجلد ٥: ص١٢٤.

(٤) عادل هاشم موسى، اليهود بين القرآن والتلمود، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع ١٢٤، ص ٦١-٦٢ بتصرف.

فكرة الانغلاق، وعن الاختيار الإلهي، وحذّرت من مخالفة القوانين والتقاليد الدينية اليهودية، ورفضت جميع الإغراءات التي أفرزتها دعوة التحرير والمساواة التي تهدد خصوصية اليهود. ويعد الحاخام «شمشون رفائيل هيرش» (١٨٠٨-١٨٨٨م) من أوائل الذين عرضوا أفكار اليهودية الأرثوذكسية بصورتها الحديثة. وهنا أيضاً يظهر أثرٌ تاريخيٌ هامٌ يتمثل في حسن استغلال الظرف التاريخي من قِبَلِ اليهود، حيث استغلت الصهيونية خوف اليهود الأرثوذكس من الذوبان في مجتمعاتهم لتشجيع الهجرة إلى فلسطين التي باتت تضم أكبر تجمع يهودي أرثوذكسي في العالم، إذ تقدر نسبة هؤلاء بنحو ٤٠٪ من المستوطنين في فلسطين المحتلة. وتحمل هذه المدرسة عداوة عميقة للعرب مسيحيين ومسلمين، وقد كتب «بن غوريون» ذات يوم: «على اليهودي- من الآن فصاعداً- ألا ينتظر التدخل الإلهي لتحديد مصيره، بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية العادية مثل (الفانتوم والنابالم). كما أن الجيش الإسرائيلي هوخير مفسِر للتوراة»[١]. بهذه الكلمات يمكن تلخيص «أصولية» إسرائيل الإرهابية التي وضعت الدين اليهودي في خدمة السياسة الصهيونية الإمبريالية التي تدين واقعياً بدين الرأسمالية العملي. وتتبنى الأصولية اليهودية على اختلاف اتجاهاتها الإرهابَ عنصراً أساسياً في بنيتها ووظيفتها. وما المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في فلسطين المحتلة من «دير ياسين» إلى «المسجد الأقصى» إلى «الحرم الإبراهيمي»، ومن «بحر البقر» بمصر إلى «صبرا وشاتيلا» ومذبحة «قانا» في لبنان، سوى تعبير عن البنية والوظيفة هاتين، وفيما يلي بعض المظاهر التاريخية لهذه الأصولية الدموية:

- في عام (١٩٠٧) أسس المهاجرون الأوائل من جماعة (البيلو) منظمة (بيارجيو) وشعارها «بالدم وبالنار سقطت يهوذا وبالدم والنار تنهض ثانية»، وكان هدفها القيام بأعمال عسكرية ضد السكان العرب[٢].

- أما في عام (١٩١٧)، فقد شهد بداية النزوح إلى أرض فلسطين بعد الحصول على وعد «بلفور»[٣]، ودافعوا عن نزوحهم الغير شرعي بحرب العصابات، مقابل تدخل اليهود لدى الولايات المتحدة وجرها إلى الحرب مع الحلفاء في الحرب العالمية

(١) الشوافي، صفوت، اليهود نشأة وتاريخاً، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة، عام (١٤٢٠) هـ، ص٢٠.

(٢) محمود عبد المنصف، اليهود والجريمة، القاهرة، (١٩٦٧)، ص٧٨.

(٣) آرثر جيمس بلفور سياسي بريطاني. تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا من ١١ يوليو١٩٠٢ إلى ٥ ديسمبر ١٩٠٥. عمل أيضاً وزيراً للخارجية من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ في حكومة ديفيد لويد جورج. اشتهر بإعطاء وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين(١٩١٧) ،وكان من الصهيونيين المسيحيين، ادت لقاءاته مع هرتسل ووايزمان الى التقارب والانسجام، رغم انه كان من المعادين لليهود.

الأولى[1]. ثم تلاها الحرب العالمية الثانية التي كشفت نقاط ضعف وقوة الصليبية النصرانية، واليهودية الفاشية.

- أما عام (١٩٣٧) فقد شهد تكوين اليهود الأصوليين العصابات المسلحة، مثل عصابة «أرجون» التي قتلت اثني عشر عربياً في شهر أيلول.

- بينما في عام (١٩٣٨)، فقد قتلت فيه عبوة ناسفة (٢١) عربياً في السوق العربية في حيفا.

- أما في عام إنشاء دولة الاحتلال(١٩٤٨)، فقد كان جديراً بأن يكون هو عام نشأةِ الدولة الحلم، فقد حفل بالمزيد من مظاهر الدم، ولم يخل منه شهر واحد إلا وقد أُرِيقَتْ فيه دماء أصحاب الأرض، ولنبدأ بشهر إبريل حيث جرت مذبحة «دير ياسين» على يد بيجين وعصابتي (أرجون، وشتيرن) وقُتِلَ خلالها (٢٥٤) وفرَّ أكثر من (٣٠) ألف مواطن فلسطيني، وفي الشهر نفسه حدثت مذبحة «نصر الدين» التي أُبيدت فيها القرية بأكملها ولم يبق إلا (٤٠) فلسطينياً هم من تمكنوا من الفرار بعد تفجير المنازل بسكانها. ثم شهد الشهر نفسه مذبحة أخرى «صالحة» التي استشهد خلالها (٧٥) فلسطينياً، أما في اليوم الخامس من الشهر (١٩٤٨/٥/٥م) فقد قام المحتلون بارتكاب مذبحة «بيت الخوري» حيث جمع اليهود مجموعة من الشباب في مبنى يعود لعائلة الخوري من قرية ناصر الدين في قضاء طبريا، ثم صبوا البترول على المبنى وأشعلوا فيه النار، فاحترقت أجسادهم وهم أحياءٌ أمام من تبقى من شيوخ القرية الذين ساقهم اليهود لمشاهدة المنظر الإرهابي، ثم أطلقوا سراحهم ليُحَدِّثوا بما رأوا وشاهدوا. وفي اليوم السادس من الشهر الأليم قامت وحدة من الهاجاناه بارتكاب مجرزة جديدة ضد أحد القبائل التي أبدت مقاومة شديدة للاحتلال، مجزرة «عرب الصبيح» (١٩٤٨/٥/٦م)، حيث هاجمت وحدة مكونة من (٥٠٠) جندي مجهزة بجميع أنواع الأسلحة والذخائر القرية، وقامت بتطويقها من الجهات كافة، وبدأوا بالهجوم، وتصدى لهم رجال القرية، لكن لم يستمر القتال طويلاً، حيث انسحب المقاومون ما بين قتلى وجرحى. وتقدمت قوات الهاجاناه نحو منزل قائد المقاومة «علي النمر»، وأحرقوا المنزل بكل أثاثه ثم نسفوه بالمتفجرات، وتابعوا إلى وسط القرية فدخلوها بيتًا بيتاً، وهم يطلقون النار على السكان، فقتلوا النساء والأطفال والشيوخ بدم بارد، وكانت الحصيلة(١٩) قتيلاً. وفي اليوم الثاني عشر من الشهر قامت المنظمات اليهودية

---

(١) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص١٥١.

المتطرفة بقصف قرية «بريـر»، وحاصروا المدرسة والبيوت المجاورة لها، وقتلوا من وجدوه فيها، وكانت حصيلة المذبحة ٥٥ شهيدًا. أما في اليوم الخامس عشر من الشهر نفسه، فقد قامت وحدة من لواء «جفعاتي» اليهودي بالهجوم على قرية «أبوشوشة»، ما أسفر عن سقوط (٦٠) شهيدًا. بينما في اليوم الحادي والعشرين، حدثت مذبحة «بيت دراس» في غزة، فكانت حصيلة القتلى (٢٦٠) فلسطينياً أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ.

- أما عن شهر يوليو فقد شهد جريمة جديدة، حيث قُتل خلال مذبحة «اللد» حوالي (٢٥٠) مواطناً فلسطينياً، ثم شهد شهر أكتوبر مذبحة «الدوايمة»، والتي قُتل خلالها أكثر من (٢٥٠) شخصاً، ورَمَوْا بالكثير منهم في آبار البلدة أحياء، ومع نهاية هذا الشهر تحول (٩٠٠) ألف فلسطيني إلى لاجئين، وتم تدمير أكثر من (٤٠٠) قرية فلسطينية.

- أما في عام (١٩٥١)، فقد شهد مذبحتي «طولكرم»، ومذبحة «شرفات»، التي قُتِلَ فيها (١١) شهيداً، وشُرِدَ باقي أهالي القرية.

- في بداية (١٩٥٢) وقعت مذبحة «بيت لحم» والتي قُتِلَ فيها (١٠) شهداء.

- في فبراير (١٩٥٥) وقعت مذبحة «غزة» والتي قُتِلَ خلالها (٢٦) شهيداً. وفي منتصف أكتوبر (١٩٥٥) نظم الأصولي شارون مذبحة رهيبة في قرية (قبية) بعد اقتحامها في منتصف الليل، حيث تم نسف واحد وأربعين بيتاً ومدرسة، وجُمِعَ (٤٢) رجلاً وإمرأةً وطفلاً وتم قتلهم أمام السكان، ودُمِرَ خلالها (٥٦) منزلاً، وبلغ عدد الضحايا تسعة وستين قتيلاً فلسطينياً.[1] وخلال الشهر نفسه وقعت مذبحتان كبيرتان، مذبحة «كفر قاسم» والتي استُشْهِدَ خلالها (٤٨) شهيداً، ومذبحة «خان يونس» التي استُشْهِدَ فيها أكثر من مئة شهيد.

- في يناير (١٩٥٦) قامت فرق «شارون» الأصولية بقتل المدنيين على بحيرة «طبرية»، وكذلك بمذبحة قرية (السموع) التي قُتِلَ فيها أكثرُ من مئتي شهيد.

- في حرب (١٩٦٧) قام الأصوليون اليهود بمذبحة كبيرة للمرضى والجرحى في شرم الشيخ بعد انسحاب الجيش المصري من سيناء، وخلَّف العدوان أكثر من أربعة آلاف جندي على الجبهة المصرية وحدها. ثم قامت الدولة العبرية خلال

---

(١) وجيه ابوذكرى، الإرهابيون الأوائل، ص١٩٠.

الفترة ما بين (١٩٦٧ : ١٩٦٨) بقتل ألف أسير مصري، ودفنت الكثيرين منهم أحياء في صحراء سيناء.

- وفي (١٨/٨/١٩٦٩) تم إحراق المسجد الأقصى من قِبَلِ المتطرفين اليهود.

- أما في عام (١٩٨٢) فقد تصدر (شارون) المشهد في صبرا وشاتيلا في مذبحة استمرت طوال أربع وعشرين ساعة دون انقطاع ما أدى إلى قتل خمسة آلاف امرأة وطفل وشيخ ورجل من المخيمين.(١)

- بينما في عام (١٩٧٠) امتدت يد التطرف الصهيوني إلى مصر، حيث تم ضرب مدرسة «بحر البقر» الابتدائية ومصنع «أبوزعبل» بالطيران الإسرائيلي، ما أدى إلى استشهاد أكثر من مئة وخمسين تلميذاً وعاملاً مصرياً.

- خلال أعوام (١٩٧١-١٩٧٢-١٩٧٣-١٩٧٩)، تم اغتيال مجموعة من القيادات الفلسطينية على يد الموساد في بيروت وروما وباريس، ومنهم : وائل زعيتر، وغسان كنفاني، ومحمود الهمشري، وكمال عدوان، ومحمد النجار «أبو يوسف»، وعلى حسن سلامة، وغيرهم.

- أما عام (١٩٨٠) فقد شهد محاولة لنسف المسجد الأقصى من قِبل منظمة «كاخ» اليهودية المتطرفة، واكتشاف شحنة متفجرات زنتها مئة وعشرون كجم. وشهد العام الدموي عدة مذابح أخرى منها: مذبحة (داراس) حيث دُمِرَتْ القريةُ بأكملها وسقط فيها أكثر من ستين شهيدًا، ومذبحة (دير أيوب والرملة) وسقط فيها مئة وأحد عشرة شهيداً.

- أما في أغسطس(١٩٨٢) فقد شهد غزو لبنان واحتلال الجنوب، وارتكاب مذابح (صابرا وشاتيلا)، وقد استمر إطلاق النار فيها (٤٨) ساعة متصلة على المدنيين العزّل حتى سقط منهم (٣٥٠٠) شهيداً.

- وفي عام (١٩٩٠) كانت مذبحة الحرم القدسي الشريف التي خلفت أكثر من واحد وعشرين شهيدًا وأكثر من مئة وخمسين جريحًا، وتم اعتقال مئتين وسبعين مواطناً فلسطينياً.

- وعقبها بأربع سنوات فقط وقعت مذبحة أخرى داخل الحرم

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

الإبراهيمي، ففي(٢٥/٢/١٩٩٤) استُشْهِدَ تسعة وعشرون مصلياً في صلاة الفجر، وأُصِيبَ أكثر من مئة وخمسين آخرين، على يد المتطرف اليهودي «باروغ جولدشتاين»، ليرتفع عدد القتلى بعد ذلك إلى أكثر من خمسين شهيدًا. ثم مذبحة (قانا) في أبريل(١٩٩٥) التي قُتِلَ فيها مئة وخمسون فلسطينياً رغم احتمائهم بمكاتب الأمم المتحدة في لبنان، ومذبحة (جنين) في عام (٢٠٠٢) التي قُتِلَ فيها أكثر من مئتي فلسطيني[١]

- ثم اجتياح جنوب لبنان في شهر يوليو (٢٠٠٦) الذي دَمَّر معظم المدن اللبنانية الكبرى وقُتِلَ ما يزيد على (١٢٠٠) لبناني، تبعه في ذلك العدوان على غزة في ديسمبر (٢٠٠٨)، حيث تم قصف غزة الذي أسفر عن أكثر من ثلاثمئة وخمسين قتيلاً، وأكثر من ألف وخمسمئة جريح في أربعة أيام فقط. ثم تكرر العدوان على غزة، لكن هذه المرة كان برياً، ففي يناير(٢٠٠٩) تم الاجتياح البري لغزة، حيث وصل عدد القتلى لأكثر من ألف وثلاثمئة شهيد، والجرحى إلى أكثر من خمسة آلاف مصاب، ثم الهجوم على غزة مجدداً في العامين (٢٠١٢-٢٠١٤) وما زال القتل باسم الدين مستمراً.

من خلال الاستعراض التاريخي لمسلسل الدم الصهيوني الذي يصل إلى حد الاقتراب من جرائم النازية، نجد ما يدلل على أنها أصولية من نوع خاص جداً، متمركزة حول العرق، شديدة الكراهية للأجانب، وذات معتقدات وممارسات-يقول عنها «شاحاك»: «أنها أكثر تطرفاً حتى من تلك الأنظمة المُخْتَرَعة شمولية»، لذا يُطْلق عليها (النازية اليهودية)، صاحبة التأثير الأقوى في أوروبا والعالم، حتى تحول اليهود والأصوليون اليهود إلى مصاصي دماء لباقي الشعوب[٢].

إننا لوحللنا الأحداث التاريخية بعمق لوجدنا أن مأساة اليهود وجدت في إسرائيل الدولة نهاية حزينة لكون قادتهم قد استغلوا حالة التبرير الذاتي في خداع اليهود المهاجرين، وذلك بإغرائهم بالعديد من الوعود الحالمة التي لم تتحقق مثل: الأمن والرفاهية المعيشية المرتبطة بجودة الحياة. فيما تحمل اليهود الأوروبيون بهجرتهم إلى الوهم ثمناً باهظاً جراء تركهم لأرضهم وديارهم وأهليهم، وقاموا هم بلعب الدور الاقتصادي الذي اعتادوا على القيام به في الماضي، هذا المقابل إنما كان في سبيل تحقيق حلم الوطن القومي المزعوم لليهود[٣].

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٥:٢٢٧ بتصرف.
(٢) Holy war. Ibid. P412
(٣) Ibid.P411

ورغم الانقسام الواضح ورغم الصراع بين «الحريديمي» المتدين والعلماني، وإدارة هذا الصراع على أكثر من جبهة أهمها التعليم والسياسة والقضايا المجتمعية الأخرى، إلا أننا نجد أن مساحة الحوار بين العلمانيين والمتدينيين كبيرة، وكل محاور النقاش تدور حول تأكيد هوية المجتمع اليهودي خاصة مع تراجع الاعتقاد في الأيديولوجية الصهيونية بعد بناء الدولة.[١]

كما أنَّ أحكام «الهاخلاه» (القوانين الدينية اليهودية) - التي تتطلب إذعاناً كاملاً للشرائع- لا ترفض مبدأ الإكراه الديني للتوصل إلى السلوك المطلوب من «الكافرين بالدين». والصهيونية اليهودية التي انطلقت من أفكار الحاخام يهودا القلعي (١٧٩٨-١٨٧٨م) تمثل اليوم- على اختلاف منظماتها ضرباً من أصولية يهودية متطرفة قضت بأن الاستيطان في فلسطين واجب ديني. ثم تحولت إلى نوع من فلسفة شاملة على يدي أبراهام إسحاق كوك (١٨٦٥-١٩٣٥م) الذي أسس أول مدرسة صهيونية دينية في إسرائيل تخرج فيها آلاف من دعاة الصهيونية الدينية وعلى رأسهم زعماء «غوش إيمونيم». حيث شكل منتصف القرن الثامن عشر فرصة كبرى لتجمع الأصوليين اليهود في الوطن القومي الحلم، وذلك في أعقاب حرب (١٩٤٨)، حيث تزايد معدل الهجرات إلى الوطن المقدس، ورحل ما يقرب من سبعمئة وخمسين ألف فلسطيني هرباً من القتل والتشريد، ولم يُسمح لهم بالعودة حتى الآن. وتم استبدال المهاجرين الفلسطينيين (أصحاب الأرض) بوافدين إسرائيليين (مستوطنين) ليحلوا محلهم في أرضهم وديارهم[٢]، حيث كانت أول هجرة لليهود عام (١٨٨٢) م، فيما كانت هجرتهم الثانية في العام (١٩٠٢) من روسيا وأوكرانيا[٣]. وهنا أيضاً يبدو الأثر التاريخي واضحاً على مسيرة الأصولية اليهودية التي انتعشت في أعقاب حرب (١٩٤٨)، ثم تطورت تطوراً نوعياً كبيراً عقب انتصار حرب الأيام الست، حيث كانت الحافز المباشر لبزوغ نجم الأصولية اليهودية المعاصرة، وقد انتهت المرحلة الأولية من تطور الحركة بعد سبعة أعوام، عقب حرب أكتوبر «**يوم الغفران**» بقيام حركة «**غوش إيمونيم**». فيما يعد تأسيس الوطن القومي لليهود بحدودها التوراتية السببَ المباشرَ والملهم ليهود العالم على اختلاف مدارجهم وثقافاتهم وجنسياتهم، حيث استمر هذا السبب المحرك الفعلي للحركة الأصولية الصهيونية على الأرض التي استفادت من ترويج هذه الفكرة

(١) الأصولية اليهودية، مرجع سابق/ ١٢٦.
(٢) Ibid.p76
(٣) Ibid. P.86

بشكل كبير عبر العصور المختلفة، مستغلة نصوص التنبؤات الغيبية للتوراة أفضل استغلال، فتحصل به على الدعم المادي والمعنوي المطلوب. وتبلورت في قدوم آلاف من اليهود إلى فلسطين المحتلة. فالصهيونية استخدمت النبوءات من جهة، واستغلت عقدة الذنب لدى النصارى من الغرب والرغبة في التكفير عنها بالتعويض المادي والدعم السياسي معاً من جهة أخرى.

الأصولية اليهودية المعتدلة

لقد بزغت في مطلع القرن التاسع عشر اليهودية الأرثوذكسية التي ضمت تحت أجنحتها الحركة «الحسيدية» ومنها أيضاً خرجت متمردة عليها «اليهودية الإصلاحية» تتجسد لتيار التحرر والاندماج وكذلك ظهرت من نفس التيار «اليهودية المحافظة» في الولايات المتحدة في محاولة من اليهود الموجودين في الولايات المتحدة التوفيق بين وجود اليهود في المنفى وولائهم لدولة إسرائيل[1].

ثم شهد الدين اليهودي حركة إصلاحية في منتصف القرن التاسع عشر دعت إلى رفض التلمود من الناحيتين العقائدية والعملية، ونبذ فكرة انتظار المسيح الذي سيعيد اليهود إلى أرض فلسطين، كما دعت إلى عدم الاعتراف بوطن غير الذي ينتمون إليه بالولادة والهوية. إن هذه الدعوة أُجهِضَتْ لصالح انبعاث الحركة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل. كما أن هناك بعض القوى الدينية غير حزبية معارضة للصهيونية تقول بكفر الدولة وتدعو إلى الانعزال في «الغيتو»، منها الطائفة «الحسيدية» والطائفة «الحريدية» وجماعة «نطوري كرتا»، وهي حركات دينية غيبية تشيع فيها أفكار صوفية حلولية شبه وثنية لا تتطلب إعمال العقل أو الفهم، وإنما تتطلب الاستجابة العمياء. وقد صعدت هذه الحركات من حدة النزعة القومية إذ رأت أن الهجرة إلى فلسطين تمثل العلاقة بين خلاص الفرد وخلاص الشعب. ثم تطورت في أعقاب حربي (١٩٦٧م) و(١٩٧٣ م)[2]، وأضحت قوة سياسية وثقافية كبرى على الساحة الإسرائيلية. لقد كان لانتصار (١٩٦٧) بالغ الأثر المادي والمعنوي (الديني) في تأصيل مفاهيم دينية عدة عند الشعب الإسرائيلي - لاسيما المتدينين منهم -، مثل مفاهيم تتصل بفكرة آخر الأيام (احرييت هيماميم) ومفهوم (الخلاص)[3]، ينما ادت الهزيمة في حرب

---

(١) الأصولية اليهودية، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) الجماعات اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٣) تاريخ الفكر الصهيوني، مرجع سابق، ص ٦٥.

(١٩٧٣) إلى تأثير عكسي معنوي وإلى حالة من فقدان التوازن والإحباط داخل المجتمع الإسرائيلي خاصة على مستوى الجمهور المتدين، حيث توقف الشعور بالخلاص، لكنها لم تُوقف استمرار ظهور الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة كحركات سياسية دينية أصولية منظمة[١]. وجذبت إلى صفوفها العديد من الحركات والأحزاب العلمانية هناك. وتعتقد الجماعات الأصولية المتطرفة أنَّ أوامر التوراة - المحرفة- أهم من الديمقراطية أومن حقوق الإنسان التي لا تساوي شيئاً أمام الخطط الإلهية، مع التأكيد على الطموحات الدينية ذات القداسة العليا في «أرض إسرائيل الكاملة» وهوما بدا في حادثة اغتيال «رابين»، التي تُؤكد لجوء الحركة الصهيونية الأصولية المتطرفة إلى العنف في إطار سعيها لتحقيق أهدافها. حيث جعلت لها هدفاً أساسياً يتمثل في الضغط من أجل الاحتفاظ بكامل الأراضي المحتلة التي سقطت في قبضة إسرائيل، وكان مؤسسها الجنرال السابق «إبراهام يوف». كذلك نرى تعاليم زعيم حركة (جوش إيمونيم)[٢] الحاخام «إفراهام إسحق كوهين كوك» حتى وفاته عام (١٩٣٥)، والابن «تسفي يهودا كوك»، بمثابة الدليل والموجه لكل نشاطات الصهيونية الدينية الأصولية في إسرائيل. وفيما يلي محاولة للتعرف على أبرز الحركات الدينية الأصولية اليهودية:

حركة جوش إيمونيم (كتلة الإيمان)

وهي حركة فكرية، وظاهرة اجتماعية، وقوة سياسية تمثل التعبير الأكثر وضوحاً للراديكالية، وهذه الحركة تسعى لفرض وجودها، وقد أقامت حركة استيطان، وأوجدت قوة سياسية انضم إليها دينيون وعلمانيون من أجل هدف سياسي قومي مشترك، وهذه الحركة تمثل الفكر الأصولي اليهودي المعاصر، فيا يعدها الباحثون أنها أحد أهم أدوات التعبير المنظم عن الأصولية اليهودية، والتعبير الأوضح والأقوى عن الميول الأصولية في المجتمع الإسرائيلي، وقد تأسست عام (١٩٧٤) بعد صدمة حرب أكتوبر (١٩٧٣).

حركة كاخ

تأسست على يد الحاخام «مائير كهانا» في عام (١٩٧٣)، فهي حركة يمينة إرهابية متطرفة، تنادي بمبادئ عنصرية ومعادية للديمقراطية، وتدعم أعمال الإرهاب ضد العرب وتهدف لطردهم من دولة إسرائيل ولا تستثني من ذلك فلسطينيي (١٩٤٨)[٣]،

(١) الجماعات اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ٥٧.

(٢) الجماعات اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ص٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٧.

وقد تأسست حركة «كاخ هكذا» كامتداد لرابطة الدفاع اليهودية التي أنشأها «كهانا» في الولايات المتحدة عام (١٩٦٨).

جماعة آيال

تشكلت جماعة «آيال» -التنظيم اليهودي المقاتل-، من بعض طلاب جامعة «بار إيلان» الدينية في عام (١٩٩٢)، وزعيم تلك الجماعة هو «أفيشاي رافيف» وكان من أعضائها «إيجال عامير» قاتل رابين الذي تلقى بعض تدريبه في (الشين بيت). حيث يرى فيه العديد من الشباب اليهودي -معتدلين كانوا أم متطرفين- أنه الإطار الوحيد للعمل ضد حكومة (رابين) في ذاك الوقت، ويتزعم التنظيم (أفيشي رافيف)، عميل الشاباك.[١] وقد تجاوز إرهاب هذا التنظيم العرب ليصل إلي اليهود المعتدلين، فأطلقوا الرصاص علي «شولاميت ألوني» زعيمة حزب (ميرتس) اليساري، ما أدي إلي انسحاب عدد من المعتدلين منه، لذا يعد هذا التنظيم من أكثر الجماعات الإرهابية تطرفاً وعنفاً وعدوانية.

جماعات أنصار الهيكل

أما جماعات (أنصار الهيكل)[٢]، فقد قامت من أجل دفع فكرة إقامة الهيكل الثالث، وتبنت الجماعات نظرية (المراحل)، وعلى رأسها التعليم وتجديد خدمات الهيكل والشعائر الدينية وفي نهايتها إقامة الهيكل مكان مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى.[٣]

الأصولية اليهودية (الحريديم)

تُعَدُّ الأصولية اليهودية المفهوم المرادف للأرثوذكسية اليهودية التي يستند صدقها الأبدي إلي التلمود والشريعة لذلك فهي ترى أنه لا سلطة للعهد القديم إلا بعد تأويله وفقاً للتلمود، ولقد نشأوا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وبخاصة في مناطق أوروبا الوسطي وأوروبا الغربية. موطن حياة اليهود «الأشكنازيم»، وذلك كرد فعل عكسي للتغيرات التي هيمنت علي الحياة اليهودية.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) سبق تعريفها.

(٣) الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ص ١٠٩ -وسوف نتعرض لاحقا بالتفصيل لأهم الحركات الصهيونية.

علاقة الأصولية اليهودية بالدولة

لا شك أن الأصولية اليهودية قد لعبت دوراً بالغ الأهمية في نشأة المجتمع الإسرائيلي، فهي التي مهدت الأرض لصياغة ذلك المجتمع، وفقاً لمفاهيم وتصورات دينية متطرفة، لذا لابد من تحليل ظاهرة الأصولية اليهودية سيسيولوجياً، فضلاً عن دراسة كيفية توظيفها لتحقيق مآرب سياسية.[1] وعلى الرغم من تأكيد الباحثين على كون الأيديولوجية الصهيونية هي أكثر نماذج الاتجاهات العلمانية تطرفاً، فإنها قد استخدمت الدين بوصفها أحد أدواتها في جذب مؤيديها، فكانت مدخلاً مقبولاً لدى اليهود في الشتات. وقد تناول العديد من الباحثين تشريح تلك الأصولية[2]، حيث إن الدارس لمصادر العقيدة الدينية الإسرائيلية اليهودية عبر مراحل التاريخ يلحظ بوضوح فكراً أخلاقياً ومعتقداً دينياً وسلوكاً تطبيقياً في الحياة العامة، ويرتبط بمصدر ديني مكتوب «التلمود» يضاف إلى قداسة المصدر الديني «العهد القديم»، ومن هنا كانت قداسة رجال الدين المستمدة من تلك الكتب الدينية اليهودية تشمل التلمود فله مكانة القداسة التي تفوق العهد القديم «التناخ» عند بعض رجال الدين وبعض الفرق الدينية[3]، كما أن هناك بعض الكتب الخاصة مثل «الزوهر» عند اليهود المتصوفة.[4] ولقد أدّت القوى الصهيونية دوراً هاماً في عملية تهويد الدولة وجعلها دولة عنصرية، لا تلتزم بالمساواة وحقوق الإنسان، فهي تتبنى وتُشَرّع التمييز على أساس ديني، وتعطي امتيازات تشريعية لليهود والقيم اليهودية، وتعترف بمؤسسات عنصرية مثل: الوكالة اليهودية والصندوق القومي الذي يملك الأراضي ويستثني غير اليهود من ملكيتها. بل قامت بإصدار مجموعة من القوانين الأساسية التي تنم بصورة مباشرة عن روح عنصرية مثل قوانين العودة والجنسية وغيرها.[5]

المطلب الثالث: أبرز أهداف الأصولية اليهودية

تستمد الأصولية اليهودية حيويتها الأساسية من صميم أوضاع الاحتلال، وجراء

---

(١) أنبياء: إسرائيل الجدد: رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) الجماعات اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ص ١٥.

(٣) وهذا ينطبق مع المفهوم الغربي للاصولية تمام الانطباق.

(٤) أنبياء: إسرائيل الجدد: رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، مرجع سابق، ص ١٩.

(٥) Alan Dowty. Is Israel Democratic? Substance and Semantics in the Ethnic Democracy. and Ari Dayan. The Debate Over .6-Debate. Israel Studies. Vol. 4. No.2. 2000 pp.5 Zionism and Racism: An Israel View. Journal of Palestine Studies. Vol. XXII. No.3. Spring 1993. pp. 96 -105

عدم الثقة والعداء المتبادل التي تساعد أعمالها على التوالد. كل ذلك إنما يستمد حيويته من أهدافها العظيمة، ومن ضمن أبرز أهدافها المعلنة: بسطُ الحكم اليهودي على «أرض إسرائيل الكاملة» وإحلال نظرتها الجذرية الرؤبوية[١] إلى مصير اليهود محلَّ الصهيونية البراغماتية، فضلاً عن تعجيل عملية الخلاص التاريخية التي يقوم الشعب اليهودي ودولة إسرائيل فيها بدور مركزي[٢]، وتتقدم الأقليَّة الأصوليَّة نحوتحقيق طموحاتها القصوى ضمن نطاق السياسة الإسرائيلية ومن خلال عملها على نقض الاجماع الوطني على معنى القومية اليهودية وحدود دولة إسرائيل، الذي تكوَّن في العقدين الأوَّلين من تاريخ إسرائيل.[٣] ولم يقتصر حلم كهنة اليهود على العودة وانشاء الدولة، وإنما يمتد إلى تكوين إمبراطورية عالميةٍ واسعة الأرجاءِ بعيدة الحدود يكونون فيها سادةً والشعوب جميعاً عبيداً وتكونُ صهيونُ عاصمةَ العالم[٤]. لقد تطور هدف الأصولية اليهودية-بحسب الفترة التاريخية- قديماً كان الهدفَ تجميعَ اليهود من الشتات في مكان واحد (الوطن القومي) ضمن بدائل ثلاثة، ثم تطور هذا الهدف في العصر الحديث ليصبح الاستيلاء على أرض إسرائيل الكاملة التي ليس لها حدود معينة، ومن ثم يبرز هدف السيطرة على العالم بوصفه أحد أهم الأهداف الخفية الذي يُسَوَّقُ وسط غطاء عقدي مُحرَّف مُنحرف كما سنشرح لاحقاً.

اليهودية وعلاقتها بالصهيونية:

لقد زُرِعَتْ بذرة الأصولية اليهودية تزامناً مع تهجير اليهود عن فلسطين على يد البابليين في القرن السادس وعلى يد الروماني تيطس (٧٠ ب.م)، ثم إصرار النصارى على عدم رجوعهم إلى بيت المقدس إبان الفتح الإسلامي إلا أن ظهور أول منظمة رسمية ذات كيان إداري تهتم بهذه الفكرة كان في أغسطس (١٨٩٧)م في مدينة (بازل) السويسرية حين اجتمع (٢٠٤) من قادة اليهود، حيث تم انتخاب هرتزل رئيساً لها[٥]، بعد نجاحه في تجميع دهاة اليهود في العالم، حيث صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم، تم صياغتها على شكل بروتوكولات سرية أُفتُضِحَ أمرها بعد

---

(١) نظرة تنبؤية لما تنطوي عليه من أهوال يوم الحشر.

(٢) الأصولية اليهودية، مرجع سابق، ص ٧.

(٣) الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، ص٧.

(٤) انظر النصوص الواردة في سفر اشعيا(٦،٤٩) و سفر اشعيا (٦١،٦٦)

(٥) الصحفي اليهودي النمساوي الشهير ومنظر الحركة الصهيونية(١٨٦٠ - ١٩٠٤م)، أقام أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م، ونجح في تجميع يهود العالم حوله كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي «بروتوكولات حكماء صهيون»

ذلك،[١] وقد عُرِفَتْ بـ «بروتوكولات حكماء صهيون» وهي مستمدة من تعاليم كتب اليهود، ومنذ ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم، وأصبحوا يتحركون بدهاء وخفاء لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة في زمننا هذا[٢]. وقد كان للحركة هدف أساسي هوقيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض هرتزل السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإسقاط الخلافة الإسلامية،[٣] حيث ظهرت الصهيونية في أوروبا بوصفها حركة شاذة في تاريخ القوميات المعاصرة،[٤] وهي نظير للنازية إن لم تكن أخطر منها، لأنها - بوصفها حركة سياسية - تمكنت من تكييف نفسها ببراعة على نحوجعلها قادرة على الاستمرار في اكتساب تأييد الدول الغربية ومساندتها لمختلف استراتيجياتها.[٥] الأمر الذي مكنها من إنجاز مخططاتها الرامية إلى إقامة دولة يهودية تعمل على الاتساع تدريجياً، مستخدمة أبشع الوسائل وأكثرها قسوة تحقيقاً لأيديولوجية مرسومة[٦]. ذلك انطلاقاً من مقدمة تفترض وجود مشكلة اسمها «الشتات اليهودي» في العالم وتُعرِّضُه لخطر الاندماج والزوال ما لم يبادر إلى تركيز نفسه عن طريق الاستعمار البريطاني في رقعة أرضية تفي مساحتها بمتطلبات العدد السكاني لليهود ومقتضيات النموالمطرد؛[٧] لأنهم لا يمكن لهم الذوبان في مجتمعاته كون العلاقة بينهم وبين الأغيار علاقة «تضاد مبدئي»[٨]. واعلنوا أن هدف الصهيونية هوإنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام، وأوضح المؤتمر أيضاً مجموعة من الوسائل المترابطة من أجل الوصول إلى هذا الهدف:-

- تبني فكرة استعمار فلسطين من قبل العمال اليهود الزراعيين والصناعيين.
- الحصول على حق قانوني معترف به دولياً بشرعية استعمار اليهود لفلسطين.
- ربط المنظمة مع سائر اليهود بواسطة مؤسسات لهذا الغرض محلية ودولية.
- إقامة حكومة توافق على تنفيذ أهداف صهيونية.

---

(١) باخريبة، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) تاريخ الفكر الصهيوني، وحدة الدراسات السياسية، ص ٤١.

(٣) الصهيونية المسيحية، يوسف اجحا، مرجع سابق، ص ٤.

(٤) آرثر هارتزبر، الفكرة الصهونية، دار غرين وود للنشر، ١٩٧٠، ص١٥.

(٥) الزامل، ناصر بن محمد، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٦) مسعود كريم وخليل ابراهيم حسونة، الحركات الهدامة، ص ١٨٦.

(٧) وان سيجرن، ازمة الجنسية: إسرائيل والصهيونية، مؤسسة الجامعة، تورفتو، ملبورن، ١٩٨٠، ص٧.

(٨) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون الكتاب الثاني، ج ٣، دار الجليل للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٩٧٤، ص٨٨.

ولقد أشاع الصهاينة أنَّ اليهود يعانون من صنوف التفرقة العنصرية، من اضطهاد وعزل عن المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، لاعتبارهم من الدرجة الأدنى، وأن التاريخ اليهودي بعد تحطيم الهيكل على يد الرومان هوتاريخ «شعب مختار منفي»، مرتبط بأرضه، ينتظر دائماً لحظة الخلاص والنجاة، ويعلم دارسوالدين اليهودي جيداً أن الارتباط اليهودي بالعودة إلى الأرض المقدسة هوارتباط توراتي مشروط، إذ إن الدين اليهودي يُحَرِّم العودة إلى أرض الميعاد، ويعتبر مثل هذه المحاولة من قبيل الهرطقة، لأن عودة اليهود- حسب المعتقد الديني- لا يمكنها أن تتم الا على يد مبعوث من الله «المسيح المخلص»، وليس على يد حركة سياسية مثل «المنظمة الصهيونية العالمية» ولذا حينما ظهرت الحركة الصهيونية العالمية، عارضها الكثير من المنظمات اليهودية في العالم، وما تزال أقلية من هذه الجماعات تنادي بهذا المفهوم، مثل جماعة «ناطوري كارتا» اليهودية المتدينة والتي تتمركز في الولايات المتحدة[1]. ولعل هذا السببَ الأبرزَ لإحجام اليهود المتدينين عن المشاركة والتجاوب مع دعوات العودة، حيث يرونها تتعارض كلية مع المواثيق المفروضة بالتلمود، ومنها ما نص على عدم العودة إلا بعد عودة المسيح ثانية وكذلك النهي عن طلب الصلاة بقوة للتعجيل بقدومه، حتى لا يأتي قبل موعده المحدد، وبالتالي فقد فسر الحاخامات ذلك باعتبار الوجود في المنفى التزاماً دينياً للتكفير عن الآثام والمعاصي التي سببت لهم ضياع الأرض المقدسة[2]. ويتهمون من ينادي بالعودة قبل مجيء المسيح بالكفر. لذا فقد كتب «تسفى هيرش» في عام (١٨٣٧): «إن الله أمر اليهود بألا يقوموا أبداً بإنشاء دولتهم بأنفسهم ومن خلال جهودهم»[3].

ثم شهدت الفكرة تطوراً لافتاً في اتجاه العودة، حينما تعهد «بونابرت» لليهود في أوروبا بعد ثورة فرنسا بالحرية والمساواة والإخاء. فسمح لهم أن يخرجوا من المخيمات، ويتمتعوا بحرياتهم، كما منحهم حق الاختيار في الرجوع، إيماناً منه بأن ما حدث لهم ما هوالا عقاب حل عليهم بسبب خطاياهم، وأن المسيح سوف يأتي ويعيدهم إلى الأرض في يوم واحد[4]. ثم قام «هرتزل» بمناقشة خيارات إقامة الدولة اليهودية مع الحكومة البريطانية، ما بين (أوغندا والأرجنتين وفلسطين)، لكن نتيجة دعم «بلاكستون» الذي

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثالث، هيئة الموسوعة الفسلطينية، دمشق، ١٩٦٤، ص ٦٤.

(٢) الحروب الصليبية، مرجع سابق، ص ٦٥ نقلاً عن الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك، ص٥١.

(٣) المرجع السابق، ص٧١.

(٤) الصهيونية المسيحية، يوسف أجحا، مرجع سابق ص ٦.

كان في طليعة دعاة عودة اليهود إلى فلسطين وتأثيره على المجلس الأمريكي. فقد أقنعت الحركةُ البريطانيين بأهمية وجود الشعب اليهودي في منطقة الشرق الأوسط، لتكون الدولة الغربية الوحيدة في وسط الوطن العربي، التي تقوم بمساعدة بريطانيا في الحفاظ على مصالحها، وقدم تم التركيز على فلسطين نظراً لقداستها وموقعها المميز في قلب الوطن العربي، حيث وجدت الدول الغربية فيها ما يحقق المزايا التالية[1]:

- التخلص من الفائض البشري اليهودي المقلق، وزرع الفيروس التلمودي في قلب الوطن.
- السيطرة على الطرق التجارية بين أوروبا وشرق آسيا.
- تعزيز التفوق التجاري والبحري والعسكري بين الدول الأوروبية بعد تمزيق أوصال الخلافة الإسلامية، وبذلك تكون الحروب الصليبية التي استمرت ثلاثة عشر قرناً قد انتهت بعد أن مهدت لتربة خصبة لولادة فكر جديد.

* * *

---

(١) فريتح، فايز، المسيحية الصهيونية، دراسة تحليلية للحصول على درجة الماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح، غزة، (٢٠٠٥)مـ، ص٤٥.

المبحث الثاني

الأصولية المسيحية: نشأتها ومظاهرها وأبرز أهدافها

تُعدُّ الأصولية المسيحية ثاني أقدم الأصوليات الدينية التوحيدية- بعد الأصولية اليهودية- ولها سجل تاريخي حافل مع الأصوليات الدينية الأخرى، وقد بدأت الأصولية المسيحية قديماً مع تيارات التصوف والزهد التي انتشرت مع ظهور المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، إلا أن هذا البعد لم يلبث أن تحول مع سيطرة الكنيسة على أمور السياسة والحكم، مما أدى إلى انشقاقها مرتين، بين الشرق والغرب من جهة، وبين أنصار الكنيسة الواحدة-الغربية- مرة ثانية، وبدأ التحول الكبير في سلوك الأصولية المسيحية مع الهجمة الصليبية على العالم ذات المغزى السياسي، فلم يسلم من مذابحها مسلم أويهودي حتى النصارى في بيزنطة ذاقوا الأمرين من تلك الحروب المشؤومة، وخطت الأصولية المسيحية خطوات دموية فاشية طبقية من خلال محتكم التفتيش الاسبانية والرومية والبرتغالية التي لم تُفرِّق هي الأخرى بين دين وآخر فطالت أبرز عباقرة وفلاسفة الغرب بالذبح والحرق، في محاولة بائسة لكبح جمح التنوير والحضارة، وأخيراً فقد سلكت الأصولية المسيحية-الإنجيلية- سلوكاً خطيراً بتحالف بعضها من البروتستانت مع الصهاينة للقضاء على الأمم الأخرى خاصة العربية والإسلامية، كل ذلك تخلله محاولات حثيثة في تنصير العديد من رعايا الشعوب الأخرى مستغلة ظروفها الصحية والعلمية والاقتصادية. نناقش فيما يلي الأصولية المسيحية قديماً وحديثاً مستعرضين أبرز محطاتها التاريخية.

المطلب الأول: نشأة الأصولية المسيحية:

الديانة المسيحية هي[(١)]: ديانة أُسست على تعاليم الإنجيل وإرشادات المسيح عليه السلام، وتؤمن بالكتاب المقدس بقسميه (العهد القديم والعهد الجديد) بما فيها الأسفار المسطورة (المنحولة).[(٢)] التي أُنزلت على نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة

(١) موسوعة المورد العربية، البعلبكي، منير علي، ط١ (١٩٩٠)، المسيحية الصهيونية، فاخر شريتح، دراسة ماجستير غير منشورة، (٢٠٠٥) م

(٢) الاسفار غير الشرعية التي لم تضم التوراة المكتوبة بالعبرانية في عهد عزرا (٤٠٠ م ق).

من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، لكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً فسرعان ما فقدت أصولها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنيّة».[1] وتنقسم الكنائس المسيحية إلى أربعة طوائف: البروتستانتية، الكاثوليكية، الأرثوذكسية الشرقية (كنائس اليونان وكنائس الروم)، وهناك طوائف أخرى عديدة[2]، وتختلف هذه الطوائف فيما بينها بشأن العقائد والأفكار والممارسات الدينية، لكنهم يتفقون على أمور عدة مثل: صلب المسيح وقيامته، ذلك مما ذُكِرَ نصاً في قانون الإيمان المسيحي عام (٣٢٥)م[3]، وقامت الكنائس الإنجيلية المحافظة بتعديله في مؤتمر أمريكا عام (١٨٩٥) ليشمل أساسيات الإيمان المسيحي وهي: عصمة الكتاب المقدس، ألوهية المسيح، الميلاد العذري، نظرية الكفارة النيابية، قيامة الجسد، المجيء الثاني للمسيح بنفس الجسد. وهذه العقائد توسعت فيما بعد وتضمنتها كتاب «الأصوليات» في اثني عشر مجلداً[4]. كما سبق أن أوضحنا.

الأصولية المسيحية تاريخياً

ارتبطت بداية ظهور لأصولية المسيحية ونشأتها بالانشقاق الكبير الذي حدث في الكنيسة وأدى إلى انشقاقها إلى كنيستين ارثوذكسية شرقية وكاثوليكية غربية، وما تبعه من ظهور للعقيدة القويمة (الأرثوذكسية) في الشرق والعقيدة الشاملة (الكاثوليكية) في الغرب. وأدت الخلافات في الغرب إلى ضرورة إعادة تأسيس الكنيسة وبناء هرمها، ويعد القديس «أوغسطين» رائد هذا الاتجاه، فقد رأى في الكنيسة مؤسسة واجبة الوجود لتوزيع النعم الإلهية. وعزز البابا «غريغوريوس» الكبير (٥٤٠-٦٠٤م) السلطة النهائية للكنيسة. حيث تم وضع «العقيدة الشاملة»، فالعقل في خدمة الإيمان، فلا مسّوغ للعلوم- في نظرها- إذا لم تكن مفيدة لعلم الإلهيات وتفسير الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة، وتعليم أصول العقيدة. وظل عدم التوازن بين العقل والإيمان قائماً حتى القرن الحادي عشر الذي حاول فيه القديس «أنسلم» (١٠٣٣-١١٠٩م) إقامة نوع من

---

(١) المغلوث، سامي بن عبدالله، اطلس الأديان، القسم الاول، مكتبة العبيكان، (١٤٢٨)، ص ١٧٢، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والافكار المعاصرة، مرجع سابق،، ص ٥٥٧..

(٢) جون. لوريمر، تاريخ الكنيسة، دار الثقافة المسيحية، ج ٥، ص١٢٠.

(٣) الدين والسياسة في الولايات المتحدة، مايكل كوربت وجوليا ميتشيل كوربت، ترجمة: عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، ج٢، ط١، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص٦٤-٦٥..

التوازن بينهما. بحيث تفرض التوراة والأناجيل والكنيسة على الإنسانِ الإيمانَ بعقائد محددة مثل عقائد وجود الله (التجسد)، ومتى وُجد الإيمان مال الإنسان إلى تعقُّل العقائد والبحث عن موجباتها، فالإيمان يتطلب الفهم، وفهم العقائد عن طريق النقل هووسيط بين الإيمان المحض والمعاينة المباشرة للوجود الإلهي التي وُعد بها المصطفَوْن.

وفي القرن الثاني عشر ظهر «مصنفوالأحكام» الذين يعملون من أجل ضمان الوحدة الروحية للعالم المسيحي، وبإزائهم برزت صوفية «الفكتوريين» التي رأت أن المثل الأعلى للحياة الترهبية هوالعزوف عن مغانم الدنيا والتنسك وصولاً إلى الكمال عن طريق الفقر والعفة والطاعة. الأمر الذي وضع الكنيسة في مواجهة الرهبانية الصوفية التي تقف على النقيض منها.

في بداية القرن الثالث عشر صادق مجمع تورنتو (١٢١٥)م على وجهة النظر المؤيدة لسلطة البابوات، وبدت الأصولية المسيحية في أوج قسوتها، باعتلاء «إنوشنسيوس الثالث» كرسي البابوية، فأنشأ ديوان التفتيش لتطهير المجتمع من البدع والهرطقات، وأجاز رهبانيات الصدقة، كرهبانية البندكتيين والفكتوريين والحيلولة دون استقلال العلوم والفلسفة عن الكنيسة. وفي مقابل ذلك ظهرت الحركات المناهضة واشتد نفوذها في الأوساط الشعبية واتجهت جميعها إلى نفي سلطة الكنيسة ونفوذ البابوات، وتزامن ذلك مع ظهور أشكال التحرر الاجتماعي وازدهار حركة أدبية وفكرية عملت على إحياء تراث العصور القديمة، وكانت كلها تؤذن بقدوم عصر جديد «عصر النهضة».

أما في القرن الخامس عشر فقد بدأت في بريطانيا مع رجال دين وقساوسة وجنرالات في الجيش، وكان ذلك مع صعود بريطانيا كقوة عظمى، ومحاولة الاستفادة من الوجود اليهودي الذي كان يشكل قوة مالية في أوروبا فالمسألة بالأساس مسألة سياسية ولكنها غُلِّفت بأبعاد دينية، وسُميت بالصهيونية المسيحية الأولى،[١] حيث كان الملكين الاسبانيين الكاثوليكيين قد استصدرا مرسوماً بابوياً عام (١٤٧٨) بإقامة محاكم التحقيق والتفتيش لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس وإجبار المسلمين على النصرانية. وحين شارف على الموت أوصى عند موته لحفيده شارل الخامس: «بحماية الكثلكة والكنيسة، وأن يضطرموا في حماسة لسحق طائفة محمد»[٢].

أما الأصولية الإصلاحية التي أحدثت انشقاقاً جديداً في الكنيسة، فقد أطلقتها

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد عبدالله، عنان، دولة الإسلام في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان الاسرة، (٢٠٠١) ص ٢٣٩.

دعوة «مارتن لوثر» (١٤٨٣-١٥٤٦م) الذي ميز مجال الإيمان من مجال القانون. فكل مسيحي كاهنُ نفسه ولا حاجة إلى سلطة الكنيسة التي عليها أن تخلي المجال للسلطة الزمنية. فالكنيسة الحقة هي الكنيسة الخفية ورئيسها الأعلى هويسوع المسيح. الذي جاء بالإنجيل لكل الناس، ليفهمه كل مؤمن بحسب قدرته، لذا لابد من إشاعة التعليم وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات التي يتكلم بها المؤمنون. وإن العقيدة المسيحية هي التواضع والطهارة والتقوى، والمصدر الوحيد للسيادة والتشريع الروحي وللعقائد والعبادات هوالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، لأنه موحى به من عند الله، وليس تعاليم الكهنة. فألغت نظام الرهبنة والرتب الكهنوتية، وسمحت للقس بالزواج، واشترطت فيهم الكفاية الثقافية واللاهوتية والسيرة الحسنة، وعدّتهم موظفين في خدمة الرعية.

وقد استنكرت الكنيسة الكاثوليكية دعوة «لوثر» وحُكم عليه بالطرد من الكنيسة بعد أن اعتباره هرطيقاً في العام (١٥٢١)، وقضى بحرمانه ومطاردة مؤيديه. ومنذ ذلك الوقت، انقسم العالم المسيحي في أوروبا إلى قسمين: قسم كاثوليكي وقسم بروتستانتي. ودارت بينهما الحروب على مدار مائتي سنة تقريباً. وهي الحروب التي اُطلِقَ عليها (حروب الأديان) الشهيرة التي راح ضحيتها مئات الآلاف، حيث بلغت هذه الحروب ذروتها في فرنسا في الفترة الواقعة بين عامي (١٥٦٢-) .١٥٩٨وكان أن حصلت تلك المجزرةُ الشهيرةُ (سانت بارتيليمي)[١] التي ذهب ضحيتها أكثر من خمسة آلاف شخص خلال يوم واحد في باريس. وفر البروتستانت الفرنسيون إلى مختلف أنحاء أوروبا، بل الى مختلف أصقاع العالم. كان ذلك إبان عهد «لويس الرابع عشر» الملقب «بالملك الشمس» نظراً لسطوته وبطشه. وقد اعتذر البابا للبروتستانت في هذا العام عن هذه المجزرة، واعترف ضمنياً بالتعصب الكاثوليكي والأعمال الوحشية التي ارتكبوها بحق إخوانهم البروتستانت[٢].

ثم ظهرت الأصولية كمصطلح إنجيلي في عام (١٧٣٩)، كحركة بروتستانتية نشأت في أكسفورد في بريطانيا تحت اسم «النادي المقدس للدعوة إلى التمسك الحرفي بالتعليمات المسيحية».

ولقد عقدت حلقات ومؤتمرات للبروتستانت المحافظين، حيث نادوا فيه بالعودة

(١) تسب إلى جزيرة تابعة لفرنسا، تقع في البحر الكاريبي، مساحتها (٢١) كم٢.

(٢) صالح، هاشم، الأصولية المسيحية في الغرب:،محاكم التفتيش ذروة التعصب والعنف جريدة الشرق الأوسط، ع (٧٩٨١)،بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/٤

إلى الأصول. وفي أحد المؤتمرات -مؤتمر (نياجرا)- في سنة (١٨٩٥م) ميلادية أُعلِنتْ أسس الحركة الأصولية، لكنَّ الكنائس البروتستانتية انشقَّت في أوائل القرن العشرين، فصار أتباعها فريقين: الأصوليين، والعصرانيين.

في عام (١٩٥٧) تزايد عدد الأصوليين النصارى، حتى بلغوا في بريطانيا وحدها مليوناً ومائتي ألف عضو وأصبح لها رئيس وتنظيمات إدارية، ومن ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة، وكان من أهم مبادئها: التمسك الحرفي بتعاليم الإنجيل، ومن أهم ما تمسكوا به الدعوة إلى تنصير العالم: «اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها»[1].

وفي النصف الثاني من القرن العشرين برزت الأصولية الكاثوليكية التي كانت ترى في الكنيسة «شعب الله» وسعت إلى إقامة عالم كنسي مركزي (الفاتيكان)، وتضفي على البابا وعلى تعاليمه وتصرفاته صفة القداسة، وتغلق الباب في وجه أي حوار حول مسائل العقيدة أوالحياة الاجتماعية، وتقصر حق تفسير النصوص المقدسة على» الكورية» Coria البابوية ورجال الإكليروس، وتنسب إلى البابا والكرادلة والمطارنة صفة العصمة، وهي تتسم كغيرها من الأصوليات بالعودة والحنين إلى الماضي، وبالرغبة في فرض قانونها الديني، فضلاً عن تقديس رجال الدين.

المطلب الثاني: أبرز مظاهر الأصولية المسيحية:

لقد تأرجحت ظاهرة الأصولية المسيحية عموماً بين الإصلاح والجمود، بين الرجعية والتنوير، بين التشدد والتسامح، أما عن الجانب الإصلاحي للأصولية المسيحية، فيتمثل بعضه في تدين الأفراد وتصوف بعض الحركات الدينية، ثم الحركات التي قادت الفكر التنويري المعارض لفلسفة الكنيسة وتشددها، وأدت في النهاية إلى حركة الإصلاح الديني.ولقد سبق أن أوضحنا أن هناك من الأصوليات من يُحْمَدُ منتسبوها، كما في الأصولية المسيحية حين تتمسك بروح نصوص الإنجيل لا بحرفيته، وذلك إعلاءً لقيم الدين الذي يحض على التسامح والرحمة والمحبة والعدل، في ظل وجود تيارين منفصلين داخل المجتمع الكنسي، **الأول** يسمى بالتيار الإيماني الأصولي، أوالوجه الأول لتعاليم المسيح، **والثاني** هوالتيار العقلاني التحديثي، أوالوجه الآخر لتعاليم المسيح، ما دعا البعض إلى التساؤل: الإيمان أم العقل؟ وكأن صفة الإيمان تتعارض مع صفة

---

(١) العهد الجديد لمرقس، ١٦:١٥، متى: ١٩:٢٨، لوقا، ٢٤:٤٧

العقلانية والثقافة، ذلك ما دعا إلى توسيع الفجوة بين التيارين الأصولي والتحديثي لتَعَدُّد الأسئلة وتتوسع إلى مدى الولاء للكنيسة أم للوطن؟ وهل يوجد تعارضٌ بينهما؟[١]. لَذا يبدوذلك واضحاً في سلوك المسيحي المتدين، وكذلك في سلوك الكنائس المحافظة، فمن هذه الكنائس مَنْ تصدَّى لفضح الأصولية الإنجيلية كما سنوضِّحُ لاحقاً، أما من اعتمد على نصوص محرفة، أوتقاويل لا تستند إلى مرجعيات سليمة فينتج عنها التطرف والعنصرية والطائفية البغيضة كما بدا لنا في محاكم التفتيش وفترة الحروب الصليبية، ما يشار له بالأصولية البغيضة، ويتميز الأصولي المسيحي بصفات مميزة عن غيره من بني جلدته سواء بالسلب أم بالإيجاب، فهومنعزل ومنتمٍ لجماعته أكثر من دينه، قليل الضحك، كما سنوضِّحُ فيما يلي:

العزلة والانتماء

إن من أبرز مظاهر التدين المنتشرة في الكنائس العزلةَ عن المجتمع والتقوقعَ على الذات بما في ذلك الانقطاع عن العالم، لاعتقادهم أن العزلة تقربهم إلى الله، لكون العالم رمزُ الشر والسماء رمزُ الخير ولفظ «العالم» الذي تطلقه الجماعات المسيحية على كل ما لا ينتمي إليهم، وهوأيضاً لفظ من ألفاظ الكتاب المقدس[٢]. حيث تشعر الجماعات المنعزلة بإحساس الصفوة الروحية والخيرية عن الآخرين الذين لم يحذوا حذوهم. أي هوتمايز الجماعة الاعتقادية عن غيرها في الأيديولوجية والشعائر والسلوكيات[٣].

الطاعة والديمقراطية:

ترى «مادلين تادرس وآخرون» أن فكرة الطاعة المطلقة للقادة التي هي من طاعة الإله، إنما هي محصلة لتراكمات قرون طويلة، ساعد الدين على تعزيزها، وأيُّ اختلاف في الرأي عن القائد الديني يعتبر زندقة، بل أصبح قياسُ التقوى بالطاعة العمياء، والعلمُ بالتمسك بالسلف الصالح (الدين بمنقول وليس بمعقول)، ويصبح قياس الإيمان بمدى غياب حرية وإرادة الفرد والجماعة، وهذا يقودنا إلى نظرية الحق المطلق للقائد الديني المتمسك بفروض الطاعة، رغم أن الحق كلمة في حد ذاته، ذلك أن المولى جل جلاله في حد ذاته مطلق، لكن الذي يحمل هذا الحق هوالنسبي (الإنسان) كما يشير

(١) الأقباط بين الأصوليةَ و بين التحديث، مرجع سابق، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠.

القس «إكرام لمعي»[1]، أما «يونان رزق»[2] فإنه يصف التعصب بأنه ليس انحيازاً للدين الذي تعتقد فيه جماعة المتعصبين فحسب، وإنما يصاحب ذلك شعور بالصحة المطلقة لما يعتقدون به في مقابل الخطأ المطلق لما يعتقد به الآخرون، ما يقودهم إلى رفض الآخر ليس فقط في شؤون العقيدة، إنما لغيرها من الأمور، لذلك تغيب كلمة «الديمقراطية» من القاموس الديني، فالطاعة لله مطلقة، وللذين يمثلونه على الأرض أيضاً، وكلمة «لا» غائبة عن قاموسه، وهذا الفكر موجود في كل فكر أصولي مسيحي أوغير مسيحي.

الجهل والثقافة:

يُقصر «قاسم أمين» في كتابه (المصريون)، سبب انهيار الكنيسة الأوروبية في العصور الوسطى، على محاكم التفتيش التي نتجت عن إلغاء الكنيسة للعقل البشري «آمنُوا ولا تجادلوا»، وتؤيده في ذلك «تادرس»: «إن الثقة العمياء إنما تكون بالله فقط، ولكن الثقة بالقساوسة ينبغي أن تكون مفتوحة العينين، كما أن الثقافة والجهل هما اللذان يلغيان العبودية الفكرية، أما الجهل فهوالذي يخلق التبعية المطلقة لبشر يصيبون ويخطئون.»[3] ونعود لقاسم أمين الذي يقول «إن تعصب أهل الدين وغرور أهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم ولكن أي علم، هل نتحدث عن العلم باللاهوت، أم العلم عامة؟»[4] ويقول القس «فايز فارس»[5] نقلاً عن أحد القادة الأمريكيين[6]: «إننا نعلم ارادة الله عن الطريق الكتاب المقدس و«النيويورك تايمز»، ذلك أننا لا نستطيع أن نفصل بين رسالة الكتاب المقدس وبين واقع حياتنا والأحداث الجارية حولنا». ومن قصص اللا معقولية تلك، قِصَّةُ القائد الديني الذي يسير خلفه

(١) لمزيد من التفصيل في هذه النقطة: يمكن الرجوع الى المرجع السابق للتعرف على اراء، قاسم امين، إكرام لمعي، رفيق حبيب، يونان لبيب رزق، مكرم نجيب.

(٢) مقال ماذا جرى لمصر، ص ١٥٨، نقلاً عن المرجع السابق، ص٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣.

(٤) أمين، قاسم، الأعمال الكاملة، بدون ناشر، ص ١٣٩، ضمن كتاب الأقباط بين الأصولية والتحديث ص٥٥.

(٥) القس الدكتور فايز فارس راعى الكنيسة الإنجيلية بالمنيا ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية الأسبق، ولد بملوى عام ١٩٢٩ وتخرج من كلية اللاهوت الإنجيلية فى ١٩٤٨ وكان اول قسيس مصرى إنجيلى يدرس دراسة جامعية .نال الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة سان فرنسيسكوا بأمريكا عام ١٩٨٠ كان عضوا باللجنة الاستشارية الدولية للعلاقات بين الكنائس وممثلاً للشرق العربى (١٩٥٩ – ١٩٦٢)وعضواً باللجنة المركزية لمجمع كنائس الشرق الادنى وعضوا باللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٧٤ – ١٩٧٨ .ومستشار للجنة أبحاث الشرق الأوسط بنفس الجامعة .له العديد من المؤلفات فى اللاهوت والعقيدة والأخلاق المسيحية والتفسير .ومن أهم مؤلفاته الدليل الروحى للأسرة المسيحية، والمسيحى ومشكلات الحياة المعاصرة والمسيحية والصحة النفسية والقديس مرقس الإنجيلى والكنيسة التى أسسها فى مصر .

(٦) فارس، فايز، الاقتراب إلى الله، دار الثقافة، القاهرة، (١٩٩٧)، ص٦٠.

الآلاف من الأقباط معظمهم من النساء، وقد ذهبت إليه إحداهن ليصلي لها صلاة شخصية، فإذا به يحتضنها ويضع رأسها على صدره، فاضطربت السيدة، ورفضت هذا التلامس الجسدي، فكان من نصيبها اللوم من أتباعه، الذين رأوا أنها بلغت من الخطيئة والإثم لدرجة أنها لم تستطع ملامسة القائد المملوء من روح الله، إنه التعصب المقيت الذي يقبل كل شيء[١].

فقه النكد:

يرى «فرج فودة»[٢]: أن المتدين المتعصب كلما رأى فرحة أوبسمة فوق شفاه الناس، قال إن المتسبب في هذا كفر وضلال، الموسيقى، الغناء، الفن بأنواعه كالمسرح والسينما، كلها أشياء يوجه إليها المتعصبون من جميع الديانات أقذعَ الاتهامات بدءاً بالكفر والإلحاد وانتهاء بالشياطين والأرواح، بالإضافة إلى صبغ المتدين وجهه بالتجهم والعبوس والابتسام المصطنع دليلاً على علامات التدين والإيمان. ويقول أحد المستشرقين «أنه لا يستطيع التمييز بين المسيحين الأقباط والمسلمين في مصر سوى من خلال تقاسيم وجه الاول المتجهمة المكتئبة». فالاكتئاب والتجهم والانحناء والسلبية أصبحوا جزءاً من الشخصية القبطية[٣]، فالأصوليون المسيحيون حينما تدخلوا في الثقافة والفكر، وُجِدَتْ محاكم التفتيش قديماً، وحُرِقَتْ الكتبُ والاشخاص المخالفون في الرأي، وهذه العقلية هي التي تغذي النزعات الانفصالية والانعزالية عن المجتمع والكنيسة[٤].

الأصولية المسيحية البغيضة

لقد ظهر الوجه القبيح للأصولية المسيحية في الحروب الصليبية ضد المسلمين واليهود التي خلفت الآلاف من الأبرياء خلال العصور الوسطى، كذلك من خلال محاكم التفتيش التي حاربت التجديدَ والعَصرنة، ورفضت التقدم العلمي، واضطهدت العلماءَ والمفكرين، وبدت فيه أصولية دولة دموية رجعية متزمتة، وجابهتها أصولية إصلاحية جاءت من رحم محاكم التفتيش والحرب على العلم، فظهرت حركةُ التنوير، والفلسفات المضادة لأفكار الكنيسة الغربية، التي شوَّهت الدين نفسه، وجعلته يضطهدُ

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢) فودة، فرج، وصف مصر، ص ٥٩

(٣) المرجع السابق، نقلاً عن كتاب وليم الابن، ص ٥٤٦.

(٤) المرجع السابق

ويقهرُ العقول، لاعتقادهم بأنه يهدد الإيمان بالصحة المطلقة للكتاب المقدس. وأسهمت رَدة الفعل هذه في زيادة الهوَّة بين الدين والعلم. وقامت الكنيسةُ بترسيخ هذا المصطلح في الوعي الأوروبي، وأرادت تعميمه على كل دين ومِلّة، بهدف تشويه النظرة إلى العقائد، بغضِّ النظر عن الاختلاف والتنوع في أفكارها ومقاصدها. وفيما يلي مناقشة لأبرز مظاهر الأصولية المسيحية قديماً:

المطلب الثالث: أبرز مظاهر الأصولية المسيحية البغيضة (العصور الوسطى ومحاكم التفتيش)

بجانب الحروب الصليبية، تُعَدُّ محاكمُ التفتيش سيئةُ السمعة أسوأَ مثال للأصولية الدموية العنصرية المتعصبة، فقد أُنشِئَتْ هذه المحاكم في أوائل القرن الثالث عشر بقرار من البابا «جريناور التاسع» وذلك عام (١٢٣٣) [١]. واستمرت حتى القرن الثامن عشر ،بهدف محاربة الهرطقة في أنحاء العالم المسيحي. وقد كُلِّفَ بها رجال الدين في مختلف المحافظات. وكان يُساقُ الناسُ إلى محكمة التفتيش- ولوعلى سبيل الاشتباه- كما يحدث حالياً بقوانين الطوارئ سيئة السمعة-، وكانوا يُكرِهُونهم على الاعتراف تحت التعذيب، فكان الكثيرون ينهارون تحت وطأة التعذيب، ويعترفون بذنوب وهمية ويطلبون التوبة. ومنهم من كان يُبَرَّأُ ويُخْلَى سبيله، وبعضهم كان عرضة للشك في توبتهم واعترافهم، فيعاودون الكرة عليهم حتى ينهاروا كلياً. أما الذين كانوا يتمسكون بأفكارهم ولا يحيدون عنها، فالمحرقة مصيرهم، ومن أشهر الذين ماتوا حرقاً المصلح التشيكي المشهور (جان هوس) [٢] وكان راهباً مشهوراً بإخلاصه وتقواه. ولكنهم انتقموا منه، لقيامه بكشف العديد من التجاوزات التي ترتكبها الكنيسة بخروجها عن مبادئ الدين. بالإضافة إلى قيامه بالتنبيه إلى انحراف بعض القساوسة والمطارنة عن واجبهم الحقيقي واهتمامهم بمصالحهم الشخصية واستغلالهم المادي للناس البسطاء، ورغم اعتناق العديد من المسلمين المسيحية كرهاً، إلا أنه قد تم طرد المسلمين العرب من إسبانيا الكاثوليكية المتشددة [٣]، كما أنشأوا لجنةً خاصةً لتحريم

(١) الأصولية المسيحية في الغرب: ،محاكم التفتيش ذروة التعصب والعنف مرجع سابق.

(٢) جان هوس (١٢٧١-١٤١٥م)، كان راهبا تقيا وعميدا لجامعة براج. وقد سبق لوثر الى الاصلاح الديني بحوالي المائة سنة. ولكنه جاء قبل الاوان كما يقال ففشل وقتل. وأما لوثر فجاء في اللحظة المناسبة ولذلك نجح. وهناك علاقة وثيقة بين افكارهما الإصلاحية ان لم نقل الثورية.

(٣) جاكلين مارتان باجنوديز: محاكم التفتيش، الاسطورة والحقيقة، باريس.١٩٩٢ ص٩٨ وما بعدها (بتصرف).

الكتب والفاتيكان[1]، لتتمكن من ملاحقة الكتب الفلسفية أوالعلمية التي يشتبه فيها أوفي انحرافها عن العقيدة المسيحية الصارمة. هكذا حُوربت كتبُ «جاليليو»و«ديكارت» و «سبينوزا» و «ديارو» و «جان روسو» و «فولتير» وغيرهم كثير. وكان الفلاسفة يطبعون كتبهم في هولندا- الأكثر حرية في ذلك العصر - ثم يدخلونها خلسة أسفل المعطف إلى فرنسا. وقد نشر المؤرخ الأمريكي المعاصر (روبيرت دارنتون)[2] عدة أبحاث حول موضوع الكتب المحرمة وكيفية إدخالها سراً إلى المملكة الفرنسية ولقد مَثَل أمام محاكم التفتيش الفيلسوف الإيطالي (جيوردانوبرينو)[3] والعالم الشهير «جاليليو»، بل إن «كوبرنيكوس» القائل بدوران الأرض حول الشمس لم ينج منها إلا بسبب حذره الشديد. فقد أجَّل نشر كتابه الذي يحتوي على نظريته الجديدة حتى يوم وفاته بالضبط، لكن لم يكن «برينو» أسعد حالاً من معلمه، بل تم ملاحقته بسبب تعلقه بالأفكار الفلسفية وتبنيه لنظرية «كوبرنيكوس»[4] حتى غُدرَ به أثناء هروبه في إيطاليا، وتم تسليمه إلى الفاتيكان، فقطعوا لسانه وأحرقوه. وأما في القرن الثامن عشر فقد اندلعت المعركة بين فلاسفة التنوير وبين زعماء الأصولية المسيحية. وما حدث للأب«ألفريد لوازي»[5] الذي تزعم الحركة الحداثية في فرنسا، (le modernisme) حيث فُصِل من مناصبه الجامعية بسبب آرائه، حينما حاول تطبيق المنهج التاريخي على النصوص المسيحية الأساسية وأضاءها من الداخل بشكل لم يسبقه إليه أحد. وأثبت أن عيسى (عليه السلام) هونبي فقط (عبد الله ورسوله)، ولا يتصف بصفة الألوهية التي

---

(١) انشأ مكتب خاص لتحريم الكتب في الفاتيكان في القرن السادس عشر. ولم يلغ هذا المكتب الا عام ١٩٦٥ ،فالفاتيكان كان يمنع المسيحيين من قراءة الكتب التي يعتبرها ضارة بالعقول أوخطر على العقيدة. مثل معظم الكتب الفلسفية والعلمية. التي أصبحت مباحة فيما بعد على اثر انتصار العصور الحديثة على العصور القديمة. ولم يعد أحد يعبأ برأي الفاتيكان فيما يخص هذه النقطة، اللهم الا بعض المسيحيين المتزمتين.

(٢) يمكن الاطلاع على كتب هذا المؤرخ المعروف. للتعرف على كيفية تحريم ومنع الكتب في اوروبا خلال العهد القديم، . (روبيرت دارنتون: النشر والعصيان، مناخ الادبيات السرية في القرن الثامن عشر، منشورات جاليمار، اووا)

Robert Darnton: Editiou et sedihou: l'uniuers de la lilterature clandestine au xviiie siecle Galliward.(1991).

(٣) جيوردانوبرينو: (١٣٧١-١٤١٥) فيلسوف ايطالي شهير. كان راهبا ثم انتقل من الدراسات اللاهوتية الى الفلسفة. وقد اعتنق نظرية كوبرنيكوس عن دوران الارض على الرغم من انها كانت محرمة من قبل رجال الدين آنذاك. ولذلك لاحقوه وقبضوا عليه ثم سجنوه لمدة ثماني سنوات. وبعدئذ قطعوا لسانه واحرقوه بتهمة الكفر.

(٤) ترجع شهرته إلى تبنيه فكرة وجود الشمس وليس الأرض كجسم ثابت في مركز المجموعة الشمسية - نظرية العالم المعروفة وقتها - على أن تتحرك الأجسام الأخرى حولها.

(٥) الفريد لوازي: (١٨٥٧-١٩٤٠)، كاهن فرنسي، كان زعيما للتفسير الديني الحديث في فرنسا واستاذا لشرح الكتاب المقدس في المعهد الكاثوليكي بباريس. ولكنهم فصلوه من منصبه بتهمة الزندقة فعين استاذا لتاريخ الأديان في الكوليج دوفرانس، وهي أعلى مؤسسة علمية في فرنسا.

تتجاوز النبوة كما يزعم المسيحيون. فقامت الدنيا ولم تقعد، فترك باريس وهاجر إلى الريف وحيداً ومنبوذاً ثم أصدر البابا قراراً بتكفيره وفصله من الكنيسة عام (١٩٠٨).

المطلب الرابع: التبشير (التنصير) في الأصولية المسيحية

يعد التبشير أوالتنصير أحد أبرز مظاهر الأصولية المسيحية الإصلاحية والدعوية قديماً وحديثاً، ولا يخفى على أحد ذلك التوسع في النشاط التنصيري في البلدان العربية والإسلامية حتى وصلت إلى بلاد الحرمين الشريفين، باعتبارها البلد الذي لا يجتمع فيه إلا دين واحد طبقاً لما ورد في السُنَّة المُطهَّرة، ويسعى التنصير في الأساس إلى إبعاد المسلمين عن دينهم وإفقادهم لهويتهم حتى يصبحوا فريسة سهلة مستساغة يمكن السيطرة عليها. وبالفعل تمكَّنوا من تحقيق العديد من النجاحات، مستغلين في ذلك بعض الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها الأمة، من انتشار ثلاثي للفقر والجهل والمرض، فضلاً عن زيادة النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين، في ظل ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم أوييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أونفاقاً لهم، بعد أن وُجِهّتْ جحافلَ جيوشها المتسلحة بأحدث الأسلحة الفتاكة فكرية كانت أم مادية، من أجل القضاء على أية محاولة لاستنهاض هذه الأمة وابتعاث حضارتها.

مفهوم التبشير (التنصير)

التَنَصُّرُ في الاصطلاح[1]: حركة دينية سياسية استعمارية، جاهدة لتبديل دين البشرية إلى المسيحية. بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية (١٠٩٧-١٢٩٥م)، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة وبين المسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب. وقيل: هي دعوة إلى دين النصرانية ونشر عقيدته في جميع انحاء العالم باستخدام وسائل وأساليب معينة تستغل بعض الظروف فيها[2]: وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: «عمل دَعَوِيّ مُوجَّه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح». والكنيسة ترى أنَّ التبشير «حقٌ إلهيّ» وتُصرّح أنَّ «من واجبها ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب

---

(١) صديق، يوسف محمد، التنصير: تعريفه وأساليبه وأثره (٢/١)، مقالة منشورة على موقع اخبار الكنيسة.
http://churchnewss.blogspot.com/200912//blog-post__24.html

(٢) محمد عثمان صالح، النصرانية والتنصير، ام المسيحية والتبشير، ص ٣١.

المناسب لكل مجتمع».[1]

النشأة والمظاهر:

وكانت بداية التبشير التاريخية في عام (١٦٢٢)، حيث استُحدث «مجمع تبشير الشعوب» في الكوريا الرومانية لدعم وتشجيع عمليات التبشير، حيث تُعدُّ آسيا - ما عدا روسيا والفلبين - من بلاد الرسالات أما سائر المناطق فلا تتبع لمجمع تبشير الشعوب، خصوصًا بعد تثبيت المسيحية في إفريقيا. حيث ازدهرت عقب الحرب العالمية الأولى خاصة في الفترة من عام (١٩٢٠) م إلى عام (١٩٣٠) م، حين اتحدت مختلف التيارات المسيحية لتخليص المدارس والكنائس من المدرسين والرعاة الذين يدافعون عن التطور، ولمحاربة تدريس الدّارونيّة في التعليم العام.

أبرز أساليب التنصير:

لقد استخدم المُنصِّرون وسائل صريحة وأخرى خفية للوصول إلى غاياتهم، وبعضها تقليدية وأخرى حديثة، وقد أوصلها بعضهم إلى (٧٠٠) طريقة. حيث كان من أبرز تلك الوسائل وأظهرها وأوضحها التنصير الصريح، وهوعلى نوعين[2]:

١- التنصير العلمي القائم على النقاش، أوعلى السفسطة والتشكيك.

٢- التنصير القسري، ويتمثل في فترة الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال، والقرصنة البحرية، والاحتلال أوالاستعمار.

وهناك وسائل فرعية أخرى نذكر بعضاً منها بإيجاز:

تستخدم وسائل فرعية عدة من قبل المنصرين من أبرزها وسيلتا التعليم والإعلام، وسيلة التطبيب والإغاثة والخدمات الإنسانية. بالإضافة إلى وسيلتي الاستشراق والتبادل الثقافي والحوار، وأخيراً وسيلة نشر الصُلبان في كل مجال وفي كل ميدان، خاصة عند المشاركات الرياضية والفنية. ولقد ذكر «المستر هاربر»: يجب الإكثار من الإرساليَّات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين»[3].

---

(١) وكيبيديا، الموسوعة الحرة، قسم التبشير.

(٢) التنصير: تعريفه وأساليبه وأثره (٢/١)، مرجع سابق.

(٣) مؤتمر المبشرين بالقاهرة (١٩٠٦)مـ،، عقد في منزل عرابي باشا بباب اللوق، والذي دعا إليه وترأسه اللاهوتي الأمريكي «وزيمر» بهدف توحيد جهود الإرساليات التبشيرية البروتستانتية، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، حضره (٦٢) شخصاً ما بين رجال ونساء.

لقد اهتم المُنصِّرون بالمعرفة والتعليم: فبنوا المدارس والجامعات ورياض الأطفال، ودبروا فرص المنح الدراسية الغالية في أحضان جامعات الغرب، فتأثَّرت عقلية ونفسية أبناء المسلمين، فعادوا إلى أوطانهم بدناء متعكِّرين مشوشين بالثقافة الغربية. وأُنشِئَت المكتبات التبشيرية وأصبحت الصحافة التلفزيونية والإذاعة في كثير من الدول الإسلامية حصرية عليهم من غير رقيب فتمكنوا من نشر المجلات الإباحية والكتب العابثة والبرامج التلفزيونية الفاسدة، الجاهدة على إفساد المرأة المسلمة ومحاربة اللغة العربية، كما أقاموا المراكز والدور لتوزيع الكتيِّبات في شتى الموضوعات، وقد طبعوا في عام (٢٠٠٠)م وحده ما يناهز (٨٨٦٠٠) كتاب، فضلاً عن طباعة (٥٣) مليون نسخة من الإنجيل، يُوزَّعُ غالبها على المسلمين مجاناً[1]. كما وزَّعوا خلال السنوات الماضية ما يزيد عن ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد مترجمة إلى (١١٣٠) لغة عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها بما يقدر بـ (٧٠٠٠) مليون دولار[2]. وعن التنصير في مصر يذكر «خالد المصري»: «أما الكنيسة الإنجيلية فقد أقامت مدينة رياضية في مدينة (٦ أكتوبر) المصرية، كلفت (٢٥) مليون جنيها»

ويضيف: «إن التنصير نشط في العالم العربي والإسلامي بدرجة لا يتصورها عقل في العشر السنوات الأخيرة إذ ارتبط باحتلال أمريكا للعراق وأفغانستان حيث رافق جيش الاحتلال جيش آخر من المنصرين تعدى الـ(١٣) ألف مُنصِّر في العراق والـ(٩) آلاف منصر في أفغانستان كما ارتبط التنصير بحرب دارفور في السودان بين الشمال والجنوب، وارتبط كذلك بتسونامي الكارثة التي حدثت في شرق آسيا تحت مظلة المساعدات الاجتماعية والطبية[3]. وقد أعلن أكثر من كاهن يتبع الكنيسة المصرية مثل القمص «مرقس عزيز» أن التنصير حقٌّ مكفولٌ لكل كاهن مصري، بل تطور الأمر للحد الذي جعل الكنيسة المصرية لا تخشى أحداً وتعلن ذلك على الملأ[4].

إن من أهم العوامل التي نشأ وترعرع فيها التنصير بين أحضان الأمة عاملَ الفشل

---

(١) مصطفى خالدي و. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط٣، (١٩٩٩) م.

التقرير الإرشادي «الاستراتيجي» الصادر عن مجلة البيان، الإصدار الأول ١٤٢٤ هـ، والإصدار الثاني ١٤٢٥هـ.

(٢) عبد العزيز، زينب، تنصير العالم: مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني.، دار الكتاب العربي، ط١، (٢٠٠٤) م.

(٣) السلومي، محمد بن عبدالله، القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب.. من إصدارات مجلة ندوة مستقبل مؤسسات العمل الخيري الخليجي في ضوء الاتهام الأمريكي لها بتمويل الإرهاب» مجلة شؤون خليجية العدد ٣٢ (٢٠٠٣.) م.

(٤) التنصير في العالم العربي .. معركة انتزاع الهوية، مقالة منشورة على موقع شبكة رسالة الإسلام بتاريخ (٢٥-١٢-٢٠٠٩)م.

في الحروب الصليبية، وعاملَ تجفيف منابع الخير والتضييق على أنشطة جمعيات البر والتقوى والإحسان - والمدَّعاة ظلماً «تجفيف منابع الإرهاب» - التي أوجدت حالة من الفراغ استغلها التيار التنصيريُّ، والأمثلةُ متعددة. فالصومال التي كانت تتلقى المعونات الإسلامية على إثر أحداث (١٩٩١)، بكل وُدٍّ نابع من وحدة العقيدة، نراها تستقبل الآن جموع المنصِّرين، عقب تشديد الولايات المتحدة على العمل الدعوي والإغاثي الإسلامي هناك، لتفسح المجال وتوسع ساحة التنصير المقيد بشروط كثيرة، أبرزها كما تقول «زينب عبدالعزيز»: اشتراطُ منظماتِ التنصيرِ على أهل قرية دار السلام جنوب غرب مقديشونزعَ الفتيات النقاب في إحدى المدارس لقاءَ دعم المدرسة مالياً.[١]

أبرز وأهم المنظمات التنصيرية:

لقد تركزت الحملات التنصيرية في بدايتها على مناطق النفوذ الإسلامي في الشرق، ثم امتدت إلى مختلف أقطار العالم. ففي عام (١٤٩٣)م أصدر البابا الإسكندر السادس إذناً عاماً للبرتغاليين لاكتشاف مناطق غرب إفريقيا وممارسة التنصير فيها، واستمرت بعد ذلك جماعات المنصرين تتوارد إلى المنطقة. وفيما يلي أبرز المنظمات التنصيرية:

١. جمعية لندن التنصيرية (١٧٦٥) م، وهي موجهة إلى إفريقيا.

٢. جمعيات بعثات التنصير الكنسية، في لندن سنة (١٧٩٩) م، وهي موجهة إلى الهند والخليج العربي.

٣. جمعية طبع الإنجيل الأمريكية، (١٨٦١) م، ولها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية كمطبعة النيل ومكتبة الخرطوم.

٤. مجلس الكنيسة المسيحية الأمريكية، (١٨٨٣) م، وهي موجهة إلى العالم العربي.

٥. الكنيسة الإصلاحية الأمريكية، (١٨٥٧) م، وهي موجهة إلى الخليج العربي. وجمعية تنصير شمال إفريقيا.

مظاهر انتشار التنصير عالمياً

ذكر «علي النملة» في كتابة (التنصير)[٢] بعض الأرقام والإحصائيات المخيفة

---

(١) عبد العزيز، زينب، حرب صليبية بكل المقاييس، دار الكتاب العربي(دمشق- القاهرة)، ط١، عام(٢٠٠٤)، المقدمة بتصرف.

(٢) النملة علي بن إبراهيم الحمد، لتنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، بدون ناشر، ط٢،(١٤١٩هـ).. ص٧.

التي تبّين الدعم غير المحدود لعمليات «التنصير» في بقاع العالم، نوجز بعضها فيما يلي:

إحصائيات حول التنصير:

هناك تطور كبير في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، حيث بلغ عددها في العالم ربع مليون مؤسسة تنصيرية تمتلك (١٠٠) مليون جهاز كمبيوتر تتبع (٢٥) شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في العالم، وهناك (٥٠٠) قناة فضائية وأرضية جديدة كلها متخصصة في التنصير، كما حققّت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره (٨,٩) بليون دولار[١]، ويلفت « مانع الجهني» أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامي- في حواره مع الشبكة الإسلامية- إلى أن الحكومات الغربية لا تتوانى عن تقديم الدعم للمنظمات التنصيرية، فقد رصدت لنشاطها التنصيري في هذا العام- وليس الإغاثي- (٣٠٠) مليار دولار[٢]، ووزعت «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» نشرة جاء فيها: إن عدد المعاهد التنصيرية قد وصل إلى (٩٨٧٢٠) معهداً، بينما بلغ عدد المُنصرين المتفرغين خارج نطاق المجتمع النصراني أكثر من (٢٧٣٧٧٠) منصراً، حيث أصدروا ووزعوا العديد من النشرات والمجلات الدورية المنظمة التي بلغت (٢٢٧٠) نشرة ومجلة ووزّع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة. فيما بلغ المد الإعلامي إلى ما يزيد على (١٩٠٠) محطة إذاعية تُبث على أكثر من (١٠٠) دولة وبلغاتها[٣]. وقد بلغ ما أُنفِقَ لدعم ميزانية التنصير في الماضي (١٩٩١)م حوالي (١٨١) مليون دولار، زاد بمقدار (٣٠) مليوناً خلال عامين، بعد أن بلغت حوالي (١٦٤) مليون دولار أمريكي (١٩٩٠)[٤]، وبعد ما كانت حوالي (١٥١) مليون دولار في العام الذي سبقه (١٩٨٩)م. وهذا يبين مدى التزايد الكبير

---

(١) الخضري، أمل، التنصير في فلسطين في العصر الحديث، دراسة لنيل درجة الماجستير الجامعة الإسلامية بغزة، (٢٠٠٤)، بتصرف.

(٢) رابط الموضوع على شبكة «إسلام ويب»
http://www.islamweb.net/merath/index.php?page=article&lang=A&id=16704

(٣) يحصي كرم شلبي أكثر من خمس وثلاثين محطة إذاعة منتشرة حول العالم، ومنها إذاعة الفاتيكان التي تبث إرسالها بأكثر من سبع وأربعين لغة، أربع وثلاثون منها أساسية، وثلاث عشرة لغة تُستخدم في مناسبات خاصة. ويزيد عدد الساعات المبثوثة باللغة العربية عن ألف وخمس مئة (١٥٠٠) ساعة في الأسبوع، (ما يقرب من ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠ في السنة). انظر: كرم شلبي. الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب.- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩١- ٧١-٧٧و٨٥-٨٧. وهذا العمل العلمي الدقيق من أفضل ما نشر في مجاله.

(٤) ص ٢٠- ٢١.

الـذي يحدث في ميزانية التنصير على مستـوى العالم[1]. وصعدت الميزانية مجدداً في عـام (٢٠٠٣)م لتصـل إلى (٣٢٠) مليون دولار أمريكي ثـم قفزت في عام (٢٠٠٩) م لتصـل إلى (٣٩٠) مليون دولار أمريكي[2]. «كذلك زاد عدد المنصرين ليفوق الخمسة ملايـين مُنصِّر، ما زاد معه مجموع التبرعات لأعمـال التنصير لسنة واحدة، ليتخطى حاجـز البليون ونصـف البليـون دولار، ووصل عدد محطـات الإذاعـة والتلفزيون إلى (٣,٧٧٠) محطـة،[3]». كما اشارت النشرة إلى أن دولـة الفاتكان الصغيرة والتي يبلغ عـدد سكانهـا (١٠٠٠) نسمة فقط، وتقود (٨٠٠) مليون نصـراني كاثوليكي، وتشرف على أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) كنيسة كاثوليكية و(٨٦٢١٢) إرسالية، يتبعها مليون و(٦٧٣) قسيس. وكانت أكبر زيادة للتنصير كان في بنجلاديش بنسبة ٤٥ ٪. وفي دراسة للأب الدكتـور (ج.فانتين) ذكر أن عدد النصارى في السـودان قفز من (١١) شخصاً فقط في عام (١٩١١)م إلى(١٥٠٠) في العام (١٩٢١) مـ، ثم أصبحوا عشرة آلاف في العام (١٩٣١)مـ، وبعد مرور عشرين سنة ارتفع العدد مرة أخرى إلى مائة ألف(١٩٥١) مـ، ثـم إلى (٣٠٠) ألف عام(١٩٦١)مـ، وواصل العـدد الزيادة اللافتة ليصل إلى (٤٨٠) ألـف بعد مـرور ثلاث سنوات فقـط(١٩٦٤)م، ثم زاد العدد مجـدداً إلى (٨٨٠) ألف في عـام (١٩٨٢)م. أمـا اليـوم فقد تجـاوزوا أربعة ملايـين نسمة. أما عـدد الكنائس هنـاك، فقد بلغ (١٢٠٠) كنيسة في عام (١٩٨٢) مـ، بالإضافة إلى حوالي(٦٠)مركزاً تنصيرياً، وقد بلغت ممتلكاتها ما يزيد عن (٦٠)مليون جنية استرليني.

لقـد بـدأت مرتكزات العمـل التنصـيري في السـودان تأخذ صورتهـا الكاملة في عهـد الاستعمـار الإنجليزي للسودان الذي خطّط للتنصير عـن طريق: إقامة المدارس والمستوصفـات التنصيرية، وتنميـة العمل التنصيري عن طريـق المؤسسات وبلوغ هذا العمل إلى كافة المناطق السودانية.

بالإضافـة إلى العمـل على استيعاب القبائل الزنجية بالجنوب السوداني، وإثارة الفتنة بينهم بنشر الأكاذيب ضد المسلمين وتشجيع اضطهادهم[4].

وقـد أذاعت وكالات الانباء العالمية بتاريخ (٢٠١٢/٣/١٥)، إعلان البابا «بندكت السادس عشر» بابا الفاتيكان، زيـادة عدد الكاثوليك في العالم بمعدل قياسي في العام

(١) التنصير مفهومه وأهدافه، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

(٣) المرجع السابق، ونشرة الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامي

(٤) محمود، بيومي، مسلموالسودان يواجهون التنصير، مقالة منشورة، شبكة مشكاة الإسلامية، بتاريخ (٢٠٠٥/١/١٢).

(٢٠١٢) مقارنة مع العام (٢٠١١)، وذلك بنحوخمسة عشر مليوناً، ليصل بذلك العدد الإجمالي للكاثوليك إلى (١,١) مليار، حيث سجلت الزيادة في إفريقيا وآسيا، بشكل أساسي وكبير، أرجعها بابا روما إلى عمليات التبشير الكبرى في إفريقيا، وخاصة في كل من مصر والمغرب وليبيا والسودان والجزائر وتونس والصومال وجنوب وسط إفريقيا. فيما تراجع عدد الكاثوليك بشكل طفيف في أمريكا اللاتينية حيث بات يمثل (٢٨,٣٤)٪ من سكان هذه المنطقة مقابل (٢٨,٥٤)٪ في العام (٢٠٠٩)، إلا أن التراجع الأقوى كان في أوروبا، حيث كانوا يمثلون نسبة (٢٤,٠٥)٪ في العام (٢٠٠٩)، فتراجعوا إلى نسبة (٢٣,٨٣)٪ في المقابل سجل عدد الكاثوليك زيادة في نسبتهم في إفريقيا من (١٥,١٥)٪، إلى (١٥,٥٥)٪.

المطلب الخامس: أبرز أهداف الأصولية المسيحية:

تختلف وتتباين أهداف الأصولية المسيحية قديماً وحديثاً بحسب المظاهر، وكذلك باختلاف الحقبة الزمنية، فضلاً عن تداخل بعديها الديني والسياسي، وإن كانت في الإجمال تهدف إلى الحفاظ على سيطرة الكنيسة على مقاليد الأمور، والتوسع في الإمبراطورية المسيحية في ذلك الوقت، والعمل على نشر الدين المسيحي (التنصير) وتوظيف الدين في أغراض سياسية بحتة. فالحروب الصليبية المقدسة اتخذت من الصليب شعاراً لتحرير الأماكن المقدسة من أيدي مغتصبيها، وخصوصاً تحرير كنيسة القيامة، إلا أن التاريخ يثبت زيف ذلك الادعاء، حيث كانت الحروب الصليبية تحمل في طياتها جعبة من الأهداف الفرعية الخفية، من أهداف بابوية تتمثل في تحقيق الأهداف الكنسية التي كانت البابوية قد بلورتها من خلال نزاعها مع الإمبراطورية، وهي أهداف كانت تتركَّز أساساً حول السيادة المطلقة للبابا على العالم المسيحي، وأهداف علمانية تبدو في السعي إلى تحقيق أهداف العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعي، سواء من النبلاء أوالفرسان ومن الفلاحين، فكان النبلاء يتوقون لتوسيع ممتلكاتهم دون الصدام مع الملكية التي تسعى للسيادة، وهذا ما جعل البابا «أوربان الثاني» يوجه خطابه إلى الفرسان الفرنسيين بالذات، لأن فرنسا كانت لا تزال الدولة الإقطاعية الوحيدة آنذاك. بالإضافة إلى أهداف برجوازية ممثلة في القوى التجارية الإيطالية خاصة أن المشروع الصليبي فرصة للسيطرة على تجارة البحر المتوسط. فضلاً عن الأطماع التوسعية وارتباطها بالبعد الاقتصادي من خلال الرغبة في سلب أموال وخيرات المنطقة فضلاً عن أهداف دينية تعمل على محاولة كسر شوكة المسلمين

والقضاء على دولة الإسلام بحجة حماية الحجاج المسيحيين، وتحرير بيت المقدس من المسلمين للوصول إلى ضريح المسيح بحسب ادعاءاتهم، كذلك سعت إلى منع الامتداد الإسلامي حيث كانت الكنيسة خلف هذه الحرب، التي حارب فيها الرهبان لأول مرة، سعياً من الكنيسة لصبغ هذه الحرب بالقدسية وأهداف اقتصادية من خلال إقامة أسواق تجارية للصناعات الأوروبية خاصة من الإيطاليين، وأخيراً أهداف سياسية استعمارية تعمل على إقامة إمبراطورية مسيحية في الشرق الإسلامي من خلال السيطرة على القسطنطينية، واحتلال الأرض المقدسة «فلسطين» حيث كنيسة القيامة، وحيث عاش المسيح عليه السلام، كذلك هدفت تلك الحروب إلى وضع خطوط أمنية متقدمة كي لا يستطيع المسلمون إسقاط إمبراطورية بيزنطة، وأخيراً محاولة تصدير أزمات داخلية في البلاد بسبب الظلم، وعدم وجود حريات وكثرة الإعدامات، وسيطرة الكنيسة، فكانت الحروب لجذب انتباه الناس إلى أمور أخرى. هذه السيطرة التي أدت إلى قيام محاكم التفتيش في العصور الوسطى، سواء محاكم التفتيش في العصور الوسطى، أم المحاكم الإسبانية أوالرومية التي حاربت العلم والعلماء، ونبذت التقدم[1]:

ومن أبرز أهداف معظم محاكم التفتيش الاسبانية (إسبانيا والبرتغال ومستعمراتها) في المناطق التي كانت تحت سلطة الملكين «فرديناند وإيزابيلا»، ثم تحت حكم «آل هابسبورغ»، وأخيراً، تحت حكم أوائل «البوربونيين» أهداف تصفوية خفية، حيث كانت تتم معاقبة المسلمين المتحولين من النصرانية، وكذلك اليهود المتنصّرون، وتركزت تلك المحاكم وصفة خاصة في جنوبي الأندلس حيث الوجود الإسلامي الكثيف، فنشطت هذه المحاكم بقوة في تصفية المسلمين وتنصير أبنائهم الذين لم يتجاوزوا سن العاشرة ما بين القرن الثاني عشر وبين القرن الرابع عشر- لتتفرغ في وقت لاحق -مع نهايات القرن الرابع عشر إلى محاكمة اليهود «السافارديم»، ثم إلى إحراق المسيحيين البروتستانت في القرن السادس عشر ميلادي بتهمة خروجهم عن النص الإنجيلي أوبعبارة أخرى المذهب الكاثوليكي، حيث وُضعت هذه المحاكم رهن إشارة سلطة الحكومة المركزية من أجل معاقبة الهرطقة، ومن أجل مساعدة الكنيسة على التحكم في الشأن الديني، وكان الهدف المعلن من محاكم التفتيش في العصور الوسطى هو قمع البدع، وتنظيم عملية تصيّد المهرطقين ومحاكمتهم.

ومن الإنصاف أن نذكر أن ضحايا التفتيش لم يكونوا فقط من المسلمين السابقين،

---

(١) روبرتوسافيو، الولايات المتحدة وبعث الأصولية المسيحية،، مقال منشور في روما، يوليو(٢٠٠٧) (أي بي إس)، وكالة الانباء العالمية، (انتر برايس سيرفيس) النشرة العربية.

بل كانوا من المسيحيين أيضاً، فقد انتهجت الكنيسة السلوك الإرهابي عينه تجاه المسيحيين عن طريق محاكم التفتيش التي أوكلت إليها مهمة فرض آرائها على الناس باسم الدين والبطش بجميع من يتجرأ على المعارضة والانتقاد، فنصبت المزيد من المشانق وأعدمت الكثيرين من المسيحيين عن طريق حرقهم بالنار، حيث يُقدَّرُ عدد الضحايا المسيحيين ممن جرى إعدامهم من قبل محاكم التفتيش (٣٠٠,٠٠٠) مسيحي، أحرق منهم (٣٢,٠٠٠) أحياء، وقد كان من بينهم العالم الطبيعي المعروف «برونو» كما سبق أن أوضحنا، لم تُوَفِّرُ وحشية محاكم التفتيش طفلاً أوشيخاً أوامرأة، والهدف هوإبادة المسلمين، والمطلوب من المسلمين العمل على إعادة كتابة تاريخ صحيح لمحاكم التفتيش يكشف بقية فصولها الوحشية للعالم، تمثل محاكم التفتيش أحد أسوأ فصول التاريخ الغربي دموية تجاه المسلمين، وحيث امتدت وحشيتها المفرطة لتطال المسيحيين أيضاً فيما بعد.

ولا شك من تأثر الأصولية المسيحية بالانشقاق الكبير الذي أشرنا إليه، وأدى إلى انشقاق الكنيسة إلى كنيستين أرثوذكسية شرقية وكاثوليكية غربية، وما تبعه من ظهور للعقيدة القويمة (الأرثوذكسية) في الشرق، والعقيدة الشاملة (الكاثوليكية) في الغرب على مظاهر تلك الأصولية، وبخاصة الحروب الصليبية التي استباحت دماء المسلمين واليهود «الكفرة»، فقتلت نحوسبعين ألفاً من سكان بيت المقدس المسلمين العزل وأعملت فيهم تقطيعاً[1]. وشهد بوحشية هذه الحملات كثيرون منهم، «انا كومنين» بنت قيصر الروم[2]، و«جوستاف لوبون»[3]. وكذلك اليهود لم يسلموا من شر هذه الحروب في ذلك الوقت.

أما عن الأصولية المسيحة الثانية (الأصولية الإنجيلية)، فقد امتد البعد الديني وانتقل من المسيحية الأولى، فكان من أبرز أهدافها الدينية أيضاً نشرُ المسيحية

---

(١) ابراهيم سليمان الجبهان، معادل العدم والتدمير في النصرانية، وفي التبشير، عالم الكتب، الرياض، ط٤، (١٩٨١) ١٠٣-١٠٤

(٢) آنا كومنين هي أكبر أولاد الإمبراطور البيزنطي «ألكسيوس الأول كومنينوس» وابنة زوجته «إيرين دوكاينا». كتبت آنا تاريخ أبيها ووقته باللغة اليونانية تحت عنوان «ألكسياد» ربما بعد سنة ١١٣٨. تعتبر «الألكسياد» مصدراً هاماً للحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩). وقد ألفتها كومنين آخذة بعين الاعتبار حفظ سمعة أبيها بمدحها تعامله الحذر مع الفرنجة في وقت كان ابن أخيها الإمبراطور مانويل كومنين يتبع سياسة موافقة للغرب. وقد ذكرت آنا أن الهدف الحقيقي من للصليبيين لم يكن تحرير كنيسة القيامة المقدسة وإنما السيطرة على القسطنطينية.

(٣) جوستاف لوبون (١٨٤١- ١٩٣١) هوطبيب ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية. أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر «لوبون» على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي

(التنصير) والنشاط التبشيري، وأهداف دينية سياسية تتمثل في حماية أمن إسرائيل وإقامة (إسرائيل الكبرى)، ودعم الهدف الصهيوني لدولة إسرائيل وجيشها وحكومتها وثقافتها... إلخ. من خلال إعادة بناء الهيكل المزعوم، لا سيما أن المنظمات الصهيونية ذات قوة عددية ونفوذ لا يستهان به في المجتمع الغربي والأمريكي على وجه التحديد، ما دفعها إلى التحالف والتنسيق معها، وتيسير حركتها وتلميع قادتها إعلامياً، والسماح لها بالحركة داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه، واستخدامها لأغراض ممارسة الضغط والتأثير في الرأي العام الأمريكي والعالمي لمصلحة أهداف «إسرائيل» وسياساتها، بالإضافة إلى تهيئة المنطقة دينياً لحروب النهاية، وفترة الاسترجاع، وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل في مبحث مستقل.



المبحث الثالث

الأصولية الإسلامية: نشأتها ومظاهرها وأبرز أهدافها

نحاول أن نتناول الأصولية الإسلامية من خلال مفهومها الواسع وأبعادها وجوانبها المختلفة، رغم اختلاف الباحثين والمفكرين حول المفهوم والمصطلح، فمنهم من أقره وفقاً لمفهوم الصحوة الدينية، ولم يجد حرجاً في ذلك رغم المدلول السلبي المتعمد له (القرضاوي وهويدي)، باعتبار أن المراد بالأصولية الإسلامية العودةَ لأصول الدين وهذا لا بأس به لأن أصول الإسلام ثابتة وإنما التغير يكمن في سلوك المسلمين ومدى التزامهم بهذه الأصول ويؤكد القرضاوي على هذا الفهم بقوله: «إن كان التمسك بالإسلام الصحيح عقيدةً وشريعةً ومنهاجَ حياة والدعوةُ إليه، والاعتزازُ به، والدفاعُ عن مبادئه وحرماته (أصوليّةً)، فليشهد الثقلان أننا أصوليون أقحاح».[1] كما يضيف «إن الديمقراطية في المجتمع لهى أقرب إلى الشورى في الإسلام، كما أن الأحزاب السياسية أشبه ما تكون بالمذهب في الفقه[2].

أما «فهمي هويدي» فقد أبدى حذره وتشككه تجاه المدلول السلبي، فشدد على ضرورة ضبط المصطلح الذي لا أصل له لغوياً أوإسلامياً: «الأصولية لا أصل لها في اللغة العربية أوفي الخطاب الإسلامي، وإنما أصولها مسيحية بروتستانتية ....، إنَّ الحالةَ الإسلامية فيها درجات لا تستطيع أن تصفها كلها بأنها أصولية، هناك معتدلون ومتطرفون، وإن كان الانطباع الذي ساد هو: أَنَّ كلَّ من تحدث عن الإسلام كمشروع، أوما يسمى بالإسلام السياسي، قد صُنِّفَ أصولياً»[3]. فيما يقول «جاك بيرك»: «إن تعبير الأصولية آت من النزاعات داخل الكنيسة». ويقول المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالين» بعد أن أقرَّ بأن التطرف ميَّز الحركة الأصولية في الدين النصراني: «إن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تماماً ولا مجال للمقارنة بين الحركتين»[4]. والواقع يؤكد وجود هوة سحيقة بين المسلمين المعاصرين وبين أصول دينهم، فمن الجماعات ما يقترب من روح الإسلام، وبعضها يغالي ويركب متن الشطط في فهم بعض النصوص،

---

(١) مستقبل الأصولية الإسلامية، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) عمروعبد السميع: المتطرفون (ندوات ودوائر حوار)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٣م. ص: ٣٥٤.

(٤) العركي، سمير، قضايا معاصرة: أزمة الخطاب العلماني المعاصر(١)، أزمة المصطلح، موقع الجماعة الإسلامية.

متأثرةً بالعاطفة الدينية والحماس فأصابت في مواطن عدة واخطأت في مواطن أخرى، وكان من أسباب الإخفاق لدى الشباب هوأنهم تتلمذوا على كتب التراث دون أن تكون لهم مرجعية من المعلمين الفاهمين المختصين. فهل هناك أصولية إسلامية أم لا؟، وهل تلك الأصولية سبة في جبين الدين أم العكس؟.

المطلب الأول: نشأة الأصولية الإسلامية

تُعَدُّ الدعوة الوهابية التي ظهرت في الجزيرة العربية، ونُسِبتْ إلى محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ -١٧٩٢) م من أهم وأقدم الأصوليات الإسلامية، حيث تُعدُّ أول حركة سلفية حاربت البدعة، وعملت على التوفيق بين النقل والعقل وبين الدين والعلم الحديث، ورأت أنَّ الحياةَ الدستورية والتمثيل النيابي والحقوق المدنية والحريات السياسية والنزعة الوطنية القومية المعادية للاستعمار والاستبداد كُلُّها لا تخالف الشرع الإسلامي. وكان لهذه الدعوة أثر بارز في الفكر العربي الحديث بوجه عام، وفي الفكر السياسي بوجه خاص في العراق وبلاد الشام والمغرب العربي، ثم تلتها أبرز الحركات الإصلاحية الإسلامية على مر التاريخ(جماعة الإخوان المسلمون) التي جاءت من رحم الفساد والانحلال المنتشر في المجتمع المصري آنذاك، ثم تبعهما العديد من الجماعات التي سنتناول بعضها فيما هوآت.

ملاحظة:

ينوه الباحث، أنه نظراً لعدم وجود الدولة الأصولية الإسلامية على غرار المفهوم المسيحي واليهودي، وكذلك لغرض الربط بين مظاهر الأصولية الإسلامية المقترنة بنشأة حركاتها المختلفة تاريخياً، وكذلك أهدافها المتشابهة فسوف يتناول الباحث تاريخ هذه الجماعات والأهداف التي تسعى إليها، وأبرز مظاهرها الدعوية وعلاقتها بالدولة، ودور السياسة من خلال جزء واحد.

المطلب الثاني: مظاهر الأصولية الإسلامية وأبرز أهدافها

إن تطبيقات الأصولية الإسلامية لها جوانب متعددة، فهناك جوانب أومجالات قد ينطبق عليها الوصف الذميم الذي أراده مُصَدِّري هذا المصطلح، ويبدوفيها شيء من الغلووالعنف في غير محله، وقد يُقصَدُ به ميادين عمل حركات الصحوة الإسلامية، وكلا القصدين يفيد في فهم القضية فهماً متكاملاً لأن القصد الأول يعد بمثابة حصر للسلبيات، وأهمها استخدام بعضها العنف غير المبرر ضد المخالفين وظلمهم،

بـل وتكفيرهم نتيجة غيـاب فهم فقه الواقـع وكيفية التعامل مع المجتمعـات، فيما يعد القصـد الثاني بمثابة ذكر للإيجابيات التـي انعكست على الإسلام ودعوته ومجتمعاته من حركات الصحوة الإسلامية. إن جميع الحركات الأصولية الإسلامية لها جهد كبير في ميادين العمل الاجتماعي عـدا جماعة «التكفير»، التي تعتقـد أنَّ المجتمع كافرٌ فلا يستحـق أعمال الـبر، كما أنَّ غالب هذه الحـركات يعتمد على المنـح والتبرعات وليس لـه هيكل اقتصادي ثابت وواضح، فيمـا عدا جماعة «الإخوان»، الذين أقاموا الشركات والمشروعات الاستثمارية المختلفة بل وساهموا في تأسيس البنوك الإسلامية.

الأصولية الإسلامية الحميدة:

لقـد تداول الغرب هـذا المصطلح سياسيـاً وإعلامياً، للإشارة إلـى حالة اليقظة والصحـوة الإسلاميـة في مختلف أرجـاء العالم الإسلامـيّ. وهذا المصطلـحَ بدلالاته الفكرية، ليس دقيقاً، حيث أصبح النَّعتُ بالأصولية بمثابة شتيمة سياسية[1]. أما العلامة «القرضاوي» فيصفها بأنها: «العودة إلى الأصول، إلى الجذور، في فهم الإسلام، والعمل بـه، والدعوة اليه»[2]. مقسماً إياها إلى فصائل أربعـة: فصيل التكفير، الذين يكفرون المجتمـع كافة ما عداهم ومـن تبعهم، باعتبارهم «جماعة المسلمـين»، وفصيل العنف، الذي يغير المنكر وما يعتقده من باطل، ويتجه في الأساس إلى الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، من الذين حكموا بالقوانين الوضعية، وفصيل التشدد والجمود في الفكر، والحرفية في الفقه، والتعسير في الفتوى، والتنفير في الدعوة، لكنهم بعيدون عن العنف الدمـوي، إنما عنفهم في لسانهم، وهؤلاء أسماهـم «الظاهرية الجدد»[3]. أما المدرسة الرابعـة، فهي فصيل الوسطية القائم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، وما يلزمـه من تحرر من العصبيـة المذهبية، وتغيير الفتوى بتغير الزمـان والمكان والعرف والحـال، فالإمام «أحمد بن حنبل» الذي يتهمه الجهـلاء والأدعياء بالتزمت والتشدد، كثيراً ما نرى لـه جملة روايـات في المسألة الواحـدة، وغالباً ما يكـون رعاية للظروف والأحـوال المتغيـرة[4]. ونظراً لتعقيـد قضايا العصر فإننـا لابد أن نواجههـا باجتهاد جديد، يجمع بين محكمات الشـرع ومقتضيات العصر، ويوازن بين جزئيات النصوص

---

(١) عبدالرحمن، سامي، الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي، مقال منشور على موقع مجلة التسامح، على شبكة المعلومات.

(٢) مستقبل الأصولية الإسلامية، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة، مرجع سابق. ص١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

وكليـات المقاصد، يقوم به علماء تحرروا من عقـدة التقليد، واتسموا بروح التجديد، لا يتبعـون هوى السلاطين، فيحللون لهـم الحرام، ولا يدخلون سـوق المزايدة لاسترضاء العوام، بالتعسير فيما يتطلب التيسير، والتشديد فيما يجب فيه التخفيف[(١)].

إن الأصولية الإسلامية الحميدة وُلـدَتْ بوصفها مساراً لصفات الالتزام والتدين بأصول الدين الصحيح وتحقيقاً للعقيدة السليمة المقترنة بحسن التعامل مع الآخرين، من الداعين إلى الإسلام، بشموله وتوازنه وعمقه ويسره، من خلال الجمع بين الاصالة والتجديـد، والموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصـر، دون تعصب لرأى قديم، ولا عبودية لفكر جديد[(٢)].

ويشهـد بذلك «جاك سـترو» وزير الخارجيـة البريطانية: «إن ظاهـرة الأصولية والتشدد ليست حكراً فقط على الدين الإسلامي، بل هي موجودة في اليهودية والمسيحية والبوذية والسيخ». وأوضح سترو في مقال نشرته مجلة «بروسبكت» الشهرية البريطانية في عددهـا الصـادر بتاريـخ (٢٠٠٢/١٠/٢٦) «إن هناك تنامياً في ظاهـرة الأصولية اليهوديـة المتشددة، فهناك من يرفض الاعتراف بدولة إسرائيل، ومنهم من يصر على الاستمـرار في بناء المستعمرات». وأضـاف: «إن الإسلام الصحيح يمثل قوة دفع روحية تقدميـة تدعوللمساواة بـين البشر، كما أن الرسول محمد عليـه الصلاة والسلام أدار المجتمـع المسلم الأول باستخدام الشورى، ممـا جعل الإسلام سباقاً المجتمعات الغربية بقـرون في اعطاء الحقوق المدنية للفـرد مثل الحق في الطلاق للنساء.... إن الإسلام لا يوجـد فيه ما يتناقض مـع الديمقراطية، ومن النـاحية التاريخيـة فقد احترم الإسلام التعدديـة والحريات الدينية واستطاع الانتشار في الغرب نتيجة لهذا التسامح واحترام حريـات الآخرين، ومن هنا يتعـين أن نتعاون مع من يحملون جوهـر الإسلام للتصدي لأولئك الذين ينكرون حقوق الآخرين»[(٣)].

الأصولية الإسلامية البغيضة (العنيفة)

وهنـاك الأصوليـة الإسلاميـة البغيضة التي تتخـذ من السيـف أداة للحوار ومن التكفـير وسيلـة للإقصاء، ولا تجعل من قيـم التسامح والحفاظ علـى حقوق الآخرين دليـلاً لها في الوصول إلى قلـوب المخالفين، وذلك خارج العنف المشـروع المؤقت والذي

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩-٤٠.

(٢) مستقبل الأصولية الإسلامية،، سلسلة رسائل ترشيد الصحوة، مرجع سابق، ص٦-١٠ بتصرف.

(٣) مجلة البيان الإماراتية، عدد الأحد (٢١ شعبان ١٤٢٣)هـ الموافق (٢٧ أكتوبر ٢٠٠٢) م.

يأتي لدفع الظلم مصداقاً للآية الكريمة «والدين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون»[١]. وينظر «الحريتاني» إلى الأصولية الإسلامية من زاوية العنف المؤدلج. وفي أفق تأبيد الاستبداد القائم، أومن أجل فرض استبداد بديل: «إن الأصولية هي مجموع التوجهات التي تعمل على استنساخ طرق الحياة المستمدة من حياة المسلمين الأوائل، وانطلاقا من الرؤى والتصورات الأيديولوجية، وجعلها سائدة في حياتنا المعاصرة، وهادفة إلى تأبيد الاستبداد القائم، أوفرض استبداد بديل».[٢] وهناك من ربط الأصولية بالسلفية، ونعتها بأنها «حركة عنف تعمل على تغيير الواقع لمصلحة الإسلام بطريقتها الخاصة»[٣]، ويربط الباحث الأمريكي «ريموند هامدن» بين الأصولية الإسلامية والإرهاب: «إنّ الإسلاميين هم إرهابيون، ليس لأنّ الإرهابي يحمل بندقية أومسدساً، لكنه يحمل أفكاراً مضادة للمدنية الغربية»[٤]. فيما يرد عليه آخر[٥]: «إن الإرهاب بدعة من نسج خيال الخصوم السياسيين والأنظمة القمعية، ولذلك أصبح المعنى الحقيقي له في منطقة الشرق الأوسط موضوعاً للتشويه والتحريف، فهويُسَتَخْدَمُ في غير موضعه، كفزاعة يُخَوَّفُ بها الاخر، ووسيلة ابتزاز للحلفاء»، أما «طارق علي» فيوجه سهامه إلى الأصولية الإسلامية برمتها، حيث يرى أن الأصولية الإسلامية، وما يمثلها سياسياً من حركات الإسلام السياسي عديمة الإنتاج السياسي أوالاقتصادي أوالعسكري، فهم -على حد قوله- لم يستفيدوا من عبر الماضي ومن دروس القرن السابع الميلادي، منتقداً في الوقت نفسه النموذج الإسلامي للدولة ممثلاً في إمارة أفغانستان، لكونها تمثل الأصولية العنيفة والتي تحمل السلاح في وجه الآخر، ومنهم بعض المسلمين المخالفين لهم في الرأي وهم الكثرة[٦].

تعليق:

- إن قيام العديد من الكتاب بالربط بين مفهومي «الأصولية الإسلامية»، وما يعرف بـ «جماعة الإسلام السياسي»، إنما هوخلط في المفاهيم، ولا يستند إلى دليل،

---

(١) سورة الشورى، آية (٣٩).

(٢) سليمان حريتاني، توظيف المحرم، ط١، دار الحصاد، سوريا، (٢٠٠٠)، ص ٣٥٥.

(٣) عبد السميع، عمرو، المتطرفون (آراء وندوات حوار)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، (١٩٩٣) مـ، ص ٢٥٤.

(٤) خضر، أحمد إبراهيم، الإسلام والكونغرس: حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون: بحركة الأصولية الإسلامية، ط١، دار المعالم الثقافية،الرياض(١٩٩٤)، ص ٣٥٤.

(٥) الأمة والدين في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٦) The clash of fundamentalism. crusades. Jihad and modernity Ibid. p 329.

عقلي أونقلي، من دراسات أونصوصٍ دينيةً كانت أم أكاديميةً أوحتى سياسية.

- إن معظم الدراسات التي ربطت الأصولية الإسلامية بالإرهاب، إنما تغض الطرف عن المذابح والمجازر الوحشية التي تمت بمعرفة الأصولية النصرانية في القدم، ثم تبعتها الأصولية اليهودية حديثاً، والأصوليات الأخرى، كما أنها لم تُشِر إلى أصوليات الدول، التي تمارس الإرهاب العالمي، كما تفعل الولايات المتحدة وإسرائيل.

أبرز الحركات والتنظيمات الأصولية

تُقَسَّمُ الحركات الإسلامية إلى حركات شمولية وأخرى جهادية وثالثة دعوية، أما على مستوى جوانب الأصولية فهي متساهلة معتدلة (مستنيرة)، أومتشددة، متطرفة، وعنيفة. وسوف نتناول بعض هذه الحركات مع ذكر مثال لبعضها بإيجاز[1]، حيث كانت البداية الأولى للصحوة الإسلامية مع الشيخ المجدد (محمد بن عبدالوهاب) في منتصف القرن الثامن العشر الميلادي، في نجد فيما يعرف بالحركة الوهابية، وازدادت الصحوة بعد تردي الأوضاع في أواخر الدولة العثمانية، ما أدى لظهور العديد من الحركات، وظهرت جماعة الإخوان المسلمين (١٩٢٨) على إثر سقوط الخلافة الإسلامية، وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر (بقيادة عبدالحميد بن باديس) (١٩٣١) وغيرها[2].والوهابية السلفية هي الحركة الوحيدة التي استطاعت أن تؤسس دولة تحكم بالإسلام لفترة زمنية طويلة، ولوشكلياً.

الحركات الأصولية الإسلامية الشمولية

لقد نشأت في مواجهة محاولات التغريب والعصرنة التي تسعى لتحريف الأصول الإسلامية، بهدف تسويغ الواقع الحضاري القائم المخالف لدين الإسلام بل الأديان عامة[3]. أما عن أبرز هذه الجماعات بجانب ما ذكر:

جبهة الإنقاذ الجزائرية، حركة النهضة التونسية، الجبهة الإسلامية القومية بالسودان، حركة الإصلاح باليمن، حركة حماس التي نجحت في استدعاء البعد الديني

---

(١) الشيباني، رضوان أحمد، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، (٢٠٠٦)، ص١٥-١٢؟

(٢) الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٣) الجندي، انور، مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، (١٩٧٢)، ص ١١٤-١١٣..

للانتفاضة الفلسطينية عام (١٩٨٧)[١].

وتُعَدُّ جماعة الإخوان المسلمين من أبرزها، حيث ظهرت في فترة انتكاسات عظمى للإسلام وأهله، كان أعظَمها سقوطُ الخلافة الإسلامية، أسسها «حسن البنا» في مارس (١٩٢٨) في ظروف حالكة بالمجتمع المصري من حيث الخواء والفراغ الديني والروحي للمسلمين، وضياع هويتهم الإسلامية، ما أدى إلى ابتعادهم عن دينهم وانتشار دور اللهو والمجون والفساد، وقام البنا بدعوة العوام والحكام من الملوك والزعماء ورجال الدين والسياسة فكان يدعوهم إلى العودة لطريق الإسلام وأصوله وحضارته ومدنيته، ونبذ طريق الغرب ومظاهر حياته[٢].

وكانت تهدف الجماعة إلى شمول الدعوة، وإقامة الدولة، والعمل على رجوع المسلمين للكتاب والسنة، وتنقية عقيدة التوحيد لديهم من خلال محاربة البدع والخرافات، فضلاً عن إحياء فريضة الجهاد، وأخيراً العمل على إيقاظ الأمة فكرياً[٣].

ولقد حدَّد «البنا» أبرز مبادئها وأهدافها في الوصايا العشر التي تمثل خطَّةً متكاملةَ للعمل على بصيرة وهي: الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والأخوة، والتجرد، والثقة.

الحركات النضالية (الجهادية)

تُعَدُّ جماعات «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» وجماعة «التكفير والهجرة» و«حزب الدعوة الشيعي العراقي» و«حزب الله» بلبنان، نماذج مهمة للحركات الإسلامية التي تتخذ التشدد والعنف غير المبرر منهجاً لها تجاه المخالف. وإن اختلفت نظرتهم تجاه فكرة تكفيره. وفيما يلي نبذة عن مناهج البعض منها:

الجماعة الإسلامية

تتبنى الجماعة الإسلامية فكراً جهادياً ضد الظالم أينما كان، ضد من استول على أرض الإسلام ومن يقف في سبيل الدعوة بالسيف والسلطان، فيجب مجابهته

---

(١) Ibid، viii.

(٢) حول هذه النقطة وغيرها بشأن جماعة الإخوان المسلمين يمكن الرجوع: البنا، حسن، مذكرات الدعوة والداعية، دار الشهاب، القاهرة، (١٩٧٧)، ص١٣٩.
الحسين، اسحاق موسى، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٩٥٢)، ص٢٧-٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٨-٣٧.

بقوة السلاح الذي لن ينتصر المسلمون إلا به،كذلك فإن الجماعة تقاطع الحكومات العلمانية المعادية للإسلام، حتى لا تمنحها شرعية في ظل إصدارها لقوانين وضعية. ولقد قام العديد من قادة الجماعة بعمل ما أُطلِقَ عليه» المراجعات الفكرية«، ومنهم من تم تجنيدَهُ لمصلحة النظام ليصبح بُوقاً باسمهَ ليبرِّر ويعلِّل ويحلِّل دماء رفاق الأمس، وذلك قد يكون خوفاً أوطمعاً.

جماعة التكفير والهجرة

أسسها الأزهري(علي عبده إسماعيل)[1]، وكان أحد معتقلي الإخوان في عام النكسة (١٩٦٧)، وكانت دعوتُهم ردَّ فعل طبيعي على ما لاقوه من صنوف العذاب الذي أفضى في النهاية إلى خلاف بين الإخوان الذين تحولوا إلى فرقاء بفضل سياسة التفريق بينهم، فمنهم من أيد الحاكم في وقته، بغية إطلاق سراحهم كما وعدهم النظام، ومنهم من لجأ إلى الصمت لكونه في حُكم المكره، أما القلة القليلة منهم فقد رفضوا الموقفين وقاموا بتكفير الحاكم ونظامه ومن أيدوه ولم يُكَفِّروه من إخوانهم، بل تعدى الأمر ليصل إلى تكفير المجتمع لموالاته الحاكم الكافر[2]، ثم تراجع «عبده إسماعيل» عن أفكاره، فخلفه (شكري مصطفى) الذي كفَّر شيخه، ثم استوطن هووجماعته الجبال، ومعهم من المؤنة والسلاح وما يعينهم على هجرتهم[3]، حتى أُعْتُقِلَ، وقام السادات بإعدامه صبيحة زيارته إلى القدس في (١٩٧٨/٣/٣٠) هووبعض إخوانه[4].

أما عن أهم مبادئ الجماعة ومعتقداتها: فيُعَدُّ التكفير هوالعنصر الأبرز، فكل من ارتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها، والحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، والمحكومون الذين رضوا بذلك وتابعوهم هم جميعاً كُفَّار. أما عن العقيدة الثانية فهي الهجرة، وذلك بالعزلة عن المجتمع الجاهلي، والدعوة إلى الأمية بترك الجامعات لأنها مؤسسات الطاغوت، والمبالغة في السرية، أميرهم هوالمهدي المنتظر، والزكاة عندهم غير واجبة، ولا جمعة اليوم ولا تجوز الصلاة خلف غير إمامهم، مع أنهم يدَّعون بلوغهم درجة الإمامة والاجتهاد المطلق، ويحرمون العمل بالحكومة تبعاً لكفر الحاكم[5].

---

(١) ابن شقيق الشيخ عبدالفتاح اسماعيل، أحد الستة الذين اعدمهم عبدالناصر مع سيد قطب.(رحم الله الجميع)

(٢) الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ٣٢٣/١-٣٢٤

(٣) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World ،Ibid.،P 345،347

(٤) Ibid.P 344

(٥) للمزيد حول مبادئ التكفير والهجرة يمكن الرجوع الى:

كتاب التوقف والتبين، محمد سرور، ص٢٨، وكذلك الرجوع الى كتاب ذكرياتي مع جماعة المسلمين لعبدالرحمن ابوالخير، وكذلك الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، ص٥٣- ٥٤

لا نجد غلواً أوتشدداً أكثر مما ذكرناه، فالحياة كلها كفر في كفر، إلا القليل ممن ضلوا وأضلوا، فثوابت الدين مُشكَّك فيها، والفرائض غير واجبة، ولوطبقت هكذا شريعة، لتزعزعت ثقة الناس في دينهم ولتحولت حياتهم إلى جحيم، ولَوَلَجَتْ من أبوابه الأصولية الدموية البغيضة. إن هؤلاء لم يستوعبوا التاريخ، ولم يراعوا الأصول والثوابت والمصالح والمفاسد، فهم قد انحرفوا عن فهم العلماء الثقات في قضايا عديدة ومسائل شتى، ومنها قضية «الخروج على الحاكم» بطريقة فوضوية وتركه لآحاد الأمة وأفرادها، يقول «إمام الحرمين» في كتابه (غياث الأمم): «.. ولكن هذا الخروج لا يُطلق للآحاد من الأمة في أطراف البلاد أن يثوروا، فإنهم إن فعلوا ذلك اصطلموا، وكان ذلك سبباً في زيادة المحن وإثارة الفتن، ولكن إن اتفق رجل مطاع ذوأتباع وأشياع، ويقوم محتسباً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وانتصب لكفاية المسلمين ما دفعوا إليه، فليمض في ذلك قدماً على الشرط المقدم، في رعاية المصالح والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع ويرتقي بما يتوقع»[1]. ومن مظاهر الحيرة والاضطراب في الفكر المتشدد- عموماً- ما حدث بعد انفراط عقد أنصار الفكر الجهادي بمصر، فبعد أن كانوا في الأمس القريب يداً قوية واحدة في وجه فساد النخبة السياسية من العلمانيين وضد طواغيت الحكم ممن يحكمون بغير شرع الله، والذي يتوجب قتاله بالسلاح، وعدم الانخراط معه في أي مشاركات سياسية بل يقاطعون ويجرمون من قام بذلك، صاروا اليوم متفرقين، منهم من أراد الدنيا فارتمى في أحضان القاتل ليرتوي من دماء إخوانه من رفاق الأمس، لِتُفَتَّحَ له الأبوابُ الموصدة، فهوضيف كل القنوات، يأكل على كل الموائد، وهوالكاتب المحلل في صحف أرباب الفساد. يبع آخرته بدنيا غيره، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم[2].

جماعات دعوية

يمثل الجماعات الدعوية هنا جماعة التبليغ والدعوة التي أسسها (محمد إلياس) في شبه القارة الهندية، وهي جماعة تقوم بالخروج والسياحة في الأرض للدعوة إلى

(١) أمام الحرمين، الجويني، غياث الامم في التياث الظلم، تحقيق ودراسة (فؤاد عبدالمنعم، مصطفى حلمي)، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية، ط١، عام (١٤٠٥) هـ، ص ١١٥-١١٦

(٢) من على هذه الشاكلة يوجد نماذج عدة لم تكن موجودة من قبل مثل : نبيل نعيم، وناجح ابراهيم ومختار نوح وغيرهم كثير ممن تفرد لهم المساحات بشكل غريب ومستفز، دون أن يطرحوا رؤية أويبرزوا فكراً، فهم يظهرون فقط وفق دور مرسوم وبعناية شديدة في قنوات رجال الأعمال الفسدة، يُحاربون الدين بكل قوة، بالهجوم على إخوان الأمس، فيحاولون قلب الحقائق، بتفنيد حججهم وتبرير اعتقالهم بل وقتلهم إذا أقتضى الأمر، من أجل أرضاء سادتهم وأولياء نعمتهم، الذين أغدقوا عليهم من أموالهم الحرام يغترفوا منها ما يشاءون.

الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدور محور عملها على إحياء العمل بفضائل الإسلام، ونقل العامة من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر، ومن بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة، بعيداً عن التشكيلات الحزبية وكافة المسائل الخلافية، مستخدمين قوافل التبليغ والدعوة، في الوعظ والارشاد. أما عن أبرز أهدافها: فالقول بوجوب التقليد، لافتقاد شروط الاجتهاد في علماء اليوم، وهذه المرحلة هي لإيجاد الجوالصالح والبيئة السليمة، وليس للنهي عن المنكر الذي قد يعرقلها، وهم يفرقون بين الدين والسياسة فلا يخوضون في السياسة وشؤون أهل الحكم، كما أنهم لا يخرجون عن أصولهم الستة وهي: الكلمة الطيبة (التوحيد)، وإقامة الصلوات، ثم المواظبة على العلم والذكر، وإكرام المسلم، بالإضافة إلى الإخلاص، وأخيراً النفير في سبيل الله.

وأخيراً فإن هذه الحركات هي امتداد وتجديد لفكر الحركات الأصولية الدينية (الإسلامية) التي ظهرت عبر التاريخ [1]. فهيّ ليست نبتاً شيطانياً، حتى يكون مصيرها الاعتقال أوالمحرقة، أوالإعدام، بل لها جذور عميقة في الإسلام [2].

علاقة الأصولية الإسلامية بالدولة

أما عن علاقة الأصولية الإسلامية بشقيها بالدولة، فهي في حالة صراع تقليدي ودائم مع الأنظمة العلمانية للدول، فتصطدم بها تارة فكرياً، وعسكرياً في أوقات أخرى، ويتم محاربة الأصولية الإسلامية من الدول كافة وعلى جميع المستويات، ولا ننسى أن الولايات المتحدة كانت توفر لنظام المخلوع «حسني مبارك» دعماً كاملاً ومتميزاً، مما جعله أكثر ثقة واماناً، من أن صانعي السياسة الأمريكية، لن يتخلوا عنه، أوحتى يقومون بممارسة أي نوع من الضغوط الشكلية عليه، في حربه الواسعة ضد المدنيين الإسلاميين في مصر [3]، حفاظاً على مصالحها في الأساس، ومن ثم تعزيز مكاسب الفسدة وتثبيت أركان عروش الطغاة، فباتت الحركات الإسلامية مُلَاحَقَةً ومُحَارَبَةً بكل السبل الشرعية واللا شرعية، مادية كانت أم معنوية، وذلك على خلاف باقي الأصوليات المُدَلَّلة في بلادها، التي يتم استرضاؤها وكسب ودها طول الوقت. وقد يكون السبب الأبرز في ذلك إيمان حركات الأصولية الإسلامية بأهمية فريضة «الجهاد» في دعم العمل الإسلامي المعاصر، رغم اختلافها في فلسفة التوقيت المناسب لنزول الميدان

---

(١) الحركات الإسلامية الأصولية في العالم العربي، ص ٢٩، وانظر: يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، ص ٢٨ وما بعدها.

(٢) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، الدار السودانية للكتب، ط١، عام (١٩٨٠) م، ص٢٢. (بتصرف).

(٣) America and Political Islam. Ibid. P.180.

العسكري، على الرغم من أن التاريخ يشهد بنزولها الميدان العسكري في صف الأمة فتشكيلات الإخوان شاركت في حرب فلسطين (١٩٤٨) وكذلك في حرب القناة ضد الانجليز (١٩٥١)، فضلاً عن دورها في معسكرات تدريب القوى الشعبية على المقاومة[١]. وكذلك أبلى «اتحاد مسلمي أفغانستان» بلاءً حسناً ضد الروس الغزاة، وفي الجزائر هناك المقاومة ضد المحتل الفرنسي في -حربه الصليبية- على أيدي (ابن باديس) ومن بعده (الأمير عبدالقادر) ثم الجبهة الإسلامية للإنقاذ. وفي ليبيا هناك الحركة السنوسية ضد المحتل الإيطالي، وغيرهم كثير من الحركات الأصولية الإسلامية ذات الدور المشرق تجاه الأمة. فهذا جهاد لاشك فيه، لا يزيد عن حدود الدفاع عن النفس، ولا يمتد لظلم وضرر الآخرين. ذلك في مقابل الدور الإرهابي لأصولية الولايات المتحدة الإنجيلية التي اعتدت على الأفغان في عقر ديارهم وأزهقت أرواح آلاف الأبرياء. وقد أكد العديد من خبراء القانون والمنظمات الحقوقية في العالم أن ما تقوم به الولايات المتحدة نوع من الإرهاب، كما أنها تقوم بجرائم حرب ضد المدنيين[٢].

إننا حينما نناقش انتهاج بعض الجماعات للعنف، يجب التفرقة بين العنف الدموي ضد الأبرياء وبين فريضة الجهاد الغائبة عن فكر مسلمي هذا العصر، فإذا كنا ندين قتل الأبرياء في كل مكان ومن كل ملة ودين، فذلك لكونه ينافي عصمة الدم التي أقرها الشرع الحنيف، فإننا في الوقت نفسه نقر بالجهاد ضد المعتدي على الأرض المغتصب للعرض، كما أننا نعتز بالمجاهدين الصادقين الذين يعملون على استعادة الحقوق السليبة، وكما افتخرنا بالجهاد في أفغانستان ضد قوى الشر التي هاجمتها في عنترية وصلف، ولم تفرق بين مسلح أومدني فغيبت قرى فوق رؤوس أصحابها، ومع الجهاد في العراق ضد الحرب الصليبية التي أودت بحياة آلاف الأطفال، وأدت إلى سقوط مدينة السلام- للمرة الثانية- سقوطاً سريعاً مريعاً أدمى من ذي قبل، كما أننا نحث على الجهاد ضد المحتل الغاصب في فلسطين والحرم القدسي الشريف، وأقصاه الجريح الذي يرسل نداءات قوية مدوية إلى آذانٍ لا تسمع وقلوبٍ لا تشفع وأحاسيسَ قد تبلدت، «فما ترك قوم الجهاد إلا ذُلُّوا».

وأخيراً فإن الأصولية الإسلامية الحقة تسعى لإقامة مجتمع مسلم قائم على أصول الوحي السماوي، يأمن فيه الجميع- وأولهم المخالفون في العقيدة- على دينهم

---

(١) الباقوري، عبدالعال، العرب وإسرائيل وفلسطين، مكتبة الاسرة، القاهرة، (١٩٩٨)، ص ١٥-١٦.

(٢) ذكر تقرير منظمة العفوالدولية المنشور في (٢٠١٤/٨/١١)، ان الولايات المتحدة قامت بجرائم حرب ضد المدنيين في افغانستان.

وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم وحقوق جوارهم وفقاً للقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، ولم نرَ نظاماً ولا تشريعاً قدَّمَ مثلما قدَّمَ الإسلام من ضمانات لبعث المجتمع الفاضل، ولهذا كان يحسدنا بعض الأوروبيين على ذلك، يقول الكونت «فوغيه» : «لا يسعني سوى الإعجاب بما يسود اجتماعات أولئك القرويين الفقراء من الوقار والأدب، وما أعظم الفرقَ بين اتزان أقوالهم ونبل أوضاعهم ولغط بني قومنا ووقاحتهم»[1].

* * *

(١) جوستاف، لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الاسرة، عام (٢٠٠٠)، ص ٣٥٨.

الفصل الثالث

الأصوليات الدينية والمذهبية الأخرى

لم تقتصر الأصوليات الدينية على الأديان التوحيدية، فهناك العشرات من الأصوليات الملية والمذهبية بل حتى الوثنية، ومنها من انبثق عن أصوليات قائمة، كما حدث من الأصولية الطائفية (الشيعية) التي لم تكتف بمحاولة شق الدين، واستخدامه في تحقيق أطماع توسعية تاريخية، فعملت على المزيد من بث روح الانقسام فخرجت من عباءتها حركات مذهبية وطوائف وفرق معاصرة، لها أنشطة أصولية مكثفة في العديد من الدول العربية والأوروبية وتدعي الإسلام زوراً بهدف تشكيك المسلمين في العقيدة السليمة، والتشويش على الفكر المستنير، من قبل فئات، مثل: البهائية والبابية والقاديانية، وكلها تعمل ضد الإسلام بدعم ورعاية غربية، دأبها في ذلك دأب الأصوليات المسيحية واليهودية الأخرى، ولكنها أكثر خطورة لكونها تقوم بالغزو الفكري من الداخل، فهم أسلحة الاستعمار الفكرية التي يخربون بها معتقدات الأمة ويهدمونها بها، ما يُحدثُ لبساً عند عموم المسلمين. إن من أبرز ما يميز هذه النِّحَلَ والمِلَلَ المنبثقة عن الأصولية الشيعية، ادعاءَ بعضهم النبوة زوراً، ونفيَ خاتميةَ النبي صلى الله عليه وسلمَ بهتاناً، ومنهم من تطاول، وادعى الألوهية تجرؤاً على مقام المولى سبحانه. كما يجمعها الحقد والبغض الصريحين على الدين الحنيف، كذلك العلاقة مع الأصولية اليهودية ودعم المحتل البريطاني على حساب المسلمين.

فالأصولية القاديانية التي ارتدت عن صريح الدين،[1] تحظى بدعم غربي سياسي وديني كبيرين،[2] ونادراً ما يتطرق إليها أحد بالنقد أوالتجريح جراء ما ارتكبته من خيانة للأمة وتطرف عن عقيدتها الحنيفة، واعوجاجها عن صراط الله المستقيم، ورغم ما ارتكبته من مجازر بحق أبناء المسلمين، منذ النشأة عام (١٩٠٠)م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، لذا فقد أعلن مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة كفر هذه الطائفة وخروجها عن

(١) قرار رقم: ٤ بشأن القاديانية، مجلة المجمع – ع ٢، ج ١/٢٠٩ في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٥-٤٠٨

الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل معها، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين. وكان مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩-١٩٠٨)م أداةَ التنفيذ الأساسية لنشأة القاديانية. وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن- وكان للحكومة البريطانية إحساناتٌ كثيرةٌ عليهم، فأظهروا الولاء لها- فنشأ بدوره وفياً للاستعمار، مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان «غلام أحمد» معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات لذا فكان يبيح لأتباعه الخمر والأفيون والمخدرات، كان ينادي بإلغاء الجهاد، وكان يوجب الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية التي كانت تحتل الهند آنذاك، لأنها - وفق زعمهم - ولي أمر المسلمين وأقروا بالذل والهوان، فكانوا أئمة في النفاق والخيانة.

وتوجد أيضاً الأصولية البابية والبهائية، والتي تُعَدُّ أحد فرق الشيعة، وتقوم بنحوٍ أساسيٍ على تعظيم الخليفة الرابع والأئمة حتى كان مْن نبتهم فرقة تسمى بالباطنية التي أُسِّسَتْ في عهد الخليفة المأمون على يد الزنديق «ميمون بن ديصان القداح»، وهدفها الرئيس إبطال الشريعة بأسرها والقضاء على الدين، قال فيهم الإمام «الإسفراييني» في كتابه (التبصير في الدين): «وفتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال، فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يوماً وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهي قائمة بعد»، فهي أيضاً قد نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة (١٢٦٦) تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة وتثبيط همم وعزائم المقاومين للمحتل [1]. والبابية مذهب مصنوع من ديانات ونحل وآراء فلسفية، في مزيج من أخلاط الديانات البوذية والبرهمية الوثنية والزرادشتية، واليهودية، والمسيحية والإسلامية بالإضافة إلى اعتقادات الصوفية والباطنية.[2] ونسبتهم إلى : «ميرزا علي محمد» الذي ادّعى أنه (الباب) الموصل إلى صاحب الزمان أوالقائم أوالإمام المنتظر، وأنه وكيله أوالسفير بينه وبين الخلق، ولقد عاث وأتباعه في الأرض فساداً وتقتيلاً وتكفيراً للمسلمين[3]، وكانت كتبه تدعوللتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،مرجع سابق، ج ١، ص٤١٢

(٢) عميرة، عبد الرحمن، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها بيروت : دار الجيل، بدون تاريخ، ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٣) المرجع السابق

أما البهائية، فقد أسسها «عباد الميرزا حسين على النوري المازندراني الإيراني» الذى لقب نفسه بـ (بهاء الله)، وقام بنشر ضلالاته وافتراءاته بدعم المؤسسات الماسونية والصهيونية التي اتخذته مطية لتحقيق أهدافها باسم الدين ونال دعماً كبيراً من دول الاستعمار، ذلك لأن عقيدته هوالآخر تحرم الجهاد وحمل السلاح ما يخدم الدول الاستعمارية بالدرجة الأولى. فقد قال البهاء في الأقدس ص٩٤ «حُرِّمَ عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة». ولا أعلم ما هي الضرورة عندهم إذا كان الدفاع عن النفس ليس بضرورة، فقد صرح زعيمهم في زمن احتلال إسرائيل لأرض سيناء أنه لوأجبرت الحكومة المصرية البهائيين على القتال فسوف يطلقون أسلحتهم في الهواء. ومن أبرز الأفكار والمعتقدات تحريمُ الحجاب على المرأة وتحليلُ المتعة وشيوعية النساء والأموال[1].

ثم خلفه نجله عباس افندي، الذي داهن وتزلّف كثيراً في سبيل نشر دعوته بين كل الطوائف والملل والعرقيات حتى أنه قال في خطاباته (ص٩٩) «أعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة فإنك يمكن أن تكون بهائياً مسيحياً وبهائياً ماسونياً وبهائياً يهودياً وبهائياً مسلماً»، حتي أنه وافق النصارى في عقيدتهم في «صلب المسيح»، حين قال «ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمة الحق المتعال وقعت في أيدي اليهود أسيرة لكل ظلوم وجهول وانتهى الأمر بالصلب». وزار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، والعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بقوله: «وفي هذا الزمان وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، ويمتلكون الأراضي والقرى، ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين كلها وطناً لهم». كما استقبل الجنرال اللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب سير، فضلاً عن أرفع الأوسمة الأخرى كذلك فقد زار لندن وأمريكا وألمانيا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي، فأسس في «شيكاغو» أكبر محفل للبهائية، ومات بالقاهرة في عام (١٩٢١)م[2]. ولأن البهائية صنيعة صهيونية ماسونية في الأصل واليهود هم أخبر الناس بخطرها الداهم على المجتمعات، فإن الإدارة البهائية لا تسمح إطلاقاً أن ينشروا تعاليم دينهم في إسرائيل، ذلك على الرغم من وجود بيت

(١) البدر، عبدالله أحمد، الكتب والنبوءات عند الكونفوشيوسية والزرادشتية والبابية والبهائية والقاديانية ، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،(٢٠٠٩).

(٢) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، مرجع سابق، ص٣٩٦-٣٩٩ بتصرف

العدل البهائي (أعلى هيئة إدارية للملة البهائية) بجبل الكرمل «بحيفا»، وكذلك «قصر البهجـة الذي عاش البهـاء ودفن فيه في «عكا»، ومع أنهم أسسـوا حدائق في إسرائيل تزيـد تكلفتهـا على (٢٥٠) مليون دولار. وكل ذلـك يؤكد الارتباط الوثيـق بين البهائية وإسرائيل. وينتشر البهائيون في دول عديدة ويتركزون في إفريقيا والهند وفيتنام وفـى مناطـق واسعة مـن أمريكا اللاتينيـة، ولهم محافـل رئيسة في أديس ابابا والحبشة وكمبالا وأوغندا وجوهانسبرج وكراتشى، كما أن لهم ممثلون في الأمم المتحدة .

* * *

المبحث الأول

الأصولية الشيعية الاثنا عشرية (الصفوية)

نشأتها مظاهرها وأبرز أهدافها

تُعَدُّ الأصولية الشيعية من أقدم الأصوليات الدينية، حيث كانت بداية هذه الأصولية المذهبية تقوم على أساس النفاق والفتنة والقتل والفرقة بين المسلمين، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، علي أيدي «ابن سبأ» ومروراً بدورهم في قتل الخليفة الراشد الثالث بعد حصاره أياماً عدة، وكذلك مقتل سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومنذ ذاك الوقت نرى الأصولية الشيعية العنيفة لم تفوت فرصة للتوسع على حساب أهل السنة وتقويض انتشار الدين، فهي في أحضان اليهودية تارة وبين جنبات النصرانية تارة أخرى، سهامها لا توجه إلا إلى قلوب المسلمين من السنة، فقد قامت بالعمل على نشر الكثير من المذاهب والأفكار التي تحقق بعضاً من أهدافها التوسعية، وذلك برعاية القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية، بهدف تفكيك وحدة الأمة وصرفهم عن قضاياهم الأساسية[1] وقامت باتباع سياسة مرحلية، حتى بلغت مرحلة بالغة الخطورة في العصر الحديث، بعد أن أصبحت ألعوبة في أيدي الدوائر الاستشراقية والاستخباراتية البريطانية التي استطاعت بالتحالف مع مريديها من جحافل الباطنية وأعداء الإسلام من كل مذهب ودين، تقويض الخلافة العثمانية في السابق، واستخدمت لذلك الكثيرَ من الأدوات الهدَّامة من أبناء العالم الإسلامي[2]، ونلاحظ هنا أن المخطط التوسعي للشيعة يتماثل مع مخطط اليهود في أرض الأنبياء (فلسطين) والهندوس في (الهند) وكذلك مخططات الأصولية الإنجيلية ذات الأطماع التوسعية التي لا تنتهي. كما يتشابهون في دمويتهم جميعاً، فقام الشيعة بتدبير الكثير من حوادث الاغتيالات والجرائم والمجازر في حق أهل السنة من العلماء والقضاة والملوك والأمراء والوزراء والعامة على مدار التاريخ.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ج١، ص ١٨-٢١ بتصرف..

(٢) الشيعة في بلاد فارس هم من وصفوا أنفسهم بهذا الاسم، فيما يطلق عليهم اهل السنة الرافضة اصطلاحاً لكون هذه الطائفة قد رفضت خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده، اما الصفوية فهى نسبة إلى صفي الدين، إسحاق بن جبرائيل - والظاهر أنه تركي - العلوي - الحسني أوالحسيني -، توفي في أردبيل سنة (٧٣٥هـ) أخذ التصوف عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني، تشيع هوأوابنه صدر الدين موسى (مات سنة ٧٩٤ هـ)، كان أتباعه من السنة الذين انقلبوا إلى شيعة بسبب صفي الدين وأولاده وأحفاده (المؤلهين)، وكلهم من شمالي إيران،

أبرز مظاهر الأصولية الشيعية

هدم المساجد والمدارس السُّنِّيَّة:

قام الشيعة في ايران بهدم المساجد والمدارس الخاصة بأهل السُّنَّة بالعديد من المدن، فقاموا بهدم مسجد «فيض» في مدينة (مشهد)، فضلاً عن قيامهم باستباحة حرمة المساجد بالهجوم المسلح وإراقة دماء المصلين في مسجد «المكي «أكبر مسجد جامع للسُّنَّة في (زاهدان) عاصمة (بلوشستان)، كما تم هدم مسجد الشيخ «قادر بخش البلوشي»، كما تم هدم العديد من المساجد في محافظة (شيراز)، كما أن أهلَ السُّنَّة في إيران محرومون من بناء المساجد في مناطق كثيرة، مثل العاصمة طهران وأصفهان ويزد وشيراز وغيرها من المدن الكبيرة. في الوقت الذي تغض العاصمة بالعديد من الكنائس وبِيَعِ اليهود ومعابد الهندوس والسيخ والمجوس. (أين المرجع)

جرائم قتل طائفي للعلماء:

قامت الأصولية الشيعية بتصفية واغتيال وقتل العديد من علماء السنة في إيران والعراق بتهمة الوهابية. ففي إحدى السنوات قامت الدولة الإيرانية بإعدام ثلاثة من العلماء البارزين من السنة وهم: الشيخ «ناصر سُبحاني» الذي كان من العلماء البارزين في كردستان إيران، كذلك قاموا بتدبير قتل الإمام «آية الله أبوالفضل البرقعي» بسبب عودته للسنة بعد أن كان قد تلقى علومه في «الحوزة العلمية»، في «قم» بإيران، حيث ألف عدة كتب يرد فيها على الشيعة الإمامية، ومنها كتابه القيم النفيس «كسر الصنم». ولقد حاول رجال حرس الثورة الإيراني اغتياله بالرصاص الحي في عقر داره، ثم كرَّروا المحاولة أثناء صلاته، فأطلقت عليه أعيرة نارية حيث توفي رحمه الله في عام (١٩٩٢) م. ولقد قاموا كذلك بقتل العلامة «إحسان إلهي ظهير» عن طريق عبوة ناسفة أثناء إلقاءه محاضرة علمية في باكستان، ما أدى إلى مقتل ثمانية عشر شخصاً في الحال، وإصابة أكثر من مائة شخص وغير هؤلاء كثير.

تدبير التفجيرات والاغتيالات والمؤامرات خارج ايران

اغتيال الملك عبد العزيز بن محمد بن سعود:

في عهد الدولة السعودية الأولى تم قتل الإمام «عبدالعزيز بن محمد آل سعود»، في

سنة (١٢١٨) هـ وهوساجد علي يد شيعي من النجف، يقول الأمير «سعود بن هذلول»، في كتابه (تاريخ ملوك آل سعود) عن القاتل ما نصَّه: «قتله رافضي، اسمه عثمان من أهل النجف في العراق، جاء إلى الدرعية متنكراً، وغدر بهذا الإمام». ولم يكتف الشيعة بهذا، وإنما حاولوا قتل حفيده الملك «عبدالعزيز آل سعود» موحد الجزيرة، حيث قام ثلاثة من شيعة اليمن بمحاولة اغتياله أثناء الطواف في الحرم المكي، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل[١].

مجزرة بغداد وقتل الخليفة العباسي «المستعصم»:

ففي عام (٦٥٦) هـ قام الوزير الشيعي «ابن العلقمي» بمؤامرة لتسليم بغداد «لهولاكو» عن طريق تفريق الجند، وذلك بحجة تخفيف الأعباء المالية الثقيلة عن ميزانية الدولة العباسية، وعندما استولى هولاكوعلى بغداد خرج إليه الخليفة العباسي» المستعصم» -المُغرَّرُ به- ومعه سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والأمراء ورجال الدولة وأعيان العاصمة من أهل السُّنَّة، فلما اقتربوا من مكان إقامة السفاح «هولاكو»، قُبِضَ عليهم جميعاً إلا سبعة عشر نفساً، فدخل الخليفة العباسي بهؤلاء إلى «هولاكو»، وأُنزِلَ الباقون من مراكبهم التي قاموا بنهبها ثُم قتلوهم جميعاً، ثم أُحضِرَ أبناء الخليفة فضربت أعناقهم أمام الجميع. ثم اجتاح التتار عاصمة الخلافة الإسلامية- بغداد-بمساعدة الصفويين (ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي)، ودخلوا دار الخلافة ونهبوا كثيراً من الحُلي والأشياء الثمينة، ثم مالوا على أهل السنة في بغداد، فقتلوا جميع من قَدِروا عليه، من الرجال والنساء، وبلغ عدد الذين قُتلوا في بغداد مليوناً وثمانمائة ألف مسلم سُنّي على يد «نصير الدين الطوسي»، الذي رثاه «الخُميني» قائلاً: «ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام»[٢].

مجزرة المخيمات الفلسطينية في لبنان

في يوم الاثنين (١٩٨٥/٥/٢٠) م، اقتحمت ميليشيات أمل الشيعية[٣]: مخيمي

(١) بن باز، عبد العزيز، ترجمة الإمام «عبد العزيز بن محمد بن سعود «رحمه الله»، دار الوطن للنشر، الرياض، بدون تاريخ.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ط٣، (بدون ناشر)، ١٣٨٩ هـ، ص ١٢٨.

(٣) هي حركة شيعية لبنانية مسلحة، ذات عقيدة إمامية اثنا عشرية، أسسها موسى الصدر في لبنان عام ١٩٧٥م، للدفاع عن مصالح الشيعة، وأُطلق عليها بعد ذلك اسم (أفواج المقاومة اللبنانية).

صبرا وشاتيلا الفلسطينيين، وقامت باقتياد جميع العاملين في مستشفى غزة إلى مكتب أمل في أرض «جلول»، كما منعت القوات الشيعية الهلال الأحمر وسيارات الأجهزة الطبية من دخول المخيمات الفلسطينية، فيما قُطِعَتْ إمدادات المياه والكهرباء عن المستشفيات الفلسطينية، وفي اليوم نفسه تعرضَ مخيم برج البراجنة الفلسطيني لقصف عنيف بقذائف الهاون عندما أصدر «نبيه بري» أوامره لقادة اللواء السادس في الجيش اللبناني (شيعة) بمشاركة قوات حركة أمل في ذبح وارتكاب مجازر دموية بحق الفلسطينيين الضيوف العزل في بيروت الغربية، وفي يوم الثلاثاء (١٩٨٥/٥/٢١) م بدأ القصف الشيعي المركز من قبل قوات أمل بعد أن تم إخلاء المخيمات الفلسطينية الستة، حتى إن بعض التقارير قالت: إن طفلاً من المصابين يموت كل خمس دقائق، وبلغ عدد القتلى في هذين اليومين الاثنين والثلاثاء حوالي (١٠٠) قتيل و(٥٠٠) جريح، ثم امتدت أياديهم الملوثة بدماء أشقائهم وضيوفهم لتطول المستشفيات ودار العجزة والمعاقين، كما ذكر مراسل صحيفة (صنداي تلغراف) في بيروت أن عدداً من الفلسطينيين قُتِلُوا في مستشفيات بيروت، فضلاً عن قيامهم بفصل الرأس عن الجسد لدى مجموعةٍ من الجثث. كما قامت القوات بنسف أحد الملاجئ في (١٩٨٥/٥/٢٦) م الذي كان يوجد فيه المئات من الشيوخ والأطفال والنساء في عملية دنيئة، وأخيراً فلا يتوه عن بالنا حادث تفجيرات عام (١٤٠٩)هـ في «مكة المكرمة» الذي قام به شيعة كويتيون ينتمون إلى خلية (السائرون على خط الإمام الخُميني)، حيث نتج عن هذه التفجيرات قتل وجرح العديد من حجاج بيت الله الحرام.

علاقة الأصولية الشيعية بالدولة

لا شك أن إيران كدولة ثيوقراطية تتبنى نهجاً أصولياً واضحاً على مستوى سياسات الدولة ونظام الحكم فيها الذي يسيطر عليه «الملالي وآيات الله» من خلال مجلسي تشخيص النظام وشورى النظام، كما أن مرشد الثورة الإيرانية والذي يتم اختياره على أساس ديني، هو المتحكِّمُ في زمام أمور الدولة، حيث يمتد دورها اصولي السياسي إلى خارج الدولة، في دول عربية وأجنبية عدة، منها دول الخليج وسوريا ولبنان التي يصف قائد الحزب الأصولي السياسي المسلح الأكبر فيها (حسن نصر الله) العلاقة مع إيران قائلاً: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب، وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن

المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»[1].

مناطق انتشار الأصولية الشيعية

تشير الإحصائيات المختلفة إلى أن نسبة الشيعة في العالم تتراوح ما بين (١٠ :١٣٪) من إجمالي أعداد المسلمين، ويتركز معظمهم في دولة المعقل «إيران» وذلك بنسبة قد تصل إلى(٩٠)٪، وقد أكدت دراسة قام بها مركز «بيوللأبحاث»[2]- في حملة قامت بأكثر من(٢٥٠٠) إحصاء في (٢٣٠) دولة ومنطقة جغرافية بالعالم خلال العام (٢٠١٢)-أن الإسلام هوالأكثر قابلية للانتشار وموزع ما بين (٨٧ : ٩٠٪) من السُّنة والباقي من الشيعة. حيث يتركز باقي الشيعة –وبنسب متقاربة- في دول الهند، وباكستان، وتركيا، والعراق، ومن ثم اليمن، وأفغانستان، وأخيراً في أذربيجان والسعودية، حيث يوجد الشيعة في حوالي(١٩٨) دولة في العالم.

***

(١) شفيق، عبدالمنعم، مجلة المقاومة، العدد ٢٧، ص ١٥-١٦. نقلا من كتاب «حزب الله رؤية مغايرة».

(٢) مركز بحثي أمريكي مقره «واشنطن.» ويعمل في مجال أبحاث الشعوب ومقارنة الأديان والسلوكيات الاجتماعية.

المبحث الثاني

الأصوليات الدينية غير التوحيدية

لم تقتصر الأصولية على الأديان التوحيدية الثلاثة، إنما تعدتها إلى مذاهب شتى وملل متفرقة ونحل كثيرة، أنتقيت منها: الهندوسية والبوذية والسيخية، وكان من هذه الفرق من ارتبط بقيم روحية، وبعضها قد أسس مزيجاً من عقائد سماوية، ولكنها جميعاً قد ارتبطت وبشكل واضح بالاستعمار الغربي، خاصة البريطاني في الحقبة الماضية، بعد أن اقتسمت غنائم الحروب العالمية مع فرنسا وايطاليا، وكان من نصيبها العديد من الدول التي كانت تحت الحماية العثمانية، وفيما يلي عرض سريع لتلك الأصوليات وأبعادها وكذلك مظاهرها المختلفة.

المطلب الأول: الأصولية الهندوسية .. نشأتها مظاهرها وأبرز أهدافها:

تُعَدُّ الهندوسية من أقدم الديانات الوثنية المعاصرة التي يعتنقها سكان مناطق في آسيا، وخاصة الهند حيث تعود لأكثر من ثلاثة آلاف عام، وتعود نشأتها إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد[1]. أما الأصولية الهندوسية القومية فقد نشطت في الثمانينيات من القرن الماضي. **وما** يميزها من الديانات الأخرى هوأن لها أكثر من كتاب مقدس وتزخر بالمعتقدات الفرعية والشعائر المختلفة[2]. وتُعَدُّ الأكبرَ من حيث عدد معتنقيها. حيث يصل عددهم في العالم إلى ما يزيد على المليار نسمة، في الهند منهم ما يقارب من (٨٩٠) مليون نسمة، بما يمثل(٨١,٣) ٪من سكانها.

ولقد حدد منظروها أبرز أهدافها في: الوحدة الهندوسية، الحكم الهندوسي، أي إقامة الدولة الهندوسية، تطهير المسلمين، بمعنى إعادتهم إلى الهندوسية، وفتح أفغانستان وتطهيرها باعتبار أنها كانت مصدر كل الحملات التي وصلت إلى الهند[3].

ولقد افترضت الهندوسية منذ النشأة وجود ثلاثة تحديات رئيسة في مواجهة معها

---

(١) تميم بن عبد العزيز القاضي، الأصولية الهندوسية، بحث غير منشور.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص ٧٤٨-٧٤٩.

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند - عبد الرحمن الأعظمي مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، عام (١٤٢٤هـ). بتصرف.

منـذ زمن، الشيوعية، والنمط الاستهلاكي الغربي، والإسلام. (وليس من بينها بالطبع اليهـود ولا النصارى). أمـا الشيوعية فقد سقطـت، وأما النمط الغربـي الاستهلاكي فقـد انحازت له النخبة الهندية، وبالتالي لم يبـق إلا الإسلام هوالعدوالأوحد[1]، وهذا مـا دعا الأصوليـة الهندوسية إلى أن تسلـك مسلك العنف والتطرف الـذي أثار عليها حتـى الهندوس أنفسهم، وهنا أثر تاريخي هام يتمثل في الصراع الأصولي الهندوسي الإسلامـي الذي بدا مرتبطاً بصراع قومـي أدى في النهاية إلى تقسيم الهند وباكستان بمعرفـة القوى الاستعمارية الغربيـةً، كذلكً فقد ارتبط وجـود الأصولية الإسلامية في الهنـد ببعض عوامـل وجودها لدى الأصوليـة الهندوسية، من القضـاء على الشيوعية والقضاء على النمط الغربي، ولكن تتناقض كلتا الأصوليتين من حيث الهدف المتمثل في الدفـاع عن الهوية الإسلامية في بلد حكمه المسلمون قروناً عدة، بينما يهدف الهندوس إلى القضاء على الإسلام في الهند.

أبرز مظاهر الأصولية الهندوسية وجوانبها وميادين عملها

ما لا شك فيه أن حصر مظاهر الأصولية الهندوسية هومن الصعوبة بمكان، فإن المتتبـع للأحداث اليومية في هذا الصراع الذي يتناول شبه قارة خلال ما يقارب القرن مـن الزمن لَيَحْتَارُ في ذلك الكم الهائـل من الأعمال العدائية التي تسجل في سياق تلك الأصولية. وفيما يلي محاولة لترتيب بعض مظاهر هذه الأصولية المتنوعة، ما بين العمل السياسـي والتطرف الديني الفاشي والقوميـة العنصرية المسيطرة على شؤون الدولة، وسنتعرض لبعض هذه المظاهر بإيجاز:-

- تكوين الأحزاب والمنظمات الأصولية الإرهابية.
- الأعمـال الإرهابيـة، والمجازر الدمويـة، ومن أبرزها هـدم المساجد ومجزرة «جوجارات».
- الأطمـاع التوسعيـة للأصوليـة الهندوسيـة التـي تصل إلى حـدود الجزيرة العربية.
- الأصوليـة الهندوسيـة والسياسة. (التعـاون مـع اليهـود، كرافـد مـن روافد الأصولية الهندوسية)

---

(١) حايفي، مسعود، مدخل إلى دراسة الأديان، -دار الأوائل، -ط١، عام (٢٠١٠م).

أبرز المنظمات الأصولية الهندوسية.

يوجد في الهند أكبر عدد من الأحزاب في العالم فهناك ما يزيد على (٥٥٠) حزب سياسي. والأحزاب متنوعة: أيديولوجية وإقليمية وطبقية واجتماعية ودينية، ومن أبرز هذه الأحزاب: حزب المؤتمر القومي. حزب بهاراتيا جاناتا، الحزب الشيوعي الماركسي.. إلخ[1]، أما عن المنظمات الهندوسية المتطرفة فقد زادت على ما يربوعلى (٢٠) منظمة[2]، وأما عن أهم هذه الأحزاب الأصولية المتشددة، فهي منظمة «سوايامسيفاك سانج راشتريا» (R.S.S)، وتمثل الحركة الهندوسية اليمينية في الهند، وهي أشهر تلك المنظمات وأكثرها انتشاراً وتأثيراً في المجتمع الهندي، حيث إن عدداً كبيراً من قادة الحزب الحاكم (بهارتيا جاناتا) ينتمون إليها[3]. وتسيطر الطبقات العليا على المنظمة وعلى الحزب(بهاريتا جاناتا) على حد سواء ويتراوح عدد أتباعها بين مليونين وستة ملايين عضو. ما يجعل هذه المنظمة ثاني أكبر حركة سياسية في العالم بعد الحزب الشيوعي الصيني[4]. وتقصر المنظمة حق العضوية في المنظمة على الرجال فقط دون النساء وتحصر القيادة في البراهمة. وتهدف المنظمة إلى بناء معابد هندوسية على أنقاض ألفي مسجد وثلاثمائة كنيسة وخمس وثلاثين معبداً سيخياً، وتطالب بإغلاق نحو٢٥ ألف مدرسة دينية إسلامية في الهند، كما تنوي تدريب مليوني مدرس على أفكارها العنصرية والطبقية[5].

مظاهر الأصولية الهندوسية الدموية

لقد تسببت الأصولية الهندوسية ومنظمتها في خلق التوتر والفوضى في الهند، حيث مارست عمليات قتل وإبادة منظمة لقادة الديانات والأقليات الأخرى، ولم يسلم بعض الهندوس من الطبقات الأخرى من شرهم وكذلك المسيحيون الهنود، ومن ذلك:

١. اغتيال «مهاتما غاندي» على يد أحد نشطاء المنظمة وهو «ناتوام غوداس» من عائلة البراهمة، لمجرد أنه كان يدعوإلى الانسجام والمساواة بين جميع فئات الشعب.

٢. محاولة اغتيال عديد من قادة الهندوس من الطبقة الدنيا.

---

(١) استنكار مسئول هندي لاستهداف المسلمين بطريقة نازية تحت مسمى القومية، ضمن موقع: http://www.camlya.com

(٢) الإرهاب الهندوسي في حق المسلمين-جريدة الوحدة الإليكترونية، مقال منشور بتاريخ(٢٩ /٧ /٢٠١٠).

(٣) أخطر المنظمات الهندوسية الإرهابية: منظمة (آر.إس. إس)، مجلة المجتمع، ع (١٤٩١)، بتاريخ (٢٠٠٢/٣/٩) م.

(٤) الإرهاب.. الهندوسي، براكريتي غوبتا، جريدة الشرق الأوسط، ع (١٠٩٥١)، بتاريخ (٢١ /١١/ ٢٠٠٨) م.

(٥) محمد السيد الجليند، الأصولية والحوار مع الآخر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، عام(١٩٩٩) م، ص ١٣،

٣. ارتكبت أكثر من ثمانية آلاف مجزرة ضد المسلمين بين عامي (١٩٣٠) حتى عام (١٩٨٥)م.

٤. جريمة هدم المسجد البابري التاريخي في» ايودهيا» في نهاية العام (١٩٩٢).

٥. للمنظمة يد طولى في الضغط على الحكومة الهندية لبناء المعابد الهندوسية محل المساجد كما ان لها تاريخاً حافلاً في إسقاط الحكومات التي لا تستجب لمطالبها[١].

وقد شن «ديجفيجاي سينج»[٢]، خلال كلمته في مجلس الكونجرس الهندي بتاريخ(١٩/١٢/٢٠١٠)[٣]، هجوماً عنيفاً على الحركة الهندوسية اليمينية في الهند بسبب استهدافها المسلمين بالإرهاب والقتل بدعوى القومية: إن منظمة «سوايامسيفاك سانج راشتريا» تستهدف المسلمين بطريقة نازية تحت مسمى القومية من خلال عمليات القتل الإجرامية التي تنفذها ضد المسلمين في الهند...إن جميع الهندوس المتورطين في أنشطة إرهابية ضد المسلمين هم أعضاء في منظمة تبث بذور الكراهية في الجيل الجديد من مسلمي الهند، وهذا هوالخطر الأكبر على أمن وطننا[٤]. وهم بذلك يتشابهون مع النازية والصهيونية، حيث إن رؤية أحد مؤسسي الحزب بأن الهندوسية هي عرق سامي شبيهة برؤية «هتلر» بالنسبة إلى شعبه، وهويدعي أن «الآريين» هم من أصل هندي ولم يأتوا من آسيا الوسطى، كما أنَّ الشعب الصيني ينحدر من أصل هندي، وأن علوم الرياضيات لم تنطلق من العالم العربي، لكن من الهند والحقيقة أن هذا النوع من الرؤية هورؤية فاشية[٥]. ويسعى الحزب الهندوسي لسيطرة الطبقة العليا من المجتمع الهندوسي على كل المجتمع الهندي من خلال مشروعهم الذي يقوم على حق الجميع في العيش في الهند، بشرط أن يعترف الجميع لهم بالسيادة في هذا المجتمع، وبالتالي يصبح الحزب الشعبي الهندوسي في الحقيقة حزباً نازياً طبقياً[٦].

أبرز العمليات الدموية ضد المسلمين في الهند:

يبدوتطرف هذه الأصولية ماثلاً في حوادث متفرقة، فهم الذين منحوا الحركات

---

(١) عامر، محمد، الانتفاضة على العلمانية وظهور الأصوليات الدينية- منشور على موقع شبكة الألوكة، بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٤م.

(٢) الزعيم البارز في حزب المؤتمر الهندي الحاكم.

(٣) وفقا لما نقل موقع «ريليجيوسكوب» عن موقع «إينديا فيجين الهندي».

(٤) فاروق، حسين، مسئول هندي:الإسلاموفوبيا الهندوسية تهدد الأمن القومي، تصنيف فقه الأقليات المسلمة، موقع أون اسلام نت.

(٥) الإرهاب. الهندوسي، مرجع سابق

(٦)طه، أسعد، برنامج نقطة ساخنة، الموضوع، الهندوسية، شبكة الجزيرة، تاريخ الحلقة (١٩٩٩/٦/٢٤).

الفاشية الأوروبية شعارها الأشهر «الصليب المعقوف» وهم قاتلو المسلمين هناك[1].
يقول البروفيسور «أليف الدين الترابي»: إن تاريخ الهندوس مع المسلمين حافل بالمجازر والمذابح والاضطهاد، ومع أن المسلمين سمحوا للهندوس بحرية الديانة والتعبد إبان الحكم الإسلامي للهند، إلا أن الهندوسية وأتباعها استخدمت الوسائل الوحشية والإجرامية كافة لإبادة المسلمين وإنهاء الوجود الإسلامي في شبه قارة جنوب آسيا...[2]. إن هذه الحركة المتطرفة التي ذهب وفد منها إلى إسبانيا لدراسة كيف تم استئصال المسلمين من ديار الأندلس، تقوم أدبياتها على أن للمسلم مكانين فقط باكستان أو القبر. ولم يكتف بذلك المتطرفين من الهندوس، بل أنهم طالبوا بإعادة النظر في الحقوق الممنوحة للأقليات بما يعرف باسم (الجريمة الطائفية). وبذلك فإن المشكلة لا تقف عند حدود الأقليات، لكنها سوف تتجاوز هؤلاء المواطنين من غير الهندوس إلى الهندوس أنفسهم، من غير تلك الطبقة التي تدير الأزمة الآن[3].

أحداث المسجد البابري

لقد اقترنت أحداث المسجد الشهير بحملة دعائية زعمت أن كل مساجد المسلمين العتيقة قد بُنيت على أنقاض معابد الهندوس، وهي الحملة التي بررت هدم المسجد البابري في السادس من ديسمبر عام (١٩٩٢) وما أعقبها من صدامات دامية أودت بحياة ألفي مسلم[4].. والحقيقة أن أي قراءة تقديرية لحصيلة صدامات الطرفين تصيب المرء بالصدمة، فإذا ما تجاوزنا عن أحداث انفصال الهند وباكستان التي أودت بحياة مليون مواطن فضلاً عن (١٧) مليون آخرين أجبروا على الهجرة، فإن الفترة بين عامي (١٩٥٤)م و(١٩٦٣)م شهدت وقوع (٦٢) حادث مواجهة بين المسلمين والهندوس أدت إلى سقوط (٣٩) قتيلاً، و(٥٢٧) جريحاً، وفي عام (١٩٦٤)م كانت الحصيلة (١٠٧٠) حادث، و(٢٠٠٠) قتيل، وأكثر من (٢٠٠٠) جريح، وبين عامي (١٩٦٥م و١٩٨٤)م وقع (٣١٠) حادث، وكانت حصيلتها (١٦٠) قتيلاً، و(١٦٨٥) جريحاً، وبين عامي (١٩٨٥م و١٩٩١م) كانت الحصيلة (٦٢٠) حادثاً، و(٦٦٠) قتيلاً،

---

(١) شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، عام (١٩٧٦م).

(٢) بلخضر، كريمة، الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية، -رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة الجزائر، (٢٠٠٥) ص٢٢.

(٣) برنامج نقطة ساخنة، الهندوسية، مرجع سابق.

(٤) خان، ظفر الإسلام، محور لمحاربة «الإرهاب الإسلامي»
http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/islamic-world/8535400-00-2000%12-06-2000-.html

و(٦٩٥٠) جريحاً[١].

مجازر جوجارات:

وقد بدأت الجريمة في يوم (٢٨ /٢/ ٢٠٠٢)م، واستمرت لمدة يومين، حيث أسفرت عن:

إحراق(١٨) مسلماً وهم أحياء في «أحمد آباد» عاصمة ولاية (جوجارات)، ثم قاموا في اليوم التالي بإحراق أكثر من (١٢٢) مسلماً آخرين، ثم حاصروا منازل ومساجد ومتاجر المسلمين، وأشعلوا النار على من فيها وهوما أدى إلى استشهاد (٥٠٠) مسلم حرقا في أسوأ مجزرة بشرية، وقال وفد حقوق الإنسان الهندي خلال اجتماع لهم مع أعضاء في «**منظمة العفوالدولية**: «إن المسلمين الناجين من القتل الجماعي لا يزالون ينتظرون إعادة تأهيلهم بسبب الأزمة النفسية التي عاشوها»، وأكد الوفد بأنهم يعيشون في مناطق عشوائية ولا يحصلون فيها على مياه شرب نظيفة[٢]. يقول» إدوارد لويس»: « وإلى الآن عند كتابة هذه الصفحات (٢٠٠٦) لم توجه تهم القتل العمد أثناء أعمال العنف في ولاية غوجارات إلا إلى حفنة قليلة من الأشخاص، في حين ما يزال مائتا مسلم رهن الاعتقال دون محاكمة وفقاً لقوانين مكافحة الإرهاب في الهند بتهمة قتل ركاب قطار غودرا، ولم يعتقل هندوسي واحد وفقاً لهذه القوانين»[٣].

علاقة الأصولية الهندوسية بالسياسة والدولة

هناك علاقة متينة ودائمة بين الأصولية الهندوسية والدولة، فعلى الرغم من أن إنشاء حركة (R.S.S)، العنصرية كان مخالفاً للدستور العلماني للهند الذي لا يُفَرِّقُ بين الأديان، إلا أن الحركة قد توسعت بشكل كبير، فأنشأت هيكلاً كبيراً، يضم منظمات سياسية وتعليمية واجتماعية، ولقد برز نجم الحركة أثناء مشكلة المسجد البابري[٤] في أوائل الثمانينيات حيث أحسنوا توظيف القضية بحيث جعلوها قضية شعبية عامة

---

(١) الإرهاب الهندوسي في حق المسلمين، مرجع سابق.

(٢) تقرير منظمة العفوالدولية بشأن مجزرة جوجارت، والمنشور في ديسمبر (٢٠٠٢)،. وتبعه تقرير آخر نشر في مارس (٢٠٠٣) م.

(٣) لوس، إدوارد، على الرغم من الآلهة، النهوض الغريب للهند الحديثة، ترجمة: معين الإمام، مكتبة العبيكان، ط١، عام (٢٠٠٩)، ص(١٧٩)

(٤) (مسجد البابري) الواقع بمدينة (إيودهيا) في الشمال، والمنسوب إلى (بابر) أول إمبراطور مغولي حكم الهند

للهندوس الذين نظروا إلى هذا المسجد كأنه علامة وشعار للغزو المسلم لهذه البلاد. وبين الحزب الحاكم «بهارتيا جاناتا» و«آر. أس. أس»، علاقاتٌ وطيدةٌ غير خفية، ويُعتَبرُ الحزبُ الجناحَ السياسي لها، حيث إن معظم القيادات الهندوسية البارزة في الحزب قد تدربت في معسكرات المنظمة أوتولت مناصب مهمة فيها. كما أن كثيراً من المنظمات الهندوسية المتطرفة تحالفت مع الحكومة الهندية في تشكيل الحكومة، وهي من وقت لآخر تضغط على الحكومة المركزية لتحقيق أهدافها ضد المسلمين والأقليات الأخرى. يقول رئيس المنظمة: «على المسلمين والنصارى في الهند أن يظهروا بمظاهر الحضارة والثقافة الهندوسية، فقد حان الوقت ليختاروا أحداً من أمرين: إما ترك مظاهر دينهم، أويُعاملون كأنهم أجانب على المجتمع الهندي[1].

الأطماع التوسعية

إن الأصولية الهندوسية تسعى إلى التوسع حتى جزيرة العرب، وتعمل على ضم مناطق من دول مختلفة منها مصر، حيث يحلمون بالهند الكبرى، حدودها من قناة السويس غربًا إلى سنغافورة شرقًا، حيث أشار فيلسوف الهند الشهير (بي. إن. أوك) في كتابه[2] «الأخطاء في البحوث التاريخية للهند»: وهناك دلائل عديدة يُسْتَنْتَجُ منها أن الجزيرة العربية خضعت لسلطان الملك الهندوسي «فيكراماديتيا»،كما أن المعبد -الكعبة- يعود في بنائه إلى عام (٥٨) ق.م على يد الملك نفسه، كذلك قيل إن حدودها من جزيرة «بالي» إلى حدود «البلطيق» ومن كوريا إلى الكعبة، ويؤكد الساسة الهنود على ضرورة أن تسيطر الهند على سنغافورة والسويس الذين هما بمثابة الباب الرئيس، وإذا تغلبت عليهما قوة معادية أخرى فستعرِّضُ الهند واستقلالها للتهديد[3]، إذ تقول الأسطورة الهندية أن الإمبراطورية الهندوسية كانت تمتد ذات يوم من سنغافورة في الشرق إلى نهر النيل، مروراً بشبه الجزيرة العربية، وهوما أكد عليه» نهرو» في كتابه:

---

(١) الصراع الهندي الباكستاني، موقع المقاتل الإلكتروني.

P. N. Oak. .Research Indian Historical Some Biunders of.. Baharati Shaetiya Sadan. (2) Delhi. (2008)

(٣) أحمد إبراهيم خضر،هجمات مومباي ومطامع الهندوس في مكة المكرمة- مقال منشور على موقع الألوكة.

http://www.alukah.net/Çulture/227072/

وأنظر أيضاً: دراسة منشأ الحركات الأصولية وتداعياتها- خليل حسين، دراسة مقدمة إلى الجيش اللبناني-مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية (RSSÇ)

http://drkhalilhussein.blogspot.com/201104//blog-post__3454.html

«إن حاجة الهند للنفط تجعلها تهتم بدول الخليج العربي»[١].

أبرز العقائد الهندوسية:

إن الديانة الهندوسية تُعَدُّ ديانة خالية من العقائد الرئيسة الجامعة، يقول (غاندي): «ومن حظ الديانة الهندوسية أنها ليست لها عقيدة رئيسة، وأما الاعتقاد بوجود خالق وعدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهوهندوسي، سواء آمن أم لم يؤمن»[٢]. وفيما يلي مناقشة لأبرز تلك العقائد:

أولاً: الوثنية

الهندوسية ديانة وثنية، ومنشأ الوثنية فيها يعود إلى كون معتنقيها يعبدون القوى المشاهدة المؤثرة في الكون حسب زعمهم، حتى وصلت آلهتهم إلى(٣٣) مليوناً، ثم حصروها في ثلاثة فقط.

ومن أهم مظاهر الوثنية الهندوسية: عبادة الأبقار التي تحظى بأسمى مكانة وأرفع درجة، لأنها كانت من أغلى ثروات الآريين، وكانت تدر عليهم فوائد كثيرة، فوضعوا في كتابهم المقدس أبياتاً لتمجيدها، فهي(ابنة الإله) ومركز الحياة، ومصدر العلم، لذا فإن الهندوس يعبدونها ويقدسون روثها، وأحب الصدقات عند الهندوس الصدقة للبقرة[٣]، وتعيش حوالي ربع مليون بقرة معززة مكرمة، ولا يجرؤ أحد على الحد من حركتها، فهي حُرة مدللة، بل وتدفن عند موتها، بينما يُحْرَقُ الإنسان عند موته.

ثانياً: عقيدة حرق الموتى والحياة الآخرة

يعتقد أتباع الديانة البرهمية أن الأجسام عند حرقها بالنار، تعلوشعلتها فتتجه إلى الأعلى، وبذلك تصعد الروح إلى الملكوت، وتتخلص من غلاف الجسم[٤].

ثالثا: نظام الطبقات

يتكون المجتمع الهندوسي من أربع طبقات رئيسة: حيث تعلوها الطبقة البيضاء

---

(١) Jawaherlal Nehru. .Discover India:. The Discovery Of India.. Oxford University Press. .Delhi.(1985).p.467

(٢) http://www.almasry-alyoum.com/article2.aspxωÂrticleÏD=114385

(٣) http://www.almuhands.org/forum/showthread.phpωt=1285-

(٤) http://www.islamicnews.net/Çommon/ViewÏtem.aspωDocÏD=49906&TypeÏD=2&Ïtem ÏD=387

وهي طبقة البَرَاهِمَة : وهم رجال الدين البرهمي الذين يبينون أحكامه، وهم أعلى الناس، وخلاصة الجنس البشري. وثاني هذه الطبقات، الطبقة الحمراء (طبقة الجند) : وهم القوة والحماة والغزاة، ويَلُون مرتبة البراهمة مباشرةً، يليهم الطبقة الصفراء وهم طبقة الزراع والتجار، أما عن الطبقة الرابعة فهي الطبقة السوداء: وهم طبقة الخدم والعبيد، وأخيراً في قاع السلم الطبقي تأتي طبقة المحرومين (أولاد الفحشاء) : ويُسَمون (الأنجاس)، وتشمل أهل الحِرَف المتدنّية، من حفّاري القبور، وعمال النظافة وخلافه[1]. لقد بُني التقسيم الطبقي على النَسَب وعلى الحِرَف، فلكل طبقة عبادتها الخاصة بها، لا يحق لغيرها من الطبقات أن تتناولها، ولا يتزوج الرجل امرأة من طبقة أعلى من طبقته.

ولا شك أن هذا النظام الطبقي يعد أساساً لما يلاقيه المسلمون وغيرهم من اضطهاد هندوسي، فكل مَنْ سِوَى الطبقات الثلاث العليا من الهندوس قذر وغير نظيف، فتعاليم العقيدة الهندوسية تفيض حقدًا وكراهية للبشرية عامة. لذا فقد ذكر «البيروني»- في مؤلفه الشهير (الهند)[2]، الذي كتبه قبل ألف عام عندما زار الهند لتعلم اللغة السنسكريتية- أن تعصب الهندوس موجه إلى كل من لا ينتمي لهم أيًا كان، فهم يسمونه «مالشهاس» أي العرق غير النقي، ويُحَرِّمون إقامة علاقة معه والأكل معه أومجالسته أومخالطته وذلك لاعتقادهم دينيًا بأن ذلك سوف يدنسهم.

المطلب الثاني: الأصولية السيخية: نشأتها مظاهرها وأبرز أهدافها:

أما عن الأصولية السيخية في الهند، فأصلها جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، داعية إلى دينٍ توفيقي جديد، زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية، والهندوسية تحت شعار: (لا هندوس ولا مسلمون)، فهم بذلك قد عادوا المسلمين وبشكل عنيف، كما عادوا الهندوس في الوقت نفسه، بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ

---

(١) http://www.islamonline.net/servlet/Satelliteωc=ÂrticleÂ__Ç&cid=1264249855199&pagename=Zone-Ârabic-News%2FNWÂLayout

(٢) البيروني، أبوالريحان، في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أومرذولة، مطبعة مجلة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، عام (١٩٥٨) م.

بالولاء الشديد للبريطانيـين خلال فترة استعمار الهند[1]. ولقد أسسها رجل من عباد البقر اسمه «نانك»، وُلِدَ في البنجاب (١٤٦٩) م، وكان من صغره محباً للخلوة والعزلة وكانت تظهر عليه علامات النبوغ، ثم انكب في شبابه على دراسة الأديان فدرس الديانة البوذية والهندوسية والإسلامية، ولما شبَّ عمل محاسباً لزعيم أفغاني، وهناك تعرَّف على عائلة مسلمة كانت تخدم هذا الزعيم[2]. وكان يرى أن جميع الأديان التي درسها فيها خير، وأنها على حق، ثم بعد كبره استنكر كثيراً مما كان يشاهد ومما يُمارَسُ من قِبَلِ الهندوس، حيث إنه كان هندوسياً في الأصل، لكنه أخذ يفكر فوجد أن هذا الدين باطل، إذ كيف يكون البراهمة خُلِقُوا من رأس الرب، و«الكاشتر» خُلِقُوا من ذراعه وغيرهم خلقوا من فَخِذِه، وهكذا، في أربع طبقات متمايزة، وكيف تكون البقرة إلهاً؟ أمور لا يقبلها العقل وبالتالي وجد أن هذه وثنية لا تليق، وقال: لابد أن يكون لهذا الكون إله حقٌّ يُعْبَدُ، فكفَّرَه بعض الهندوس واعتبروا كلامه أقرب لعقيدة المسلمين، ومن الأشياء التي خالف فيها العقيدة الهندوسية القول بتناسخ الأرواح، ونظام الطبقات، وحارب هذه الأمور محاربة شديدة[3].

وبعد وفاته ترك مبادئ ليست واضحة وليست كلية، ثم جاء بعده مجموعة من أتباعه خلفوه، حتى جاء خليفتهم العاشر «غوبند» الذي قعَّد قواعد دينية، وقواعد الدين عندهم الآن مأخوذة منه، وهذا الخليفة كان من أشجع خلفاء السيخ، وأَخْبَرهم بأمور الحرب، وهوالذي صرف همَّه كلَّه لتوحيد صفوف السيخ، وقد وحَّد صفوف السيخ وقواعدهم، وبثَّ فيهم روح العداء للمسلمين، ودعا أنصاره إلى حمل السلاح للحماية من المسلمين ومعتقداتهم، وأنه لابد للسيخي قبل موته أن يعمل جاهداً على قتل مسلمٍ حتى يحوز على رضا إلهه.

أبرز أهداف الأصولية السيخية

لم يكن للسيخ أهداف محددة، فغايتها- منذ النشأة- كانت التحكُّمَ في الجماعة السيخية ووضعَ حدٍّ فاصل بين السيخ والهندوس، وهذا الحدُّ الفاصل ذوطابع سياسي إلا أن السياسة هنا ليست قائمة بذاتها، إذ هي مغموسة في الدين. كما أن السيخ لم

---

(١) دراسة منشأ الحركات الأصولية وتداعياتها- مرجع سابق.

(٢) مجلة الدعوة المصرية، ع ٩٥، ذوالحجة ١٤٠٤هـ سبتمبر ١٩٨٤م.

(٣) J.D. Cunningham: History of the Sikhs. 2 nd ed. (1953)

يكونـوا محاربين، حتـى تدخل الاحتلال الإنجليـزي فأوغر صدورهم تجـاه مخالفيهم وحملـوا السلاح وأصبحـوا محاربين، بعد أن كانوا رهباناً وأرهقـوا دولاً عدة من جراء عملياتهم الدموية.

أبرز مظاهر الأصولية السيخية

لقـد تعرض السيخ في البداية لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم، وقـد كان أشدُّ المغول عليهم «نادر شاه»[1] الـذي هاجمهم ما اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبـال والشعاب. وقد هاجم السيـخ سنة (١٧١٠) مدينة «سرهند» لـمدة أربعة أيام، وعاثـوا فيها فسـاداً، وقتلوا ألوفـاً مؤلفة من المسلمـين في هذه البلـدة[2]، حتى صاروا بعـد عام (١٧٦١)م حكامـاً للبنجاب وذلك بعد ضعف المغول، حيث احتلوا لاهور عام (١٧٩٩)م. وفي عام (١٨١٩)م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان، ووقفوا مع الإنجليز في حربهـم ضد الأفغان، عام(١٨٣٨)مـ، وتمكنـوا من تحويل كثير من المساجد إلى معابد حتـى وصلت إلـى ممر خيبر في عهد المهراجـا «رانجيت سنغ»، متغلبـين على الأفغان. وحينما وصل الإنجليز حصلت مصادمات بينهم وبين السيخ واضطروهم لأن يتراجعوا ويتوقفـوا، وأجبرهـم البريطانيون على دفـع غرامة كبيرة وتسليـم جامووكشمير، كما عينـوا في لاهور مقيمـاً بريطانياً يدير بقيـة مملكة السيخ، وصاروا بعـد ذلك شديدي الـولاء للإنجليـز، بل ساعدوهـم على احتلال البنجـاب. ثم تحول السيـخ إلى أداة في أيـدي الإنجليـز يضطهدون بهم حركات التمـرد (١٨٥٧)م، وفي مقابـل ذلك حصلوا مـن الإنجليز على امتيازات كثيرة، منها منحهم أراض زراعية وإيصال الماء إليها عبر قنوات، ما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن غيرهم. ولقد شكلوا أكثر من (٢٠)٪ مـن الجيـش الهندي في الحرب العالمية الأولى، ووُقِعـتَ العديد من المذابح في البنجاب

---

(١) نادر شاه هومؤسس السلسلة الافشارية في ايران، ولد في عام ١٦٨٨(م) وجلس على العرش في ١٧٣٦م) وقتل ليلة ١١ من جمادى الثانية ١١٦٠هـ (٢٠ كانون الثاني ١٧٤٧م) وكان يعين أباه على رعي ما يملكان من قطعان الغنم والماعز، فلما بلغ الثامنة عشرة وخلف أباه كبيراً لأسرته اختطفه هووأمه المغيرون الأزبك وحملوهما إلى خيوة حيث باعوهما عبيداً. وماتت الأم،، ولكن نادراً هرب وأصبح زعيماً لعصابة لصوص، واستولى على كالات ونيشابور ومشهد، وأعلن ولاءه وولاء هذه المدن للشاه طهماسب، وتمهد بطرد الأفغانيين من فارس ورد عرش فارس إلى طهماسب. وقد أنجز هذا كله في حملات متلاحقة (١٧٢٩-١٧٣٠) ورد طهماسب إلى عرشه، فمين نادراً سلطاناً على خراسان وسيستان وكرمان ومازندران. أما عن قبيلته فهي احدى القبائل التركية، التي سكنت الصحراء، وكانت تشكل الجناح الايمن لجيش اوغوزخان وقبيلة الافشار تنتسب الى القبائل التركمانية

(٢) طريق الإسلام، التصنيف: الملل والنحل والفرق والمذاهب، ٤ جمادى الأولى ١٤٣٠ (٢٩/٤/٢٠٠٩)مـ.

تحديداً، وفي الهند عموماً بين السيخ والمسلمين، لدرجة قيامهم بحرق مئتي امرأة مسلمة في العام (١٩٦١) ،ثم انضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية وذلك إثر قيام مشكلات بينهم وبين الإنجليز.

على إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ أمرت «أنديرا غاندي» رئيسة وزراء الهند في شهر يونيو (١٩٨٤)م باقتحام معبد «الإله» الذهبي في «أمرتيسار» فأرسلت الحكومة وحدات من الجيش لنسف < المعبد الذهبي < لتطهيره من العناصر الإرهابية المحتمية بداخله، حيث اشتبك الطرفان وقُتِلَ فيه حوالي (١٥٠٠) شخصٍ من السيخ و(٥٠٠) شخص من الجيش الهندي. وكان بداخل المعبد زعيم الأصولية السيخية «جارنيل سبخ بندراندال»[1]. وفي (٣١ / ١٠ / ١٩٨٤)م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه انتقاماً لاقتحام المعبد، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص. ولقد اشتُهِرَ السيخ خلال حكمهم بالعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين فمنعوهم من أداء الفرائض الدينية وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية، وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما التي قُتِلَ فيها كثير من المسلمين الأبرياء.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لهم بلد مقدس يعقدون فيه اجتماعاتهم المهمة، وهي مدينة «أمرتيسار» من أعمال البنجاب، وهم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والمسيحية والهندوسية، وأكثرية في البنجاب إذ يعيش فيها (٨٥)٪ منهم، فيما تجد الباقي في ولاية «هاريانا»، وفي «دلهي»، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد أستقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق إفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا. وقد شيدوا أكبر معابدهم في العالم، وذلك في ولاية كاليفورنيا. وقد أنشأ السيخ عدة مؤسسات تنظيمية في الولايات المتحدة، بما فيها مجلس السيخ في أمريكا الشمالية، لينسق أنشطة السيخ في هذه المنطقة. ويُقَدَّرُ عدد السيخ حاليًّا من (١٥-٢٠) مليون نسمة داخل الهند وخارجها. [2]. وفي الولايات المتحدة، يوجد حوالي نصف مليون سيخي[3].

---

(١) مراد وهبة، أصوليات هذا العصر، مقالة منشورة بمجلة الاهرام الديمقراطية، بتاريخ (٢٠١٢/٠٤/٣٠) م.

(٢) www.sikhs.org

(٣) gem-wec/mmrc/mmrc9805.htm

المطلب الثالث: الأصولية البوذية: نشأتها مظاهرها وأبرز أهدافها

ولد بوذا [١] في مدينة «لمبنى» [٢] قريب من «كبلوستو» وكان أبوه «شد ودن» ملك «شاكيا» [٣]، وهناك خلاف كبير بين المؤرخين حول بوذا ووجوده التاريخي لأن تدوين تعليماته لم يبدأ إلا بعد مضي ثلاثة قرون في زمن الملك «أشوكا» [٤]، عاش مع الرهبان ست سنوات يتحمل المشاق، وبقي يدعو الناس إلى دينه خمساً وأربعين سنة حتى توفي وهو ابن ثمانين.

أبرز المعتقدات

من حيث المعتقد، فإن تعليمات «بوذا» تُعَدُّ من أبرز مظاهر هذه الأصولية، وتتمثل في مجموعة من الحقائق والواجبات مثل: الحقائق المقدسة في أسباب وجود الحزن والآلام، وفي الأعمال التي يجب اتباعها للقضاء عليها. وهي ثمانية أصول: الاعتقاد الصحيح، والنية الصالحة، والقول السديد، والفعل الحسن، والكسب الصحيح والسعي المشكور، والذكرى الصالحة، والمراقبة الصحيحة.

الأصول العشرة للرهبان:

أما عن أصول الرهبان لدى البوذيين، فهي عشرة أصول: تحريم قتل النفس، وتحريم السرقة، وتحريم الزنا، وتحريم الكذب، وتحريم الخمر، وتحريم الرقص والموسيقى، وتحريم التطيب، وتحريم الأكل بعد الظهر، وتحريم الجلوس على الشوارع، وأخيراً تحريم قبول الهدايا من الذهب والفضة. ولا يعتقد بوذا في وجود الطبقات مثل الهندوسية بل سوَّى بين الناس جميعاً [٥].

---

(١) أصل الكلمة «بودها» Buddha معناها صاحب العلم والمعرفة واسمه الحقيقي «سدهارتا» siddharth اختلفوا في تاريخ ولادته فقيل سنة ٨٥٢ ق. م وقيل ٦٥٢ق .م وقيل ٥٥٢ ق٠ م وقد رجع علماء الغريب سنة ٤٨٣ ق.م

(٢) والآن تسمى «رميدايا» وهي شرق محطة القطار «نوتنوا» بقريب٨ أميال.

(٣) وقد وجدنا في التاريخ أن «بديا» و «دندبانى» كذلك يسميان ملك شاكيا، فدفعا للتعارض قال بعض المحققين إن الحكومة كانت جمهورية والنواب لهذا البرلمان يسمون ملوكا.

(٤) «أشوكا» ملك من ملوك الهند عاش قبل المسيح بقرنين وفي الآخير اعتنق الديانة البوذية وقام بنشرها فأرسل الدعاة إلى الصين واليابان والتبت وسيلان وبورماوهوالذي أمر ببناء تماثيل بوذا في مسقط رأسه بعد ٣١٨سنة وأمر بكتابة الحكم البوذية وتعاليمها على اللوحات الحجرية

(٥) يقول بوذا: الإنسان محيط بالآلام والمصائب ولا يستطيع أن يتخلص منها حتى بعد الموت لأن مولده يتكرر فهو في بحر الحياة والممات يلطمه الموج من جميع النواحي .

أبرز مظاهر الأصولية البوذية

سوف نتناول بشيء من التركيز بعض مظاهر الأصولية البوذية من حيث البعد الديني والبعد السياسي، والتي أخذت طابعاً دموياً في بعض البلاد (تايلاند- بورما)، وتمثل تايلاند حالة نموذجية من حيث البعدين الديني والسياسي، فهي

٣- وفي إطار سعيها للقيام بدور إقليمي في منطقة جنوب شرق آسيا على حساب إندونيسيا، مستغلّةً ما بات يُعرَفُ بحربِ الولايات المتحدة على الإرهاب - قد اعتبرت الأقليّة المسلمة الكبيرة مقصودةً بالحرب على الإرهاب، فتقوم بالقبض العشوائي عليهم، كما يتعرض المسلمون لحملة منظمة من الكنائس المحلية لتنصيرهم قسراً، هذا غير المواجهات الدامية مع المليشيات البوذية المسلحة المدعومة من الحكومة، فضلاً عن التعاون مع المخابرات الأميركية بشأن اصطناع قضايا ذات طابع إرهابي، لتقديم نفسها كحليف لا يمكن الاستغناء عنه. وفي الوقت نفسه استجابة للضغوط الأمريكية التي ترى أن جنوب تايلاند هومنطقةٌ تعمل فيها الجماعات الإسلامية المسلحة التي تُصنّفها أمريكا كجماعات إرهابية. ونتيجةً لتعرُّض المسلمين للاضطهاد والتمييز والحرمان من حقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية لصالح الدولة البوذيّة القوميّة، فقد قاد ذلك إلى إحياء «الجبهة المتّحدة لتحرير فطاني»[1] .كآليّة دفاع ورد على محاولات المملكة السياميّة التي تهدد الوجود الإسلامي في جنوب تايلاند، خاصّة مع مجيء رئيس الوزراء البوذي «تاكسين شيناواترا» للحكم عام (٢٠٠١) م ـ الذي غذّى موجات أصولية ذات طابع بوذيٍّ بين قطاعات واسعة من الشعب التايلندي ضدّ المسلمين في الجنوب.

وتتعدد التقارير المتنوعة عن صور العنف المريعة التي يرتكبها الجيش والشرطة بحقّ المسلمين، فالتقديرات تشير إلى أن ضحايا العنف الرسمي من جانب الدولة بلغ (٤٠٠) قتيل، كما شهدت ولاية فطاني في شهر أبريل الماضي مذبحة داخل أحد المساجد راح ضحيتها (٣٢) شخصاً، بالإضافة إلى ذلك يقوم الجيش التايلندي باختطاف المسلمين في الجنوب، بهدف نشر الخوف بين أفراد الأقلية المسلمة. فقد اتهمت **منظمة العفو الدولية** الجيش التايلاندي بانتهاج سياسة «الاختفاء القسري» بحقّ المسلمين في الولايات الجنوبية[2]، وطالبت المنظمة الدولية الحكومة التايلاندية الحالية بالعمل على نبذ هذه السياسة، ومكافحتها، والقضاء عليها، وقال «براد إدامز» - مدير

---

(١) راغب السرجاني،موقع قصة الإسلام، بتصرف.

(٢) هناك أكثر من عشرة تقارير تتحدث في الشأن التايلاندي، من اهمها: تقرير عام (٢٠٠٧) م، وتقرير عام (٢٠١٣) م.

منظمة العفو الدولية في آسيا - : «إن عمليات الاختفاء القسري تظهر كسياسة تُنتهج من قِبل السلطات وليس مجرد تجاوزات من عناصر قوات الأمن». وحمّل التقرير قوات الأمن التايلاندية مسؤولية اختفاء نحو(٢٢) شخصاً، وأكدت المنظمة أن عدد حالات الاختفاء أكبر بكثير مما ورد بالتقرير، مشيرةً إلى أن العديد من الأسر تخشى بشدّة من أن تفصح عن حالات الاختفاء الأخرى. وتقول المنظمة: إن العديد من الأشخاص المسؤولين الذين يقفون وراء عمليات تعذيب واختفاء مازالوا يحتفظون بمناصبهم. وذكرت **مجموعة الأزمات الدولية**[1]، في تقرير لها أن تقارير ذات مصداقية بشأن عمليات تعذيب، وقتل غير قضائية، وقعت بحقّ مسلمين في الولايات الجنوبيّة، ومنها حادثُ قتل داخل الحافلات المغلقة لأكثر من (٨٠) مسلماً بعد القبض عليهم في مظاهرة كما قُتل في المظاهرة نفسها سبعة مسلمين برصاص الجيش الذي أطلق الرصاص المباشر على الأجساد، وبرر رئيس الوزراء ذلك بقوله: إن المسلمين قُتلوا بهذا الشكل بسبب ضعفهم البالغ، لأنهم كانوا صائمين، واعتبر ما قامت به قوات الجيش والشرطة - من انتهاكات أقل ما يقال في حقها أنها جرائم حرب - عملاً رائعاً[2].

ومن المظاهر الغريبة لتلك الأصولية السعيُ لإضعاف شوكة المسلمين، وإذابتهم في الكيان التايلاندي، من خلال: تغيير أسماء المسلمين، وإلغاء حجاب المرأة، وتهجير السلطات للتايلانديين البوذيين إلى فطاني؛ للحد من الأغلبية المسلمة، وإضعاف اقتصاديات المناطق المسلمة، وذلك بتمليك أخصب الأراضي للبوذيين، وتشجيع البعثات التنصيرية للعمل في البلاد، وكانت صحيفتي «**الواشنطن تايمز**»، «**والأسوشيتد برس**» قد ذكرتا أن مائة من مسلمي الجنوب بتايلاند فوجئوا أثناء تأديتهم صلاة الفجر بقنبلة تنفجر في المسجد، وقد وُصف الهجوم من المتحدث الرسمي للجيش بأنه هجومٌ موجّه من قِبَلِ ما لا يقلُّ عن (١٠) أشخاص بوذيين فروا بعد ارتكاب جريمتهم في سيارة كانت تنتظرهم[3].

---

(١) تقرير مجموعة الأزمات الدولية (بروكسل)، الصادر في شهر فبراير (٢٠٠٧) م.

(٢) تشابه قدري، بين سلوم انقلابي مصر ودورهم الوضيع في محرقة «أبوزعبل» وعددهم (٣٧) متظاهراً، بعد احتجازهم في حافلة ضيقة في ظروف الحر الشديد ودون عقاب الجاني، يتكرر الأمر مع رفاقهم في تايلاند من الإنقلابيين أيضاً، فيقومون بقتل (٨٥٩) متظاهراً بعد حجزهم في حافلة غير آدمية. بل ويمتد التشابه إلى إشادة بالأعمال الرائعة في قتل البشر من كلا الطرفين.

(٣) علاء البشبيشي، معاناة المسلمين في تايلاند الى متى، موقع الإسلام اليوم، بتصرف.

الأصولية البوذية في أراكان (مينامار)

تُعَدُّ مذابح أراكان في بورما (مينامار) من بين القضايا التي تتفجر حيناً، ثم تندثر مرة أخرى، رغم ما يعانيه أهلها من إبادة ربما هي الأشنع في التاريخ، وأراكان هي ولاية من ولايات اتحاد ميانمار تقع غربي بورما ويفصلها عن بقية ولايات بورما البوذية سلسلة جبال الهملايا، ولقد عاشت الولاية قرونًا ذهبية تحت الخلافة الإسلامية منذ عام (١٢٣١)م من عدل وسماحة ورحمة وبُنِيَتْ العديد من الآثار الإسلامية التي بقيت إلى الآن شاهدة على حضارة عريقة عادلة سكنت المنطقة[١]، حتى انقلب الحال في القرن الثامن عشر حينما اعتدى عليها الملك البوذي، ثم وقعت تحت سيطرة الإنجليز. ومنذ ذلك الحين يقوم البوذيون المتطرفون بعمليات القتل البشعة المُشَبَّعة بالرغبة في الانتقام وإشفاء الغليل.

أبرز مظاهر الأصولية البوذية في أراكان

لقد استولى الحقد على قلوب البوذيين وخططوا طويلاً لإخراج المسلمين من هذه الديار، ومن هنا بدأت فصول التمييز العنصري الطائفي للشعب «الروهنجي» المسلم عبر التاريخ، حيث كان الهدف هوإخراج المسلمين من ديارهم، ولم يتغير هذا المسعى بداية من عام (١٩٣٨)م حيث قام البوذيون- وبدعم من الإنجليز حين كانت بورما مستعمرة بريطانية- بارتكاب مذبحة قُتِلَ فيها ما يقرب من ثلاثين ألفاً من المسلمين وأُحْرِقَ مائة وثلاثة عشر مسجدًا. وفيما يلي استعراض سريع تاريخي لأبرز الجرائم الدموية منذ ذلك الحين وحتى الآن:

ففي العام (١٩٤٢)م- وحتى بعد احتلالها من قِبل بريطانيا- استمر الحال، بل أسهمت بريطانيا كعادتها في زيادة العداوة ضدهم، فأمدت البوذيين بالسلاح لقتل المسلمين -كعادة الدول المستعمرة وإلى الآن- حتى أوقعوا بالمسلمين مذبحةً فتكوا خلالها بحوالي مائة ألف مسلم في أراكان[٢]. وبعد استقلالها استمر التنكيل بالمسلمين هناك من قِبَلِ الحكومة البوذية، حيث يطوف الجنود البورميون وهيئات التنفيذ القضائي وسفاحو(الماغ) البوذييون بأنحاء القرى المسلمة، ويقومون بإذلال كبار السن وضرب الشباب المسلم ودخول المنازل وسلب الممتلكات ويُحرم أبناء المسلمين من مواصلة التعلُّم

---

(١) إبراهيم محمد صديق، عام على إبادة الروهنجيا، المسلمون في بورما، مقال منشور على موقع صيد الفوائد،، بتاريخ (٢٠١٣/٠٦/١٩) م.

(٢) صهاينة ضد المسلمين في أراكان،. نورة خالد السعد، المسلمون في بورما،موقع الألوكة، (٢٠١٢/٠٨/١٤) م.

في الكليات والجامعات، ومن يذهب للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، أما إذا عاد فيُعتقل عند عودته، ويُرمى به في غياهب السجون كأنه مجرم أوإرهابي، ويتم استخدام الطرد أوالتهجير الجماعي المتكرر خارج الوطن مثلما حصل في الأعوام التالية:

- في عام (١٩٤٩)م قامت الحكومة بأعمال وحشية ضد الأقلية «الروهنجية» المسلمة، فسلبوا الأموال وانتهكوا الأعراض، وقُتِلَ الكثير، وتم تهجير أكثر من ٢٠،٠٠٠، مسلم إلى البلاد المجاورة.
- عام (١٩٥٥)م قاموا بحملة لتدنيس مساجد المسلمين، وحولوها إلى معسكرات للجيش البوذي.
- عام (١٩٦٢)م عقب الانقلاب العسكري، ارتكب الجيش العديد من المذابح والطرد بحق المسلمين وبأبشع من سابقيهم وبأكثر سرية، وتم طرد أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم إلى بنجلاديش[1].
- وفي عام (١٩٧٨)م طُرِدَ أكثر من خمسمائة ألف مسلم، مات منهم قرابة أربعين ألفاً من النساء والأطفال، حسب إحصائية **وكالة غوث اللاجئين**، واضطر الكثيرون للفرار إلى بنغلاديش.
- وفي عام (١٩٨٨)م تم طرد أكثر من مائة وخمسين ألف مسلم؛ بسبب بناء القرى النموذجية للبوذيين في محاولة للتغيير الديموجرافي. وفي العام (١٩٩١)م عندما فازت المعارضة في الانتخابات الوحيدة في بورما التي أُلغِيَتْ نتائجها، دفع المسلمون الثمن لأنهم صوتوا لصالح المعارضة، فتم إحراقُ محاصيلهم الزراعية وقتل مواشيهم، كما صادرت الحكومة ممتلكات الأوقاف والمقابر المخصصة لدفن المسلمين ووزعّتها على غيرهم، أوحولتّها إلى مراحيض عامة أوحظائر للخنازير والمواشي[2].

أما في العاشر من يونيو عام (٢٠١٢) فكانت بدايةُ شرارة مذبحة القرن الحادي والعشرين، حيث قتلت مجموعةٌ من البوذيين عشرةً من علماء المسلمين، ومثلوا بجثثهم بطريقة وحشية، فخرج المسلمون متظاهرين مطالبين بحقوقهم، فتم الرد عليهم بحملة إبادة شرسة لم يشهدها العالم منذ قرون. حيث أُحرِقَتْ كثير من القرى بمن فيها وشُرِدَ الآلافُ وقُتِلَ الكثيرُ، والأدهى والأمر هوانتهاك أعراض النساء، دون مجيب لنداءاتهم ولا سامعٍ لصرخاتهم فليس في الأمة من يحترق غيرة على هذه الأعراض

(١) المسلمون في بورما تاريخ من الاضطهاد، موقع قصة الإسلام، المسلمون في بورما، (٢٠٠٩/٠٣/٣١) م..

(٢) بوابة أراكان الإخبارية، بتصرف.

التي انتهكت، فيرفع راية الحق ليعيد الحقوق. ولتكونوا على معرفة بحجم الفاجعة إليكم هذه الأرقام السريعة خلال عام واحد[1]:

- أكثر من عشرة آلاف شهيد على أيدي البوذيين.
- أكثر من أربعة آلاف غريقٍ غرقوا أثناء هروبهم بدينهم عبر البحار.
- أكثر من خمسة آلاف سجين وسجينة يُمارَسُ ضدهم أبشع أنواع العذاب.
- أكثر من ثلاثمائة وعشرين مسجداً تم هدمه، وأكثر من ألف مسجد تم إغلاقه.
- أكثر من مائتين وعشرين ألف مُشَرَّدٍ يعيشون ظروفاً حالكة في مخيمات اللاجئين.

إنَّ المتبقين من هؤلاء الضحايا قد يرحلون عبر المحيط إلى أرض أخرى، وإن سلموا من الغرق فسيتعرضون للاعتقال في الدول المجاورة لأنهم غرباء، وهكذا من قارب إلى قارب، ومن رحلة موت إلى رحلة تغريب، فلا يوجد بشر على وجه هذه الأرض، سُحِقَ كما سُحِقَ المسلمون في بورما، ولا دينٌ أهين كما أهين الإسلام في بورما تتعامل الطغمة العسكرية الحاكمة معهم وكأنهم وباء لابد من استئصاله من كل بورما، فما من قرية يتم القضاء على المسلمين فيها، حتى يسارع النظام العسكري الحاكم بوضع لوحات على بوابات هذه القرى، تشير إلى أن هذه القرية خالية من المسلمين. وهناك امرأة مسلمة ظل الجيش يغتصبها لمدة سبع سنوات وأنجبت ستة أطفال لا تعرف أباً لهم، بعد أن قتل الجيش زوجها، لأن جوال أرز سقط من على ظهره، وعلى الرغم من ذلك يأبى التاريخ إلا أن يسجل لهؤلاء المخلصين أن الموت عندهم أسهل بكثير من أن يرضوا بأي دنية في دينهم، فلم يرتد منهم أحد عن دينه رغم محاولات البوذيين والنظام العسكري حملهم على ذلك،، تطبيقاً للشعار العنصري (لا بيت فيه مسلم في هذا الوطن). لذلك عندما استطاعت امرأة مسلمة النفاذ إلى تايلاند بعد أن احترق فيها ولها كل شيء لم تجد ما تقوله **لمنظمة العفو الدولية** سوى الطلب منها استنهاض الدول الإسلامية. وامرأة أخرى نجت من الموت مع أطفالها بأعجوبة عندما أحرقت قريتها، وحين وصولها إلى بنغلاديش لم تشغلها الأحداث الجسام التي واجهتها عن تعليم أحد أطفالها، ما حيَّرَ صحفياً أجنبياً فسألها: من أجل ماذا تعلمينه؟ فقالت: «**أُريد أن يكون عالماً يخدم الإسلام**»[2].

(١) عام على ابادة الروهينجا، مرجع سابق.

(٢) موقع قصة الإسلام،، المسلمون في بورما تاريخ من الاضطهاد، بحث منشور، في ٣١ / ٣ / ٢٠٠٩.

إن التأريخ يعيد نفسه، وسيتكرر كل حين من أصوليات دموية ليس لها هدف إلا قتل المسلمين، وبعد تايلاند تأتي بورما، وما يليهما إفريقيا الوسطى ثم غزة مجدداً، ولا عجب في ذلك مادام المسلمون غارقين في ترفهم وطالما ننتظر الغرب في كل صغيرة وكبيرة، لِيَحُلُّوا لنا أزماتنا، مع أننا نرى عيانًا موقف الغرب من القضية الذي يعتبر قتل المسلم بطولة يُكرم صاحبها، فالغرب الديمقراطي رفع عن ميانمار العقوبات تكريماً لها، فيما أقامت الولايات المتحدة نشاطًا عسكريًا في المنطقة، كما قدمت اليابان والبنك الدولي قروضاً لها، ولا عجب فملة الكفر واحدة ولا يحق لنا أن نلوم الغرب ونحن أمة الجسد الواحد لا نحرك ساكناً لتضميد جراحاتنا.

إن الأثر التاريخي يبدوماثلاً في الهدف المرتبط بالفتوحات الإسلامية، والرغبة الجامحة من المتطرفين البوذيين والقوميين في محووإزالة الهوية الثقافية الإسلامية كليًا من هذه البلاد، وظل السبب يراوح مكانه حتى مذبحة عام (٢٠١٢).

* * *

المبحث الثالث

أصولية الدولة

لا تقتصر الأصولية على منظمات أوجماعات دينية، وإنما يمتد الأمر إلى وجود العديد من الدول التي تنتهج الأصولية الدينية، يستوي في ذلك الوضع بين الدولة المدنية في نظامها أوالدولة الثيوقراطية، فهناك من الدول من يدعي الليبرالية، وهي ذات جذور دينية وتتبنى قيم ومبادئ أصولية دينية، ولنا في الولايات المتحدة الأمريكية راعية الأصولية الإنجيلية، والعربية السعودية ذات التعامل المزدوج مع الأصوليات، ويتأرجح موقفها بين الدعم والمحاربة، فهي تُعَدُّ من أبرز الدول التي تدعم التيار الأصولي السلفي بالداخل، وأيضاً التيار الجهادي بالخارج كما حدث في الحالتين الأفغانية والسورية، فيما هي تقوم بمحاربة نفس التيار في ظروف وأحوال أخرى. كما أن هناك العديد من الدول لها باع طويل في هذا المجال بجانب ممثل الأصولية الإسلامية الرسمية[1] فهناك دولة فرنسا رمز الديمقراطية والحداثة، والتي تدّعي (الحرية والليبرالية)، نراها تُحرم على الفتيات المسلمات ما تُحلله على غيرهن، بعد أن بادرت ومنعت العديد من الفتيات من ارتدائهن حجاب العفووالستر، ففي العام (١٩٨٩)، ثار جدل عميق حول مدى أحقية المدارس الحكومية في فرنسا، في منع (٥) فتيات مسلمات من الالتحاق بفصولهن الدراسية، رغم ادعاء (فرنسا)، بأهمية الدفاع عن حقوق المرأة هذا الإجراء تم بدعوى تعارض ذلك مع الطبيعة العلمانية للمدارس الحكومية، والتي أُقر نظامها منذ عام (١٩٠٥) م، كما اعتبرته تحدياً مباشراً للقيم الوطنية لفرنسا، في بلد يعج بالفرنسيين من أصول تركية ومغربية، ذلك مما دعا أهالي الفتيات لمعارضة ذلك بشدة والاحتجاج عليه أمام القضاء[2]، المدارس العلمانية وهناك دولة الفاتيكان وبريطانيا ممثلا الأصوليتين المسيحية والإنجيلية، فيما تبرز دولة إيران لتمثل نوعاً

---

(١) يرى الباحث ان المملكة العربية السعودية لها وجه ليبرالي تطل به على العالم، على خلاف ادعاء تطبيق الشريعة وتبني قيم الشيخ محمد عبدالوهاب، هذا الوجه يبدومنسجماً ومتناغماً مع زيف وادعاءات الدول الغربية في محاربتها لما يسمى بالإرهاب، وبالتالي فالمملكة أحد أهم ادوات الدول الغربية في محاربتها لأبرز الأصوليات المتشددة (تنظيم القاعدة) الذي نشأ وترعرع في احضانها منذ حرب افغانستان ضد الروس، وامتد الدور مؤخراً وارضاءً لنفس القوى، ليحارب قطب الاصولية المتسامحة المستنيرة ممثلاً في جماعة الإخوان المسلمين بعد حالة ممتدة عبر القرون من الود والدعم المتبادلين منذ عهد المؤسس، حسن البنا.

(٢) Muslim Politics. Ibid. p1

آخر من الأصولية المذهبية، أما إسرائيل فهي موطن الأصولية اليهودية في العالم، والملاحظ أن الأصوليات كافة لها من الدول التي تدافع عنها وتناصرها، كما يحدث مع اليهود والنصارى ودولهم التي لا يقربها أحد بسوء، وللشيعة كذلك دولتهم التي تتخطى خطوط الأصولية إلى ما هو أبعد من المذهب بكثير، ومع ذلك فهي ليست عرضة للانتقاد أو التصدي بل هل محل العناية والرعاية من دول الأصوليات الأخرى غير الإسلامية السنية، أما الأصولية الإسلامية بحسنها وقبيحها، باعتدالها وتشددها، فلا بواكي لها، فلا توجد دولة واحدة حول العالم تناصرهم أو تؤيدهم أو حتى تناصحهم، بل يتم محاصرتها ومحاربتها واضطهادها من أنظمتها الداخلية والخارجية، حتى باتت أنّاتُ المعذبين في السجون والمعتقلات وأصواتهم مخنوقة بالعبرات وهمومهم التي استمرت سنين طوالاً لم تجد من يحنو عليها، فالجميع لم يكتف بغفلة آثمة عنهم، وإنما امتدت إليهم أيادٍ قد لُوِّثَتْ بدمائهم، وحتى القارة السمراء المنهكة بالجراح تبرز فيها أصوليات طائفية عنصرية حيث ظهرت أصولية الدولة الكاثوليكية في «أنجولا»، التي بدت- في تحدٍّ سافر لأبسط الحريات- في أشد قبحها، وذلك بقيامها بحظر دين من الأديان التوحيدية الثلاث في العالم الحديث أو حتى القديم، بداعي محاربة الإرهاب والتطرف الإسلاميين من خلال هدم المساجد ومنع المسلمين من أداء شعائرهم الدينية، حيث نشرت صحيفة «لانوفيل تريبيون» المغربية الناطقة بالفرنسية تصريحات عن وزيرة الدولة للثقافة» روزا كروز» التي أكدت أنه «لم يتم بعدُ إجازةُ الإسلام وممارسة المسلمين لشعائرهم قانونياً من قبل وزارة العدل وحقوق الإنسان، لذا سيتم غلق مساجدهم حتى إشعار آخر». وبموجب هذه الإجراءات فقد تم حظر نشاط (١٩٤) منظمة دينية على الأقل. أما الرئيس الإنجولي في لقائه مع صحيفة «اوسون «النيجيرية، فقد وصف حملة بلاده على الإسلام، بأنها نهاية للتأثير والنفوذ الإسلامي في بلاده. إن ما قامت به «أنجولا» لَيَتَنَافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان، فضلاً عن كونه يعبِّر- أيضاً- عن عنصرية وتطرف وتحريض ضد المسلمين في هذه البلاد. بالإضافة إلى كونه يشكل معولَ هدم لحوار الحضارات الذي يسعى المسلمون وغيرهم إليه. ولقد كشف تقرير المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة[1]، عن عمليات تضييق وتمييز يتعرض لها مسلمو أنجولا، وعلى رأسها إغلاق مساجدهم بصورة متكررة ودون أي مبرر وأضاف التقرير أن المسلمين في السجون الإنجولية يعانون أيضًا من إهمال حقهم القانوني، مشيراً إلى أن أحد السجون في العاصمة لواندا يضم (١٦٥) سجينًا -(٩٥)٪

---

(١) http://www.ohchr.org/AR/Pages/WelcomePage.aspx

منهم مسلمون- لا تُلَبَّى حاجتهم من الطعام.

المطلب الأول: الدولة الأصولية الأم

تُعَدُّ الولايات المتحدة أكبر دولة أصولية دينية عرفها التاريخ، نظراً لجذورها الدينية الواضحة الذي أفردنا له من قبل، لذا فهي صاحبة سجل استعماري وعدائي للعديد من الدول، حيث شنت الدولة القطب حروباً في أمريكا اللاتينية وأوروبا، وإفريقيا، وآسيا، حروباً ذات أهداف خفية، بل إن دولة الديمقراطية والحرية عملت في كثير من الأحيان على الإطاحة بأنظمة «منتخبة» لأنها لا تدور في فلكها، وقد نصَّبت في مكان تلك الأنظمة ديكتاتوريات عسكرية باطشة. إن المارد الأمريكي هوالذي يأخذ بزمام المبادرة على الدوام في مواجهاته السياسية وتدخلاته العسكرية، وذلك ما دعا» طارق علي» أن يسميها (أم الأصوليات)، تلك التي تستخدم أذرعها الطويلة ممثلة في (الوكالة الأميركية الاستخباراتية)، التي تعمل منذ زمن طويل لتحقيق أغراضها دون مراعاة لحقوق الدول وتاريخها، حيث يعود إلى أوائل القرن العشرين حين تدخلت في مساعدة تكوين المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين، كما أنها تدخلت لدى السلطة العثمانية. وكان من أوائل تحركاتها تدخُّلها السافر في إيران التي تعدُّها أمريكا دائماً (ثروة نفطية ومركزاً استراتيجياً وجغرافياً وسياسياً عظيماً)، حيث دبّرت عملية انقلاب ضد الدكتور محمد مصدق أول رئيس وزراء منتخب في تاريخ إيران، وذلك في عام ١٩٥٣.

وفي عام (١٩٥٤) قامت (سي.آي.ايه) بدعم كامل لانقلاب عسكري في دولة مستقلة (غواتيمالا) في أمريكا اللاتينية، فقط لأن أمريكا شعرت أن شركاتها الغذائية مهددة هناك. وفي «كوبا» حاولت مراراً اغتيال رئيسها (فيدل كاسترو) عن طريق (سيجار متفجر) أونقل عدوى أمراض قاتلة إليه بدس الميكروبات في لباس الغطس الخاص به. ولم تُوَفِّقُ الوكالة الأميركية إفريقيا، فقد حاولت اغتيال رئيس الكونغو «باتريس لومامبا» عام (١٩٦٠)، وفي عام (١٩٦٣) انتقلت إلى آسيا فقامت بإزاحة رئيس فيتنام الجنوبية وساند قواتها ضد قوات «الفيتكونغ» في فيتنام الشمالية وفشلت في حربها هناك، وقد حاربت هذه الوكالة معظم الحركات الثورية الشيوعية في أمريكا اللاتينية والجنوبية وإفريقيا وآسيا، وتراوحت هذه العمليات بين النجاح والإخفاق رغم الإنفاق الهائل ورصد الميزانيات الضخمة لهذا الغرض. وكانت أخيراً الفضيحةُ التي تفجرت حول قيام طائرات (السي.آي.ايه) بنقل سجناء لتعذيبهم، محولة طائراتها

التي تمرح في طول الأرض وعرضها دون رقابة إلى معتقلات (طائرة) يُمَارَسُ فيها التعذيبُ لانتزاع الاعترافات بعد أن جهزتها بكامل المعدات لهذا الغرض، وكأن الأرض قد ضاقت بالسجناء، ليتحول الفضاء والبحر مؤخراً الى سجونٍ طائرةٍ وأخرى عائمة، فتقوم دولة الحرية بنقلهم إلى السماء، أوإلى الماء، عبر سجونٍ عائمةٍ، فبعد الكشف عن فضيحة السجون السرية الطائرة التي استخدمتها وكالة الاستخبارات الأميركية لاحتجاز عدد من المتهمين بالإرهاب، قامت بنقلهم عبر طائرات ومطاراتٍ في أوروبا، لاسيّما في كلّ من (بولونيا ورومانيا) بعد تحويل عدد من السفن الى سُجون وسط البحر. وذكرت صحيفة (الغارديان) البريطانيّة مطّلع حزيران عام (٢٠٠٨)، أن منظمة حقوقية بريطانية تدعى «ربريف» أقدمت على نشر تقريرٍ عن السجون العائمة تلك، يتضمن معلومات عن نحو(٢٠٠)سجين قام الأميركيون بتسليمهم إلى جهة ثالثة عن طريق ما يعرف بالرحلات الاستثنائية، وذلك منذ إعلان الرئيس الأميركي جورج بوش وقف مثل هذه الممارسات (العام ٢٠٠٦). وقد أثار خبر الغارديان قلقاً واسعاً لدى أوساط واسعة من الرأي العام لاسيما المدافعين عن حقوق الإنسان في الغرب، وحسبما نقلت (الغارديان) فقد استخدمت واشنطن أكثر من (١٧)سفينة لتحولها الى سجون عائمة منذ الحرب على أفغانستان في العام(٢٠٠١)، وكانت أغلبية هذه السفن قريبة من سواحل جزيرة «دييغوغارسيا» في المحيط الهادي، حيث تُوجد أكبر القواعد العسكرية الأميركية. ما يعزز من انتهاك الولايات المتّحدة للقواعد واللوائح والمدونات القانونية الدولية والدستورية الداخلية، خصوصاً معاملة السجناء أوالمحتجزين، لا سيما إذا كانوا يُعْتَبَرون في عداد الأسرى الذين تحكمهم قواعد القانون الدولي الإنساني وبخاصة اتفاقيات جنيف الأربع لعام(١٩٤٩) والبروتوكولين الملحقين بها لعام (١٩٧٧)، إضافةً الى توفر عنصر سوء النية المبيتة إزاء هؤلاء الأسرى، الذين تعرضوا للتعذيب، وتعمد إخفاء عددهم وأماكن أسرهم ومنع عوائلهم من الاتصال بهم وقطع علاقتهم بالعالم الخارجي. لقد استُخدِمت السفن كمعتقلات سرية عائمة يُسْتَجْوَبُ فيها المتهمون حتى يتم إرسالهم الى جهاتٍ مجهولة، ويعتبر مثلُ هذا الإجراء بحدّ ذاته انتهاكاً سافراً لحقوق المتهم الذي ينبغي أن يعرف تهمته وأن يُفْسَحُ له المجالُ لتوكيل محام، وأن تحسم قضيته بأسرع وقت ممكن، وألاّ يتعرض للتعذيب أوالمعاملة اللاإنسانية الحاطة بالكرامة، وأن يحظى بحقه في محاكمة عادلة بغض النظر عن التهمة الموجهة إليه. ناهيكم عن الامتناع عن تعريضهم للتعذيب الجسدي أوالنفسي أوإجراء تجارب عليهم أوتشغيلهم في أعمال سُخرةٍ أوغير ذلك. لقد أمضت سفينة

«يوأس أس اشلاند» الأميركية فترة قرب السواحل الصومالية في أوائل العام (٢٠٠٧) وقامت بعمليات أمنية استهدفت -حسب (الغارديان) نقلاً عن تقرير المنظمة الحقوقية الخيرية «ريبريڤ»- عناصر من تنظيم القاعدة، حيث تزامن اختفاء كثيرين في عمليات منظمة، وتعرض بعضهم إلى استجواب وتحقيق من قبل أشخاص حامت الشبهات حولهم باعتبارهم من جهاز الـ CIA وFBI وذلك بتداخل مع قوات أثيوبية وصومالية وكينية، حيث اختفى قسرياً نحو(١٠٠) معتقل، وهؤلاء يُعتَقَدُ أنهم أرسلوا الى سجون في كينيا والصومال وأثيوبيا وجيبوتي وغوانتانامو. يقول مدير منظّمة «ريبريف» -المحامي البريطاني «كليف ستافورد» -: «إن الولايات المتحدة اختارت السفن في محاولةٍ لإخفاء انتهاكاتها لحقوق الإنسان لا سيما المعتقلين، حيث جرى إبعادهم عن نظر جمعيات حقوق الإنسان والمحامين والإعلاميين». ودعا «ستافورد» واشنطن الى إظهار التزامها بحقوق الإنسان عبر الكشف الفوري عن أسماء المعتقلين وما تعرضوا له. ولعلّ الأمر لا يتعلّق بحالة واحدة، وإنما يتعلّق بثمانين ألفاً مروا عبر هذا النظام من عام (٢٠٠١) والى الآن، فتصبح المسألة في غاية الخطورة، وتعترف واشنطن أنها تحتجز نحوستة وعشرين ألف معتقل بدون محاكمة وفي سجون سرية.

وقد ظلّت وزارة الدفاع الأميركيّة «البنتاغون» تنفي وجود انتهاكات لحقوق الإنسان في سجن (غوانتانامو) وسجن (أبوغريب) والسجون السرية الطائرة، لكنها عادت واعترفت بأن ثمة خروقات قد حصلت، حيث قدّمت بعض المرتكبين إلى محاكمات أُعتبِرَت- ضمن حجم الأضرار والجرائم الواقعة- محاكمات شكلية أوصورية، ومن أشهر من تم احتجازه في السجون العائمة هو«جون ووكر ليند» الملقّب بـ«طالبان الأميركي» الذي احتُجِزَ على ظهر السفينة (أس أس بيليوم) في أواخر العام (٢٠٠١)، ثم تم نقله إلى سفينة(يوأس أس باتان) حتى نهاية شهر يناير(٢٠٠٢).

فهل كان يدر بخلد أحد أن السماء والبحر سيتحولان الى سجون طائرة وعائمة على يد بلد الحريات والرخاء. لقد امتدت أيدي بلد الحريات إلى عالمنا العربي والإسلامي- بل إلى مناطق عدة حول العالم- تهتك الحريات وتخترق الحقوق المدنية. بدعاوى الحروب الاستباقية ومحاربة الإرهاب المزعوم. وإليكم بعض هذه التدخلات في الأربعين سنة السابقة فقط. أي منذ عام (١٩٧٤) م. كما ساقها «فهد العرابي الحارثي» في كتابه (أمريكا التي تُعلمنا الديمقراطية والعدل، ٢٠١٣) [(١)].

---

(١) الحارثي، فهد العرابي، أمريكا التي تُعلمنا الديمقراطية والعدل، مكتبة بيسان، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣. بتصرف.

١- الهجوم على كمبوديا، (١٩٦٩-١٩٧٥) حيث تم القصف من قبل قوات برية وأخرى بحرية، وتم حصد مليوني قتيل خلال ست سنوات من القصف والمجاعة والفوضى السياسية.
٢- مساعدتها لانقلاب تشيلي العسكري (١٩٧٣) م عن طريق أجهزة مخابراتها (cia) ما عجَّل بسقوط الرئيس الماركسي المنتخب.

٣- أما عن القارة السمراء فقد ظهرت أيادي المخابرات مرة أخرى في أنغولا في عام (١٩٧٦)، وذلك بمساعدتها المتمردين المدعومين من قبل إفريقيا الجنوبية.

٤- ثم قامت في عام (١٩٨٦) م بقصف جوي وبحري، لإسقاط الحكومة الوطنية في ليبيا.

٥- أما في لبنان فقد قامت قوات بحرية أمريكية بقصف مواقع عدة، تبعها قيام قوات من المارينز بمطاردة قادة منظمة التحرير، وساعدت ميليشيا الكتائب المسيحية في قتل الفلسطينيين العزل في عامي (١٩٨٢، ١٩٨٤). ٦- أمتد الغزو الأمريكي إلى بنما، حيث قامت القوات الأرضية -وقوامها (٢٧) ألف جندي- بقصف ومطاردة الحكومة الوطنية، (١٩٨٩ : ١٩٩٠) م وتوقيف قادتها، وقُتِلَ أكثرُ من ألفي شخصٍ.

٧ - وفي عام (١٩٩٠) م تم حصار المرافئ العراقية والأردنية تحت وطأة الضربات الجوية، حيث خلفت أكثر من مائتي ألف قتيل في توابع غزو العراق للكويت، مع تدمير شامل للقوة العسكرية العراقية.

٨- أما في عام (١٩٩٨) م فقد قامت القوات الجوية الأمريكية بالهجوم على مصنع أدوية في السودان بزعم أنه لتصنيع مادة «النور توكسيك».

٩- ثم قامت في العام نفسه بالهجوم بالصواريخ على مخيمات تدريب سابقة للمخابرات الأمريكية في أفغانستان استولت عليها جماعات إسلامية متهمة بتفجيرات ضد السفارات الأمريكية.

١٠- ثم عاودت الكرة في العام (٢٠٠١) م، حيث حدث استنفار شامل للولايات المتحدة ضد (طالبان) وأسفر القصف عن مئات القتلى غالبيتهم من النساء والأطفال.

١١-ونختم بالعراق الجريح الذي تعرض لضربات عنيفة متتالية وحصار طويل، حيث قامت القوات الأمريكية في العام (١٩٩٨) م بالقصف الصاروخي المكثف لمدة

أربعة أيام (ثعلب الصحراء)، ما أسفر عن تدمير البنية التحتية، فضلاً عن آلاف الضحايا، ثم قامت في العام ( )٢٠٠٣م بالهجوم مجدداً ما أدي إلى نتائج كارثية من دمار وتقسيم، يئن منها العراق حتى الآن، حيث تم قتل آلاف العراقيين بدم بارد وعلى أساس طائفي، وتم حل الجيش من قبل المحتل الأمريكي. إذن لم تكن الولايات المتحدة يوماً ما ذلك الحَمَلَ الوديع أوالهدف السهل، أوراعي الحرية، بل هي أساس الأصولية الإمبريالية الدينية الفاشية، ذلك المصطلح الذي اخترعته هي بخلطها بين الدين المحرف والسياسة البراجماتية منذ سقوط العملاق السوفيتي وتناثر أشلائه، وما ترتب عليه من انعدام سِمَةِ التوازن في موازين القوى العالمية.

وتبرز «آرمسترونغ» مثالاً صارخاً للتحيز الأعمى وعدم المصداقية الإعلامية لدى الدولة القطب في تعليقها على أحداث سبتمبر، وذلك خلال محاضرة بعنوان «الإسلام المتعاطف Islam Understanding» في معهد جامعة أكسفورد للدراسات الأمريكية بإنجلترا

حيث أوضحت كم الضغوطات من وسائل الإعلام الأمريكية لإسكات الأصوات المعارضة بعد (١١ سبتمبر)، حيث ذكرت أنه قد تم تكليفها من قبل مجلة «النيويورك» لكتابة مقال عن الإسلام، لكن المجلة استبدلته لاحقاً ببحث لـ «بيرنارد لويس» لكون «آرمسترونج» وصفت النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- بصانع السلام، وهذا لم يناسب جدول أعمالهم بقدر ما تناسبهم مقال «لويس»، ومعلوم أن لويس صهيوني متطرف، ويقاتل حتى لا يتعرف الناس على حقيقة الإسلام وعالميته، بل ينتهج لويس سلوكاً متحيزاً يدعومن خلاله إلى أن الإسلام دين عنيف، بينما أوضحت هي- في المقابل- مدى العنصرية التي تواجه الفلسطينيين في أرضهم المحتلة خلال زيارتها الأرض المحتلة في الثمانينيات[1]. ويشير «طارق علي» إلى أنه من الأهمية بمكان حينما نناقش الأصولية الإسلامية – وخصوصاً بعد الحادي عشر من سبتمبر- أن لا يتم النقاش بمعزل عن الأصوليات الأخرى التي تتبادل كما هائلاً من الكراهية والحقد، ولننظر بإمعان في مؤتمر الرئيس بوش في ديسمبر (٢٠١٣) وهويناقش كم الكراهية التي يبديها المسلمون تجاه دولة الـ(٢٧٣) مليون أمريكي وكيف أن هذا كان محصلة لتراكم الأحداث التاريخية منذ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا في حد ذاته فكر أصولي بحت من قبل الرئيس بوش. ويحب على قادة الولايات المتحدة أن يسألوا

(١) Omayma Abdel-Latif East-West Dialogue Blog March 8. (2007) Islam and the West-- Karen Armstrong interview with Karen Armstrong; discusses MES in US universities

أنفسهم عن سر تهليل الكثيرين لـ «بن لادن» والقاعدة في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر، حيث لم يقتصر هذا التهليل على المسلمين، وإنما شاركهم الكثيرون في جميع أنحاء العالم، فهناك طالب ارجنتيني انسحب عندما انتقد معلمه «بن لادن»، وأتذكر أيضاً – والكلام لطارق علي- الجمهور اليوناني في مباراة لكرة القدم حينما رفض الوقوف حداداً لمدة دقيقتين على أرواح الضحايا، بل قامت بالهتاف مع المناهضين للولايات المتحدة. فليسأل الإنجيليون أنفسهم عن سر الشماتة والسعادة لما حدث[1].

من ناحية أخرى يعتقد العرب في ازدواجية معايير الأصولية الإمبريالية التي قامت بتحدي مجلس الأمن وشعوب العالم والإصرار على خوض معركة غير متكافئة (حرب العراق) تحقيقاً لمزاعم توراتية ودون سند أودليل على مخالفة العراق لقرارات مجلس الأمن[2]. لذا يصبح من الضروري محاولة تفسير العلاقة التصادمية بين الأصولية الأم والأصوليات الدينية الأخرى[3]. إن مقولة الباحث- الشهير- توضح بجلاء كيف أن توراتية «بوش» أثرت على العديد من قراراته المصيرية، كما توضح مدى تأثرها بأيديولوجيته الدينية، وكيف أنها أدت إلى وقوعه فريسة للأصولية الإنجيلية التي تزامنت وبدت في تحدي المجتمع الدولي بحربه على العراق. إن الحروب التي استند إليها «همنجتون» في إطار تأكيد فكرته عن صراع الحضارات- واصفاً اياها بأنها حروب بين المسلمين، مثل العراق وإيران وحرب أفغانستان- ليست في الحقيقة حروباً إسلامية، إنما هي في جوهرها حروب أميركية أديرَتْ لأهداف ومصالح الولايات المتحدة. التي أصبحت تحرك العالم العربي كقطع على لعب الشطرنج، فهي حروب أشعلتها وسلحتها ورعتها الولايات المتحدة عبر وكلاء مسلمين، فالعالم تحت سيطرة إمبراطورية واحدة، عملت على تبديل فكرة وقوع الصدام الحتمي بين الحضارات، من الغرب في مقابل الآخرين، إلى فكرة الجميع ضد الإسلام فالصراع القائم هوصدام بين الأصوليات متمركزة أوتقودها الأصولية الأم بسياستها التوسعية والإمبريالية[4]. وهذا المشهد ليس وليد اللحظة، وإنما هوممتد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث أحكمت السيطرة الأميركية على البحار والمحيطات، وذلك بامتلاكها أكبر ترسانة تسلح، وعلى سبيل المثال، فإن ميزانية الولايات المتحدة في سنة (٢٠٠٠) فقط قد وصلت إلى حدود (٢,٢٦٧) بليون دولار، أي ما يعادل ميزانية خمس دول كبرى مجتمعة (الهند، وروسيا،

---

(١) The clash of fundamentalism. crusades. jihad. and modernity Ibid.P.316 - 317

(٢) Ibid Xvii

(٣) Ibid..p.320

(٤) Ibid

والصـين، وألمانيـا، وفرنسا) وقد يفوقها، إننا أمام حالة مـن عدم التوازن الناتجة من عـدم تكافـؤ بين الأصوليـات. فنجد الأصوليـة الأم بثقلها تواجـه الأصوليات الأخرى، وبخاصة الإسلامي منها، المتطرف منهـم والمتسامح. ولنذكر- مثلاً- قيادات «جماعة الإخـوان» ذات الفكـر المعتدل، الذين هم مُطـاردون ومُلاحقون مـن العديد من الدول الإسلامية قبل الغربية، حالهم في ذلك حال زعماء التنظيمات الجهادية المتشددة، على الرغم من سابق تدعيم الولايات المتحدة لبعضهم في محاربة السوفييت في أفغانستان فلمـا تغير الحـال، لم يقتصر الهجوم علـى الجهاديين، إنما على الإسـلام والمسلمين. فيمـا شكك بـدوره «فوتوبولس»[1] في أسطورة صدام الأصوليـات التي يروج لها «طارق علـي»، معتبراً أن طرحه يأتي متأثـراً بتقدمية الأيديولوجيـة الليبرالية التي يدعمها كل مـن يسـار الوسط واليسار الإصلاحـي وتبدوواضحة في كتابـه[2]، طارحاً فكرة أن محور الصراع الرئيس يكمن في العولمة السياسية، ذلك الصراع الذي بدأ مباشرة بعد انهيـار الاشتراكية في الشرق والديمقراطيـة في الغرب، وهناك أحداث شهيرة ميزت هذا الصراع، مثل:حرب الخليج الأولى وإخضاع الفلسطينيين من قبل عصابات الظلم الصهيونيـة، وحرب حلـف الناتوضد يوغوسلافيـا، وغزوأفغانستان، وحـرب العراق، ودعوى الحرب ضد الإرهاب لأجل غير مسمى، لتتحول من كونها حرباً ضد أي شخص يسلك طريق العنف، إلى إرهاب ضد العنف المضاد الذي تمارسه الدولة النظامية[3].

إن أصوليـة بلـد الحريـات وحقوق الإنسـان أصوليـة معوجَّة، عديمـة الحريات، فاقـدة حقـوق الآدميين، حيث تقوم بممارسات لا إنسانية أثنـاء الغزو، فتعامل الأسرى كالحيوانـات. فالأصوليـة الإمبراطوريـة الأمريكيـة لا معيار لديهـا ومكيالها مزدوج، فيمكنها تجاهل جميع الاتفاقيات والقوانين المقيدة للحرية والإرادة. وتقوم علناً بإساءة معاملـة السجناء على الأرض التـي احتلتها (غوانتانامو) بعـد قيامها بشن حرب غير مشروعـة في أفغانستان، وذلـك لتأكيد قوتهم أمام العالم بعد زلـزال (١١ سبتمبر)، - وبالتـالي فإنها تقوم بـإذلال كوبا من خلال القيام بالعمل القـذر على أراضيها دون إرادتهـا، وكأنها تحذر الآخرين ممـن يحاولون تحريك ذيل الأسـد، وهذه ليست المرة

---

(١) TAKIS FOTOPOULOS. The myth of the clash of fundamentalisms. The International Journal of INCLUSIVE DEMOCRACY. Vol. 1. No. 4 (July 2005)

(٢) Tariq Ali is author of the recently released Street Fighting Years and. with David Barsamian. Speaking of Empires & Resistance. This essay has been excerpted from a previous book. The Clash of Fundamentalisms.

(٣) Ibid.

الأولى فالأصولية الأمريكية قامت خلال الحرب الباردة، وعن طريق أجهزة مخابراتها بتعذيب السجناء والسجينات من الساسة واغتصابهم في مناطق كثيرة من أمريكا اللاتينية. خلال حرب فيتنام انتهكت الولايات المتحدة اتفاقيات جنيف مرات ومرات، فهم عذبوا وأعدموا واغتصبوا السجناء، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بإلقاء السجناء من المروحيات ليموتوا على الأرض أويغرقوا في البحر[١]. إن هذه الانتهاكات حدثت نتيجة اتكالية النظام العالمي الذي يكيل بمكيالين، حتى طغى القمع - إن لم نقل الإرهاب - الذي تمارسه الدولة النظامية على العنف المضاد من الأفراد والمنظمات، وهذا العنف يتم تشكيله من عناصر أي مجتمع يتسم بالتوزيع غير المتكافئ للقوة السياسية والاقتصادية، داخل الدولة الواحدة، وكذلك بين الدول بعضها البعض[٢].

إن الغرب يزايد كثيراً بقضية الديمقراطية وإيمانه بها، ولكنه مُعتقد معيب وناقص، خصوصاً حينما يتعلق الأمر بانتخابات حرة نزيهة في بلد عربي (الجزائر) في عام (١٩٩٠)، فلا يعترف بها الغرب الديمقراطي بل يعتبرونها لاغية وباطلة لكونها أفرزت حكومة ذات توجه إسلامي، وقام المثقفون الفرنسيون بوصف (جبهة الإنقاذ) بأنهم «الفاشيون المسلمون»، متجاهلين حقيقة فوزهم بانتخابات حرة، وأنهم أتوا عبر الصناديق وحدث بعدها ما حدث من قتل متبادل وتصفية واعتقالات، فهل يمكن لوم من ثار ضد الظلم وضد العبث بالحقوق المكفولة للمواطنين بموجب الدستور، وضد من أراد القضاء على الجبهة الإسلامية للإنقاذ، لا لذنبٍ ارتكبته سوى أنها قد تصدرت؟! إن الحرب الأهلية في الجزائر صنعها من سرق انتصارهم واستحقاقهم الديمقراطي الذي طالما لم يؤمنوا به أويصدقوه. والأمر نفسه تكرر في مناطق أخرى، في مصر، في تايلاند، في إفريقيا وأمريكا اللاتينية.[٣].

المطلب الثاني: الأصولية الطائفية في إفريقيا الوسطى

كشف كثير من العلماء والمفكرين منذ عقود من الزمان عن طبيعة الصراع بين الغرب والمسلمين، وأنها في المقام الأول حرب عقدية دينية على الإسلام قبل أن تكون معركة سياسية أواقتصادية أوحتى صراعاً حضارياً فحسب كما يريد الغرب تصويرها. وتثبت الأحداث يوماً بعد يوم صدق ذلك الطرح، فلقد تناقلت وسائل الإعلام جرائم الإبادة التي تشنها مليشيات مسيحية بحق مسلمي إفريقيا الوسطى،

(١) The clash of fundamentalism. crusades. Jihad. and modernity Ibid.p319.

(٢) Ibid. p2.

(٣) Ibid.P325-326

والسياسة المنهجة لتهجيرهم قسرًا عن بيوتهم وبلادهم بدوافع دينية، فذكرت صحيفة «الواشنطن بوست» الأمريكية أن عشرات الآلاف من المسلمين يفرون إلى الدول المجاورة هربًا من الهجمات الوحشية التي تشنها الميليشيات المسيحية ضدهم. ونقلت الصحيفة روايات شهود العيان في العاصمة «بانغي» وباقي المدن والقرى المجاورة لها، التي تتحدث عن الميليشيات المسيحية التي تحمل المناجل «الدفاع الذاتي المسيحية»[١]، وتقتل العشرات من المسلمين، إضافة لنهب بيوتهم ومساجدهم وحرقها بعد ذلك[٢]. كما ذكر شهود العيان أن آلاف المسلمين اكتظوا في شاحنات في العاصمة للفرار من المدينة، وأن شخصًا سقط من إحدى الشاحنات فقتله حشد من المسيحيين الذين مثلوا بجثته. لقد شهدت إفريقيا الوسطى العديد من الانقلابات فلم تعرف للاستقرار طعماً منذ استقلالها عن فرنسا عام (١٩٦٠)، فتوالت على إدارتها أنظمة انقلابيه عسكرية فاسدة ودكتاتورية لم توفر للشعب رفاهيته رغم وفرة الموارد، ما جعل أغلبية سكانها فقراء ومعدمين[٣]، حتى جرت انتخابات متعددة الأحزاب لأول مرة في عام (١٩٩٣) جاءت بالرئيس « فيليكس باتاسيه» الذي أطيح به عام(٢٠٠٣) من قبل الجنرال «فرانسوا بوزيزي» الذي فاز في انتخابات رئاسية في مايو(٢٠٠٥). وفي عام(٢٠١١) أعيد انتخابه، وكانت فترة حكمه تعاني من الفساد المستشري والتسلط، الأمر الذي أدى إلى تمرد علني ضد حكومته، بقيادة تحالف «السيليكا» المسلح[٤]. وفي ديسمبر عام (٢٠١٢)، شنت هذه المجموعات سلسلة من الهجمات سيطرت من خلالها على عدة مدن حيوية وسط وشرقي البلاد، بعدها دخلت هذه الفصائل في مفاوضات سلام بمطلع عام (٢٠١٣) وتشكلت بنتيجتها حكومة وحدة ضمت قادة المتمردين، إلا أن الأزمة سرعان ما تصاعدت بسبب رفض «سيليكا» البقاء في المناصب التي عينوا بها في الحكومة. وتطور الأمر إلى اشتباكات طائفية بين سكان مسلمين ومسيحيين، شارك فيها مسلحوالطرفين[٥]، ما أسقط ستمائة قتيل خلال أسبوعين، وفقاً لتقديرات وكالة

(١) يطلق عليها أيضاً «مناهضوا السواطير».

(٢) عامر الهوشان، سلسلة المسلمون حول العالم، التهجير الديني المنهج لمسلمي إفريقيا الوسطى، موقع قصة الإسلام، بتاريخ ٢٠١٤/٠٢/١٣

(٣) محمود شاكر- إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر ١٩٩٣م، جـ٢/ ٢٢٠- ٢٢١.

(٤) «سيليكا» هوتحالف عدة فصائل مسلحة معارضة لحكم الرئيس (فرانسوا بوزيزى) أغلبهم من المسلمين، واقلية مسيحين يقدر تعدادها بنحو٢٥ ألف مقاتل ويقال أن هذا التحالف يعود إلى حرب الأدغال (٢٠٠٤-٢٠٠٧م) ويُعتقد أن بعض أعضاءه من تشاد والسودان،

(٥) جماعات مسلحة محلية أنشأها الرئيس المسيحي (فرانسوا بوزيزي)، وتضم في صفوفها بعض جنود الجيش الذين خدموا في عهد بوزيزي. وقد مارست (بالاكا) عمليات قتل وحشية ضد المدنيين المسلمين بعد ان عجزت عن النيل من تحالف (سيليكا) وتضمنت جرائمها حرق الجثث وبتر الأعضاء وتدمير المساجد وتهجير أعداد كبيرة من السكان المسلمين.

الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (غوث).[1] كما أن أكثر من أربعمائة ألف شخص - ما يقرب من عشرة في المئة من سكان البلاد البالغ تعدادهم (٤,٦) مليون نسمة - اضطروا للنزوح من منازلهم نتيجة أعمال العنف. وحينما استولت «سيليكا» على العاصمة «بانجوي» اضطر الرئيس «بوزيزيه» للفرار[2]، وتم على إثره تنصيب «ميشيل جوتوديا» كأول رئيس مسلم في دولة يعد المسلمون فيها أقلية[3]، وكان تنصيبه بمثابة شرارة لحرب أهلية انتقامية طاحنة، حيث يُتهم الضحايا بدعم متمردي «السيليكا»، وهناك من يزعم أن الجماعات المسلحة التابعة لمتمردي «السيليكا» قامت -خلال فترة حكمهم- بانتهاكات ضد الغالبية المسيحية بالبلاد، وكثفت هذه المليشيات المسيحية هجماتها على المسلمين وقتل زهاء ألفي مسلم. خلال أيام معدودات، فيما يعد حرب إبادة وتطهيراً عرقياً واقتتالاً طائفياً وسط تأجيج غربي فرنسي واضح للصراع يقابله صمت فاضح للمنظمات والحكومات الإسلامية. ذلك ما دعا منظمة العفوالدولية[4] أن تصف ما يجري هناك بعملية «تطهير عرقي».

وتُتَّهَمُ القوات الفرنسية هي الأخرى بالتحريض على العنف الطائفي في إفريقيا الوسطى، حيث أقدموا بمجرد تدخلهم وبموجب تفويض من الأمم المتحدة[5]، على توزيع الأسلحة على مسلحي «مناهضوبالاكا» في مقابل قيامها في (٢٠١٣/١٢/٩)م- وبالتعاون مع القوات الأفريقية الموجودة في البلاد- بنزع أسلحة أكثر من سبعة آلاف من مقاتلي «سيليكا»، ووضعهم في ثكنات مختلفة في العاصمة، وهوإجراء أغضب المسلمين باعتبار أن هذه القوات كانت تمثل لهم شيئا من الحماية في مواجهة الميليشيات المسيحية. وذكر تقرير آخر لنفس المنظمة أن ميليشيات مناهضو «بالاكا» شنت في (١٨ /١/ ٢٠١٤)م هجوماً على مدينة «بوسيمبتيليه» ، ما أسفر عن سقوط أكثر من مائة قتيل بين السكان المسلمين، حسبما أعلن مدير الطوارئ في **منظمة هيومان رايتس ووتش** «بيتر بوكارت»: «أنها مسألة أيام وسيغادر جميع المسلمين إفريقيا الوسطى فراراً من العنف، كما أنه توجد أحياء كاملة ذهب سكانها من المسلمين، وتوجد أدلة على محووجودهم بالكامل». وأضاف «بوكارت»: «إنه شاهد بنفسه جثة رجل مسلم تحرق في الشارع، كما

---

(١) تقرير منشور في ابريل (٢٠١٤) بشأن أحداث إفريقيا الوسطى.

(٢) الحقيقة الضائعة في مذابح مسيحيي ومسلمي إفريقيا الوسطى، جوزيف بشارة، موقع ايلاف، بتاريخ (٢٠١٤/٢/٢٧) م.

(٣) جمال عبد الهادي- علي لبن: المجتمع الإسلامي المعاصر – إفريقيا، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٤م، ص٨٢- ٨٣.

(٤) تقرير منظمة العفوالدولية بشأن إفريقيا الوسطى، والمنشور في تاريخ (٢٠١٤/١/٢٠)

(٥) أرسلت فرنسا ١٦٠٠ جندي إلى البلاد المضطربة في محاولة لوقف العنف المتزايد، تعاونهم قوات الاتحاد الأفريقي التي وجدت أيضاً في البلاد، وتضم قوتها ٢٥٠٠ جندي

رأى آخـر يُضرب حتى الموت». وقد أدان في تقريـر لجنة التحقيق الدولية المكلفة بملف أزمة إفريقيا الوسطى- الـذي سلّمته يوم (٢٠١٣/٦/٥) إلى مجلس الأمن-كلا طرفي الصراع بارتكاب جرائم بشعة وضد الإنسانية، وأن إفريقيا الوسطى مهددة بـ«محرقة» إذا لم تقم المجموعة الدولية بالتحرك في الوقت المناسب[١].

* * *

(١) وكالة انباء الاناضول بتاريخ (٢٠١٤/٦/٩)

الفصل الرابع

الأصولية الإنجيلية: النشأة والمظاهر والعقائد وأبرز الأهداف

نناقش في هذا الفصل كيف أن تحالفاً مشبوهاً، بين الصهيونية والبروتستانت، قد نشأ على إثر فشل ما أطلق عليه (مشروع لوثر لتنصير اليهود)، بعد أن تقرب منهم واعتبرهم أمة مقدسة، وإن المسيح -عليه السلام- وُلد يهودياً، ثم تحولوا إلى قتلة المسيح ومصاصي الدماء، فعمل على طردهم إلى فلسطين، تخلصاً منهم بعد أن انقلب عليهم، وكذلك قام نتيجة لانفصال «هنري» الثامن عن كنيسة روما، وما تبعه من إلغاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس، في ظل نجاح الحركة الصهيونية في إقناع الغرب بأهمية الشرق الأوسط وأهمية وجود دولة حليف لهم تعزز من وجودهم في هذه المنطقة المتوترة، فقاموا بزرع الدولة تحقيقاً لمطالب وتنبؤات دينية، مستفيدين من الدور السياسي والديني الذي يستميل قلوب معتقدي التنبؤات الغيبية، كما ثبت بالدراسة أن الأصولية الإنجيلية لا تُمثل خطراً على القضية الفلسطينية فحسب، بل على الوجود العربي والإسلامي، وعلى المقدسات التي تسعى إلى هدمها، وعلى البشرية التي تعمل على فنائها في مجزرة عالمية، لذا رفضتها العديد من الكنائس وقاموا بالرد عليها لاهوتياً لإثبات كذبهم وافترائهم، من ألفية سعيدة، إلى الخطف والاستعلان، وصولاً إلى فناء بلايين من البشر عدا (١٤٤) ألفاً من اليهود المؤمنين. مروراً بهدم الأقصى وإعادة إقامة الهيكل. فأخطارها إنما تمتد بامتداد توسعاتها وأطماعها، فهي لا تقف عند حدود. وتنتشر الأصولية الإنجيلية كما ذكرنا في الولايات المتحدة معقل البروتستانت منذ هاجر اليها المطهرون الأوائل، وكذلك بريطانيا التي هاجروا منها حينما كانت عظمى وأمريكا اللاتينية، ثم ناقش الباحث البعد الجغرافي لأرض الميعاد والأماكن المقدسة ذات البعدين الديني والتاريخي لدولة الاحتلال، أما عن جغرافية دولة الاحتلال، فقد تبين لنا أنها دولة عقيمة العمق الاستراتيجي، شحيحة المياه، فاقدة الشرعية والحدود، احتلالية عدائية، وبالتالي فهي تسعى إلى تعويض مناطق الضعف الخطيرة من خلال التعدي على جيرانها ومحاولة التوسع أفقياً باحتلال أراض جديدة من جهة، والتمسك وعدم التفريط فيما قامت بسلبه من دول الجوار من جهة أخرى، بالإضافة إلى قيامها بلعب دور شرطي المنطقة الذي ينفذ الأوامر لمصلحة الآخرين، مستفيداً من الدعم الذي يحصل عليه من الدول العظمى. أما عن أرض الميعاد فقد

أثبتت الدراسة وجود البعد الديني في عقيدة أرض الميعاد وانخراطه في ثالوث حلولي مقدس مرتبط ولا ينفصل، هذا الثالوث يتمثل في (الله، الأرض، اليهود)، فاستخدمته الصهيونية كثيراً، ولا تزال في حروبها، وفي مراحل نشأة الدولة، لتسوغ لها من خلاله شرعية زائفة في أرض سُلبت بسيف الباطل. فالوعد التوراتي لم يكن أبدياً وانما كان وقتياً مشروطاً بطاعة وأوامر المولى جلَّ في عُلاه.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الأصولية الإنجيلية ونشأتها

لم تختلف كثيراً آراء الساسة النخبة عن آراء أهل الرأي والفكر من المحللين السياسيين، فيما يتعلق بمفهوم الأصولية الإنجيلية فقد اتفقوا على نشأتها المرتبطة بالبعد التاريخي والمتمثل في هجرة البروتستانت الأوائل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، كذلك الأمر بالنسبة لأهداف هذا التوجه الفكري المرتبة بحسن توظيف واستخدام المعتقدات الدينية المزيفة في بلوغ مراتب سياسية تعزز من هيمنة وسيطرة أنصار الإنجيلية على مفاصل القوى والحكم في العالم، كما أن مظاهر الإنجيلية لم تدع مجالاً للشك حول حقيقة الدور الذي تلعبه سياسياً في مناطق شتى في العالم، مستفيدة من تحالفها مع قوة- الصهيونية العالمية- لا يستهان بها من حيث التأثير على مراكز صنع القرار الدولي.

المطلب الأول: مفهوم الأصولية الإنجيلية

هي حركة عرفتها الطائفة البروتستانتية وتطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق، وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي[1]. والمؤمنة كذلك بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة، بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية، تقود إلى توطين اليهود تمهيداً للعودة الثانية[2]. ثم أجمل «يوسف الحسن» في تفصيلها، بقوله «إنها مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحين، وبخاصة بين قيادات واتباع الكنائس البروتستانتية التي تعدُّ قيام الدولة اليهودية حقاً تاريخياً ودينياً مقدساً لليهود، وذلك باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة، هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان»، ويبين (الحسن) في التعريفِ الصلةَ بين الحلفاء المسيحين واليهود:[3]: «إن حجر الزاوية في الدعم الشديد من هؤلاء المسيحين

(١) قاموس المورد (٣٨٣)

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢.

لإسرائيل هو الصلة بين دولة إسرائيل المعاصرة و«إسرائيل التوراة»، لذا أُطلقَ على هذه الاتجاهات (الصهيونية المسيحية)[1]» وهم المسيحيون المؤيدون للمبادئ الصهيونية القائمة أساساً على دعم حق إسرائيل في الوجود ودعم استمرارها.[2] إن مسألة العمل على تجميع اليهود في فلسطين- عند المسيحين، لم تكن لأجل خاطر اليهود، وإنما كانت أملاً في عودة المسيح الثانية إلى الأرض، وبداية العصر الألفي السعيد، بعد أن يكون قد تم تجميع اليهود في الأرض الموعودة (فلسطين).[3] أما «صالح الهذلول» فقد جمع في تعريفه المختصر بعض مبادئ الأصولية الإنجيلية: «هي حركة مسيحية، تنصيرية، متشددة، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس، والعودة الحقيقية للمسيح، وقيام الحكم الألفي»[4] أما «المسيري» فقد وصفها بشكل مختصر وأدق: «دعوة انتشرت في بعض الأوساط البروتستانتية المتطرفة لإعادة اليهود إلى فلسطين»، وتستند إلى العقيدة (**الألفية الاسترجاعية**) المتطرفة[5]، التي ترى أن العودة شرط لتحقيق الخلاص، وهى تضم داخل هذا المركب الغريب، من حب اليهود الذي هو في واقع الأمر كره عميق لهم -تماماً- مثل الصيغة الصهيونية الأساسية: «شعب عضوي نافع ينقل خارج أوروبا ليوظف لصالحها»[6].

نستنتج مما سبق أننا أمام تحالف استراتيجي منفعي ودعم امسيحي للصهيونية غير عادي، ترجع جذوره الفكرية إلى «**حركة الإصلاح البروتستانتية**»، التي تزعَّمها الألماني «مارتن لوثر» في القرن السابع عشر، مما ولَّد اهتماماً متجدداً بالعهد القديم، وبالطرق التي تعامل بها الله مع الشعب اليهودي. وقد بدأت الكنائس البروتستنتية في أرجاء أوروبا تكرز (تنشر) بالكتاب المقدس في سياقه التاريخي، ومعناه الحرفي، وبالوقت نفسه ظهر تقييم جديد لمكانة اليهود ضمن مقاصد الله. لذا فقد لخصت

(١) يتحفظ «المسيري» على هذه التسمية لعموميتها وإطلاقها، حيث أنها تعمم على جميع المسيحين مما يمثل اتهاما جماعياً، رغم أن هناك من البروتستانت من يعارض الأصولية الإنجيلية، كما أنه يصبغ الصهيونية بصبغة عالمية مسيحية وهذا مخالف للواقع. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٦-١٣٧).

(٢) عبدالحكيم، اسامة، المسيحية الصهيونية انشات إسرائيل ومازالت تدعمها، مقال منشور على الانترنت، بتاريخ (١٢-٤-٢٠٠٤)، www.falastiny.net

(٣) النبوءة والسياسة: مرجع سابق ص ٩٤..

(٤) الهذلول، صالح عبدالله، الأصولية الإنجيلية، نشأتها وغايتها، وسبل مقاومتها، دار المسلم، الرياض، ط١ (١٤١٦هـ) ص٣٥.

(٥) مفهوم العقيدة الاسترجاعية: أن خلق إسرائيل من جديد هو استرجاع لزمن مضى ويتحقق بعودة اليهود إلى الأرض التي وعدهم الله بها.

(٦) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، ص ٦-٣٠

«كرس هالسل» رسالة الصهيونيين المسيحيين بالشكل التالي: «كل عمل تقوم به إسرائيل هومن ترتيب الله، ومن تصميمه، لذا يجب علينا أن نتغاضى عنه، وندعمه ونقدم المدح والثناء له»[1]. ومصطلح الأصولية الإنجيلية لم يستخدم كمصطلح ديني يشير إلى مذهب العصمة الحرفية إلا في القرن العشرين، وكثيرون هم من يرون أن أول من نادى بهذا المصطلح رئيس تحرير مجلة أمريكية تُدعى نيويورك عام (١٩٢٠)م[2]. وتشتهر كذلك إعلامياً بالعديد من الاوصاف والاسماء ومنها «الحرفيون» أو «التدبيريون» وذلك لاعتقادهم أن كل ما تقوم به إسرائيل هوعملٌ قدَّر الربُّ فعله، وأنهم قاموا به دون أن تدري هي أنها تنفذ إرادة الرب، لذا يعتقد الإنجيليون في وجوب دعم كل ما تقوم به إسرائيل، لأنه تطبيق لمشيئة الخالق. وكدليل واقعي على ذلك، فإن أقوى دعم حصل عيه «شارون» في الولايات المتحدة في السابق، كان من جمعيات اليمين المسيحي، ولم يكن من الطائفة اليهودية الأمريكية[3]. ويعتمد الإنجيليون على التوراة المحرفة، وكذلك ما كُتِبَ حولها، كالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، والرؤى، والقبالاة لترسم الشخصيةَ اليهودية التي تعيش على الأوهام والأساطير والأكاذيب، وتزوير حقائق التاريخ، فَمِنْ تَطَابُق مفاهيم (اليهود والعبرانيين وبني إسرائيل) إلى ادعاء الوعد الألهي (بأرض المِيعاد)[4]، وحدودها من (الفرات إلى النيل)، والهدف الحقيقي الخفي هو السيادة على العالم، حيث يخدم هذا الهدف (السامية) التي ادعاها اليهود، وفرضوا على العالم أجمع تصديق هذه الدعوة، حيث استطاعت اليهودية الصهيونية بمنظماتها إقناع العالم المسيحي في العصر الحديث بدعاواها فكانت أوروبا الغربية والولايات المتحدة والدول التابعة لها مأوى للفكر الصهيوني[5]؛ لا بل هيمنت اليهودية الصهيونية على ذلك العالم الغربي المسيحي، ومن مظاهر ذلك ظهور الأصولية الإنجيلية، بعد أن تغلغلت الصهيونية اليهودية في الفكر الغربي المسيحي[6]، كل ذلك في إطار مصالحة تاريخية لليهودية من المسيحية التي أذاقتها الذل والهوان في العصور الفائتة، حيث تبلورت هذه المصالحة في الاتفاق على معتقد أساسي مشترك وهوعودة المسيح عليه

(١) Stephen Sizer: Christian Zionism: Road-map to Armageddon? (USA: IVP Academic, 2004), p22.

(٢) المرجع السابق، ص (٣١).

(٣) الشهراني،سعد بن علي، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، جامعة ام القرى، (٢٠٠٥).

(٤) يرى هرتسل في كتابه« الدولة اليهودية»، أن أرض الميعاد ليست بالأسطورة ولا بالخدعة، وكل إنسان سوف يختبرها بنفسه، لأنه سيحمل قطعة منها في رأسهن وبعضها بين ذراعيه، وبعضها في ملكيته المكتسبة. ص ٦٠.

(٥) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق،، ص ٣.

(٦) الأصولية اليهودية، مرجع سابق، ص ٢٤.

السلام، ليقود شعب الله المختار، ليطهر به العالم من الشرور والآثام، متمثلاً بمعركة عالمية نووية تبدوخيالية (هرمجدون)[1]، ومن هنا كان عمل الفكر الصهيوني اليهودي على أن تكون الاستجابة لمطالب اليهود وإرضاؤهم واجباً مقدساً دينياً، لتكون المسيحية -التي أرادت تنصيرهم- في خدمة أفكارهم، فيوظفونها لتحقيق أهدافهم، بكل فعالياتها، ومن ثم تحتوي «اليهودية الصهيونية» السياسة الغربية في أوروبا وامريكا، فتجعلها في نطاقها وتدور في فلكها، كما هوالواقع اليوم في السياسة الغربية التي تقودها دولة القطب الأوحد. حيث اعتاد الناس تفسير التحيز الأمريكي للصهيونية، بطرق بعيدة عن النواحي الاستراتيجية والسياسية، لا تقتصر على المال والصوت اليهودي الموحد في الانتخابات الأمريكية (اللوبي الصهيوني)، والإعلام اليهودي وإنما تمتد للبعد الديني التوراتي عميق الجذور، فالأصولية الإنجيلية ليست حديثة عهد كما يظن الكثيرون، وإنما هي ضاربة جذورها في التاريخ، بحيث أصبح الفكر الغربي وفعالياته صهيونياً أكثر من الصهاينة اليهود أنفسهم، وعلى ذلك فإن السياسة الأمريكية تحديداً تقوم على مرتكز المعتقد الديني اليهودي (التوراة)، فحتى لوتخلى اليهود عن نبوءة العهد القديم فإن الأصولية الإنجيلية لن تتخلى عنها، والتي تري في إسرائيل الكبرى، وسيادة اليهود شرطين أساسين لتحقيق هذه النبوءة.

المطلب الثاني: نشأة الأصولية الإنجيلية

إن نشأة الأصولية الإنجيلية وانتشارها يخضع لأكثر من تفسير؛ فالبعض يعتقد أن اليهود نجحوا في التسلل إلى دوائر الكهنوت المسيحي واستطاعوا إدخال العقائد الخاصة بقيام إسرائيل واحتلال القدس وإقامة هيكل سليمان في صلب الإيمان المسيحي-خاصة البروتستانتي- بحيث أصبح دعم المخطط اليهودي لإقامة إسرائيل من الفرات إلى النيل واجب مسيحي شرعي، فيما يرى البعض الآخر أن دهاة الساسة الأوروبيين المعادين للسامية والكارهين لليهود هم الذين أنشؤوا هذا المذهب لضمان تأييد مسيحي واسع، باعتبار أن هذا الأمر يجعل اليهود يفكرون في قيام وطن لهم في فلسطين، وبذلك يضرب هؤلاء عصفورين بحجر واحد: أولهما التخلص من اليهود على أساس أنهم سبب البلاء في أوروبا وأنهم نفاية بشرية يجب التخلص منها، وفي الوقت نفسه تحقيق نوع من التآمر ضد العرب والمسلمين واستخدام اليهود كقفاز لضرب الإسلام والمسلمين، على اعتبار أن هناك عداءً تاريخياً وصراعاً مستمراً بين

---

(١) المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٤٧.

الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية. وفي الواقع فإننا نرى أن كلا التفسيرين صحيحان، وأن المخطط اليهودي تلاقى مع رغبات دهاة الساسة الأوروبيين المعادين للسامية، فهذا التيار كان يمثل اتجاهاً قديماً في السياسة الأوروبية، حين كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسي «قورش»(1).

نشأة الأصولية الإنجيلية

إن بداية الأصولية الإنجيلية قديماً كانت على يد علماء الدين المسيحي البروتستانتي، ثم رجال السياسة البريطانيين والأوروبيين الذين دعوا وتبنوا فكرة عودة اليهود، حيث كانت بعض الطوائف كالعمدانيين تعبر عن آمالها في قدوم (المسيح المنتظر) في أوروبا، لكن الكنائس اللوثرية والكالفينية الرسمية كانت تضطهدها بعنف معتبرة إياها قوى مارقة، لدرجة أن «مايكل سيرفتس» (١٥٠٩-١٥٣٣) أُحْرِقَ حياً بتهمة أنه يهودي معاد للثالوث، وفي العام (١٥٨٩) تبعه «فرانسيس كت» الذي لقي حتفه في إنجلترا، فكانا بذلك من أوائل من كتب عن بعث اليهود، باعتبار أن (شعب الله المختار) يعني حرفياً الشعب اليهودي، ولم يمر عقد من الزمان على رحليهما، حتى ظهر عالم اللاهوت البريطاني «توماس برايتمان»(2) الذي دعا في العام (١٥٨٨) إلى إعادة اليهود إلى الأراضي المقدسة تتميماً لنبوءة الكتاب المقدس. حيث ذكر في كتابه الشهير (Apocalypses apocalypscos): «إن اليهود كشعب سيعودون ثانية إلى فلسطين وطن آبائهم الأوائل، لا من أجل الدين، كما لو أن الله لا يمكن أن يعبد في مكان آخر، بل لكيلا يكافحوا كغرباء، ونزلاء لدى الأمم الاجنبية»(3). وقد

---

(١) قورش الكبير أوكورش أول ملوك فارس (٥٦٠ – ٥٢٩ ق. م.). هوكورش بن كمبوجية بن كورش بن جيشبيش بن هخامنش ويلقب به كورش الكبير أوقوروش الكبير (باللغة الفارسية: كوروش بزر)، أحد أعظم ملوك الفرس الأخمينية، استولى على آسيا الصغرى وبابل وميديا، قضى على الكلدان، حكم من (٥٥٠-٥٢٩) ق.م. وقتل في ماساجت ودفن في باساركاد..

(٢) توماس برايتمان، (١٥٦٢-١٦٠٧)، رجل دين بريطاني، يعد الأب الروحي لعقيدة بعث اليهود، من اوائل من دعا الى عودة اليهود فهوقد ألف كتابا ونشره عام (١٦٠٧)م في بريطانيا يُسمى (Apocalypses apocalypscos) أظهر فيه البذرة الأولى لمعتقد النصارى الصهاينة، حيث قال: إن الله يريد عودة اليهود إلى صهيون «أرض فلسطين» لعبادته من هناك لأنه يحب أن يعبد من هناك. هذا في وقت كان اليهود يتعرضون إلى اضطهاد في روسيا القيصرية وفي بعض دول أوروبا الشرقية وكانوا يلجؤون إلى أوروبا الغربية.

(٣) الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ العربي، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٣، ديسمبر (١٩٨٥)، ص٣٠.

وافقه في ذلك -حجة القانون في ذاك الوقت- البرلماني البريطاني السير «هنري فينش»[1] الذي دعا في عام (١٦١٥) الحكومةَ إلى دعم عودة اليهود أيضاً، من خلال كتابه المثير للجدل في العام (١٦٢١)، حيث قال فيه: «ليس اليهود قلة مبعثرة، بل إنهم أمة، ستعود أمة اليهود إلى وطنها، وستعمر كل زوايا الأرض، وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد»[2]. ثم أيدهم في ذلك السياسي البريطاني «هنري منشن» (١٦٢١)، ثم تبعهم في ذلك العالمان الإنجليزيان (جوانا والينزر كارترايت) (١٦٤٩) مـ، ثم السياسي البريطاني الشهير «كروميل» (١٦٤٩) مـ، ثم الفرنسي» فيليب جنتل» (١٦٥٦) مـ. وقد تبنى مؤسس الكنيسة «المورمونية» القس «جوزف سميث»، (نظرية البعث اليهودي) في فلسطين. وارتفعت منذ العام (١١٨١٤) مـ الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين، حتى أن أحد رواد الحركة القس «ووردر جريسوف» هاجر من أمريكا إلى فلسطين واعتنق اليهودية، وعمل مستشاراً للحكومة الأمريكية في القدس، وكان نشاطه يتركز حول إقامة الوطن اليهودي في فلسطين. وكان أكثرهم نفوذاً اللورد البريطاني «أنطوني أشلي كوبر» أول من قال عن فلسطين أنها (أرض بلا شعب لشعب بلا وطن) وذلك في عام (١٨٣٩) مـ، وأصبحت تلك المقولة فيما بعد من أهم شعارات الحركة الصهيونية. بعد ذلك نشطت حركات الاستيطان بتمويل من رجال أعمال أمريكيين، فقامت مستوطنة (جبل الأمل) إلى الغرب من «يافا» في العام (١٨٥٠). وكان إقبال الصهاينة المسيحيين على الاستيطان أشد من إقبال الصهاينة اليهود، ومن هنا بدأ تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية لدرجة أن فيلسوفاً يهودياً «هوجونحووتيوس» نشر كتاباً عنوانه (حقيقة الدين المسيحي) سَفّه فيه التحقير المسيحي لليهودية، وأبرز الجوامعَ المشتركةَ في اليهودية والمذهب البروتستانتي، حيث ربط فيه بين اكتشاف أمريكا من جهة، وفي المقابل سقوط غرناطة في العام (١٤٩٢)م وكذلك الأمر حين ربط بين الدور السلبي لمحاكم التفتيش الكاثوليكية التي أجبرت اليهود على الهرب إلى أوروبا وبين الدور الإيجابي من حيث دفع الصراع الديني في أوروبا في مطلع القرن السابع عشر المتهوّدين الجدد إلى العالم الجديد من ناحية، وبين هجرة يهود الأندلس وآثارها المباشرة على حركة الإصلاح الديني وعلى حكومات الدول التي هاجروا إليها (خاصة في فرنسا وبريطانيا وهولندا)، وكذلك كان لهجرة

---

(١) سنة ١٦٢١ ظهر أول كتاب معروف في بريطانيا حول توطين اليهود في فلسطين لمؤلفه البريطاني السير هنري فنش، بعنوان البعث العالمي الكبير أوعودة اليهود، ومعهم كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح.

(٢) الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص٣١.

أتباع الدين الجديد من البروتستانت والتطهريين آثار مباشرة على بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التي تقوم عليها حتى اليوم.

ولم يقتصر الأمر في هذا الصدد على علماء الدين والسياسيين، بل تعداه إلى الأدباء والفنانين، مثل: «ميلتون «وقصيدته الشهيرة (الفردوس المستعاد) التي تحدثت عن عودة إسرائيل إلى الأرض الموعودة، ولورد «بايرون وكولريدج» الذي رسم صورة موضوعيةً لليهودي مستوحاةً من كتاب (القضاة في العهد القديم)، و«ألكسندر بوب» في قصيدته (المسيح)[1] التي جدد فيها فكرة المملكة اليهودية المستعادة في فلسطين، ثم تبنّى هذه الدعوة اللورد الإنجليزي «شافتسبري «(١٨٨٢) الذي كان من أبرز الإنجيليين الذين اهتموا بقضية العودة في القرن التاسع عشر. وكذلك شارك النبلاء في هذا المشروع الضخم من خلال رموز عدة، ومن أبرزها دوق» كنت»، وكثير من أعضاء مجلس اللوردات البريطاني. ومن السياسيين هناك لورد «بالمرستون»، وزير الخارجية البريطاني (١٨٦٥) الذي كان أول نصير سياسي للورد «شافتسيري» في مشروعه للعودة.

لقد تطورت الأصولية الإنجيلية حديثاً على إثر تحالف واستغلال بين الطائفة البروتستانتية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية، وبين الصهاينة اليهود، فالإنجيلية منبثقة من البروتستانتية بل إن لفظ (الإنجيليين) يطلق أحياناً على هذه الطائفة كاملة[2]: وذلك بعد تعرض اليهود للطرد والعزل على فترات زمنية مختلفة من أوروبا، حيث طُرِدُوا من إنجلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر، وذلك لأسباب دينية واقتصادية، منها اعتقادهم بأنهم أعداء المسيح وقتلته[3]. حتى حدث التحول من العداء إلى الولاء في القرن السادس عشر، على أيدي «لوثر» الذي قام بحثّ النصارى على إجلال (شعب الله المختار)، فهم القديسون، ويجب تعظيمهم[4]. وكان لنصوص العهد القديم (التوراة) أكبر الأثر على الحركة البروتستانتية[5]. وصار المرجع الاعلى لفهم النصرانية وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع دون قيود[6]. وأصبح العهد القديم

(١) المرجع السابق، ص٥٣.

(٢) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص ٤.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠.

(٥) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٦) الصهيونية المسيحية، السماك، مرجع سابق، ص ٣٥.

كأنـه التاريخ الحقيقي لله والعالم[1]. وقد نشأت هـذه الطائفة مواكبة التيار العقلاني الصاعـد في القرنين السابـع عشر والثامن عشر الرافض لسلطـة الكنيسة، حتى تبنى «نابليون بونابرت» الدعـوة إلى إقامة وطن لليهود في فلسطـين. حيث دعاهم بـ«الورثة الشرعيـين» لفلسطين، وذلك في أثناء حملته على الشرق (١٧٩٨ - ١٨٠١)م. واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن ظهر «تيودور هرتزل»، فتبنّى هذا الأمر ودعا اليهود إلى العمـل على تحقيقه، وتم بلورة ذلك في مؤتمر «بال» عـام(١٨٩٧)، ثم تدافعت الجهود اليهودية والأوروبية إلى أن تمخّضت عن وعد بلفور سنة (١٩١٧) م، وبعد ذلك حظيت الدعـوة بدعم كامل من أوروبـا وأمريكا إلى أن قامت دولـة إسرائيل عام (١٩٤٨) م. يقـول «الحوالي» في كتابه «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى»: «لقد ابتهج اليهود بهـذه الحركـة ووجدوا فيها متنفساً لهـم وفرصة للانتقام من البابـا وأتباعه، وضرب النصارى بعضهم ببعض، فسخـروا مكرهم ودهاءهم وأموالهم لنشرها، وهكذا بدأت العلاقة بين اليهود والنصارى تتحسن بالتدريج، وبدأ هؤلاء النصارى يؤمنون بأن أرض فلسطين هي الأرض الموعودة لليهود، وأن الواجب الدينيّ يقتضي تحقيق هذا الوعد»[2].

وجدير بنا أن نذكـر أن أول دكتوراة منحتها جامعة «هارفارد» في العام(١٦٤٢)م كانـت بعنوان: «العبرية هي اللغـة الأم» وأول كتاب صدر في أمريكا كان سفر «المزامير» لـداوود، وأول مجلة كان اسمها: «اليهودي». وقـد بلغ من تأثير الأصولية الإنجيلية على الـرواد الأوائـل في أمريكا، اقتراح الرئيس «جيفرسون» اتخـاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل، تظللهم خيمة في النهار، وعمود من نور في الليل، بدلاً من شعار النسر، وذلك توافقاً مع ما يتضمنه «سفر الخروج» في التوراة.

ويبدوهنـا الأثر التاريخي المهم، حيث يُعْتَبرُ القرن العشرون قرن زحف الأصولية الإنجيليـة علـى الولايـات المتحدة. وما بـدأ فكراً تطور إلـى ممارسة بعـد إنشاء دولة إسرائيل، فقد تُرجِمتْ بعض فقرات العهدين القديم والجديد ترجمة سياسية مباشرة صبـت بقوة في دعم الدولـة الصهيونية الوليدة وحُرِّفَتْ التفاسـير الروحية، واستخدم المسيحيـون الصهاينـة وسائل الإعـلام الأميركية الجماهيرية أفضـل استخدام لنشر أوهامهم وأحلامهـم ومعتقداتهم وتمَّ تفسير الأحـداث السياسية باعتبارها «علامات أزمنة» تسبق المجيء الثاني للمسيح، ومن بينها تجمع اليهود في فلسطين وإنشاء الدولة،

(١) مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ص ٨٣.

(٢) سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، الدار السلفية، القاهرة،ط١، (١٤١٤)، ص ٣٤.

ولم يبق إلا ظهور «المسيح الدجال» وحدوث موجة من الصراعات تتوج بمعركة وهمية دموية «هر مجدون». وضِمَنَ هذا التصور المستند إلى «سفر الرؤيا» فإن السلاح النووي يصبح عندئذ أداة لتحقيق مقاصد الله، كما أن الميل إلى تفسير أحداث السياسة الدولية استناداً إلى منظور نهاية العالم، لا يصبح مشروعاً فقط وإنما يمثل أمراً ضرورياً. وهذا الشعور الداخلي من الأصولية المسيحية الأميركية، والمنطوي على أفكار سامة جعلت المؤمنين بنهاية العالم يعتقدون أن الحرب ضد العراق هي الحرب ذاتها التي جرى التنبؤ بها في الكتاب المقدس «على فاسقة بابل» ولذلك فإنهم كانوا مدفوعين إليها، ووفقاً لاعتقادهم عندما تأتي نهاية العالم سيصعدون مباشرة إلى الجنة، ويعتنق اليهود جميعاً المسيحية أويهلكون، أما المسلمون فسوف يهلكون في جهنم، استناداً إلى بعض أسفار العهد القديم كسفر «حزقيال» وسفر «دانيال» ومن العهد الجديد على سفر «يوحنا» فإن العالم قد أشرف على النهاية، وإن (ألف عام) تبدأ بعد هذه النهاية تتميز بالسلام ووفرة الخيرات والأخوة بين الناس، ويحل السلام بين الحيوانات أيضاً. وهذه النهاية آتية، ليست بفعل جنون رجل يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا قصد الله، كما تتحدث اللوبيات الأصولية عن عقيدة مفادها أن (إسرائيل قوية) ضرورة لتحقق خطط «الرب» في فلسطين، ومن ثم فإن على الولايات المتحدة أن تجعل من إسرائيل قوة عسكرية لدرجة كبيرة حتى يأتي يوم الحساب وأي شيء يقل عن ذلك يُعتبَرُ مخالفةً لأوامر الله.

وهنا يفرض البعد الديني مرة أخرى نفسه-باعتبار أن عودة المسيح ستكون مسبوقة بحرب مدمرة- حيث تجد أمريكا نفسها مُلزمة عقائدياً بتسليح إسرائيل ما أمكنها ذلك وبدعم كل مخططاتها داخل فلسطين وخارجها استعداداً لوقوع هذه الحرب لضمان انتصار إسرائيل وحلفائها ضد أعداء الله. وضمن هذا النطاق يدخل إعفاء إسرائيل من الانصياع للقوانين والمواثيق الدولية، فشريعة الله وحدها (التوراة) هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين.

ولقد سبقت الصهيونيةُ البروتستانتيةُ الصهيونيةَ اليهوديةَ في الظهور، والدليلُ على ذلك[1]:

١- أن القس «بلاكستون» (١٨٤١-١٩٣٥م) الملقب بـ «والد الصهيونية» الذي تحتفل الدولة اليهودية بذكراه- وهوليس يهودياً بل بروتستانتي- لكونه كان من

(١) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص ٧.

أوائل من مارس الضغط المؤسسي المنظم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة الصهيونية اليهودية السياسية، وهوأيضاً من أوائل من شكّل منظمة صهيونية تشكل جماعة ضغط (لوبي)، حيث أسس «البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل» لتعمل على دعوة اليهود إلى العودة للأرض المقدسة، [1].

٢-تأسيس البروتستانت البريطانيين لـ «صندوق اكتشاف فلسطين»، بغرض اكتشاف أرض الميعاد وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة، وذلك إبان حكم «فكتوريا»، وكان رئيس الصندوق هورئيس أساقفة (كنتربري).

٣-ثم ظهر بعد ذلك «بلفور» الذي تقول عنه مؤلفة حياته: «إنه كان يؤمن إيماناً عميقاً بالتوراة ويقرؤها ويصدق بها حرفياً»، ولقد أصدر الوعد من منطلق إيماني، وكان رئيس وزراء بريطانيا في أيامه هو: «لويد جورج» الذي يقول عن نفسه «أنه صهيوني، وأنه يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح»[2]

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك عوامل عدة، ذكرها «يوسف الحسن»، لتفسر لنا أسباب موجة نهوض وبروز الانبعاث الحالي للحركة المسيحية المعاصرة منها[3]:

- تأثير الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس في حرب (١٩٦٧)، وانعكاس ذلك على أوساط الكنيسة الإنجيلية والأصولية، مثل بروز قيادات مسيحية صهيونية «كبيلي جراهام»، و«هال ليندسي»، ونشر كتب وإخراج أفلام سنيمائية متعاطفة مع دولة الاحتلال.

- تولي «مناحم بيجن» رئاسة الحكومة عام (١٩٧٧) ما أضفى مشروعية على التطرف الديني اليهودي واستخدام الإشارات والتعابير التوراتية لتبرير الاستراتيجية الصهيونية، فكان حريصا على إقامة علاقات وثيقة مع قادة الحركة المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة.

- تنبه المنظمات الصهيونية إلى أهمية تنامي المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة، ومسارعتها إلى إقامة تحالف متين معها، ودعم اتجاهاتها باعتبارها أضخم كتلة مؤيدة لإسرائيل هناك.

(١) الجذور الاعتقادية للإرهاب، مرجع سابق، ص١١.

(٢) الصهيونية المسيحية، مرجع سابق، ص٥٨. وأنظر أيضاً: الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مرجع سابق، ص (٥٢-٦٠).

(٣) البعد الديني في السياسة الامريكية، تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق ص ١٩٠.

- صعود اليمين السياسي المحافظ في الولايات المتحدة مع وصول «ريغان» إلى البيت الأبيض (١٩٨٠) حيثُ أسَّس هذا اليمين الجديد برامجه السياسية والاقتصادية على تحالفات مع اليمين المسيحي الأصولي وعلى مبادئ دينية ولقاء على أرضية مشتركة في دعم غير مشروط لإسرائيل.

* * *

المبحث الثاني

أبرز أهداف الأصولية الإنجيلية

بما أن الأصولية الإنجيلية قد نتجت عن تحالف استراتيجي مصلحي بين الصهاينة من جهة وبين الأصوليين من البروتستانت من جهة أخرى، فإن أهداف الصهيونية تصلح أن تكون مدخلاً للتعرف على أهداف هذه الحركة التي من أبرزها: تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي (أرض فلسطين)، وهيمنة القوى العظمى على الأمة العربية، حيث تتكامل أهداف المشروعين في هدف استراتيجي واحد وهوإنهاء الوجود الحضاري للأمة العربية والإسلامية، وتفتيت البقية الباقية من همة الشرفاء بها، وكذلك إفشال كافة عوامل النهوض واستعادة مجدها مرة أخرى، وللأصولية الإنجيلية أهداف عديدة-منها ما هومُعلَّن وما خَفيَ كان أعظم- نتعرض لبعضٍ منها فيما يلي:

إن من أهم أسباب إنشاء الحركة تأمينَ الرفاه للصهاينة اليهود، ودعمهم وضمان استمرارهم، وحمايتَهم من الأعداء، والصلاةَ من أجلهم، وكذلك دعم إعادة بناء الهيكل، بالإضافة إلى مساعدة المهاجرين الجدد، وأخيراً تشجيع الدول الغربية على نقل سفارتها إلى القدس[1]، وذلك بهدف تعجيل تحقيق نبوءة الكتاب المقدس، ومحور المعتقد فيها هو«إسرائيل» التي بالخضوع لها نحصل على البركات من الله الذي هوغاية العبادة ومنتهى السعادة، يقول الرئيس «تافت»: «إن هناك اله في إسرائيل، والواجب يُحَتِّمُ طاعته»[2].

إن تزايد أهمية فلسطين في المخطط الإمبريالي البريطاني هوالذي دعا السياسيين الغربيين (بلفور) إلى الاهتمام بالصهيونية، ومنهم لورد (كروميل) الذي سعى إلى الاستفادة منهم كجواسيس، وهناك من نادى بتوطين اليهود (شافتسبري) في فلسطين، لكونهم جنساً معروفاً بمثابرته ومهارته، بالإضافة إلى توفيرها رؤوس الأموال المطلوبة كما أنها سوف تعود بالفائدة على إنجلترا والدول الغربية. ولقد أتت المرحلة الاولى من انتشار الأصولية الإنجيلية بثمارها، حيث تم تجميع شتات اليهود ونقلهم إلى فلسطين،

---

(١) ندوة حول «المسيحية الصهيونية وجذورها العقائدية والرد على اباطيلها»، في قاعة مركز بيت جالا، انظر: صحيفة القدس، ع ١٢٣٧٨، ٧ فبراير (٢٠٠٤)، ص٣، وانظر: الصهيونية المسيحية، ص ١٥٩.

(٢) الرئيس السابع والعشرون للولايات المتحدة، والرئيس الثاني في القرن العشرين.

وتوظيفهم في خدمة المصالح الغربية، وتنمية علاقة المصالح والنفع المتقاطعة بين طرفي الحركة، وبدلاً من نجاح الحركة في تنصير الإسرائيليين[1]، توجهت الأصولية الإنجيلية بعد قيام إسرائيل إلى الأهداف التالية:

- تأكيد شرعية دولة إسرائيل ووجوب دعمها، لكونها جاءت تحقيقاً للنبوءات التوراتية.
- التأكيد على أن القدس تحت الاحتلال اليهودي هي محور عودة المسيح الثانية جغرافياً وتاريخياً، ولا بد أن يقام الهيكل محل المسجد الأقصى، حتى تتحقق هذه العودة المنتظرة.
- التأكيد على أن شعب الله المختار هم اليهود ولا أحد غيرهم، ومن يباركهم يبارك له الرب ومن يلعنهم يلعنه الرب[2].

هذا من جهة الحركة، فماذا عن استفادة الغرب من دعم اليهود المادي واللوجستي من التحالف:

- إلهاء العرب بالنزاعات وإقامة مؤسسات تابعة ومرتهنة بالغرب، ما يستدعي استمرار التبعية للغرب من جانب الدول العربية[3].
- تعمد التربص واستفزاز الأمة العربية، لتكون في حالة صراع دائم، فتنهزم حضارياً أمام الغرب، ولتظل السوق العربية هي السوق الرائجة للفائض والمخزون من الأسلحة المتخلفة.
- استنزاف الدول العربية لمواردها المختلفة، والهيمنة على ثرواتها لتظل في حالة ضعف وتبعية.

من خلال العرض نلاحظ أن موجة الانبعاث المعاصرة قد تأثرت ببعد تاريخي هام ومؤثر على أغلب الأصوليات الدينية، **وهي الحرب العالمية الثانية**، حيث بدأت موجة الابتعاث الأصولي بعدها. وفيما يخص البعث الإنجيلي، يَعْتَبِرُ (مارتن) -في معالجته للتعبئة السياسية للإنجيليين (وهم عصب اليمين المسيحي) بعد الحرب العالمية الثانية- القس «بيلي جراهام» أباً روحياً لهذا الانبعاث الجديد، ذلك لأنه هوالذي وفر التبرير الإنجيلي لمقاومة الشيوعية في الخمسينيات[4]. حيث كان من أبرز مؤشرات تنامي الائتلاف اليميني المسيحي وحضوره على الساحة أن عدد المنتمين له قد

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٣، ص ٤٨-٤٩، نقلا عن الصهيونية المسيحية، ص١٦٢ بتصرف.

(٢) البعد الديني للسياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص٥٢.

(٣) الصهيونية المسيحية مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٤) Martin. W. With God on Our Side. New York: Broadway Books 1996 .p234.

قفـز من خمسين ألف عضو في سنته الأولى (١٩٨٩) إلـى ما يقارب مليوني عضو مسدد لرسـوم الاشتراك في سنة (١٩٩٩) م يتركـز معظمهم في الجنوب والغرب حيث يتكاثر الإنجيليون البروتستانت وأتباع الكنائس غير المذهبية[١].

* * *

(١) Francis. S. 1982. ‹Message from MARS: The Social Politics of the New Right.› in Robert Whitaker. Ed. The New Right Papers (New York: St. Martin's. p.. 68 - 69

المبحث الثالث

أبرز عقائد الأصولية الإنجيلية

يزعم البروتستانت أنهم يمثلون الاتجاه المحافظ في الفكر المسيحي. وقد وضعوا نقاطاً أساسية لفكر وعقيدة الحركة، نذكر منها[1]: عصمة الكتاب المقدس وحرفيته، يليها رجوع اليهود إلى أرض الميعاد (العقيدة الاسترجاعية)، والاعتقاد في الوهية المسيح ومولده العذري، ثم الهرمجدون ونهاية العالم، وأخيراً عقيدة البعث والحساب، وتكفير الخطايا من خلال دم البديل[2]. ولما تحققت بعض معتقداتهم مثل قيام دولة إسرائيل (١٩٤٨مـ)، اعتبرها الإنجيليون حدثاً تاريخياً، مُصَدِّقاً للنبوءات، وبالتالي فإن العقيدة الصهيونية باتت تقوم على مرتكزات عدة هي نفسها التي تقوم عليها الأصولية الإنجيلية التي سبق التعرض لها من الالتزام الديني والتاريخي الثابت، بدعم وجود واستمرار الدولة اليهودية بحدودها من النيل إلى الفرات، فهي نبوءات ووعود إلهية واجبة التحقق[3].

وسوف نتناول بشيء من التركيز أبرز العقائد والأفكار الإنجيلية فيما يلي:

العصمة الحرفية للكتاب المقدس

ذكرنا من قبل أن الأصوليين هم الحرفيون الذين يَدَّعون الالتزام بالنص الحرفي للكتاب المقدس بعهديه دون تأويل، وكذلك إيمانهم بالنبوءات الغيبية المستقبلية التي تشير إلى التوطين اليهودي والعودة الثانية، باعتبار أن الكتاب المقدس هوكلمة الله الموحاة، وبالتالي فهولا ينطوي على أي احتمالية للخطأ. ويرفضون الفصل بين الكنيسة والدولة[4]. ويعتبرون التعددية نوعاً من أنواع الخرافات. يقول «هارولد بروم»: «الكتاب المقدس دائماً على صواب، والمجيء الثاني للمسيح لحكم العالم في الألفية السعيدة، هما أساسان لدى المسيحية الصهيونية المتشددة»[5].

---

(١) الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، مرجع سابق، ص٤٤.

(٢) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها مرجع سابق، ص٩.

(٣) سفر التكوين، الاصحاح ١٥، الفقرة ١٨.

(٤) لكل كنيسة من الكنائس الإنجيلية استقلالها في فهم الكتاب المقدس على ان يوافق النص لفظاً ومعنى.

(٥) هلال، رضا، المسيح اليهودي ونهاية العالم، مرجع سابق، ص ١٨٨.

ضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين وأحقيتهم فيها، وقيام دولتهم[1]:

ذكرنا أن الأصولية الإنجيلية حرفية تبيح تفسير الكتاب المقدس لأي من كان، وبالتالي يصبح كل وعد ورد فيه لا بد من العمل على تحقيقه ومنها ما ورد في سفر التكوين الإصحاح١٢: «١وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ٣وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». ويستدل الأصوليون الإنجيليون بمثل هذه النصوص على ضرورة رجوع اليهود إلى فلسطين وأحقيتهم فيها، والعجيب أنهم يميزون أبناء إسحق عن باقي إخوته، فَيَخُصُّون كل وعد لأبناء خليل الله إبراهيم بفرع إسحاق دون غيره، فهم يعتبرون الذبيح إسماعيل إنما هو (ولد جارية)، وهذا يعد تأويلاً للنص وليس تفسيراً حرفياً كما يدَّعون.[2] كما أن هناك العديد من التصريحات التي صدرت في هذا الشأن مثل[3]:

١-القس «جيري فالويل» في مقالة له في صحيفة «كوريوتايمس» في فبراير من عام (١٩٨٣)م- : «إنه يفضل أن يصادر الإسرائيليون أجزاء من العراق، وسوريا وتركيا والعربية السعودية ومصر والسودان وكل لبنان والأردن والكويت وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين، فهي كلها تخص اليهود»[4].

٢- أما عن «بات روبرتسون» فقد اعتبر استيلاء إسرائيل على القدس: «أهم حدث تنبؤي في تاريخ حياتنا - بزعمه - وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية»[5]

٣-فيما يؤكد «هال لندسي» في كتابه (كوكب الأرض الراحل الرائع Late Great Planet Earth)[6] على قرب تحقق النبوءات بقوله: «إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل، فقبل أن يصبح اليهود أمة لم يكشف عن شيء، أما الآن وقد حدث ذلك، فقد بدأ العد العكسي لحدوث

---

(١) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص١١.
(٢) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مرجع سابق، ص (١١٢-١١٣).
(٣) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها مرجع سابق، ص١٢.
(٤) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص١١٠.
(٥) البعد الديني للسياسة الامريكية، تجاه الصراع العربي الصهيوني،مرجع سابق، ص ١١٧.
(٦) هارولد لي ليندسي (وُلِد ٢٢ نوفمبر ١٩٢٩) هومبشر وكاتب مسيحي أمريكي. وهوصهيوني مسيحي ومؤلف تدبيري.

المؤشرات التي تتعلق بجميع النبوءات، واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط خاصة على إسرائيل في الأيام الأخيرة. إن كل الأمم سوف تضطرب، وسوف تصبح متورطة بما يجري هناك. إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور في هذا الوقت، ويأخذ مكانه الصحيح في مجرى النبوءات تماماً كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها في الصحف اليومية»[1].

ويوضح «المسيري» الهدف من هذا الرجوع في موسوعته تحت عنوان: (العقيدة الاسترجاعية) بقوله: «العقيدة الاسترجاعية هي: الفكرة الدينية التي تذهب إلى أنه كي تبدأ الألف السعيدة التي يحكم فيها المسيح (الملك الألفي)، لابد أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين، تمهيداً للمجيء الذي يبشر بالألفية السعيدة، فاليهود شعب الله المختار وأرض فلسطين هي أرضهم الموعودة، وعداً أبدياً وغير مشروطة ولا تسقط- كما يدّعون-... ولذا فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يُعتبر من أعداء الإله، ويقف ضد الخلاص المسيحي، فأعداء اليهود اليوم هم أعداء الإله».[2]

إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى[3].

الهيكل: «كلمة سومرية معناها «البيت الكبير»، ومعناها بالعبرية «بيت همقداش: أي بيت المقدس»[4]، والهيكل: هومكانَ عبادةِ الله، ويقوم مكان الكنيسة اليوم، لكن اليهود لم يطلقوا اسم الهيكل على كل مكان للعبادة، بل على مكان واحد كبير في القدس، أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى «مجامع» ومفردها مجمع»[5]. وكان الهيكل في القدس قديماً قبلةً لكل أنبياء بني إسرائيل طيلة عهودهم واستمر المسلمون يُصَلُّون إلى بيت المقدس زماناً، حتى تحولت قبلة المسلمين إلى الكعبة، لكن حادثة الإسراء كانت إيذاناً بانتقال أرض القبلة الأولى إلى إرث الأمة الإسلامية لأنها أرض مقدسة. والهياكل التي ذُكِرَتْ في الكتاب المقدس- حسب معتقد الأصوليين- خمسة:

هيكل سليمان، هيكل زروبابل، هيكل هيرودوس الكبير، هيكل الضيقة العظيمة، هيكل الملك الألفي. والذي يعنينا هنا هوهيكل» الضيقة العظيمة» الذي يريد الأصوليون بناءه مكان المسجد الأقصى للتعجيل بمجيء المسيح ثانية إلى الأرض.

---

(١) المرجع السابق، ص(٣٨).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(١٤٢/٥) بتصرف.

(٣) المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

(٤) عبدالواحد، خالد، نهاية إسرائيل والولايات المتحدة، ص ٢٠٦.

(٥) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مرجع سابق، (نقلاً عن قاموس الكتاب المقدس)، ص ١٢٢.

وللهيكل بُعدٌ تاريخي وآخر ديني منذ القدم، فبعد نحوألفي عام من هدم الهيكل الثاني ونحو(١٣٤٤) سنة من بناء المسجد الأقصى في ظل الإسلام يريد اليهود هدم المسجد وإعادة الهيكل ليكون الهيكل الثالث بعد أن دُمِّرَ الأول في سنة (٥٨٧) ق.م على يد ملك بابل (بختنصر)، ودُمر الثاني سنة (٧٠) للميلاد على يد (طيطس)[١].
إن هذا الاعتقاد الذي يؤمن به اليهود والنصارى، ويسعى إليه الماسونيون قد تعدى الآن مرحلة التنظير والتأطير المستمدة من الأساطير إلى مرحلة العمل والتنفيذ، في ظل دعم الجماعات اليهودية الأصولية لبناء الهيكل ومنها: غوش إيمونيم (كتلة الإيمان)[٢]، وحركة الاستيلاء على الأقصى[٣]، وحركة حي فاكيام (الحي القيوم)[٤]، وجماعة أمناء الهيكل[٥]، وحركة كاخ (عصبة الدفاع اليهودية)[٦].

يقول «هال لندسي»[٧]: «لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية، وهوإعادة بناء الهيكل القديم في موقعه التاريخي، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شُيِّدَ الهيكلان السابقان»[٨]. أما هيكل الملك الألفي فسَيُبْنى في بداية العصر الألفي السعيد للمسيح[٩]، ثم تأتي شخصية يقال لها (النبي الكذاب) تساعدها شخصية أخرى تسمى (الوحش) فيبطلان كل نشاط ديني يهودي في الهيكل ويفرضان عبادة الوحش الذي توضع صورته في الهيكل، وهذه هي العبادة الوثنية أو(رجسة الخراب)[١٠]، وسيقومان باضطهاد البقية التقية من اليهود

---

(١) عبدالعزيز، بن مصطفى كامل، سلسلة حلقات قبل أن يهدم الأقصى، الحلقة الأولى، مكتبة ابن تيمية، ص٤٥.

(٢) سبق تعريفها في مبحث القوى الدينية اليهودية، مؤسس الحركة هو«موشيه ليفنفر».

(٣) تدعوا هذه الحركة علانية الى هدم الأقصى.

(٤) أحد الجماعات الاشد تطرفاً في إسرائيل، هدفها الرئيس هدم الأقصى المبارك وقد حاولت ذلك عدة مرات.

(٥) سبق تعريفها، وهدفها الرئيس هوتهويد القدس.

(٦) المسيحة الصهيونية، مرجع سابق، ص٣٤.

(٧) البعد الديني في السياسة الأمريكية، تجاه الصراع العربي الصهيوني،مرجع سابق، ص١٣٩.

(٨) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٩) المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ١٣٣-١٣٤.

(١٠) رِجْسة الخراب، رِجْس المخرِّب، جناح الارجاس، يراد في هذه العبارات في نبوءات دانيال (ص ٩: ٢٧ و١١: ٣١ و١٢: ١١) الإنذار بأن الأصنام ستقام في الهيكل في أورشليم. وقد رأى اليهود تحقيق النبوة الواردة في دانيال ١١: ٣١ عندما أقيم هيكل للأوثان في الهيكل في أورشليم، وقد أقامه أنتيوخس أبيفانيس في سنة ١٦٨ ق.م. وأمر بتقديم ذبيحة خنزير للإله زفس اولمبيوس فيه (١ مكا ١: ٥٤ و٦: ٧ و٢مكا ٦: ٢) وقد أنذر السيد المسيح بأنه متى رأى المؤمنون في اليهودية رجسة الخراب التي تكلم عنها دانيال قائمة في المكان المقدس أن يهربوا إلى الجبال. وعندما اقتربت الجيوش الرومانية بشارتها ورموزها الوثنية في سنة ٧٠ ميلادية رأى المؤمنون المسيحيون في هذا تحذيرًا لهم فهربوا إلى فحل في شرق الأردن قبل خراب أورشليم.

والأمم الذين يؤمنون بالإنجيل والذين رفضوا عبادة الضلال، وسيكون هذا كله في وقت الضيقة العظيمة أوالأسبوع السبعين (الأسبوع الأخير)، وهذا الاضطهاد الشديد من الوحش والنبي الكاذب يؤدي إلى هذه الضيقة وعندها ينزل المسيح ثانية من السماء لينقذ المؤمنين ويقضي على النبي الكذاب وأتباعه. ويستدل الأصوليون على عقيدتهم هذه بما ورد في إنجيل (متى) الأصحاح٢٤: «١ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. ٢فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ»...... ٣وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» ٤فَأَجَابَ: «انْظُرُوا لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ٦وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. اُنْظُرُوا، لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هذِهِ كُلُّهَا،... ٧لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ. ... وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ .... ١١وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ..١٤وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى».

عقيدة المجيء الثاني للمسيح عليه السلام(١):

لقد اهتمت الكنيسة كثيراً بهذه العقيدة وكذلك الإنجيليون، فهو من الأعمدة الأساسية، حيث يحدث المجيء في نهاية الأزمنة عند نهاية الكون، ليدين المسيح الأحياء والأموات (المجيء الأخروي)(٢). ويبذل الإنجيليون ما في وسعهم من مال ووقت لتحقيق النبوءات المُمَهِّدة لظهور المسيح، يقول الأصولي «هنري تيسن». (٣): أما الغاية من المجيء الثاني فتتلخص في الآتي:

- ليستعلن ذاته، لكونه لم يُر منذ (١٧) قرناً، فإذا عاد ورآه المؤمنون ظهر مجده ومجد شعبه.

---

(١) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل: يرجع إلى: المسيح المنتظر بين المسلمين واصحاب الديانات الأخرى، «على القوشي، رسالة دكتوراة من جامعة ام القرى (غير منشورة)، وكذا دراسة سعود الخلف» دعاوى النصارى في مجيء المسيح»، مجلة جامعة ام القرى، ع ٢٣ (٣٤٣-١: ٤٠٦).

- ليديـن الوحش والنبي الكذاب، في لحظة انتصارهم على اليهود في فلسطين، فإذا به يحطمهم.
- لِيُقيِّد الشيطان، ولِيُخلِّص إسرائيل، ولينقذ الخليقة ويباركها.
- ليديـن الأمم ويحاسبهم في «هرمجدون»، وليقيـم مملكته الألفية على كامل الأرض بعد ضرب كل الممالك الموجودة، وتصبح أورشليم عاصمة الأرض المجددة.[1]

ويـرى القس «إكـرام لمعي» أن هــذه العقيدة كانـت بمثابة الثغرة التـي نفذت من خلالها الصهيونية إلى المسيحية فقال: «تعتبر عقيدة المجيء الثاني من العقائد المتميزة والأركان الأساسيـة للإيمان المسيحي، ومعظم مسيحي العالم يؤمنون بهذه العقيدة، إلا أن الاختـلاف يقـع في كيفية وتفاصيل هذا المجيء. وهـذه الاختلافات كانت هي الثغرة التـي نفـذت منها الصهيونيـة لتقنع بعض المسيحيـين بأنها -كدولـة علمانية عسكرية إحـدى علامات المجيء الثـاني»[2]، ولقد سببت هذه العقيدة حرجـاً بالغاً للأصوليين الإنجيليـين، وتوابعهم من نصارى البروتستانـت حيث أن النصارى يؤمنون بأن المسيح المنتظر هو «عيسى عليه السلام»، فهو الذي بشرت بمجيئه نبوءات العهد القديم، بينما اليهـود لا يقرون بذلك، لذا فقد ابتدع حاخامات صهيون - بإقرار من قادة الإنجيليين الألفيـين - أن يتـم تأجيل الخوض في التفاصيـل والاهتمام بنزول المسيـح، لكونه ضد مصلحتهما معاً، وليعملا سوياً للقضاء على عدوهما المشترك «المسلمين». واتفقا كذلك علـى نسـج قناع يستر وجـه المؤامرة عن أعين المغفلـين من النصـارى والمُستَغفَلين من المسلمـين[3]. ولقد ذكرت ذلـك «جريس هالسل» في كتابها (المبشـرون البروتستانت): «قـال أحد زعمـاء اليهود لزملائـه المسيحيـين: إنكم تنتظـرون مجيء المسيـح للمرة الثانيـة ونحن ننتظـر مجيئه للمرة الأولـى، فلنبدأ في بناء الهيكل وبعـد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية»[4]. ويفسر (ناتان بيرلمتر)[5] أسباب تحـالف يهود الولايـات المتحدة مع الأصوليين المسيحيين- رغم الخـلاف الشديد بينهما-بقوله: «إن الأصوليـين الإنجيليين يُفسّرون نصوص الكتاب المُقدّس بالقول: «أن على جميع اليهود،

---

(١) الأصولية الإنجيلية صالح الهذلول، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) الاختراق الصهيوني للمسيحية، مرجع سابق، ص (١٧٨).

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، مرجع سابق، ص٢٦:٢٧، وانظر أيضاً: سلسلة قبل ان يهدم الأقصى، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٤) عبدالحكيم، منصور، نهاية دولة إسرائيل سنة (٢٠٢٢)، ص٩٣.

(٥) يهودي أمريكي من حركة (بناي برث)، وهي إحدى المنظمات اليهودية في أمريكا.

أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يُقتلوا في معركة هَرْمَجَدُّون»، ولكنه يقول في الوقت نفسه: «نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل... فإذا جاء المسيح فسوف نفكر بخياراتنا في ذلك اليوم، أما في الوقت الحاضر دعونا نُصلّي للرب ونرسل الذخيرة»[١]. ويعتقد الأصوليون أن هذا المجيء سيكون على مرحلتين هما مرحلة الاختطاف ثم تعقبها مرحلة الظهور (الاستعلان).

أ- مرحلة الاختطاف[٢]:

حيث يعتقدون أن المسيح عليه السلام سيأتي ويدعو الراقدين الأتقياء بين الأموات، وكذلك يقوم باختطاف المؤمنين الأحياء على الأرض، ويذهب بالجميع إلى السماء، ثم يأتي بعدُ فترةُ سبع سنوات سوف تكون ضيقاً على أهل الأرض.[٣] ويستدل الأصوليون المسيحيون على هذا الاعتقاد بما ورد في الرسالة الأولى إلى كورنثوس الإصحاح١٥: «٥١هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، ٥٢فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ.... ٥٤وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، .... فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». ٥٥«أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١٥/٥١-٥٥)[٤]

ب- مرحلة الظهور (الاستعلان)[٥]:

وهذه المرحلة تعقب الاختطاف ويكون فيها المسيح ظاهراً، وسيرى المسيح الجميع، ويصور سفر الرؤيا –الإصحاح الأول-هذا الظهور: «٧هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ.»[٦] وسيكون هذا الظهور على **جبل الزيتون**، لأن صعود المسيح كان من **جبل الزيتون**[٧] وفي هذه المرحلة سيخلّص المسيح إسرائيل ويدين الوحش والنبي الكذاب، ويدين الأمم في معركة هرمجدون، ويقيم ملكه الألفي في أورشليم بعد انتصاره في (هرمجدون).

---

(١) النبوءة والسياسة: مرجع سابق، ص١٢١.

(٢) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مرجع سابق، ص(١٣٥).

(٤) المرجع السابق، ص(١٣٥-١٣٦).

(٥) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص١٧.

(٦) موضوع سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا اللاهوتي) هوهذا المجيء وممهداته وما يعقبه من أحداث.

(٧) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية، مرجع سابق، (١٣٨-١٣٩).

معركة هرمجدون:

هرمجدون عبارة عن كلمتين (هار-مجيدو)، أو(ار-مجيدو)، ومعناها الحرفي: «جبل مجدّو» (رؤ ١٦ : ١٦). فكلمة (هار) تعني في العبرية جبل أوتل، فإذا أضيفت إلى اسم الوادي صار (هارمجيدو) التي دمجت في النصوص القديمة إلى (هرمجدون). و(مجيدو) اسم مدينة في فلسطين (مجيدون)، تقع بالقرب منها عدة جبال ذات أهمية استراتيجية[1]، وهي تحتل موقعًا استراتيجيًا هامًا بين السهول الساحلية وسهل يزرعيل (مرج بن عامر) المنبسط في شمالي إسرائيل. ويطلق عليها كذلك «معصرة الرب الكبرى» أو «وليمة الرب الكبرى»[2].

ويعتقد الأصوليون أنها مكان لمعركة عالمية، وحرب نووية عالمية ثالثة بين قوى الخير بزعامة الولايات المتحدة وحلفائها من الصهاينة، وقوى الشر من المسلمين وأتباعهم من الدول الصديقة والمتحالفة معهم، وسينتصر الخير في الأخير على الشر، وسيعود المسيح المنتظر ليحكم العالم لمدة ألف عام، حيث سيعم الأمن والسلام والهدوء، وسوف يعيدون بناء هيكلهم المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك. وقد ذكرت في العهد الجديد في رؤيا يوحنا اللاهوتي(سفر الرؤيا) (الإصحاح١٦-الفقرة١٦). كما ذكر يوحنا في سفر الرؤيا: «يجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون»[3]. فيما يعتقد النصارى أنها تُعَدُّ مجزرة بشرية هائلة يباد فيها معظم البشرية، ويؤمن بهذه المعركة - التي يعتبرونها حتمية - حوالي (٦٢) مليون أمريكي حسب استطلاع أجرته جامعة «أكرون» عام(١٩٩٦)م.[4] بل إن الإعلام الغربي الموجه من قبل الصهاينة استغل أحداث سبتمبر، لتسريع الأحداث العالمية التي يرون أنها تمهد لمعركة هرمجدون، وأكبر دليل على ذلك حرب العراق واحتلاله. ويذكر الإصحاحان الخامس عشر والسادس عشر من سفر «الرؤيا» تفاصيل تلك المعركة في عبارات غامضة[5]، ولما كان سفر الرؤيا مليئاً بالرموز التي يلف الكثير منها الغموض، فقد تنوعت التفسيرات حول العبارات التي تضمنها السفر فيما يخص هذه الموقعة[6]،

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ص(١٤٣/٥).

(٢) الرؤيا (١٩:١٤) و(١٦:١٦) و(١٧:١٩).

(٣) رؤيا (١٦:١٦).

(٤) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٥) (رؤ١٦: ١٢ - ١٦)

(٦) بالنسبة للتوراة: انظر سفر حزقيال الاصحاحين (٣٨ و٣٩)

بالنسبة للتملود يمكن الرجوع الى: التلمود وتعاليمه وغاياته، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، ص ٦١.

الشرقاوي، محمد عبدالله، الكنز المرصوص في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، ص ١٩٦.

بالنسبة للانجيل: انظر سفر الرؤيا، الفصل (١٦)، الآية (١٦).

حيث يعتقد اليهود والنصارى من الإنجيليين أن جيوشاً من مائتي مليون جندي[1]، سيأتون إلى مجدو للبدء في خوض حرب نهائية، تبدأ شرارتها أولاً في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات. ويعتقد النصارى أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين، وهي مدة كافية ليرى اليهود كيف ينتقم الله من أعداء المسيح، ما يدل على صدقه فيؤمنوا به. ويعتقدون أيضاً -بمقتضى الإنجيل أنه ستمر سبعة أشهر حتى يتمكن «بيت إسرائيل» من دفن جثث الضحايا وينظفوا الأرض منها[2]. ويذكر «جيمي سوجارت»: «إنني أؤمن بأن هرمجدون مقبلة، إن هرمجدون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو، إنها قادمة.... إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون إن ذلك لن يحقق شيئاً، هناك أيام سوداء قادمة، إن مشاكل إفريقيا لن تُحَلّ، وكذلك مشاكل أمريكا الوسطى، ومشاكل أوروبا، إن الأمور ستتوجه نحو الأسوأ، إنني لا أخطط لولوج جهنم القادمة، إن الله سوف يهبط من عليائه، يا إلهي: إنني سعيد من أجل ذلك. إنه قادم ثانية. إنني لا أكترث لمن تسبب له هرمجدون القلق والمتاعب، إنها تنعش روحي»[3] وهناك تصريحات أخرى لإنجيليين آخرين كبلي جراهام، ورونالد ريجان وغيرهم[4].

أما الأصولي «لندسي»، فقد أثار في قلوبنا هلعاً من تلك المعركة الوهمية، ففي كتابه (العالم الجديد القادم) أشار إلى نهاية العالم قائلاً: «فكروا في ما لا يقل عن (٢٠٠) مليون جندي من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة»، وفي نفس الكتاب أيضاً قال: «إن عيسى المسيح سوف يضرب أولئك الذين دنسوا مدينته «القدس»، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في ماجيدو أو هرمجيدون فلا غرابة أن يرتفع الدم الى مستوى ألجمة الخيل مسافة (٢٠٠) ميل من القدس وهذا الوادي سوف يُملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء»، وفي نفس الكتاب أيضاً قال: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يُصدق! إن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللاإنسانية من الإنسان، ومع ذلك، فإن الله يُمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذلك اليوم»[5].

كما أن «شارون» حينما عزى الرئيس الأمريكي بعد حادث سبتمبر، قد دعاه

---

(١) الحرب العالمية الثانية شارك فيها نحو(٨٥) مليون جندي، وفَنِيَ في تلك الحرب نحو(٥٠) مليون من البشر.

(٢) خدعة هرمجدون، مرجع سابق، ص٧٣.

(٣) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٤) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية مرجع سابق، ص (١٤٣-١٤٤).

(٥) المرجع السابق.

للقيام بالحرب ضد قوى الشر، وكأنه يُذَكِّرُهُ بهرمجدون، فهؤلاء يرون أنها قدر لابد من الرضى به والسعي لتحقيقه على أرض الواقع. يقول «فالويل»: «إن الله سيعود إلى الأرض، سيأتي لإنقاذ الكنيسة، وبعد سنوات في هرمجدون سيعود إلى الأرض... وستعود الكنيسة معه لتحكم وتتوج مع المسيح على الأرض لمدة ألف سنة، ثم تأتي الجنة الجديدة والخلود».[١]

فكرة الأصولية الإنجيلية وهرمجيدون

إن فكرة نهاية العالم ومعركة هرمجيدون قديمة، حيث بدت في الظهور في القرن الثاني قبل الميلاد، وفي عصر «المكابيين»، نظراً لحالة الضيق والاضطهاد، حيث بدأ الشعب يركز على الأخرويات، فصاروا يفتشون في كلمات الكتب القديمة عنما يحدث حينما يطوي الله التاريخ الإنساني[٢]. أما في العصر الحديث فقد اقترن شرط حدوث المعركة بتجميع اليهود وتوطينهم في أرضهم الموعودة، وقد تحقق بالفعل، ولم يتبق سوى عودة الملك المحارب (المسيح) ليسحق أعداءه، أما المؤمنون فدورهم ينحصر في المساهمة بتسريع تحقق الأحداث المتوقعة ولوعن طريق كارثة نووية، والتمهيد لإنشاء مملكة الله على الأرض، ومن هؤلاء الرئيسان الأسبقان (ريجان) و(بوش) والقساوسة الأبرز (فالويل، روبرتسون، لينسي، سوجارات). الذين يرون في تدمير الأقصى شرطاً لازماً لعودة المسيح. وكذلك قبة الصخرة لكونها أكثر الأماكن قداسة في (القدس) وذلك إنما يأتي بهدف ماكر، ألا وهو إشعال حرب عالمية ثالثة تعجل من تحقيق باقي النبوءات[٣]. ولقد تنوعت جهود هؤلاء المؤمنين ما بين مظاهرات وكتابات ومؤتمرات وقنوات فضائية ونوافذ إعلامية، حتى باتت الإدارة والسياسة الأمريكية مُسخَّرة لخدمة المصالح الإنجيلية، ما أثمر عن تزايد إيمان واعتقاد الأمريكيين بهذه التنبؤات[٤].

إن هذا الولع بهذه الحرب المجنونة التي تسعى لقتل آلاف البشر، دفع ملايين الأمريكيين لشراء كتاب تعدت مبيعاته (٢٥) مليون نسخة فضلاً عن وجود أكثر من (١٢٠٠) حركة تعتقد بهذا المصير الوشيك، وقد نظمت العديد من عمليات الانتحار

(١) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) الاختراق الصهيوني للمسيحية مرجع سابق، ص٥٠

(٣) سلسلة قبل أن يهدم الأقصى، مرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

(٤) اشار يوسف الطويل في كتابه (الحملة الصليبية)، الى استطلاع رأى اجرته التايم الامريكية (١٩٩٨) نتج عنه ان ٥١٪ من الشعب الامريكي يؤمن بهذه النبوءة، ومنهم عدد من النخب والرؤساء وعلى رأسهم (بوش وكارتر وريجان).

الجماعي والقتل الجماعي، ومنهم من قام بتفجير مدينة (أوكولاهما) في العام (١٩٩٥)، وتتجه حركة (منتدى الحملة الصليبية من أجل المسيح) نحوجمع مليار دولار لنشر المسيحية في العالم، ويقوم فيها (١٦) ألف أكاديمي مسيحي، يتزايدون بنسبة أكاديمي واحد كل يوم، بعمل ثقافي خاص بتكلفة ملياري دولار سنوياً، وتستقطب الحركة ما لا يقل عن (٢٠) مليوناً، كما ان مساهمات المدخرات تزيد على نصف مليار دولار.[١]

لقد رأينا كيف أن هؤلاء المؤمنين (الإنجيلين)، قد مارسوا ضغطاً كبيرة على الإدارة الأمريكية، طوال العقد الماضي حيث ظهر مدى تأثر قرارات «بوش» بجماعات الضغط اليمينية التي غرست فيه العقيدة البروتستنتية المتطرفة وأوقعت به فريسة سهلة للأصولية الإنجيلية التي بدت في تحدي المجتمع الدولي بحربه على العراق، وغزوه أفغانستان، ودعمه المستمر لإسرائيل في حربها ضد العرب وفلسطين-خصوصاً غزة- أملاً في التعجيل بالمعركة المرتقبة. كما أن التاريخ قد أثَّر على أبعاد ومظاهر الأصولية الإنجيلية من جهتين: أولهما الأحداث التاريخية القديمة التي تعرض لها اليهود على أيدي النصارى، من غزووسبي ومعارك وتيه ثم عزل، حيث غرس فيهم غريزة الانتقام من ذات الشعوب والمناطق التي أوجعتهم مثل العراق (بابل). أما عن الجهة الثانية: تتمثل في الأحداث المعاصرة من حروب (١٩٦٧ و١٩٤٨) التي زادتها إصراراً على تحقيق حلمها القديم الحديث في التوسع بتكوين إمبراطورية شاسعة على حساب الآخرين.

محور الخير ومحور الشر

لقد سبق «ريجان» رؤساء أمريكا جميعاً، في استخدام تعبيرات توراتية عنصرية فهو أول من استخدم تعبيري (إمبراطورية الشر والحروب الصليبية) بصورة علنية، وكان يعني به روسيا لاعتقاده بأنها من سيقوم بمهاجمة إسرائيل، ثم تبعه بعد ذلك كثير من الساسة، حتى كَرَّس (بوش) هذا المفهوم، بتقسيمه العالم إلى: أشرار يحاربون أمريكا وإسرائيل، وأخيار أبرار يقفون معهما ويساندوهما، وكان يمثل محور الشر وقتها الدول المارقة (العراق وإيران وكوريا الشمالية). وهذه الفكرة في الأصل نابعة من التراث اليهودي الذي استقرت لديه فكرة الشعوب المحاربة الشيطانية تسكن

---

(١) الحملة الصليبية، مرجع سابق، ص٣٠١.

الغيم والظلمة (السيميراى) وقد تحالف مع الحية والشيطان ضد يهوه[١].

أحداث المعركة في اعتقاد الأصوليين:

أولاً: المشاركون في المعركة في اعتقاد الأصوليين

يزعم الإنجيليون أن «روسيا» -مع دول أخرى - وردت بالنص في طليعة المشاركين في حرب الهرمجدون، ففي التوراة التي بأيديهم وفي سفر حزقيال تحديداً، في الفصل(٣٨، ٣٩) يرد اسم (روش) وهي كما يقولون: روسيا، و(ماشك) التي يقولون: إنها موسكو، و(توبال) التي يعتبرون أنها مدينة (تيبولسك) الكبيرة في روسيا، ويذكر السفر أيضاً بلاد (فارس) وهي بالطبع «إيران»، ويترجمون بلاد (كومر) بأنها منطقة بلدان أوروبا الشرقية، و(توغارما) التي تعني بلاد القوقاز، ولا ينسون ضم ليبيا التي يعتقدون أنها (بوت) المذكورة في التوراة، ومنطقة القرن الإفريقي مع إثيوبيا وقد يحشرون معها السودان وجنوب اليمن (غومر)، أما العراق فهي (آشور الآثمة) و(بابل الزانية) التي يتحدث كتّاب التوراة عنها بلهجة حنق وغيظ تَظُنُّ معها أنهم كانوا متحدثين باسم اللجنة الدولية للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل[٢].

ثانياً: أحداث المعركة في اعتقاد الأصوليين

يعتقد الأصوليون أن قوى الخير - بقيادة ملك الملوك (عيسى عليه السلام) وجيوش السماء وهي تضم كل من أُخذوا وأختُطفوا - ستواجه قوى الشر مُتَمثِّلَةً في تحالفات بقيادة جوج وماجوج -الاتحاد السوفييتي في اعتقادهم- وجيش ملك الشمال بقيادة تركيا، وجيش ملك الجنوب بقيادة مصر، وكذلك التحالف الغربي الذي يضم الوحش والنبي الكذاب[٣]. وتبدأ المعارك أولاً بالقضاء على التحالف الغربي، ثم القضاء على ملك الجنوب وملك الشمال، وأخيراً القضاء على (جوج وماجوج). أما عن موقع المعركة: «إن ساحة معركة هرمجدون سوف تمتد من مجيدون في الشمال إلى أيدوم في الجنوب مسافة حوالي(٢٠٠ميل) وتصل إلى البحر المتوسط في الغرب إلى تلال (موهاب) في الشرق مسافة ١٠٠ ميل تقريباً»[٤]. وقد ورد الحديث عن المعركة

---

(١) جريس هالسل، المبشرون البروتستانت والنية القاتلة، كتاب مترجم نشر في جريدة الشرق الأوسط على حلقات، ١٧ /١٠ /١٩٨٦، ص١٥٠.

(٢) Ibid.,p13,p15

(٣) محمد اسماعيل المقدم، خدعة هرمجدون، دار بلنسية، الرياض، السعودية، ط١، عام (٢٠٠٣ مـ).ص٣٤..

(٤) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص٣٩.

وتفاصيلها في سفر الرؤيا (١٩/١١-١٦) وسفر دانيال (١١/٤٠-٤٥) وسفر حزقيال (٣٠) وغيرها.

الحكم الألفي:

يذكر «المسيري» في موسوعته موضحاً مصدر العقيدة الألفية فيقول: الألفية معناها تحتوي على ألف، وقد ظهر الإيمان في كثير من الحضارات، بأن العالم يشهد- في نهاية كل ألف من السنين- انتهاء دورة زمنية تصاحبها أحداث ضخمة، بل إن التاريخ كله سيكون في نهاية ألف معينة، ورغم أن الألفية كفكرة متواترة في كثير من الحضارات[1]، إلا أن العقيدة الألفية يهودية الجذور مركزية الموضع لدى المسيحية البروتستانتية ويؤمن الكثير منهم، بأن المسيح المخلص (الماشيح) ويشار إليه بـ«الملك الألفي» سيحكم العالم باعتباره ملكاً مقدساً هووالقديسون لمدة ألف عام يشار إليها باسم «أيام الماشيح» أو «أيام المسيح»، وهى فترة يسود فيها السلام والعدل في عالم التاريخ والطبيعة وفي مجتمع الإنسان والحيوان[2]. ويختلف الإنجيليون (الأصوليون الألفيون) اختلافاً كبيراً، عند حديثهم عن الألفية، فهناك **القبل ألفية**[3]، وهم الأصوليون التدبيريون، وتستمد اسمها من الاعتقاد بأن المسيح سيعود في شخصه إلى الأرض قبل الألف عام السعيدة التي سيحكم فيها ويقيم مملكته، في الوقت الذي يتم فيه إعلان الإنجيل للخليقة بأسرها. وهؤلاء يقسمون التاريخ إلى **سبعة عهود (٧ تدبيرات):**

١. التدبير الأول: عهد الأعمال (من خلق آدم إلى السقوط).
٢. التدبير الثاني: عهد الضمير (من السقوط إلى الطوفان).
٣. التدبير الثالث: عهد الحكومات (من الطوفان إلى جبل سيناء).
٤. التدبير الرابع: عهد الناموس (من سيناء إلى يوم الخمسين).
٥. التدبير الخامس: عهد النعمة (من يوم الخمسين إلى المجيء الثاني للمسيح).
٦. التدبير السادس: عهد المملكة (الألف سنة لأن كل العهود السابقة فشلت).
٧. التدبير السابع: عهد الأبدية (كل ما يأتي بعد ذلك). ويرتكز هذا المذهب

---

(١) الأصولية الإنجيلية، نشأتها، أبرز عقائدها، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٣ بتصرف.

(٣) هلال، رضا: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا)، مرجع سابق، ص ١٨٩-١٩١ بتصرف.

على فرضين أساسين[1]: الفصل ما بين إسرائيل (أي الشعب اليهودي، شعب الله في الأرض) والكنيسة (أي شعب الله في السماء)، أما الفرض الثاني: فهوحرفية تفسير الكتاب المقدس.

وهذا يؤدي إلى نتيجتين أولهما: أن الأرض هي ملك للشعب اليهودي، وثانيهما: أن التنبؤات المتعلقة برجوع اليهود إلى الشتات في الأرض، قد تحققت ثانية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ومن هنا يتبين لنا أن هذا المذهب كمْ هومُحرَّفٌ من جهة المسيحية، ومن جهة ثانية أيديولوجيا سياسية عنصرية[2]. وهناك **مؤمنوا اللا ألفية**، الذين لا يعتقدون في الالفية ويعتبرونها فكرة رمزية.

أما المؤمنون بما **بعد الحكم الألفي** «الأصوليون الإحيائيون»، فيعتقدون أن يسوع سيعود ثانية لتأسيس مملكته بعد ألف عام من الحكم (الملك)، بعد أن يتم التبشير بالإنجيل للخليقة كلها، وعلى المسيحين تهيئة الظروف لكي تكون عودته ممكنة، وهذه وجهة نظر معظم الإنجيلين الغربيين منذ عهد الإصلاح، ثم قيام الحكم الألفي بعد هرمجدون، حيث سيقيم المسيح على الأرض لمدة ألف عام سيحكمها من أورشليم (القدس)، وسوف ينشر في هذه المملكة السلام والعدل والاستقرار.[3]

ويستدل الأصوليون لعقيدة الملك الألفي بما ورد في سفر الرؤيا: «٤وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ. ٥وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. هذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى. ٦ ..... هؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً للهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (٢٠/٤-٦). وهذه الحقبة هي آخر حقب التاريخ في اعتقادهم وبعدها سينتهي العالم. وبحسب الأصولية الإنجيلية فقد انتهى عهد الوثنين أي كنيسة الأمم وفق نبوءة المسيح في لوقا (٢١-٢٤)، فأحداث حروب (١٩٤٨) وأحداث (١٩٦٧) تشير إلى نهاية الزمان»[4].

(١) ا الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق، نقلا عن محاضرة للدكتور القس «رياض جرجور» امين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط، في محاضرة منشورة على شبكة الويب، بعنوان المسيحية الصهيونية: صهيومسيحية ام صهيوامريكية.

(٣) الأصولية الإنجيلية، مرجع سابق، ص(٥٤).

(٤) خوري، جريس. اللقاء، مجلة دينية واجتماعية. القدس: مركز اللقاء للدراسات التراثية والدينية في الأرض المقدسة. ع ٢، ٢٠٠٤. ص١١٢.

المبحث الرابع

خطر الأصولية الإنجيلية

تتعدد الأخطار الناتجة عن الأصولية الإنجيلية، فهي كفكرة ذات بعد ديني مُحرف عميق لابد من أن تحقق أكاذيبه وأوهامه، فلا يقبل لغة العقل أوالمنطق أوأساليب الحوار الجادة والبناءة، تتخذ من الفساد والدمار أسلحة للسيطرة على العالم، من خلال توجيه السياسات الغربية لتسير في ركاب المحتل الغاصب، إذن هي تمثل خطراً على الأرض وعلى العرض، على العباد والبلاد، على عقائد الأمم، حاضرها ومستقبلها.

أولاً: الخطر على القضية الفلسطينية

تشكل الأصولية الإنجيلية خطراً بالغاً على فلسطين المحتلة وعلى الأماكن المقدسة بها، خصوصاً القدس الذي يحتوي على المسجد الأقصى، بعد أن استغل الغرب حاجة اليهود إلى وطن قومي يجمعهم من الشتات، باعتبارها أول النبوءات التي تبشر بقرب عودة المسيح، حيث تم دمج المعتقد الديني مع الفكر السياسي، خدمة للطرفين الصهيوني المحتل، مع الغرب المستعمر. وأصبح دعم اليهود غاية لا تنتهي، ما أوقع الأمة في شراك الهجمات الاحتلالية المتتابعة، التي خلفت سلسلة من الاعتداءات والانتهاكات، وافتعال صراعات دموية لا تنتهي، ما جعل منطقة الشرق الأوسط تقع في إطار حزام التوتر والغليان، كل ذلك دون أدنى اعتبار للأرض وسكنتها والمقدسات وحرمتها حتى أصبح الأقصى الأسير مرتعاً للجماعات اليهودية المتطرفة التي تقوم بمحاولات حثيثة لهدمه. كل ذلك يتم باسم الدين وهومنه براء، فأي دين هذا الذي يدعوا إلى القتل إرضاءً للرب؟! يقول زعيم الأغلبية السابق في البرلمان الأمريكي «توم دي لاى» مخاطباً البرلمان الإسرائيلي: «لا تخافوا... فنحن نصغي إلى صرختكم المنطلقة من الصحراء، ولن نتخلى عن الوقوف إلى جانبكم أبداً، وإن أمريكا شقيقة لإسرائيل في السلاح في هذه المعركة الضارية، إن مناصرة الخير ضد الشر عمل مرهق وشاق، ويكلف المال والدم، لكننا راغبون في دفع الثمن». ولم يكتف الرجل بهذا وإنما وصف المقاومة الفلسطينية المشروعة بأنها «عقارب الصحراء كثيرة

العدد»[1]. إذن نحن أمام حالة من الدعم اللوجيستي، وحالة من التحريض على العنف، وحالة من التحايل على التاريخ، وأخرى من تحريف الدين، وذلك يتجسد في حملات صهيونية لإقناع الغرب بأن إسرائيل موجودة في كل القدس وكل فلسطين.

الخطر على القدس:

قامت القوى المتطرفة في إسرائيل وبمساعدة من القوى الرسمية، بمحاولات عديدة لتهويد القدس، فمن محاولات حرق الأقصى المبارك، إلى الاستيلاء على أحياء وبيوت عربية، ولقد قامت الجرافات الإسرائيلية بهدم حي باب المغاربة للتضييق على الفلسطينيين وطردهم من هناك طبقاً للمعتقدات المحرفة[2]. وسبق أن حاولوا تدمير الأقصى [3]، حيث رُصِدَت محاولة عام (١٩٨٠) لتدميره باستخدام صاروخ طويل المدى على يد «مائير كاهانا»، ثم كرروا المحاولة عقب سنتين، لكن هذه المرة قام بها «بوتين ليرنر» المتحدث باسم حركة «كاخ» بعد أن حاول زرع قنبلة في المسجد الأقصى. وفي نفس العام حاول «إيلان غودمان» اقتحام المسجد الأقصى بإطلاق النار فيه. وفي العام (١٩٨٤) حاولت عصابة «لفتا»[4] نسف قبة الصخرة المُشرَّفة عن طريق وضع المتفجرات، وتوالت المحاولات لاقتحام الأقصى حتى الآن، وأخيراً قامت جماعة أمناء الهيكل[5] بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث.[6]

الخطر على المسلمين:

تُعَدُّ الأصولية الإنجيلية هي الأشدَّ خطراً على جميع الأمم، وبخاصة أمة الإسلام، وخصوصاً بعد زرع الكيان الصهيوني المحتل بين الأمة، فصار يعيث في الأرض فساداً، ويتلقى الدعم من دول تتشدق بالحرية والديمقراطية وتَدَّعي قيم الفضيلة والسلام والتسامح. إن عالمية الإسلام وشموليته وتطوره وصلاحيته لكل زمان ومكان ونجاحه

---

(١) جماعة يمينية أمريكية تعلن إقامة منظمة تحرير فلسطينية بديلة لمكافحة الإرهاب، مقالة منشورة في صحيفة القدس، ع ١٢٦٢٥، تشرين أول (٢٠٠٤) بتصرف.

(٢) لقد فقد ٣٠ ألف فلسطيني منازلهم غرب القدس في العام (١٩٤٨)، لمزيد من التفاصيل انظر: القدس مدينة واحدة، ص٦٧١.

(٣) سوف يتطرق الباحث لمحاولات هدم الأقصى في مبحث استشراف المستقبل.

(٤) «عصابة لفتا» (قبيلة يهوذا): وهي مجموعة ذات نفوذ قوي، وعندها إمكانيات عسكرية كبيرة. وقد حاول أفرادها مرات عدة نسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة بالمتفجرات، إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل.

(٥) يمول هذه الجماعة المليونير الأمريكي الأصولي المسيحي «تري رايز نهرفر».

(٦) الشرباتي، عيسى، مقال: الانفاق الإسرائيلية تحاصر المسجد الأقصى، مجلة فلسطين، ع٢، السنة الاولى مارس (١٩٩٧)، ص٧.

في تحدي الحضارات الأخرى من شأنه أن يخيف الغرب باعتباره ديناً جامعاً، وبالتالي يصبح المطلب الملح ألا وهوتطبيع شرع الله، وإقامة نظام إسلامي يقوم على احترام حقوق الإنسان وإرساء قيم الحق والعدل والحرية، جديراً أنّ يروعهمّ، فهوالدين الأكثر انتشاراً، والأوسع جغرافياً من حيث عدد معتنقيه، فشكل خطراً على عقيدتهم المحرفة ونبوءاتهم الزائفة، فعملوا على محاربته بالأفكار الأيديولوجية جنباً إلى جنب مع أسلحة الحصار والعزلة والأسلحة التقليدية خلال الحروب المتكررة غير المبررة شرعاً ولا قانوناً. فضلاً عن توفير الدعم المادي والمعنوي (الإعلامي) لتيارات أخرى مثل، حركات الاتجاه اليساري على حساب الصحوة[1]. فضلاً عن تكثيف هذه القوى للأساليب الدعائية والإجراءات التي تهدف للتأثير على فكر وعقيدة الأمة مثل: التدخل لتغيير المناهج ولحذف آيات الجهاد منه، وتجفيف منابع الخير بزعم محاربة الإرهاب، ونشر فكرة «الإصلاح والديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير».

يقول المبُشر «بات روبرتسون»: «إن حركته تعمل اليوم على مواجهة المد الإسلامي السياسي الذي يريد تدمير إسرائيل وسلب أرضها من اليهود وتسليمها إلى ياسر عرفات مع القدس الشرقية، لكننا سنعرف كيف نسقطها»[2].

* * *

(١) محمد عيسى داود، المسيح الدجال والحرب القادمة، ص ٤٥٩. نقلاً عن المسيحية الصهيونية، ص٢٤٣.

(٢) جماعة يمينية امريكية تعلن إقامة منظمة التحرير الفلسطينية، مرجع سابق.

المبحث الخامس

أبرز مظاهر الأصولية الإنجيلية
رؤساء ورموز وجهات داعمة

إن من أبرز مظاهر الأصولية الإنجيلية -بجانب المظاهر السياسية والدينية- الدعم غير العادي الذي تحظى به من رموز وزعماء وشخصيات مرموقة، بجانب المنظمات الإنجيلية التي تنتشر في ربوع العالم، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. حيث قامت هذه الجهات والشخصيات بتوفير الغطاء السياسي والديني وحتى المجتمعي لأدوار مشبوهة تقوم بها الأصولية الإنجيلية على الصعيد العالمي. إن هذا الدور الكبير ليس وليد اللحظة أوحتى الصدفة، إنما دور قد رُسَم بعناية بالغة جعل من نشأة الحركة الإنجيلية أمراً بالغ الأهمية، كذلك جعل من أمر إقامة الوطن القومي لليهودي أمر إلهي حتمي لابد من تنفيذه حتى يرضى الإله عن الفرد والمجتمع، فمن يرض إسرائيل إنما يرضي الرب، ومن يلتزم أدبياً بدعمها إنما هومنحة يُتقرب بها الى الرب سبحانه.

سنتعرف فيما يلي على أبرز الشخصيات التي ساعدت على نشأة حركة الأصولية الإنجيلية، ودعمت من عملية بروزها وتطورها حتى حققت بعض أهدافها في غفلة من الزمان، كما نسلط الضوء على دور المنظمات الأهلية والرسمية - خاصة «اليمين المسيحي» - في دعم ومساعدة الصهيونية العالمية في تحقيق أهداف مشتركة تستند إلى البعد الديني البروتستانتي العميق.

المطلب الأول: أبرز جماعات الأصولية الإنجيلية:

هناك العديد من التنظيمات التي كان لها دور في بروز وتطور الأصولية الإنجيلية منها: جماعة «أخوة المسيح» (١٨٤٨) التي أسسها «جون طوماس»، وجماعة «أبناء العهد» (١٨٤٣) التي أنشئت على يد «هنري جونز»، وجمعية «شهود يهوه» (١٨٨٤) في بنسلفانيا التي انتقلت إلى نيويورك في عام (١٩٠٩)، كما يبرز دور منظمة «مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل»، و «الصندوق المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل» المتخصص في شراء الأراضي العربية وحيازتها لأغراض بناء المستوطنات اليهودية

في الضفة الغربية، وكذلك «الرابطة الصهيونية المسيحية لدعم إسرائيل»، و «وسطاء لأجل إسرائيل»، و «الكونجرس المسيحي الوطني» الذي يشارك فيه رهبان كاثوليك وقساوسة بروتستانت. وهذه نماذج قليلة من منظمات يربوعددها على ثلاثمائة منظمة ومؤسسة وجماعة ضغط.

وتتميز جماعات الإنجيلية بأن صوتها مسموع بشأن الصراع العربي الإسرائيلي، وقوتها السياسية قادرة على الوصول إلى الرأي العام، كما أنها قادرة على توجيه الأصوات الانتخابية في الولايات المتحدة، التي لا يملك الحزبان الديمقراطي والجمهوري القدرة على توجيها، وذلك بشكل أكبر من اللوبي اليهودي كما أسلفنا، لقد بلغت هذه الجماعات (٨٠٠) ألف هيئة، وأتباعها يقدمون ما يزيد عن (٣٧٠) مليون دولار أمريكي على شكل هبات وتبرعات، حيث تبلغ إعفاءات البريد التي أقرها الكونجرس للجمعيات الدينية (٦٠٠) مليون دولار سنوياً.[١] كما أفرزت هذه الحركة أكثر من ألف ومائتي حركة دينية متطرفة. يؤمن أعضاؤها بنبوءة نهاية العالم. يقول «فالويل»: «لوأهملنا حماية إسرائيل فلن يكترث بنا الله». فهي تُعَدُّ العمود الفقري للأصولية الإنجيلية وبدونها تنهار هذه العقيدة[٢]. والأمر لا يقتصر على حربي العراق وأفغانستان، بل وامتد إلى غزولبنان المرتبط بالجذور الدينية لهم، وفي ذلك يقول «موشي أرينز»[٣]: «إن غزولبنان (١٩٨٢) كان بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة، فهذا الغزويعني اقتراب معركة مجدو»، ثم قام (فولويل) بالاتصال ببيجين مباركاً له على النصر، وقال إنه فخور بإنتاج الطائرة (إف ١٦) التي قتلت آلاف الفلسطينيين واللبنانيين وفيهم المسيحيون[٤].

أما عن أخطر حركات المسيحية الأصولية داخل أمريكا فهي الحركة التدبيرية التي نشأت بعد قيام إسرائيل وانخرط فيها بعض رؤساء أمريكا. وتعتقد الحركة في أن الله وضع في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول كيفية تدبيره لشؤون الكون ونهايته، بدءاً بقيام إسرائيل، ونهاية بالألفية السعيدة، ومروراً بهجوم «أعداء الله» على إسرائيل ووقوع معركة هر مجدون، وانتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين، يليه ظهور المسيح المخلص وتخليصه لأتباعه من المحرقة، ثم إيمان من بقي من اليهود بالمسيح،

(١) شهود يهوه، بين برج المراقبة الامريكي وقاعة التلمود اليهودي، حسين عمر حمادة، دار قتيبة، (١٩٩٠)، ص٢٥.
(٢) المسيحية والإسلام والاستشراق، مرجع سابق،ص ٢٥٩.
(٣) سفير إسرائيل في أمريكا سابقاً
(٤) باسل حسين، معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل، ص ٥٥-٥٤، نقلاً عن الحملة الصليبية، ص٣٢٧-٣٢٦

حتى مرحلة انتشار السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة لألف عام. ويعتقد أتباع الحركة التدبيرية أن مهمتهم هي تهيئة وتدبير كل الأمور التي يمكن أن تعجِّل في عودة المسيح إلى الأرض.

وكشفت حملة «غالوب» لاستطلاع الرأي في عام (٢٠٠٤)، أن نسبة (٥٥)٪ من الأمريكيين يؤمنون بأن كل ما ورد في الكتاب حقيقي، بما فيه سفينة نوح وخلق العالم في ستة أيام،كذلك فإن هناك ما نسبته (٧١)٪ من المسيحيين الإنجيليين، يعتقدون أن العالم سينتهي بمعركة مروعة بين المسيح وأعداؤه[1]. هذا ويشجع جانب هام من الجماعة الأصولية على إدخال تغييرات جذرية على السياسة والمؤسسات التابعة للدولة. فيقود «روبرتسون» حملة دائمة لتحويل الولايات المتحدة إلى دولة ثيوقراطية، حيث كان يطالب «روبرتسون» بإعدام النساء اللاتي يُجهضن ومن يدعمهن علناً، هذا ويشير تحليل التوجه الانتخابي في الولايات المتحدة إلى إن الإنجيلين يمثلون (٤٠)٪ من الناخبين الأمريكيين، ونسبة (٦٠)٪ من الناخبين الجمهوريين، وهوما يفسر دعمهم للرئيس «جورج بوش» الذي ينظر إلى العالم من أحد منظورين اثنين: أصدقاء الحرية وأعداء الحرية، الخير والشر، وكذلك تعمده وصف الحرب على العراق بأنها صليبية، فيما اعتبره هوبمثابة (زلة لسان)، فلم يكن موفقاً في الوصف ولا في التبرير، فكان عليه البحث عن وصف أفضل من هذا[2].

المطلب الثاني: الجهات الداعمة سياسياً للأصولية الإنجيلية

الدعم السياسي البريطاني:

١. برز الدعم الواضح من بعض القادة المسيحيين السياسيين، وكانت البداية مع «هشلر»[3] الذي دعا في كتابه إلى عودة اليهود إلى فلسطين عام (١٨٩٤) الذي نُشِرَ قبل كتاب هرتزل «derjudenstaat» بسنتين، وهو-فقط- أحد المسيحيين الثلاثة الذين تمت دعوتهم لحضور المؤتمر الصهيوني العالمي. وأصبح الحليف الرئيس لهيرتزل في تحقيق رؤيته للدولة الصهيونية.

٢. ولقد سجل «هرتزل» الاجتماع الذي عقده مع هشلر في العاشر من آذار عام (١٨٩٦) في مذكراته اليومية كالتالي: «أتى القس وليام هشلر الكاهن في السفارة

(١) المرجع السابق.

(٢) The clash of fundamentalism. crusades. Jihad. and modernity Ibid.. Preface

(٣) المرجع السابق، ص١١١-١١٢ بتصرف.

الانجليزية هنا لكي يراني، كان شخصاً لطيفاً، ومتعاطفاً له لحية رمادية مثل النبي، كان متحمساً للحل الذي قدمته للقضية اليهودية، ويعتبر ما أقوم به نقطة تحول نبوية كان هوقد تنبأ بها منذ سنتين. ومن أحدى النبوات في زمن (٦٣٧)، كان قد حسب أنه في نهاية (٤٢) شهرا ما مجموعه (١٢٦٠) سنة سيعود اليهود إلى فلسطين، كان الرقم الذي توصل إليه هو (١٨٩٧- ١٨٩٨)».[١]

٣. وبالفعل تحققت نبوءة هشلر، في العام (١٨٩٧)، ونجح مع هرتزل في عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي، حصل فيه القادة اليهود على دعم وتضامن الكثير من الشخصيات السياسية البريطانية ذات المناصب الرفيعة، ثم أصبح هشلر كاهناً في السفارة البريطانية في «فينا» عام (١٧٩٤)، ونظم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين.

٤. يُعد «آرثر بلفور» البريطاني السياسي، أحد أبرز الداعمين سياسياً، حيث أنه بادر إلى إطلاق إعلان (بلفور) في عام (١٩١٧)، معتبراً أن التاريخ «أداة لتحقيق القصد الإلهي».

أبرز المنظمات الداعمة للأصولية الإنجيلية (اليمين المسيحي)

يُعدُّ الإنجيليون عصباً أساسياً في اليمين المسيحي، لذا سوف نركز -وبإيجاز- على دور اليمين المسيحي ومنظماته والدعم الذي يقدمه للأصولية الإنجيلية، بداية يوضح الكاتب «عبد الله الغامدي»[٢] في كتابه «اليمين المسيحي وتأثيره في السياسة الأمريكية»[٣]: على الرغم من ظن بعض أفراد النخبة المثقفة الأمريكية قبل ثلاثة عقود فقط بأن الأصولية المسيحية تحتضر وأنها في طريقها إلى الزوال فيما عدا بعض الجيوب المعزولة في الجنوب التي لم تصلها مؤثرات المدنية بشكل معقول مع محدودية تأثير المنظمات الدينية آنذاك على المجتمع الأمريكي لاهتمامها بالخلاص الفردي أكثر من اهتمامها بالتغيير الثقافي، إلا أن الملاحظ أن حركة الانبعاث الديني البروتستانتي بدت مزدهرة بعد تحالفها الوثيق مع الجناح المحافظ في الحزب الجمهوري الذي

---

(١) Stephen Sizer: Christian Zionism: Road-map to Armageddon?(USA: IVP Academic. 2004 p36.

(٢) الغامدي، عبدالله بن جمعان، أستاذ التنمية السياسية المشارك، قسم العلوم السياسية- جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

(٣) الغامدي، عبدالله بن جمعان، دراسة اليمين المسيحي وتأثيره على السياسة الامريكية. جامعة الملك سعود، السعودية، ٢٠٠٦ م.، ص١.

كان سبباً رئيساً في فوز البروتستانتي «رونالد ريجان»[1] بانتخابات الرئاسة خلال الثمانينات. ومنذ ذلك الحين استقطبت الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة اهتمام الكثير من المفكرين، نظراً لأن كثيراً من أتباعها أصبحوا أكثر اهتماماً بالتأثير على العملية السياسية من خلال إنشائهم لمنظمات اليمين المسيحي، التي تُعدُّ واحدة من أكثر الحركات السياسية والاجتماعية إثارة في القرن العشرين، وفي دولة يؤدي الدين فيها دوراً محورياً في الثقافة والسياسات العامة. وكما يقول «شنايدر»: «عن طريق الدين يمكن القيام بكل شيء»[2] فكانت البداية مع البيوريتان «المطّهرين»، مروراً بالثورة الأمريكية وحركات لإلغاء الرق وتحريم الخمور، إلى النضال من أجل الحقوق المدنية حيث كان الإنجيليون يشكلون واجهة تلك الحركات، بعد أن ساد الاعتقاد بهيمنة النخبة العلمانية التي كانت مسيطرة على مختلف الجوانب الفكرية والثقافية للمجتمع الأمريكي، على إثر فشل مرحلة تحريم الخمور. حيث يصرح «فالويل»: «إن أمتنا العظيمة قد أنشئت من قبل رجال ربانيين لتكون أمة مسيحية»[3]. ولقد نجح اليمين المسيحي في تسييس مجموعة مهمة من القيم الاجتماعية والدينية، ما عزز من انخراط المحافظين المتدينين في العملية السياسية التي تتمثل في ازدياد تفضيل تلك الفئة للمرشحين الجمهوريين[4]. وبالتالي فإن الانقسام الاجتماعي الأكثر شهرة للائتلافات الحزبية سيتمحور حول المتدينين الذين ينظمون حياتهم حول التزامات دينية من جهة وغير المتدينين أوالذين لا يلعب الدين دوراً مهماً في حياتهم من جهة أخرى[5].

منظمة المائدة المستديرة الدينية

وتُعَدُّ هذه المنظمة أحد أهم جماعات الضغط الإنجيلية التي تنتمي إلى اليمين المحافظ، وتسعى إلى التأثير في صُناع القرار في الإدارة الأمريكية من أجل تحقيق أهدافها، حيث أسست عام (١٩٧٩) م، وكان لها امتداد داخل «إسرائيل» وتركز هدفها على إنشاء «الهيكل» في القدس، ولها شبكة هائلة من المتعاونين معها من رجال

(١) رونالد ويلسون ريجان ، الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٩، وقبلها كان الحاكم رقم ٣٣ على ولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥. كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص ٦٧..

(٣) Falwell، Jerry.. Listen America،. NY. Bantam.)(1980)، p.250

(٤) Simpson. John. 1985. «Socio-Moral Issues and Recent Presidential Elections.. Review of Religious Research 27: 115-23. And. Diamond. Sara. 1995. Road to Dominion: Right Wing Movements and Political Power in the United States. New York: Guilford.

(٥) اليمين المسيحي وتأثيره على السياسة الأمريكيةن مرجع سابق، ص٥.

أعمال وقساوسة، ولها فروعها في عدد من المدن الأمريكية، كما أن لها تفرعاتها على شكل لجان كنسية وتعمل في مدينة القدس، وتوفر الدعم المالي لغلاة اليهود العاملين على هدم المسجد الأقصى وبناء «الهيكل» مكانه، كما توفر دعمًا قانونيًا لأولئك اليهود الذين يعتدون على المسجد الأقصى، ولا يتوقفون عن اقتحامه كما تقوم بشراء أراض في الضفة الغربية المحتلة لمصلحة الإسرائيليين - وبخاصة في القدس الشرقية وضواحيها - كما تتولى هذه المؤسسة عمليات تدريب الكهنة اليهود وإعدادهم، وتجنيد خبراء في الآثار والتصوير وإيفادهم إلى فلسطين للتنقيب تحت المسجد الأقصى.

منظمة الائتلاف المسيحي:

تنبع القيم الأساسية للائتلاف المسيحي من الفهم الحرفي للكتاب المقدس، وتطبيقه المباشر على الشؤون المعاصرة، وخاصة ما يتعلق منها بالمسائل الأخلاقية. ومن ثم تصبح السياسة الأمريكية في هذه الحالة معركة حول الأهداف وليس الوسائل، وصراعاً لتحقيق النصر الإلهي، وبالتالي فليس هناك مجال للتسوية أو الحلول الوسط مع الخصوم.(1) ويقوم الافتراض الأساسي لهذا الائتلاف على أساس أن الأصول الربانية للولايات المتحدة تتبنى شعباً مختاراً للقيام بأفعال من الله لإعادة الحق لصاحب الحقوق الإلهية (إسرائيل)، حيث تزعم العديد من الشخصيات، أن: «إعلان الاستقلال يمثل إعلاناً رسمياً وصريحاً من قِبَل الشعب الأمريكي بالإيمان بالله، ومن ثم فهووثيقة دينية من أول جملة فيه إلى آخر جملة... إن الأمة التي أنشئت بواسطة ذلك الإعلان العظيم لهي بلدٌ ربانيٌ. وإن الحقوق التي وردت فيها هي حقوق إلهية، كما أن الأفعال التي قام بها موقعوه جاءت بإلهام من الله» (2).

ويتخذ الائتلاف المسيحي على المستوى السياسي الدولي موقفاً مؤيداً لانتهاج سياسة دفاعية قوية حيث يعتبرون أن أضمن الوسائل لتحقيق السلام بنظرهم يتمثل في القوة العسكرية حتى في الحقبة النووية. لدرجة تصبح معها القنبلة الذرية بمثابة «(هدية رائعة) أُعطيت لبلادنا من إله حكيم»(3). كذلك كان للائتلاف المسيحي اهتمام

---

(1) اليمين المسيحي، عبدالله جمعان، مرجع سابق، ص ١١-١٢. بتصرف.

(2) Schlafly. Phyllis. ‹America's Great Religious Document.› Phyllis Schlafly report. July Women of the New Right. Philadelphia: Temple 1982. P.4. cited in Rebecca Klatch. University Press. 1987.

(3) Lienesch. M...Right-Wing Religion: Christian Conservatism as a political Movement. Political Science Quarterly 97 (3):) 1982(..p.211

خاص بدعم إسرائيل، وخصوصاً بعد حرب الأيام الست، التي اعُتبرت إيذاناً بتحقق باقي النبوءات حيث يقول «روبرتسون»: «إن إعادة ميلاد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى بدء العد التنازلي لنهاية العالم، كما أنه مع مولدها، فإن بقية النبوءات ستتحقق بسرعة»[1]. وهذا يفسر الموقف المتشدد الذي اتخذه قادة الائتلاف المسيحي تجاه عملية السلام، وقد نجح قادة هذا الاتجاه في إقناع شخصيات أمريكية بارزة بنبوءات نهاية العالم، وعلى رأسهم الرئيس «ريجان» الذي صرح مراراً بإيمانه بحتمية وقوع المعركة في هذا الجيل[2]. فهي في نظرهم ليست أملاً يُنتظر، وإنما قدر لابد من القبول به، والسعي إلى تحقيقه.

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات الداعمة للأصولية الإنجيلية:

هناك العديد من الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية وكذا الجماعات التي أثرت إيجاباً على نشاط الحركة الإنجيلية التي تدين لها بالفضل في مراحل التأسيس والانتشار، حيث كان لها أثر كبير في المراحل المختلفة لعمل هذه الحركات، وكان من أوائلهم البريطانيان «مايكل سيرفتس» (١٥٠٩-١٥٣٣) وتبعه «فرانسيس كت» (١٥٨٩)، فهما كانا من أوائل من كتب عن بعث اليهود (شعب الله المختار)، ثم ظهر عالم اللاهوت البريطاني «توماس برايتمان»[3]، وتضامن معه البرلماني البريطاني «السير هنري فينش». ثم أيدهم في ذلك السياسي البريطاني «هنري منشن» (١٦٢١)، ثم تبعهم في ذلك العالمان الإنجليزيان (جوانا والينزر كارترايت) (١٦٤٩) م، ثم السياسي البريطاني الشهير «كروميل» (١٦٤٩) م، ثم الفرنسي «فيليب جنتل» (١٦٥٦) م. وقد تبنى دعوة الإنجيلين القس «جوزف سميث»، وغيرهم الكثير من الساسة والفنانين والنبلاء، نذكر منهم «جيمس بلفور» صاحب الوعد الاستعماري المشبوه، وأيضاً اللورد «شافتسيري» السابع (مؤسس الفكر الصهيوني)[4]، ولا ننسى

(١) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص٤٩..

(٢) San Diego magazine، august (1985).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) لورد شافتسبري السابع (١٨٠١-١٨٨٥)، هوأنتوني أشلي كوبر، واحد من أهم الشخصيات الإنجليزية في القرن التاسع عشر، ومن أهم المصلحين الاجتماعيين. يُعَدُّ أحد أهم أربعة أبطال شعبيين في عصره. فقد كان زعيم حزب الإنجيليين. ولذا، فإننا نجد أن اليهود كانوا أحد الموضوعات الأساسية في فكره وكان خطاب شافتسبري خليطاً مدهشاً من العناصر الاجتماعية والأساطير الدينية حيث تَداخَل في عقله الوقت الحاضر والزمان الغابر والتاريخ المقدَّس، وقد كان هذا الخطاب يَصدُر عن فكرة الشعب العضوي المنبوذ بشكل لم يتحقق كثيراً في كتابات أي صهيوني آخر (يهودياً كان أم غير يهودي). ينظر شافتسبري إلى اليهود من داخل نطاق العقيدة الألفية والاسترجاعية بعد علمنتها تماماً.

دور المبشر الإنجيلي القس «ويليام هشلر» وكذلك رجل الدين البروتستانتي «وليام بلاكستون»، والقس «جيري فالويل» أحد أبرز قادة التيار الأصولي اليميني المسيحي والمبشر الإعلامي «بات روبرتسون» صاحب الكنيسة المرئية، وأخيراً فإن «جون كيري» وزير الخارجية الأمريكي الحالي والمرشح الرئاسي الخاسر في انتخابات عام (٢٠٠٤) كان هوالآخر داعماً رئيساً لإسرائيل، وقد قام بالتقرب للوبي اليهودي والأصولي الإنجيلي أملاً في الفوز بالزعامة، وقام بتعيين يهودي مستشاراً له لشؤون الشرق الأوسط[١]، وسوف نتعرض بإيجاز لبعض هؤلاء في الجزء القادم.

الملك «هنري الثامن»[٢]:

يعد الملك (هنري الثامن) من أهم الشخصيات التي أخلصت لليهود على الإطلاق، وعلى وجه التحديد في بريطانيا الكاثوليكية المتحولة على يديه إلى البروتستانتية، فلقد قام بفصل الكنيسة الإنجليزية من التبعية للكنيسة الكاثوليكية، والانتقال من المذهب الكاثوليكي إلى المذهب البروتستانتي، ولم يكن هذا الانشقاق رغم طابعه الأيديولوجي بمعزل عن صراعات السيادة بين الأمم الأوروبية في ذاك الوقت خصوصاً بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، فقد انحازت الكنيسة الكاثوليكية إلى جانب فرنسا، ما جعل الشعبين الإنجليزي والألماني، يميلان إلى اعتناق المذهب البروتستانتي الذي يدعوللتحرر من سلطة الكنيسة، وما استتبعه ذلك من انشقاق سياسي وعقائدي داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثوليكية الغربية بشكل خاص، فبعد اعتناق المذهب البروتستانتي أدى ذلك إلى تقديس التوراة، ما دعا (هنري الثامن) إلى ترجمة التوراة إلى اللغة الإنجليزية، وأصبح لها التأثير البالغ في روح الحياة الإنجليزية، وبمرور الوقت تبنت بريطانيا المشروع الصهيوني في عودة اليهود، فحققهم فيها تاريخي ومُؤيد بنصوص التوراة، واستطاع أصحاب هذه الدعوة أن يحققوا جزءاً من هذا الحلم، وجزءاً من المهمة التي لم تكتمل بعد، فهم يتحينون الفرصة لبناء الهيكل حتى يجيء المسيح.

القس «جيري فالويل»

لقد كانت بداية القس الشهير الدينية ضعيفة، حينما أسس كنيسة «شارع توماس

---

(١) صحيفة القدس، ع ١٢٥٧٤، بتاريخ ٢١ اغسطس(٢٠٠٤)م، ص٣، المسيحية الصهيونية، ص١٢٩.

(٢) الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة، مرجع سابق، ص ٤٧.

المعمدانية» في العام (١٩٥٦)، حيث لم يحضر اجتماعها الأول سوى(٣٥) شخصاً، ومع ذلك فقد اتخذ من كنيسته الصغيرة مركزاً لإطلاق حملاته التبشيرية مبتدئاً بدعوة أهل مدينته، وبعد عام واحد بلغ عدد أعضاء الكنيسة (٨٦٤) عضواً، ويصل عدد أعضاء الكنيسة حالياً -التي تحولت إلى صرح كبير- إلى ما يقرب من(٢٤) ألفاً، كما بات يرتبط به مئات المبشرين الإنجيلين[١]. ولقد سعى «فالويل» لنشر مذهبه عبر أدوات جديدة، حيث بدأ عام (١٩٥٦) بث برنامج إذاعي[٢]، وزاد «فالويل» من نشاطه التبشيري فأسس عام (١٩٧١) جامعة لتدريس العلوم الدينية والاجتماعية من منظور مسيحي (جامعة الحرية)، التي يصل عدد طلابها حالياً إلى (٩) آلاف طالب، بالإضافة إلى أكثر من (١٥) ألفاً يدرسون بالمراسلة، ويتولى «فالويل» رئاسة الجامعة منذ أنشأها.

وخلال السبعينيات دخل «فالويل» مجال العمل السياسي ردا على سماح المحاكم الأميركية بالإجهاض، فأنشأ عام(١٩٧٩) منظمة «الأغلبية الأخلاقية» التي سلمت أنشطتها لمنظمة «التحالف المسيحي» التي أسسها «روبرتسون»، وذلك في عام (١٩٨٩)، أما في ١٤ أبريل(١٩٩٨)، نشرت جريدة «يواس إيه توداي» الأميركية مقالاً لفالويل ينتقد فيه الرئيس « كلينتون» لما اعتبره ضغطاً يمارسه كلينتون على إسرائيل للقبول بخطة السلام، وقال: «إن ضغط أمريكا على إسرائيل يجب أن يقلق كل من يأخذون على محمل الجد وعد إبراهيم بخصوص أرض إسرائيل»، ورأي فالويل ان نجاح عميلة السلام مرتبط بترك عملية التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين لهم فقط. وهوتماماً ما كانت تطالب به إسرائيل. ولقد واجه فالويل انتقادات واسعة بعد أحداث سبتمبر، لأنه رأى في الهجمات عقاباً إلهياً على نشاط التيارات الليبرالية والعلمانية بأمريكا، وللقس الشهير العديد من التصريحات المثيرة للجدل التي تقف مع الإنجيلية التي ينتمي لها[٣].

مارتن لوثر والانشقاق الكبير

لقد أحدث رائد الإصلاح البروتستانتي «لوثر» دوياً فكرياً هائلاً داخل الكنيسة الكاثوليكية في بداية القرن السادس عشر عام(١٥٢٠م) ما أدى إلى انقسامها. ولقد

(١) ملفات خاصة، شبكة الجزيرة الاخبارية، برنامج مذاع، في (٢٦/١٢/٢٠٠٦)م.

(٢) تحول فيما بعد إلى لبرنامج تلفزيوني،بعنوان «ساعة الإنجيل القديم»، وذلك على أحد الشبكات التابعة لقناة (ABC) الأميركية الشهيرة.

(٣) الموقع الرسمي لجيري فالويل (بتصرف)

ساعده في ذلك الفساد المستشري في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، ما أدى إلى تهيئة الأوضاع المناسبة لقيام حركة الإصلاح، وقام لوثر في هذه السنة بتعليق (٩٥) رسالة دينية على جدار الكنيسة في ألمانيا، وأرسل نسخاً من هذه الرسائل التي يحتج فيها على فساد الكنيسة إلى باقي الكنائس الأخرى[١]. ويدعم هذا الرأي اهتمام «لوثر» بمسألة عودة اليهود لأرض الميعاد، وتعاطفه معهم في البداية، وميوله لدراسة اللغة العبرية، وتفضيله «المبادئ اليهودية البسيطة» على تعقيدات اللاهوت الكاثوليكي، وتأليفه لكتاب «عيسى ولد يهودياً»، في عام (١٥٢٣)، قال فيه: «إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء.. ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماماً»، فقام البابوات بمهاجمته ونعته باليهودي[٢]، ولكن حينما رفض اليهود التجاوب مع دعوته للمسيحية، انقلب عليهم واتهمهم بأنهم «قتلة الرب»، وهم «الذين صلبوا المسيح». ويعكس موقفه الجديد منهم في كتاب (اليهود وأكاذيبهم)، فنجده يلعن اليهود في هذا الكتاب: «هؤلاء هم الكذابون الحقيقيون، مصاصوالدماء، الذين لم يكتفوا بتحريف الكتاب المقدس من الدفة إلى الدفة، ولكنهم ما فتئوا يفسرون محتوياته حسب أهوائهم وشهواتهم»[٣]. إن الإصلاح الديني داخل المسيحية الذي تزعمه لوثر، بُنِّيَ على أفكار ساعدت في تغير النظرة لصالح الحركة الصهيونية، وكان هدف لوثر من ذلك تنصير اليهود واستغلالهم في بلوغ المجيء الثاني للمسيح عليه السلام، لاعتقاده أنه لن يأتي إلا باحتلال اليهود الأقصى المبارك، وبناء الهيكل.

القس الأمريكي «وليام بلاكستون»

يعدُّ من أهم الشخصيات الدينية الأمريكية التي روجت للأصولية الإنجيلية سياسياً، فقد ألف كتاباً كان الأكثر مبيعاً في العام (١٨٨١) بعنوان «المسيح آت»[٤]. كما أنه سبق «هرتزل» في دعوته بزمن، وذلك في كتابه المسمى: (عيسى قادم) وقد ترجم إلى أكثر من (٤٨) لغة منها العبرية، وكان من أكثر الكتب مبيعاً -(أكثر من مليون نسخة)- وأوسعها انتشاراً في الغرب خلال القرن التاسع عشر. واستطاع بلاكستون بعد

---

(١) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) الأصولية الإنجيلية: (هذلول)، مرجع سابق، ص١٨

(٣) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص١١٥-١١٤.

(٤) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص٨٤.

ذلـك أن يصوغ مع أعوانه عريضة ويوقعوها من أكثر من (٤١٣) شخصية أمريكية من النواب والنخب، ويرفعوها إلى الرئيس «بنيامين هريسون[١]» يطالبونه فيها باستخدام نفـوذه ومساعيه لتحقيق مطلب الإسرائيليـين بالعودة إلى أرض فلسطين. لذا فقد رأت فيـه الصهيونيـة اليهوديـة السياسية أنه «البطـل البارز من أجل صهيـون». ووجد فيه القـادة المسيحيون «أنـه الأكثر إثارة للاهتمام والقراءة في العصـر». وهوأول من سعى لتأسيـس لوبي يدعم إقامة دولة يهودية في فلسطين، مـا شكل تأثيراً كبيراً على إصدار قـرارات وعـد بلفور. كما كان زعيمـاً لأول لوبي صهيـوني داعم لليهود، وقـد أسِّسَ في الولايات المتحدة، في العام (١٨٨٧)[٢].

المطلب الرابع: علاقة رؤساء الولايات المتحدة بالأصولية الإنجيلية

لقـد دان معظـم زعمـاء البيـت الأبيـض- منـذ الاستقـلال في عـام (١٧٧٦)- بالمسيحيـة، وغلب عليهم المذهب البروتستانتي، حيث كان «جورج واشنطن»[٣] مسيحياً متصهينـاً شديـد التديـن، وكان عظيـم التقديـس للشعائـر والطقوس[٤]. فيما كان «كنيـدي» الكاثوليكي الوحيـد، لذا اغتالوه لتهديده قيمهـم، ومصالحهم، وتوسعاتهم، ونبوءاتهـم[٥]. وكان «بوش الابن» مـن أشدهم تعصباً، وأكثرهـم تطرفاً، فهو صاحب القـرارات الدمويـة، والعبـارات العنصريـة المقيتـة، والألفـاظ التوراتيـة البغيضـة، فاستخـدم وسائـل التضليـل والإرهاب والتدخـلات العسكريـة والتنكيـل، دون مسوغ شرعـي، سـوى إرضاء الرب، وهـو في الحقيقـة إرضـاء الصهاينة، في إطـار الالتزام الأدبـي والأخلاقـي بحمايتهـا، ولوعلـى حسـاب الأبريـاء في كل مكان، فتـارة هم في سجـون منعزلة عـن الرحمة بعيدة عن القانـون، لكنها قريبة من قلـوب ملأها الحقد البروتستانتي الأسود، يظهرها في شكل كلمات صادمة فحربه «حرب مقدسة» وحملاته

---

(١) بنجامين هاريسون، وهوسياسي أمريكي وكان بنجامين هاريسون سيناتورا ما بين الاعوام ١٨٨١ - ١٨٨٧ ويعتبر بنجامين هاريسون الرئيس الثالث والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من ١٨٨٩ - ١٨٩٣

(٢) البعثة العبرية بالنيابة عن إسرائيل في شيكاغو.

(٣) جورج واشنطن، أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة، (١٧٨٩-١٧٩٧).

(٤) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص ٣٠١-٣٤٤، بتصرف.

(٥) لقد سعت الإدارة الامريكية إلى تخفيف حدة التوتر مع الاتحاد السوفياتي، ورفضت اجتياح كوبا، وسعت إلى حل وسط لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وعملت على فض الاشتباك في اليمن ... فكانت النتيجة اغتيال رأس هذه الإدارة.

الفاشية ينعتها بـ «الصليبية»، شعاره إنجيلي إقصائي، بل ينفي الآخر تماماً:» من ليس معنـا فهوضدنـا»[1]، وبهذا الشعار المقدس أرهبت الولايات المتحدة ضعاف الإيمان، وأربكت محدودي الفكر والثقافة، وهيمنت على وسائل الإعلام[2]- رغم أن ريجان سبقه في ذلك- دون أي إحساس بالخجل أوالذنب، على كم الجرائم التي اقترفتها القوى الصليبية ضد المسلمين واليهود خلال (١٣٠٠) سنة، هي عمر تلك الحروب الأصولية[3]. ثم رسَّم نفسه زعيماً لـ «إمبراطورية الخير» التي تسعى إلى تحقيقِ رسالة الله في الأرض، لذلك نجد هذه الحماسة لدعم الكيان الصهيوني، باعتبار أننا – العرب والمسلمين – من «غير المؤمنين»، إنما نحن سكان الأرض التي يطمعون فيها لتحقيق رسالتهم الدينية المقدسة. ونتناول فيما يلي أبرز رؤساء الولايات المتحدة الذين دعموا الأصولية الإنجيلية أوكانوا على صلة وطيدة بها:-

م	الاسم	الفترة الرئاسية	سماته
1	حورج واشنطن	(١٧٨٩-١٧٩٧)	مدحه اليهود لأنه ممن ساعد في زرع شعبه في أرض الميعاد (فلسطين)
2	جون أدامز	(١٧٩٧-١٨٠١)	كان يقول: «إن القدر قضى بأن يكون اليهود العامل الجوهري والأعظم في جعل أمم العالم أمماً متحضرة»[1].
4	وودروويلسون	(١٩١٣-١٩٢١)	بروتستانتي ينحدر من أبوين ينتميان للكنسية المشيخية أرسى قاعدة الالتزام بالوطن القومي اليهودي من خلال التزامه بوعد بلفور[2].

(١) هذا الشعار مقتبس من انجيل متى١٢:٢٠ ولوقا ١١:٢٣ وانظر مرقص ٤:٩

(٢) جيرة، عبدالرحمن، الرد على القس بوش: في كتابه محمد مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس امبراطورية المسلمين،سلسلة الردود على الافتراءات(١) دار الحرمين للتحقيقات العلمية والنشر، ط٢، (٢٠٠٦)، ص١٠.

(٣) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World. Ibid. p. 369. 368

(٤) المسيحية والتوراة، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٥) جورجي ، كنعان، الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي بيسان للنشر والتوزيع، ط١، عام (١٩٩٥)، ص٦٦..

(٦) الدين في القرار الأمريكي، مرجع سابق، ص ٤١.

8	جيمي كارتر	(١٩٧٦-١٩٨٠)	إنجيلي متعصب،يعتبر أن مشاعره المؤيدة للصهيونية كانت الحافز الذي صاغ سياسته في الشرق الأوسط[٢].
9	رونالد ريجان	(١٩٨٠-١٩٨٨)	أكثر الرؤساء التزاماً وإيماناً بالأصولية الإنجيلية، نشأ وتربى تربية دينية محافظة، منح غلاة الصهيونيين مواقع أساسية في إدارته، وأول من استخدم لفظ «صليبية».
10	بوش (الابن)	(٢٠٠١-٢٠٠٩)	إنجيلي متعصب فاق جميع الرؤساء في خضوعه لإسرائيل وسياسته مُسَخَّرة لخدمة النبوءات بشكل غير مسبوق.

جدول رقم (١)

علاقة الرئيس بوش بالأصولية الإنجيلية

لقد تجمع لدى « **بوش الابن**» بمجرد جلوسه على كرسي الزعامة، **أمور ثلاثة أولها**: كان، إيمانه والتزامه بعقيدة حركة الأصولية الإنجيلية، ذلك الأمر الذى تجسد في تقرب قادة هذه الحركة منه، والتأثير عليه كرئيس للولايات المتحدة، حيث قال «بوش»- في معرض اشادته بالقس «**غراهام**»-: « لقد غرس في قلبي بذور الإيمان فتوقفتُ عن تعاطى المسكرات واعتنقت المسيحية». أما **غراهام** نفسه فحمل في هذه المناسبة الدينية على الإسلام وقال: «إن الفرق بين الإسلام والمسيحية هوكالفرق بين الظلام والنور»[١].

أما **ثانيها**: فهونجاح المنظمات والمؤسسات والجمعيات الإنجيلية، في تعزيز حضورها السياسي والإعلامي والدينى على حد سواء وتحولها إلى قوة انتخابية وإلى قوة ضغط شديدة الفاعلية والتأثير.

وثالثها: مأساة ١١ سبتمبر (٢٠٠١) التي ألهبت مشاعر العداء ضد المسلمين والعرب.

---

(١) بمناسبة أداء صلاة الفصح يوم الجمعة العظيمة، في ١٨ ابريل (٢٠٠٣) م، التي ترأسها القس فرانكلين غراهام،

لقد تجمعت هذه الأمـور الثلاثة في تكامل فريد دفع الأصوليةَ الإنجيليةَ نحومزيد مـن التطرف، تطرفـاً مشفوعـاً بشرعية الرئيـس الأمريكي نفسه، وقـد وجدت ثقافة كراهيـة الإسلام، المغروسـة في تعاليم الأصولية الإنجيلية في هـذه المأساة مرتعاً رحباً للتعبيـر عن هـذه الكراهية وتعميق وتوسيـع انتشارها، ومن ثم لبنـاء القرار السياسي الأمريكي المتحيز عليها .

إن لـدى بوش حماساً دينيـاً متأججاً تعود جذوره التاريخيـة في تراث المستوطنين الأوروبيين الأوائل للقارة الأمريكية الذين كانوا يعتقدون أن أمريكا هي صهيون الجديدة، والقـارة الأمريكيـة هي الأرض الموعودة، ويميل بوش إلى التفسيـر الديني للأحداث السياسيـة، إذ يقول في حديـث للمذيعين الدينيين «إن الإرهابيـين يمقتوننا، لأننا نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة». ويفضل «بوش» استخدام كلمة (الحرية) بدلاً من (الديمقراطيـة)، وذلك لمدلول الكلمة المسيحي التبشـيري، فهي تعني «حرية اكتشاف الـرب»، ولذلك فإنـه كثير الحديث عن (الـرب) والصراع بين الخيـر والشر[1]. وهذه السمـات موجودة أيضاً في فريـق عمله وإدارته، «فكونداليزا رايـس»، وزيرة الخارجية كانـت تاجـرة نفط ناجحـة قبل تقلـد منصبها، ووالدهـا عمل واعظـاً في أحد كنائس «ألابامـا»، وزوجـة «أندروكارد» مدير مكتـب «بوش» قسيسة، و «جـون أشكروفت» وزير العدل أحد الناشطين المعروفين بولائهم لأفكارهم المسيحية الأصولية.

ولقـد جعل «بوش» من المفهـوم الصهيوني (**الحرب الوقائية**) مبـدأً جديداً في سياستـه الخارجية في خطاب ألقاه في يونيـو(٢٠٠٢) م، في القاعدة العسكرية «**وست بوينت**»، هناك أعلن ما لم يعلنه أي رئيس أمريكي من قبل حيث قال: «إن على القوات الأمريكيـة في المستقبل أن تبـادر إلى التحرك قبل أن تصبـح التهديدات حقيقة واقعة فالأمـن الأمريكي يتطلب من جميـع الأمريكيين أن يكونوا علـى استعداد لعمل وقائى». بهـذا المبدأ يكون الرئيس «بوش» قد طوى صفحة الدبلوماسيـة الأمريكية التي سادت طـوال(٥٠ عامـاً) من الحـرب البـاردة القائمة على مبـدأي (التصـدي والاحتواء)، وكانت الحرب على العراق أول ترجمة عملية للمبدأ الجديد. لقد قام بوش بغزوالعديد مـن دول العـالم، تطبيقاً لمبـدأ الحرب الوقائيـة. تماماً كمـا استخدمتـه إسرائيل في حروبهـا ضد مصـر وسوريا، وكذلك عند قصفها المفاعل النـووي العراقي قرب بغداد

(١) في عقيدة الأصولية الإنجيلية محور الشر هوكل من هم ضد إسرائيل، وهم الذين سيلاقونهم في هرمجدون،وكذلك في عقيدة الأصولية الإنجيلية العدالة المطلقة ستتحقق فقط بعودة المسيح الثانية.

في العام (١٩٨١)م. ثم في غزوها لبنان ضد المقاومة في العام الذي تلاه (١٩٨٢)م، ومن بعدها الهجوم على غزة (٢٠٠٦) ولبنان (٢٠٠٨)م، ثم غزة مجدداً خلال عامي (٢٠١٢ و٢٠١٤).

وخلال حملته الانتخابية أكد «بوش»: «أن المسيح هو المفكر المفضل لدي لأنه أنقذ قلبي»، وبمجرد استلامه مقاليد السلطة أعلن يوم ٢٠ يناير (٢٠٠١) يوماً وطنياً للصلاة رغم وجود مثيل له في شهر مايو، وبحسب رأي القس «فريتس»، فإن بوش وأنصاره من الأصوليين المسيحيين واليهود في الولايات المتحدة يمثلون فلسفة دينية أساسها العنف والكراهية والتكبر، كما يلعب الدين دوراً في السياسة الخارجية أكثر من أي وقت مضى، فلم يحدث في التاريخ أن كانت الولايات المتحدة مسيحية سياسياً وبشكل علني مثلما كانت عليه في ولاية بوش الابن، وهذه القناعة بأن الرب إلى جانب أمريكا يقلل الحاجة الطبيعية إلى التواضع ومراجعة الذات، ما أوجد نوعاً من التكبُّر الذي لا يمثل انحرافاً أخلاقياً، بقدر ما يحمل بين طياته بذوراً كارثية، ويؤكد على هذه الفكرة المؤرخ «آلان ليشتمان»[1]: «إن إقحام الدين بهذا الشكل لم يسبق له مثيل. ففي خلال أحد خطبه الأولى قال على وقع التصفيقات الحارة: «ينبغي أن ينتهي زمن التمييز ضد المؤسسات الدينية لا لشيء إلا لأنها دينية». كذلك فقد أعلن «بوش» في نوفمبر (٢٠١١) «بأن أي شخص يمكن أن يفهم أن أمريكا أصبحت كبش فداء، تماماً كما كان اليهود في عهد النازية»[2].

من خلال العرض السابق الذي أوضح بجلاء مدى ميل الرئيس بوش إلى استخدام المعتنق الديني في السياسة، والتفسير الديني للأحداث السياسية الذي ظهر في قرارات الحرب المختلفة على العديد من دول وشعوب العالم دون مبرر شرعي، وإنما من أجل التعجيل بنهاية العالم.

لماذا العراق؟

كثيرون هم من أرجعوا ما حدث للعراق من دمار بعد الحصار إلى الإفراط في قوته العسكرية، وتهديده لجيرانه وهذا غير دقيق، فالحقيقة أن للعراق أرضاً وشعباً وحضارة (الأشورية والبابلية) لها مكانة خاصة في قلب وفكر الأصولية الإنجيلية لارتباطه بأهم وأعنف حادثة تعرض لها اليهود في تاريخهم وهى (السبي البابلي)، وبالتالي أصبح العراق يرتبط بشكل مباشر بكثير من العقائد المسيحية المستمدة من

(١) أستاذ جامعي بالجامعة الاميركية في واشنطن

(٢) أمريكا الكتاب الاسود، بيتر سكاون (دار العربية للعلوم)، مطبعة المتوسط، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٩.

التوراة، وسفر الرؤيا بالذات، التي سُطِّرَتْ وقت السبي وما تلاه، كفكرة المسيح المنتظر، وهرمجدون، وغيرها من الأفكار التي اخترقت المسيحية عن طريق حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، وبالتالي قامت الهجمة الشرسة تنفيذاً للنبوءات التوراتية وتطبيقاً للنصوص بشكل حرفي للتعجيل بعودة المسيح. تلك النصوص التي توعدت مضطهدي إسرائيل بالدمار، وفكرة الانتقام من بابل العراق (الفاسقة الزانية)، لكونها سبت اليهود ودمرت الهيكل. وليس هناك شك في كون أتباع الأصولية الإنجيلية في أمريكا وبريطانيا قد تشربوا من روح العهد القديم في النص الحاقد: «طوبى لمن يجازيك يا بابل كما جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويسحقهم على الصخور»[1]. ويقول (حزقيال) على لسان يهوه: «إني أجازي بابل وحميع سكان أرض الكلدانيين بكل شرهم.....»[2].

المطلب الخامس: موقف الكنائس من الأصولية الإنجيلية

على الرغم من قوة تأثير وفعالية الأصولية الإنجيلية على المسارات السياسية في الولايات المتحدة فإن هذا لا يعني أن الساحة خالية لها تعمل دون معارضة، فهناك كنائس مسيحية كثيرة تتخذ مواقف رافضة لهذا التيار ومحذرة من خطورته، سواء داخل الولايات المتحدة أوخارجها. فنجد في كل كنيسة تقريباً هناك موقف داعم وآخر رافض للأصولية الإنجيلية، فلم تتفق الكنائس على رأى موحد حول هذا الموضوع وكان الاختلاف دائماً هوسيد الموقف،وهناك من كان مذبذباً بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

أولاً: موقف الكنيسة الداعم

الكنيسة البروتستانتية

تُعَدُّ الكنيسة البرتستانتية بطبيعة الحال أحد مرتكزات الدعم، فمنذ نشأتها وهي تدعم اليهود من خلال معتقدات وتفاسير حرفية دينية، حيث اندمجت في هذه الحركة البروتستانتية أساطير صهيونية تسربت إليها عبر التفسيرات الحرفية للتوراة، وساعدت على بلورة وتبني دوافع سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تخدم مصالح اليهود[3]. فكانت العلاقات بينهم عميقة جداً حيث تعدُّ الحركة البروتستانتية

---

(١) المزامير:المزمور ١١٣٧)

(٢) إرميا: (٢٤-٥١)

(٣) الصهيونية المسيحية، مرجع سابق، ص٧.

هـي الحركة الأولى الداعمة للشعب اليهودي من حـق وأرض ووطن معتبرة دعمها هذا تطبيقاً لوعود إلهية.

ويمكـن العودة إلى كتاب «**ستيفـن سايز**»[١]، (الطريق إلـى هرمجدون) لمعرفة كيـف يدعـم الإنجيليـون الحركة وخصوصـاً في أمريكا. حيث أكد القس البريطاني الشهـير رفضه مـا يسمى «تيـار المسيحيين الصهيونيـين»، لكونهم لا يمثلـون نصارى العـالم، فهوتيـار ذوقناعات خاصـة مرتبطة باعتقـادات وتفسيرات دينيـة لا تمثل كل المسيحيـين، فهو-وان كان تيارًا قويًا في الولايـات المتحدة، ويمثل(٢٥)٪ من المسيحيين في أمريكا- إلا أنه لا يمثل أكثر من(٥)٪ من مسيحيي العالم وأردف «سيزر»: «للأسف كثير مـن المؤسسات الأمريكية المتصهينة تدعم بناء المستوطنات اليهودية، وتسعى إلى تهويد القدس والقضاء على الوجود العربي، كما أن هذا التيار يتوقع مواجهة قريبة بين أمريـكا و(إسرائيـل) من جانب وبين إيـران من جانب آخر، وهويعجـل بهذا الصدام اعتقـادًا منه بأنـه التمهيد للمجيء الثاني للسيد المسيـح ....»[٢]، ويعاني الفلسطينيون مـن المسيحية الصهيونية، التي لديها قناعة خاطئة بأن إسرائيل الحالية، هي إسرائيل المقصـودة في الكتاب المقدس... وإننا لا نلوم على اللوبي اليهودي الأمريكي هذه القوة، فقد نجـح اليهود الذين لا يتجـاوزون(٥) ملايين نسمة أن يحظـوا بدعم(٥٠) مليون مسيحـي أمريكي من المؤمنين بالاعتقـادات اليهودية» وأكد القس البريطاني أكذوبة أن اليهود شعب الله المختار مشددًا على أنهم «أول من آمنوا بالله، وكان الله يريدهم منارةً له وسط العالم الذي كانت تسيطر عليه الوثنية لكن هذه المقولة انتفت بتوالي الرسالات السماويـة»، ولفت إلى أن جهودهم ستفشل لجعل القدس (أورشليم) عاصمة لما يُسمى (دولة إسرائيل) وإعادة بناء الهيكل، مشيراً إلى أن (إسرائيل) تسعى للجمع بين أشياء ثلاثـاً متناقضة لا يمكن الجمع بينها، وهـي أن تقيم دولة قوية، أساسها الديمقراطية، وأن تستمـر في سيـاسـة الاستيطـان والاحتـلال، ولابـد أن تتخلـى عـن الديمقراطيـة أوالاستيطان.

ثانياً: موقف الكنيسة الرافض

أمـا عن الكنائـس المسيحية المعارضـة المُتَمثِّلة بشكل عام بكنائـس الشرق الأوسط (المسيحيين العرب)، فإننا نجد أن من أبرزها الكنيسة الأرثوذكسية، والكنيسة الإنجيلية.

---

(١) سايزر، ستيفن، الصهيونيون المسيحيون على الطريق الى هرمجدون، بيروت، ط١، (٢٠٠٥)مـ، ص١٢-١٩ بتصرف.

(٢) المرجع السابق.

موقف الكنيسة الإنجيلية

لقد رفضت الكنيسة الإنجيلية في الولايات المتحدة حركة الأصولية الإنجيلية، وأوكلت تحويل الرفض لأساليب عملية إلى المجلس الوطني لكنائس المسيح الذي يضم (٣٤) طائفة يمثلون حوالي (٤٠) مليون عضو. وبنى هذا المجلس استراتيجيته للتعامل مع هذه الظاهرة على استقطاب الإنجيليين الليبراليين الذين يرفضون التفسير الحر في للكتاب المقدس، ويرفضون الصهيونية اللاهوتية في الكنيسة.

واستطاع المجلس التواصل مع عدد كبيرٍ منهم عبر مجلاته «القرن المسيحي» و«المسيحية والأزمات» و«القيمون» و«المصلح». ولم يغفل هذا المجلس أهمية تنسيق مواقفه الرافضة للأصولية الإنجيلية مع كنائس أخرى تتشابه معه في هذا الأمر ولوبنسب ودرجات مختلفة مثل: الكنيسة المشيخية والكنيسة المنهجية والمعمدانية والأسقفية[1].

موقف الكنيسة الكاثوليكية

لم تكن الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة بعيدة عن جبهات الرفض المتنامية ضد الأصولية الإنجيلية بل إنها سارعت وأعلنت موقفها الرافض منذ أكثر من (١٠٠) عام، ففي مايو (١٨٩٧) لاحظت هذه الكنيسة أن الهدف من الحركة هوالسيطرة على فلسطين بمسوغات دينية مسيحية، فأصدرت بيانا قالت فيه «إن إعادة بناء القدس لتصبح مركزاً لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه، الذي أخبرنا أن القدس سوف تدوسها العامة حتى نهاية زمن العامة، أي حتى نهاية الزمن». ولم يختلف موقف الفاتيكان في روما عن موقف الكنيسة الكاثوليكية داخل الولايات المتحدة، فَرَفَضَهَا هوالآخر مبرراً رفضه بأسباب عدة، منها: أن دعاوى الصهيونية المسيحية مخالفة للكتاب المقدس ولروح المسيحية وأنها ستلحق ضرراً بالمسيحيين الشرقيين خاصة إذا نجحوا في إقامة دولة في فلسطين.[2]

واستمر هذا الرفض حتى قيام دولة إسرائيل عام (١٩٤٨)، بعدها حدث تغير لاهوتي في موقف الكنيسة الكاثوليكية بعد أن استطاع الإسرائيليون (اليهود) أن يُقنعوا كبار رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية أن وجودهم في الشرق الأوسط مهم لمحاربة

---

(١) الصهيونية المسيحية، (اجحا) مرجع سابق،، ص ٩.

(٢) دراسة حول الصهيونية المسيحية، مفهومها - نشأتها - مخاطرها، مرجع سابق، ص١٤-١٦ بتصرف.

الشيوعية «الإلحادية» ووقف امتدادها. وازداد هذا الموقف تماسكاً في ولاية الكاثوليكي «جون كينـدي»[١]، وكان بصحبته الأسقف «كاشنغ» الذي كان مشبعاً بالعداء للشيوعية ووجد أن إسرائيل (اليهود)، وليس الإسلام هو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة ضد الشيوعية. وبعد هذا الاختراق الكنسي كثرت المنظمات الكاثوليكية المطالبة بتغيير مواقف الفاتيكان اللاهوتية من مبدأ قيام دولة يهودية ومبدأ عودة اليهود إلى فلسطين، وقامت كذلك جنباً إلى جنب منظمات كاثوليكية أخرى، لا ترفض قيام دولة يهودية، لكنها تدعو أن يكون ذلك مصاحباً لمنح الفلسطينيين حقوقهم.[٢]

موقف الكنيسة الأرثوذكسية

عارضت الكنيسة الأرثوذكسية الحركة الأصولية الإنجيلية من منطلقات عقائدية، حيث اعتبرت أن هذا التيار يصر على زرع رؤية لاهوتية غريبة عن المسيحية، وأنها سياسية الأهداف، وليست دينية بتاتاً، وهي في محصلتها الختامية تخدم مصالح دولة بعينها. وأصر بطريرك الروم الأرثوذكس في القدس الأب «عطا الله حنا» على تسميتها «المجموعات المتصهينة التي تدعي المسيحية».[٣]

موقف مجلس كنائس الشرق الأوسط:

أما بالنسبة لموقف كنائس الشرق الأوسط من هذا التيار فقد تمثل في الرفض المؤسس كذلك على أسباب دينية وسياسية وإنسانية. حيث اعتبر المجلس الأصولية الإنجيلية (الصهيونية المسيحية) -كما جاء في بيانه الصادر في (أبريل ١٩٨٦)- «سوء استعمال للكتاب المقدس وتلاعباً بمشاعر المسيحيين في محاولة لتقديس إنشاء دولة من الدول وتسويغ سياسات حكوماتها».[٤] وأَجْمَلَ الأمينَ العام للمجلس القس رياض غريغور مبررات الرفض في الأسباب التالية:

- أن الصهيونية المسيحية لا تمت بصلة للمسيحية، لأنها تشويه مشبوه الغايات لبعض ما جاء في أسفار الكتب المقدسة.

---

(١) رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثون. (٢٠ يناير، ١٩٦١ – ٢٢ نوفمبر، ١٩٦٣)، تولى الرئاسة خلفًا للرئيس دوايت أيزنهاور وقد خلفه نائبه ليندون جونسون ولد في ٢٩ مايو، ١٩١٧ وتوفي مقتولاً في ٢٢ نوفمبر، ١٩٦٣ في دلاس، تكساس وقد أُتهم لي هار في اوسولد باغتياله، وهو أول رئيس أميركي كاثوليكي يدخل البيت الأبيض.

(٢) الصهيونية المسيحية، (فايز)، مرجع سابق ص ٤٤-٤٥ بتصرف

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ١٧.

- أنهـا مؤامرة حيكت ضـد المسيحيين عامة والمسيحيـين العرب خاصة لضرب المشـروع الحـواري بـين المسيحيـة والإسـلام، ولتبرير أطروحـات صـراع الحضارات والأديـان، وهى تستهدف ضرب العيشـ المشترك الإسلامي المسيحي في العالم العربي، واعتبروهـا حركة خطـيرة تُعَرِّضُ الشهادة المسيحية في المكان الـذي نشأت فيه كنيسة «يسـوع المسيـح» - ولا تزال مستمرة إلى اليوم الحـالي - إلى الخطر من ناحية هويتهم ووجودهم على هذه الأرض.

ثالثاً: الرد اللاهوتي على بعض عقائد الأصولية الإنجيلية:

كان هنـاك بعضـ ردود الفعل التي عارضـت الحركة من قِبَلِ بعضـ رجال الدين الكاثوليك العرب بخصوص الأرض وآخر الأيام:

حيـث تمسكوا بنظرية القديـس «أوغسطين» الذي يقول: «بـأن ما ورد في الكتاب المقدسـ بشـأن مملكة الله قائـم في السماء وليس علـى الأرض، وبالتـالي فإن القدس وصهيـون ليسا مكانـين محدودين على الأرض لسكن اليهـود ولكنهما مكانان سماويان مفتوحـان أمـام كل المؤمنـين بـالله»[1]، ولذلك كان رجـال الدين الكاثوليـك يعتقدون أن الفقـرات الـواردة في العهد القـديم لا تنطبق على اليهود، لأن اليهـود طبقاً للعقيدة الكاثوليكيـة اقترفـوا إثماً، فطردهم الله من فلسطين إلـى منفاهم في بابل، حيث رحل حـوالي (٤٢٣٦٠) من الإسرائيليين مـن بابل[2]، وعندما رفضوا دعـوة السيد المسيح نفاهم مرة ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد.

الرد اللاهوتي حول قضية الأرض:

لقـد ذكرنـا أن فكرة (أرض الميعاد) تُعَـدُّ من المرتكـزات الأساسية لـدى الفكر الإنجيلـي، لذلـك يصبح مـن الضروري النظـر بتمعن إلـى الأمور اللاهوتيـة المتعلقة بموضـوع الأرضـ، وكيفيـة تناول الكتـاب المقدس لهـذا الموضوع، حيـث أن الأرض في هـذه الحالـة، هي التي تعـاني نتيجة لهذه الأفـكار، ولنبدأ بما أشار إليـه الأب «مروان اللحـام»[3] أن مفهـوم الأرض قد تطور في مختلف مراحل الوحـي ابتداء بالمعنى المادي والجغـرافي والسياسـي وانتهاء بالمعنى الروحي والرمـزي، ولم تعد إرادة الله مقيدة بأرضـ وليس هناك أرض محدده للعبادة وليسـت الأرض القيمة الأولى والمطلقة، إنما

(١) الصهيونية المسيحية، (اجحا) مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) Holy War.Ibid..p16

(٣) ندوة بعنوان: موقف الكنيسة الفلسطينية من المسيحية الصهيونية نظمها مركز اللقاء الفلسطيني، في (٢٠٠٣/٦/٢٩)م.

الأولى هوالله تعالى وعبادته، وأنه- مع كل عهد، ومع كل مرحلة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي- كان المعنى الروحي يتضح أكثر وأكثر (فالأبرار يرثون الأرض)[1]، ونفس الأمر كرره المسيح في التطويبات،(طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض)[2]، وفي(رؤيا ٣،١٢) -(٢،٢١) يوضح الصورة الأشمل، وبذلك تصبح أورشليم الأرضية الصورة لأرض الميعاد التي هي وطننا السماوي عند الله[3]. أما القس «اليكس عوض» في كتابه « Palestinian Memories » ، فقد اعتبر الوعود بالأرض المقدسة وعوداً وقتية ومشروطة، حيث يقول في كتابه : أن هناك مراجع كتابية تقول أن الله أعطى الأرض المقدسة لإبراهيم ونسله، كما أن العهد القديم مليء بالدلائل التي تشير إلى إن هذه الوعود هي وعود مشروطة بأمانة وطاعة (شعب إسرائيل)[4]. وعندما فشل هذا الشعب في ذلك تم إخراجهم من الأرض. أما عن أمد الوعد، ففي الماضي وعد الله إسرائيل القديمة بإعطائهم الأرض، وقد حقق وعده، لكن هناك بعض المسيحيين- وكذلك اليهود- ما زالوا يقرؤون العهد القديم بوعوده ونبواته التي قد أعطيت قبل أربع أوخمس آلاف سنة، ومازالوا يسعون لطلب تحقيق معاصر لتلك النبوات التي تمت فعلا . لقد تم إعطاء بعض هذه النبوات إلى اليهود عندما كانوا في السبي البابلي، حيث كانت رسالة هذه النبوات هي رسالة أمل للمسبيين ووسيلة من خلالها يتم تحضيرهم للرجوع إلى الأرض[5].

رد الكنيسة الأرثوذكسية اللاهوتي

كما تبنت كنيسة الروم الأرثوذكسية رفضها اللاهوتي لاعتقادها في وجود تناقض كبير بين ما تعلمه وتنادي به المسيحية من سلام ووئام ومحبة، وبين ما تدعو إليه الصهيونية من تكريس للفكر العنصري والتمييز العرقي وممارسة أساليب خبيثة لتمرير مشاريع مشبوهة، بشكل جعلها أقرب إلى اليهودية الصهيونية منها إلى أي شيء آخر. وما زاد من مخاوف الروم الأرثوذكس، من محاولة الحركة لاستقطاب المسيحيين الشرقيين والعمل على سلخهم من هويتهم وجذورهم الشرقية وقضاياهم القومية تحت

---

(١) مزمور: (٣٧،٢٢)

(٢) متى: (٥،٤)

(٣) المرجع السابق،، ص١١.

(٤) (تكوين ١٨:٢٨) (لاويين ٢٠:٢٢) (تكوين ١:١٧)

(٥) Alex Awad، Palestinian Memories، ،The Story of a Palestinian Mother and her People،، 2-nd edition، Bethlehem Bible College، 2012

لافتة التبشير بالمسيحية. كما أن التفسيرات والتحليلات الصهيونية للكتاب المقدس يطغى عليها التفسير السياسي غير الروحاني، وهي تفسيرات وتبريرات هدفها تبرير الاحتلال والعدوان والترويج لأن الأرض الفلسطينية لهم وليست لسواهم.

* * *

المبحث السادس

حجم الأصوليين الإنجيليين وأماكن انتشارهم

ناقش الباحث حجم مناصري الأصولية الإنجيلية عددياً وجغرافياً، فمن حيث العدد أنصار الأصولية الإنجيلية لا يزيدون عن المائة مليون بأي حال من الأحوال، لذا نستنتج من ذلك أن خطورة الأصولية الإنجيلية كحركة ومنظمات وشخصيات داعمة، لا تكمن في أعدادهم، وإنما في سرعة انتشارهم وقدرتهم على استقطاب المزيد من الأتباع من الذين يشغلون أرقى المناصب السياسية مكانةً وأرفعها شأناً، حتى بات العالم شرقه وغربه في أياديهم، وأصبحت المجتمعات ضحية لمؤامراتهم التي لا تنتهي. ويتركز الإنجيليون جغرافياً في الدول الأوروبية خاصة أمريكا وبريطانيا، ثم دول أمريكا اللاتينية التي يكثر فيها البروتستانت.

نناقش فيما يلي أماكن وجودهم في بعض القارات وبخاصة أوروبا وآسيا، لتربط بين أماكن تركزهم الجغرافي والدور الذي قامت من أجله الحركة دينياً وسياسياً.

المطلب الأول: أعداد الأصوليين الإنجيليين

من الطبيعي أن توجد الأصولية الإنجيلية حيثما وجدت البروتستانتية الأصولية، فمثلاً في أمريكا اللاتينية زاد عدد البروتستانت من (مليونين ونصف المليون) في الثلاثينيات إلى (خمسة عشر) مليوناً في الستينيات، ثم تزيد لتصل إلى (أربعين) مليوناً في الثمانينيات، حتى بلغت (سبعين) مليوناً قبل عامين. وهوما مثل (١٠)٪ من إجمالي عدد السكان. وتمثل هذه النسبة ما يقرب من (٢٠)٪ في جواتيمالا، و(٢٥)٪ في البرازيل، و(١٧)٪ في التشيلي، ومـا نسبته (١٠)٪ في الأرجنتين، ما يدل على مؤشر خطير، يعني أن هناك تزايداً في النفوذ والتعاطف الصهيوني بين الثقافة الأمريكية، كذلك يدل على حالة من التقبل للجماعات اليهودية والدولة الصهيونية[1].

والمعلوم أن البروتستانتية في الولايات المتحدة تُعَدُّ أكبر الطوائف، إذ زاد عددهم عن ثمانين مليون شخص تضمهم أكثر من مئتي طائفة في العام (١٩٨٢)[2] إلى حوالي ثمانمئة مليون شخص في العام (٢٠١١).

(١) المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٢) بيتر سكاون، أمريكا (الكتاب الاسود)، ص ١٨٦:١٨٨ (بتصرف)، وانظر: المسيحية الصهيونية، ص ٨٥.

أمـا عن أعدادهم، فيوجد تضارب شديـد في حجمهم الطبيعي، حيث يدعي قادة الحركـة أمثـال «فولويـل وروبرتسون» أنهم قد بلغـوا في الولايات المتحـدة وحدها مائة مليـون إنجيلي، لكن منتقديهم من الكنائس الإنجيليـة الأمريكية يخفضون عدهم إلى مـا بين(٢٥-٣٠) مليوناً، ومع ذلك يعـترف منتقدوالحركة بأنها الأكثر توسعاً والأسرع انتشاراً، وبالفعل تم إنشاء جمعيات ومنظمات محلية يزيد عددها على (المائتين)، ومن أبرزهـا: (الائتلاف الوطني الموحد من أجل إسرائيل)، و(السفارة الدولية المسيحية)، وكذلـك (أصدقاء إسرائيل المسيحيـون)، فيما يعتقد (٢٥)٪ منهـم أن التوراة تنبأت باعتـداءات سبتمـبر(٢٠٠١)،[١] وتزعـم هـذه المنظمـات أن عدد المنتمـين اليها يبلغ (٤٠)مليـون شخص[٢]. بينما حدد« وليـام مارتن» في تقريـره أن الأصولية الإنجيلية تضـم ما يقرب مـن (ربع) الراشدين مـن الشعب الأمريكي. فـإن «داميان طومسون» مؤلـف كتاب(نهاية الوقت) قد أشار إلـى انتشار الحركة بقوله: «إن نسبة نموالمسيحية الإنجيليـة في أمريكا تزيد عن أي اتجاه دينـي آخر في العالم». فيما يقدر «جون جرين» أن ثمـة اثنين وستين مليون أمريكي يعتقدون في تلك الأصولية التي تريد دفع العالم إلى حرب فاصلة يموت فيها ثلاثة مليارات من البشر، ويموت فيها ثمانية ملايين يهودي.[٣] فيمـا تقدر «هالسل» أتباع الإنجيليين ما بين أربعين إلى سبعين مليون نسمة، وترجح أن يكـون سبـب زيادة الاتباع إلى إنهم يجـدون ملاذاً في كنيسة نشطـة شمولية كالكنيسة (الايفانجليكية)، فهـم أناس عاديون ولا يدركون في البداية المغزى السياسي الحقيقي لدعوتها[٤].

ولقـد قُـدِّرَ أنه باستمرار معـدل النموالحالي، فسوف يتجـاوز الإنجيليون في عام ٢٠٢٥ عـدد المسيحـين التابعـين للكنيسـة الكاثوليكيـة،[٥] فيمـا أشار الباحـث «خالد أبوشريخ» إلى دراسة «القس دونالد واغنر» التي قدرت تعداد أتباع المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة فقط بنحوأربعين مليون نسمة، يشكلون حوالي ٣٠٪ من مجمل عدد أتباع الصهيونية المسيحية في العالم الذي يقدر بنحو١٣٠ مليون نسمة[٦]

---

(١) السياسة الدولية، تموز(٢٠٠٣)، ع ١٥٣:، دور الدين في السياسة الخارجية الامريكية، العراق نموذجا،عصام عبدالشافي(نقلا عن الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية).

(٢) السماك، محمد،الدين في القرار الأمريكي، دار النفائس، بيروت، ط١،(١٤٢٤)هـ، ص ٢٠..

(٣) المرجع السابق.

(٤) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الصهيونية المسيحية(فريتح)، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الأصولية الإنجيلية الاوروبية

لقد تحولت الأصولية الإنجيلية من فكرة غربية محصورة في أوروبا، إلى فكرة تجوب كافة دول العالم، تدعوبدعاء العولمة، عولمة العالم والانصياع إلى أفكارها[1]، وتنشد النظام العالمي الجديد، وتتطلع إلى شرق أوسط كبير (جديد)، واجتاحت أوروبا أفكار العصر الألفي السعيد الذي عزز من الفكر اليميني المسيحي، وفي عام ميلاد الصهيونية نفسه، تم طرح مشاريع صهيونية في كافة أنحاء أوروبا (روسيا، بولندا، ألمانيا، فرنسا، إنجلترا) وحتى الجزء الآخر من العالم (استراليا، نيوزيلاندا،) بل وصلت حتى الجنوب الإفريقي الذي بدا في ثوب توراتي مفعم بالأساطير في يوم احتفالها بيوم الميثاق في السادس عشر من ديسمبر من كل عام، باعتبار أن هذا اليوم شهد عقد الإله ميثاقه مع الإفريقين. وذلك فوق تل يحمل سفينة ضخمة ترمز لسفينة العهد، وكأنه قدس الأقداس لقومية الأفريكانز[2].

لقد انتشرت أفكار الصهيونية الألفية في جميع أنحاء أوروبا (معقل البروتستانت)، وبخاصة بريطانيا التي هاجروا منها إلى الولايات المتحدة، وحسب بعض التقديرات فإن هناك (٦٠٠) مليون مسيحي يؤيدونهم في بلاد الغرب[3]. وسنتناول بإيجاز بعض هذه الدول فيما يلي:

أولاً: الأصولية الإنجيلية في بريطانيا

لقد شهدت بريطانيا ميلاد الإنجيلية على يد البرويتان (المطهرين) الذين هجروها إلى الولايات المتحدة بعد أن عانوا الأمرين، فارتبطت نشأة وانتشار الأصولية الإنجيلية في بريطانيا بحدثين هامين، أولهما انفصال «هنري الثامن» عن كنيسة روما، وما تبعه من تبني الكنائس إلغاء الوصاية الكهنوتية على الكتاب المقدس (١٥٣٨) ما شكل بداية حقيقية للحركة في بريطانيا البروتستانتية. أما الحدث الثاني، فيتمثل في انقلاب «لوثر» على اليهود بعد فشل مشروعه البروتستانتي، في تحويل اليهود في ألمانيا إلى البروتستانتية، فكان أن قامت الحركة بالترويج لفكرة العودة اليهودية إلى فلسطين، تخلصاً منهم، ليكون بمثابة إعلان صريح لنشأة الأصولية الإنجيلية.

---

(١) الصهيونية المسيحية،مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) صامويل هنتجون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص١٦٢. الصهيونية المسيحية، ص٦٠.

(٣) جماعة امريبة يمينة تعلن إقامة منظمة تحرير فلسطينية بديلة لمحاربة الإرهاب، صحيفة القدس، ع ١٢٦٢٥، ص٢٧،(المسيحية الصهيونية، ص٥٤).

ثانيا: الأصولية الإنجيلية الأمريكية الأولى

لقد ارتبطت الأصولية الإنجيلية في أمريكا بوصول المهاجرين البروتستانت الأوائل إليها بدءاً من سنة (١٦٣٠) م، وذلك بعد اضطهاد ملك إنجلترا (جيمس الأول) لهم، وحملوا معهم العقائد الأصولية التي كان لها الأثر الكبير في تشكيل الفكر الأمريكي[١] الذي تطور مع الصحوة الدينية الكبرى في أربعينيات القرن التاسع عشر، فهم أصوليون حرفيون ينتظرون مجيء المسيح المخلص، وكان قادة الحركة المسيحية الأصولية هناك ممن يؤمنون بالحق التاريخي واللاهوتي والقانوني لليهود في فلسطين. وأن الله يتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل، ومن يقف ضد إسرائيل فهويقف ضد الإله[٢]. ومع تصاعد قوة ونفوذ الولايات المتحدة، ومع زيادة وزنها الاقتصادي والسياسي والعسكري، نشطت داخلها الحركة، حيث بلغ عدد المنتمين إلى الكنائس الإنجيلية (٧٧) مليون أمريكي ينتمون إلى (٢٠٠) طائفة، وينتمي إليهم العديد من الشخصيات الأمريكية البارزة، ومنهم أعضاء في الكونجرس ودوائر النفوذ المالي والإعلامي والسياسي الأمريكي. حتى زاد عدد منظمات الدعم في أمريكا ليصل إلى حوالي (٢٥٠) منظمة تدير آلاف المؤسسات المالية والإعلامية. حيث أدرك اللوبي الصهيوني في ذاك الوقت أنه يمكن الاعتماد على أصوليين لكسب دعم سياسي من بين (٥٠:٦٠) مليون إنجيلي أمريكي.

بالإضافة إلى تزايد ميل الرأي العام الأمريكي نحوالكنيسة وما تطرحه من قيم وتقاليد في مواجهة ما عاناه المجتمع الأمريكي من هزائم عسكرية في «فيتنام» وفضيحة «ووترغيت» التي أدت إلى استقالة «نيكسون» من منصبه في عام (١٩٧٤)، الأمر الذي أدى إلى ولادة عديد من المؤسسات والبرامج الكنسية، واعتبار عام (١٩٧٦) **عام المسيحيين الأصوليين**[٣].

وكانت أول ولاية لعضو من أعضاء الحركة الأصولية الإنجيلية في سدة الرئاسة الأمريكية من نصيب «جيمي كارتر»[٤]، معلناً عن ولادته من جديد كمسيحي، ومؤمناً بأن تأسيس إسرائيل هوتحقيق للنبوءات التوراتية[٥].

---

(١) الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الامريكية، تجاه الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٣) المرجع سابق، ص ١٩٠.

(٤) تولى رئاسة أمريكا بين عامي١٩٧٦و١٩٨٠م

(٥) المرجع السابق..

وفي ذلك العقد صدر كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» -للأصولي الشهير- «هال لندسي»، وقد بيع من هذا الكتاب حوالي (١٨) مليون نسخة، وظل على رأس الكتب الأكثر مبيعاً خلال السبعينيات[1].

ومنذ ذلك العقد ونشاط الحركة الأصولية ونفوذها في تزايد مستمر، وحتى بلغ أوجه بوصول «بوش الابن» إلى سدة الرئاسة الأمريكية عام (٢٠٠٠).

ثالثا: الأصولية الإنجيلية الأمريكية الثانية

في هذه المرحلة (سبعينيات القرن التاسع عشر) ارتبطت الأصولية الأمريكية بالحركة الإنجيلية، وصارت تتجه صوب السياسة بنحو كبير.[2] يقول «بيتر سكاون»: «إن الولايات المتحدة هي بمعظم المقاييس موطنٌ لأكبر عدد من رواد الكنائس، في حين كسدت أوتدهورت الكنائس الأوروبية، بسبب تمسكها بقيم وتقاليد لا تلائم المجتمع الحديث، بينما تبنت الكنائس الأمريكية وبنجاح نبرات شعبيةً تجذب كل أشكال الولاء الديني، وهذه الشعبية تعود للقرن التاسع عشر، عندما أصبحت الكنيسة البروتستانتية أكثر الديانات انتشاراً». والمعلوم أن البروتستانتية في الولايات المتحدة تُعَدُّ أكبر الطوائف، فقد وصل عددهم إلى حوالي ثمانمئة مليون شخص (٢٠١١).

رابعا: الأصولية الإنجيلية في ألمانيا:

وفي ألمانيا اللوثرية انتشرت الأفكار الألفية الصهيونية وكانت (هامبورغ) مشهورة في القرن السابع عشر بكونها الموطن الأسطوري لليهود في القارة الأوروبية وبأنها مركز الحركة التقوية الألمانية (حركة صوفية روحية تركز تعاليمها الأخروية على عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين)، لقد كان من الطبيعي أن تنتشر الأفكار الصهيونية في موطن المصلح «لوثر» من الشمال الالماني إلى الدول الإسكندنافية، وقد ساعد على نشرها أن المانيا كانت تعتبر دولة الكنائس[3]. ما أدى إلى تحول أغلب الشمال الألماني والدول الإسكندنافية إلى البروتستانتية اللوثرية، بينما بقيت معظم الولايات الجنوبية على حالها (كاثوليكية).

أما الدول الإسكندنافية فقد انتشرت فيها الأفكار الألفية، فهناك مملكة

---

(١) النبوءة والسياسة، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) المسيح اليهودي ونهاية العالم، مرجع سابق، ص٨٥-٩٠.

(٣) كل أمير ولاية في المنطقة له اختيار الدين الرسمي في مملكته على أساس أن الدين الذي يسود في الأرض التابعة له يجب أن يكون دين الحاكم..

الدانمارك، التي اعتنقت هي الأخرى المذهب اللوثري في عام (١٥٣٦)[1] وحث فيها «هولجربولي» ملوك أوروبا على تحرير فلسطين من الكفار وتسليمها إلى مورثيها الشرعيين (اليهود)، وفي العام (١٩٩٩) قدم خطة مفصلة لملك إنجلترا وليم الثالث يطلب فيها إعادة احتلال فلسطين وتسليمها لليهود لإقامة دولة خاصة بهم. وتعتبر أفكار «هولجرجولي» في ذلك الوقت محاولة جريئة للربط بين الطموحات الدينية لدعاة بعث اليهود والأحداث السياسية، وكذلك الأمر بالنسبة للملكة «مارجريت» حيث قالت «من الضروري التصدي للإسلام لأن هناك أموراً لا يمكن التسامح معها.... يجب اخذ التحدي الذي يشكله الإسلام على محمل الجد».

وهناك هولندا التي توطدت فيها البروتستانية ما أدى إلى تدخل الحكومة الإسبانية الكاثوليكية في حرية الدين وقامت ثورة عام (١٥٥٦)، وأسفرت عن انتصار القوات البروتستانية، وتأسيس جمهورية بروتستانتية مستقلة عام (١٦٠٩) تضم أراضي هولندا الحالية. وفي فرنسا كان لهذه الأفكار الألفية من آمن بها خاصة في المناطق الجنوبية، وممثلهم البارز «إسحق دب لابير» (١٥٩٤-١٦٧٦) الذي دعا إلى إحياء إسرائيل بتوطين الشعب اليهودي في الأراضي المقدسة. وقد بعث باسترحام للملوك الفرنسيين لكن رسالته لم تنشر إلا بعد قرنيين عندما دعا نابليون إلى اجتماع (السنهدرين) اليهودي في مايو (١٨٠٦) م، وغيرهما من الدول (السويد، وسويسرا مستضيفة أشهر مؤتمرات الصهيونية).

المطلب الثالث: الأصولية الإنجيلية الآسيوية

إندونيسيا:

لقد نشطت البروتستانتية في أكبر بلد إسلامي في إطار خطة ممنهجة لتنصيرها، وتُظهر إحدى الإحصائيات (١٩٧٥) مدى التغلغل المسيحي في المجتمع الإندونيسي المسلم، حيث يملك البروتستانت (٩٨١٩) كنيسة مزودة بإمكانيات ضخمة فهي تملك (٢٧) مطاراً تبشيرياً بالإضافة إلى أسطول من الطائرات العمودية والسفن كلها تحت تصرف المبشرين، هؤلاء المبشرون يسيطرون على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وشبكة لاسلكية متطورة[2]، ولدى الطائفة البروتستانتية (٣٨٩٧) قسيساً، وحوالي (٨٩٠٤) من المُبَشِّرين، هذا بالإضافة إلى المبشرين الكاثوليك.

---

(١) موسوعة المورد العربية، البعلبكي، ج١، ص٥٠٠.

(٢) محمد عبدالرحمن عوض، أخطار التبشير في ديار المسلمين، مجلة الدعوة: المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، دار الأنصار مصر، ص ٢٤-٢٥.، (المسيحية الصهيونية، ص ٦١.)

كوريا الجنوبية:

كان المجتمع الكوري الجنوبي بوذياً حتى مطلع الخمسينيات، وكان المسيحيون فيها يمثلون ما نسبته (١,٣) ٪ من إجمالي عدد السكان، لكن في فترة الثمانينيات قفز معدل المسيحيين بها إلى (٣٠٪) على الأقل، وغالبيتهم من البروتستانت، وذلك ما يفسر الرعاية الخاصة لكوريا الجنوبية على حساب شقيقتها كوريا الشمالية من جانب الولايات المتحدة، وقامت كوريا الجنوبية برد الدين لحليفتها الأصولية البروتستانتية (الولايات المتحدة) في حربها ضد العراق[1]. ولم تقف الإنجيلية عند هذا الحد بل امتدت إلى إفريقيا بفضل زعيم المتمردين البروتستانتي «جون جارانج» وبمساعدة حثيثة من مجلس الكنائس العالمي ودولة الاحتلال والولايات المتحدة، فقاموا بمقاومة مشروع الدولة الإسلامية في الجنوب، حيث لم يكتفوا بالمقاومة المسلحة، إنما تعدى الأمر إلى حصول البروتستانتي» جارانج «على مكاسب سياسية أدت في النهاية إلى إلحاق الهزيمة السياسية بحكومة السودان، وما تبعها من اختلاق أزمة دارفور، حتى حقق اليمين البروتستانتي في إفريقيا هدفاً رئيساً يسعى إليه في كل بلد عربي وإسلامي، ألا وهووباء (التقسيم)، فَقُسِّمَ السودان ومع ذلك لم تنتهِ صراعات المتمردين[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) جماعة يمينية أمريكية تعلن إقامة منظمة التحرير الفلسطينية...،مرجع سابق، وانظر أيضاً: المسيحية الصهيونية، ص ٦١.

(٢) صحيفة القدس، ع ١٢٦٢٢، بتاريخ ٨ تشرين أول (٢٠٠٤)، ص٢.

المبحث السابع

الأصولية الإنجيلية من المنظور الجيوسياسي

نناقش في هذا المبحث الهام العلاقة بين البعد السياسي للأصولية الإنجيلية وبين البعد الجغرافي، حيث نحاول الكشف عن طبيعة الارتباط بين الممارسات السياسية للأصولية الإنجيلية من جهة وكذلك من حليفتها الصهيونية العالمية، وبين طبيعة الاحتلال وجغرافية الأرض التي سيطر عليها بالقوة، حيث نتناول الفكرة اللاهوتية للأرض في العقل الصهيوني والذي جعل الأرض ملتصقة بالرب -جل وعلا- وبالشعب اليهودي في ثالوث حلولي مطلق مرتبطة أجزائه لا يستند لا عقل اومنطق، الذي تنبثق منه أرض الميعاد المزعومة.

المطلب الاول: جغرافية دولة الاحتلال:

ذكرنا أن الأرض في العقل اليهودي تحولت إلى فكرة لاهوتية، وفقدت أبعادها التاريخية، استناداً إلى نصوصاً توراتية- وأخرى تلمودية- عدة يشوبها الغموض المتعمد والالتباس الذي يشكك في طبيعة هذه النصوص، ويجعلها حجة لتبرير كل استيلاء على الأملاك، حيث نلحظها قد تدرجت من حيث المضمون في تحديد موقع ومكان وحدود هذه الأرض، فتارة هي «نابلس»، وتنتقل إلى أرض كنعان وتخومه في نص آخر، فيمت تعلقت بقدرة -خليل الله- إبراهيم عليه السلام البصرية في نص ثالث، بداية من النص: «من البحر الأحمر إلى فلسطين» ثم «من الصحراء إلى النهر»، تليها مكاناً أكثر شمولاً، وأكثرها غموضاً كذلك في النص : «لكل موضع تدوسه بطون اقدامكم»، ثم تتجاوز حدود الأرض المحتلة لتصل إلى: «لبنان إلى النهر الكبير، نهر الفرات»[١]. حتى توسعت النصوص بشكل كبير، فكان النص الخالد عند اليهود: «من نهر النيل حتى النهر الكبير»[٢].

ونتيجة الارتباط اليهودي بالأرض وقداستها، نشأ ما يسمى بـ «لاهوت الأرض المقدسة». إن التاريخ اليهودي -حسب التصورات التقليدية-، ليس أكثر من تعبير عن الارتباط بالأرض، وهوارتباط يربط بين التاريخ الحي والجغرافيا الثابتة، ما يؤدي

(١) يشوع(٣/٤).

(٢) تكوين(١٥/١٢).

إلى إلغاء وجود اليهود التاريخي خارج الأرض، وبالتالي خارج التاريخ[1]. من هنا كانت الأرض هي الوطن، والوطن شيء مقدس، لذا تصبح فكرة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين تطغى على كل الاعتبارات الأخرى، ويصبح من المهم دراسة الأصولية الإنجيلية من خلال البعدين الجغرافي والسياسي (الجيوسياسي) ومن خلال تحليل مفهوم الأرض المقدسة المرتبط بمفهوم الأمن القومي، تلك الأرض التي تعمل الإنجيلية على منحها للصهاينة والحفاظ على وجودهم فيها، فإن ذلك يفسر لنا أموراً عدة، ومنها بالطبع مدى جغرافية وقدسية أرض الميعاد[2]، والقدس على وجه التحديد، وكذلك يفسر لنا أسباباً عدة للحروب والضربات الاستباقية التي تقوم بها دولة الاحتلال في سبيل تحقيق مخططها ومخطط الأصولية الإنجيلية في احتلال أرض فلسطين -تحديداً- بالكامل، بعد هدم قبلة المسلمين الأولى، وبناء الهيكل، وعودة المسيح، فضلاً عن تفسير الحالة العدائية والمتوترة بين دولة الاحتلال وجيرانها من دول الطوق، ما يفسر تمسك دولة الاحتلال بالجولان، ونزع السلاح من سيناء، والضربات التي توجه إلى الجنوب اللبناني من حين لآخر. كما تساعدنا الدراسة الجيوسياسية في معرفة أهمية البعد الجغرافي على المسار السياسي لمطامع الصهيونية التي قامت على أساسها الأصولية الإنجيلية.

ومعلوم أن للقدس أهمية ومكانة تاريخية بالغة لدى اليهود، قديماً وحديثاً ومستقبلاً، فهم لا يقبلون أن تقسم بينهم وبين غيرهم، غربية لليهود وشرقية للعرب، بل هي مدينة واحدة موحدة، تقبل الزيادة ولا تقبل التجزئة طالما استولوا عليها. فهي كل لا يتجزأ، وفي التلمود: (القدس ستتوسع في آخر الزمان حتى تصل إلى دمشق، وسوف يأتي المَنفيُّون ليقيموا خيامهم فيها)[3]، أما عن المكانة المستقبلية فهي ستكون عاصمة لمسيح الخلاص الآتي من نسل داوود، ولهذا يطلقون عليها (**الشخيناه**) أي: الملكوت الذي سيتنعم منه العالم. جاء في «**الأجادة**»[4]: «سيأتي اليهود إلى القدس وسيأخذونها، وستمتلئ حدودها بالثروة». وفي تفسير التوراة صَورت (**القبالاة**)[5]

---

(1) الصهاينة الجدد: مهمة لم تنته، مرجع سابق، ص ٦٣.

(2) المرجع السابق، ص ٦٢-٦١.

(3) (روهلنج - أشيل لوران)، الكنز المرصود في أسرار التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، ط٢، (١٩٩٦).

(4) الأجادة هي: الجانب القصصي الشفوي في التلمود، في مقابل الجانب التشريعي المدون.

(5) القبالاة هي: مجموعة التفسيرات الباطنية (المقبولة) للتوراة، باعتبار أن كل كلمة منها وكل حرف ونقطة تحوى سراً داخلياً عندهم، لا يمكن فهمه إلا بالتأويلات الباطنية.

(أورشليم) وكأنها المكان الذي سيفيض بالخير من السماء، ومنها يوزع على بقية العالم، ومن اللافت للنظر -أيضاً- أنهم يعتقدون بمقتضى (القبالاة) أن القدس ستعلوأسوارها حتى لا تصل إليها (قوى الظلام)، وستكون مكاناً مناسباً لتهيئة اليهود وإعادتهم إلى التقوى.

ولم يكن على اليهود بعد أن سيطروا على القدس الشرقية -حيث المقدسات الإسلامية- إلا أن يتفرغوا لفرض واقع جديد، يتم تنفيذه على مراحل: سياسية وقانونية وجغرافية.

المطلب الثاني: المعطيات الطبيعية والبشرية لدولة الاحتلال

أولاً: المعطيات الطبيعية لدولة الاحتلال وأثرها على وزنها السياسي

قام الباحث بإلقاء الضوء على بعض المؤشرات الجغرافية مع ربطها بالقرارات السياسية، لنستوضح مدى أهمية استيلاء دولة الاحتلال على أرض فلسطين، ومدى جدوى التفكير في سلب أراض جديدة، لنبين إن كانت إسرائيل في حاجة لها أم لا؟.

الموقع الجغرافي:

سوف نتناول بإيجاز بعض السمات المهمة لموقع دولة الاحتلال، لنتعرف على مقدار إشراف الدولة على البحار من عدمه، ومدى قربه من الموارد ومدى اتساعه لتحقيق وتوفير العمق الاستراتيجي[1]. فقد أكسبها الموقع الحالي مزية الإشراف على البحر الأحمر بمسافة(١٠,٥) كم على خليج العقبة، وهذا ساعد الاحتلال على إنشاء ميناء مهم عليه، إلا إن من أهم مشاكل هذا الميناء أن ظهيره صحراوي تبلغ مساحته نحو(١١) ألف كم، أي أكثر من نصف مساحة دولة الاحتلال، بالإضافة إلى أنه فقير اقتصادياً وسكانياً. أما الموقع البحري الآخر الذي يشرف علية الاحتلال هوالبحر المتوسط بمسافة (١٨٢) كم، وهوكذلك عديم الصلاحية لإنشاء موانئ مهمة عليه بسبب ضحولة المياه الشاطئية وكثرة الرواسب الرملية في طريق التيار الساحلي الجنوبي، وهذا جعل من الصعب الدفاع عنه أمام المهاجمين إذا ما أرادوا إنزالاً بحرياً[2]. كما أن هذا الموقع الجغرافي جعل دولة الكيان الصهيوني تشترك مع أربع دول عربية الحدود، وهي

---

(١) صبري فارس الهيتي «الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكة» دار الصفا للنشر والتوزيع، ط١، عام (٢٠٠٠)، ص ٢٤.

(٢) محمود توفيق محمود «الأوضاع الجيوبولتيكية للدول الفلسطينية» الدولة الفلسطينية حدودها ومعطياتها وسكانها معهد البحوث والدراسات الغربية القاهرة ١٩٩١، ص ١١٣.

تناصبها العداء السياسي والعسكري والثقافي والوجودي[1]، بالإضافة إلى كونها حدوداً مفروضة على الدول العربية في حقبة الاستعمار، فالحدود مع لبنان يبلغ طولها (٧٩) كم هي حدود فرضت على أساس تقسيم المياه وليس على أساس الأمن كونها حدوداً جبلية تنحدر بصورة فجائية نحو الجنوب، وتدريجية نحو الشمال ما جعل من السهل مراقبة تلك الحدود من جانب لبنان، وقيام إسرائيل بتوجيه ضربات عسكرية بين الحين والآخر لإضعاف الخصم[2]. وحدودها مع سوريا (٧٠) كم، وهي أيضاً بها عيب (جيوستراتيجي) يكمن في الارتفاع ما يقارب من (١٠٠٠) متر في الجانب السوري وحوالي (٢٠٠) متر في الجانب الإسرائيلي، وهي حدود قصد منها المياه أيضاً، من هنا نجد أهمية قيام الاحتلال بحروب استباقية عدوانية بداع الدفاع عن نفسها. أما عن حدودها مع الأردن (٢٦٣) كم، فهي تمر عبر ممرات ضيقة يصعب القتال فيها أمام المقاومين، ناهيك عن أن هذه الحدود تقترب كثيراً من المنطقة الإسرائيلية المكتظة بالسكان بمسافة (١٤,٥) كم[3]، وبينما تبعد عن مصر نحو (٢٢٨) كم، وهي أيضاً حدود تخترق الصحراء ومنطقة معقدة تضاريسياً فمن الصعب حراستها. وعليه يبلغ طول الحدود البرية للكيان الصهيوني (٦٤٠) كم،[4] ومن هنا نجد أن جميع حدودها ذات عيوب جيوستراتيجية، بالإضافة إلى أنها حدود متأزمة دائما بسبب توجه الكيان الصهيوني العدائي التوسعي الذي لا يتوقف على حساب الدول العربية المجاورة،[5]

مواطن الضعف عند دولة الاحتلال:

سبق أن أشرنا إلى اختلاف الدولة العبرية عن بقية دول العالم في ظروف نشأتها وشكلها الجغرافي والسياسي، فهي دولة احتلال، بلا حدود، عدائية، تعاني من شح المياه، وفيما يلي عرض موجز لأبرز مواطن الضعف:

١- صغر المساحة[6]:

يعتبر حجم الدولة أومساحتها من المعايير المهمة لقوتها وأهميتها، وهي غالباً ما

---

(١) فوزي الجدبة، حرب عام ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل:دراسة في الجمرافية السياسية، الجامعة الإسلامية، غزة، عام (٢٠٠٨)، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ص٩٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٤) «الأوضاع الجيوبولتيكية للدول الفلسطينية» الدولة الفلسطينية حدودها ومعطياتها وسكانها، مرجع سابق، ص ٥٨٢ .

(٥) مصطفى الدباغ «بلادنا فلسطين» ج١، ق١ ،ط٢، بيروت، عام (١٩٧٣)، ص ٤٥ .

(٦) حرب عام ١٩٤٨، مربع سابق، ص ١٥.

تكون طردية العلاقة[١]. لذا نجد في حالة الكيان الصهيوني أن صغر المساحة جعلته يتبنى استراتيجية عدائية، عوضاً عن العمق الجغرافي المفقود، لكي يحمى مساحته الصغيرة البالغة (٢٠,٧٧٠) كم، منها (٤٤٥) كم٢ تشغلها مسطحات مائية[٢]. أما عن السكان فتزداد الكثافة السكانية في السهل الساحلي بنحو (٧٠) ٪ من مجموع السكان الذين يتمركزون في (١١) ٪ من المساحة الكلية[٣]. إذن تعاني دولة الاحتلال من مشكلة حقيقية تؤثر على إمكانية الدفاع في العمق، وتبدوهذه المشكلة واضحة في السهل الساحلي الذي يبلغ عرضه عند مدينة طولكرم (قلقيلية / نتانيا) (١٤,٥) كم، هذا بالإضافة إلى انبساط سطحها واستوائه، وأيضاً يفتقر للعمق الجغرافي. من هنا تبنت الدولة اليهودية فكرة العمق الاستراتيجي كبديل عن العمق الجغرافي وهذا ما دعا إليه «موشى ديان» لأن يكتب لمجلة الشؤون الخارجية : إن دولة لا تتجاوز مساحتها (٨١٠٠) ميل وخاصرتها أقل من (١٠) ميل ستواجه مشكلة أمن معقدة»[٤]. إذن من الناحية الجغرافية تعاني دولة الاحتلال بحدودها المغتصبة وغير المرسمة دولياً من عيوب جيواستراتيجية تتمثل في: صغر في المساحة، والشكل الطولي، فهي أشبه بدولة خيوط العنكبوت التي لا تمتلك أي عمق جغرافي أواستراتيجي فباتت المدن الإسرائيلية والمرافق الحيوية كافة في مرمى صواريخ المقاومة، التي فاجأتها في دقتها وقدرتها على الوصول إلى ما بعد حيفا في حروب (٢٠٠٦-٢٠٠٨-٢٠١٢-٢٠١٤).

٢- الشكل :

إن مما لاشك فيه أن شكل الدولة يظهر كثيراً من قيمتها السياسية والعسكرية، إلا أن هذا الوضع في دولة الكيان مختلف تماماً، فالعاصمة المحتلة توجد في نتوء في جسم الضفة الغربية، وهذه ظاهرة فريدة داخل منطقة الانبعاج (الضفة الغربية)، لكن هذا الوضع الشاذ فرضه الرمز الروحي والديني لمدينة القدس عند اليهود[٥]. أما عن أبعاد هذا الشكل السياسي، فقد سبق أن ذكرنا عدم تناسب المساحة مع طول الحدود، ما يعني وجود عيب جيوستراتيجي ليس في صالح دولة الكيان، الأمر الذي يكلفها أعباء دفاعية جسيمة[٦]،

(١) الجغرافيا السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكة مرجع سابق، ص٤٧ .
(٢) «الأوضاع الجيوبولتيكية للدول الفلسطينية» الدولة الفلسطينية حدودها ومعطياتها وسكانه مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٣) Statistical Abstract of Israel. (2007) .NO 58
(٤) محمود رياض، عادل، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،عام (١٩٨٩) م، ص١٣٩.
(٥) حرب عام ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل، :دراسة في الجغرافية السياسية،، مرجع سابق، ص١٢.
(٦) «الأوضاع الجيوبولتيكية للدول الفلسطينية» الدولة الفلسطينية حدودها ومعطياتها وسكانها، مرجع سابق، ص ١٣٢ .

وذلك نتيجة الحاجة إلى تأمين هذه الحدود[١].

٣-موارد المياه:

تعتبر المياه من القضايا الشائكة التي تواجه الاحتلال لدرجة أن تصبح أكثر خطراً من النفط بالنسبة لها حيث يستهلك الفرد اليهودي (٩٠) متر مكعب سنوياً من المياه، وهذا يفوق بمجمله سكان دول غرب أوروبا[٢]. لذا ستظل إسرائيل قلقة بشأن المياه، مع العلم أن إسرائيل منذ عام (٢٠٠٠) تعاني من نقص يقدر بـ(٢٠)٪ وهذا يجبرها على إيجاد البدائل.[٣]

ثانياً: المعطيات البشرية للكيان الصهيوني وأثرها على وزنها السياسي

تتمتع المعطيات البشرية بأهمية كبيرة من حيث التأثير في تقدير الوزن السياسي للدول، وتشارك كلاً من المعطيات الطبيعية والاقتصادية في إعطاء التقدير المناسب لهذه القوة[٤]، لذا سوف نتعرض بإيجاز إلى خصائص النموالسكاني، خصوصاً حركة السكان فيما يلي:

خصائص النموالسكاني لدولة الاحتلال الإسرائيلي[٥]:

وتشمل هذه الخصائص حركة النموالسكاني والعوامل المؤثرة فيها، لأن القوة العددية للسكان لا تكفي وحدها لتقييم قدرة السكان كعامل مؤثر في القوة الجيوبولتيكية[٦]، وتشير الدراسات إلى وجود عيب استراتيجي خطير ودائم يتمثل في الفجوة السكانية الموجودة بين دولة الاحتلال والدول العربية المحيطة. وتشير التقديرات إلى أن الحجم النسبي لسكان الاحتلال ولسكان الدول العربية الواقعة في منطقة البؤرة

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٢ .

(٢) عماد هرملاني «سياسة إسرائيل المائية وأثرها على مستقبل التسوية» مجلة شئون فلسطينية، عدد ٢٠١، ١٩٨٩، ص٦١.

(٣) حسن بكر «المنظور المائي للصراع العربي الإسرائيلي» مجلة السياسة الدولية، عدد ١٠٤، ١٩٩١، ص١٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص١١.

(٥) حرب عام ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل: دراسة في الجغرافية السياسية،، مرجع سابق، ص١٧-١٩.

(٦) معناه البسيط يعني الجيوبوليتيك: «علم سياسة الأرض»، أي دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة. ويتداخل هذا المفهوم مع مضمون علم الجغرافيا السياسية الذي يعنى بدراسة تأثير الجغرافيا (الخصائص الطبيعية والبشرية) في السياسة.

ولدى البعض فإن الجغرافيا السياسية تدرس الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبوليتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتموحتى ولوكان وراء الحدود. وبينما تشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع فإن الجيوبوليتيك تكرس أهدافها للمستقبل.

- وهو ما نعبر عنه (بالانحدار الجيوبولتيكي) - كان قد بلغ وقت إعلان الدولة نحو (١: ٥٠) نسمة[١]. أما الآن فتبلغ النسبة (١ : ٢٠) وهي نسبة تدل على مدى التفاوت أو شدة الانحدار الجيوبولتيكي بين دولة الاحتلال وجاراتها. من هنا برز عامل الهجرة لسد هذه الفجوة قدر الإمكان، خاصة أن الزيادة الطبيعية لا يمكن الاعتماد عليها لتحقيق مبدأ التوازن السكاني، فالزيادة الطبيعية في الدول المجاورة ضعف الزيادة في دولة الاحتلال.

الديموغرافيا داخل دولة الاحتلال الصهيوني:

فالواقع الديمغرافي المتعلق بالهوية والسكان كان يميل بشدة إلى جانب العرب المسلمين في فلسطين عندما احتُلت القدس الشرقية ولكن الكفة ظلت تميل تدريجياً إلى جانب اليهود وفق تَصُّور مُبَيَّت وتدبير مقصود. لقد كان سكان القدس من الفلسطينيين عام (١٩٦٧)م يمثلون نسبةً (١٠٠) ٪، لكن هذه النسبة ظلت تنخفض بشكل خطير، ضمن مخطط يهدف إلى إيصالها إلى أدنى حد لها، وذلك عن طريق مشروع (القدس الكبرى عام ٢٠٠٠م)[٢].

ولتنفيذ هذا المخطط الذي يهدد ثلاثة أرباع الضفة الغربية، شرَّد اليهود حوالي (٦٠) ألف فلسطيني، وصادروا أملاكهم. علماً بأن المُشردين الفلسطينيين قد قاموا ببيع ما نسبته (٧٪) فقط من الاراضي الفلسطينية في عام الاحتلال الأول، أملاً منهم في ربح، ولوزهيد قبل أن يضيع كل شيء، في ظل عدم وجود بارقة أمل في العودة للأرض،[٣] ومع ذلك ظل اليهود أقلية هناك حتى عام (١٩٤٨)، حيث كان تعداد السكان بعد وعد بلفور عام (١٩١٨)، حوالي (٥١٢٠٠٠) مسلم، وما يقارب (٦١٠٠٠) مسيحي، و(٦٦٠٠٠) يهودي فقط.[٤]

من ناحيته حذر «يسرائيل وولمان»-وهومن قادة اليهود في أمريكا- من خطورة تواصل انخفاض عدد اليهود في العالم، على اعتبار أن ذلك خطر وجودي على إسرائيل، وقال: «إن دولة إسرائيل سيصعب عليها البقاء في عالم قليل اليهود، نوعياً

---

(١) «الأوضاع الجيوبولتيكية للدول الفلسطينية» الدولة الفلسطينية حدودها ومعطياتها وسكانه مرجع سابق ص ٢١٠ .

(٢) مشروع كان يهدف إلى تقليص وتقيص الأرض وسكانها عربياً، وإنمائها وزيادتها إسرائيلياً، حيث تقرر أن تُوسع القدس لتمتد غرباً باتجاه تل أبيب، وجنوباً باتجاه الخليل، وشمالاً إلى ما وراء رام الله وحتى حدود أريحا شرقاً.

(٣) Armstrong. Karen. Holy War::The Crusades And Their Impact On Today's World. Anchor Books. New York (2001). P.91.

(٤) O›Brien. the Siege: The saga Of Islam And Zionism .London.(1980).P.96

كمياً، ولن يبقى يهود الشتات من جهتهم بغير المرساة التي تكونها إسرائيل لهويتهم وأمنهم الشخصي واعتقادهم»[1]. وعلى الرغم من تحقق الحلم الصهيوني (١٩٤٨) بإعلان الدولة على الأراضي التي احتلت من فلسطين البالغة (٧٧,٨) ٪، إلا أن هذه الدولة تعاني من مشكلات عدة لم يستطع زعماؤها إيجاد الحلول المناسبة لها. ومنها ضعف الكثافة السكانية، كما أنها لم تستكمل أهم شروط قيام الدول، ألا وهو الحدود السياسية، فإسرائيل دولة بلا حدود معترف بها دستورياً وعالمياً، وهى دولة فريدة بموقعها المجاور، فهي جيب محاصر من شعوب عربية يناصبونها العداء السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والديني. كذلك هي دولة غير مرغوب فيها إقليمياً بسبب نشأتها السياسية والعسكرية، كما أنها دولة استيطانية قامت على أنقاض دولة أخرى.

لقد حدث تغير ديموغرافي ملحوظ في المنطقة العربية والفلسطينية، وذلك تبعاً لهجرة أعداد كبيرة من الفلسطينيين عن أرضهم، ومنذ ذلك الوقت لم تضع دولة الكيان الصهيوني أي ملامح سياسية أوجغرافية لحدودها الخاصة بها، لكنها تسعى باستمرار إلى التوسع على حساب الأراضي العربية المحيطة بها، لدرجة أن إسرائيل احتلت مساحة تقدر بأكثر من ثلاثة أمثال ما احتلته في عام (١٩٤٨)، فقد زادت مساحتها -بما فيها الضفة والجولان المحتلان- من (٢٠,٧٧٠) كم٢ إلى (٨٩,٣٥٩) كم٢.

التشتت اليهودي:

تعاني دولة الاحتلال من غياب الوحدة القومية الناتج عن عدم ترابط السلالات، فهم ليسوا من سلالة واحدة، منذ أعلن «بن جريون» عند الاستقلال: «أنها دولة يهود العالم كافة على مختلف أجناسهم وألوانهم فحيثما يوجد اليهود يمتد المجال البشري لدولة الاحتلال». كما قال «بن جوريون»: «فلسطين هي الوطن القومي لليهود، وسوف يقوم اليهود ببناء مجتمع مدني متحضر حديث يسوده الحرية والمساواة السياسية، بحيث يقوم هذا المجتمع بتطوير النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية»[2]. كما أنهم ليسوا من قومية متماسكة، ذلك أنهم تبددوا وتشتتوا في بقاع الأرض، ولعل بعضهم قد ذاب وانصهر في الكيانات البشرية التي عاشوا فيها أواحتوتهم على امتداد أكثر

---

(١) Ibid. p. 22; Haydar Oglu. A.G.E.. S.134; Trask. op. cit.. p.19.

(٢) Ibid. P85.

من (٢٠٠٠) سنة[١]. وأخيراً فإن دولة الاحتلال الصهيوني بهذا الخليط الذي نطلق عليه الاختلاف (الاثنوجرافي) في الدولة الذي يؤدي إلى تفككها وعدم الانصهار في جسم الدولة، الأمر الذي يضعف من قوة الدولة السياسية[٢].

جيوبوليتيكيا الكيان الصهيوني[٣]:

الاحتلال الصهيوني دولة قزمية لا تتجاوز مساحتها (٢١) ألف كم٢، وشكلها الطولي أفقدها أيّ عمق جغرافي أواستراتيجي، بل جعل كل النقاط الحيوية تحت مرمى المقاومة، أما جنوب الاحتلال الصهيوني فأصبح تحت مرمى صواريخ المقاومة الفلسطينية التي باتت تصل إلى عسقلان المحتلة، ووصلت تلك الصواريخ مؤخراً إلي تل أبيب بعد تطويرها، لتصل للمدى الأبعد وتصيب أهدافها بشكل أدق، وهذا ما حدث في معركة «العصف المأكول» (٢٠١٤). من هنا يقوم جيش الاحتلال بشن حروب وقائية ضد الدول العربية لتجاوز هذه المشكلة[٤]. وهذا يعطينا انطباعاً بأن دولة الاحتلال الصهيوني لا يمكن أن تكون دولة عظمى بسبب صغر مساحتها وشكلها الطولي الرفيع[٥].

بعد العرض الجغرافي والسياسي السابق، يتضح لنا أسباب لجوء الصهيونية العالمية إلى التحالفات والمؤامرات المشبوهة، وذلك للوصول إلى الأهداف التي أنشئت من أجلها في ظل صغر مساحتها ونقص مياهها وغياب حدودها وعدم اكتمال قوميتها وعداء جيرانها[٦]:

١. إن التكافؤ في النزاع العربي الصهيوني يكاد يكون شبه منعدم نظرياً، لانعدام التكافؤ بين إسرائيل والعرب، الذين إن فازوا بانتصار عسكري، فأنهم يستطيعون تحقيق تصفية هذا الاحتلال -إذا لم تتدخل قوى عظمى-، من هنا كان هدف الحرب إزالة أي تهديد لوجودها، حيث إن نسب القوى العددية العربية في الجيش أوجبت على الاحتلال الصهيوني اتباع نهج الحرب الاستباقية أوالوقائية، وتبعتها الأصولية الأم في ذلك.

---

(١) الشامي، صلاح الدين، دراسات في الجغرافيا السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، عام (١٩٩٤)، ص٣٧٧.

(٢) هارون، على أحمد، أسس الجغرافيا السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة،عام (١٩٩٨)، ص ١٦٦.

(٣) حرب عام ١٩٤٨، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة د، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٥) الفريرى، عبد العباس فضيخ،البيئة والجغرافيا السياسية، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان ط١، (٢٠٠٣) ص٥٢.

(٦) ديفيد رودمان، النظرية الأمنية الإسرائيلية، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني،ع ٤٢، (٢٠٠١)، ص١٨٨.

٢. فشل نظرية الأمن القومي والحدود الآمنة الصهيونية، وهي حدود استراتيجية تطالب بها الدول وتستهدف من ورائها التوسع على حساب الدول المجاورة بحجة الدفاع عن أمنها وأمن أراضيها وإقليمها السياسي[١].

٣. يتجاوز الاحتلال الصهيوني خطوط الهدنة، باحتلاله أجزاء جديدة من الوطن العربي لأغراض استراتيجية تمكنه من الدفاع والهجوم، كما تعطي لقواتها المرونة في الحركة في جميع الاتجاهات وهي نظرية مشتقة من الجيوبولتيكا الألمانية[٢].

ويطمع اليهود في الحصول على المزيد من الحدود الآمنة فيما وراء الحدود السياسية الحالية، وتتمثل في الشعار التوراتي المعروف (أرض اليهود من الفرات إلى النيل) والعلم اليهودي، والذين يمثّلان خطين زرقاوين (النيل والفرات) كما أن شعار حزب (الليكود) يمثل جندياً يضع أقدامه على الضفة الغربية والشرقية لنهر الأردن وتحتها شعار مكتوب عليه هذه أرضنا[٣]. ومن الناحية السياسية فإن حدودها الشرقية والجنوبية والشمالية والغربية محاطة بالدول العربية وهذا يعني أنه ليس من السهل الاتصال الإقليمي إلا عن طريق البحر، فضلاً عن أن هذه الحدود أُنْتُزِعَتْ بالعنف والصراع المسلح[٤]. فمن الصعب العودة عن وضع قائم منذ عام (١٩٤٨) وحتى الآن[٥].

المطلب الثالث: الحدود الجغرافية لأرض الميعاد في المصادر القدسية اليهودية

أشرنا في السابق إلى الأهمية الخاصة للحدود، ومدى تأثيرها على قوة الدولة وسيادتها، فسلطان الدولة يقف عند حدودها، ولا يتجاوزها أويمتد إلى ما وراءها، وهذه قناعة دولية، لا يشذ عنها إلا الفكر الصهيوني الذي يعرقل أي محاولة لتحديد حدود دائمة وثابتة للدولة اليهودية المحتلة، مدعياً أن إقامة الدولة ما هوإلا إعادة بعث

---

(١) نعيم الظاهر،الجغرافيا السياسية المعاصرة في ظل نظام دولي جديد، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،عمان، (٢٠٠٧)، ص ٥٢.

(٢) جيوبولتيكا تعبير مركب من مقطعين Geo وتعني الأرض، Politic ومعناها سياسية، وتعني «علم سياسة الأرض». وهوثمرة لعلمي الجغرافيا والسياسة ويعتمد عليهما اعتماداً كبيراً وبخاصة الجغرافيا السياسية. ولقد عَرّفها كارل هوسهوفر، أنها دراسة علاقات الأرض ذات المغزى السياسي، إذ ترسم المظاهر الطبيعية لسطح الأرض الإطار للجيوبوتيكا الذي تتحرك فيه الأحداث السياسية، كارل هوسهوفر (١٨٦٩-١٩٤٦) مؤسس الجيوبولتيكا الألمانية، وأسهم في تأسيس معهد ميونخ للجيوبولتيكا، ومجلة السياسة عام ١٩٢٤.

(٣) الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، مرجع سابق، ص٤٨.

(٤) وهذا يفسر عدم اقتناع الاصوليون الانجيليون بجدوى ما يسمى ب «عملية السلام»، لاستحالة تفريطهم في وضع قائم.

(٥) السامرائي، شفيق أساسيات الأمن القومي العربي بين الواقع والطموح مجلة العلوم الإنسانية (٢) بغداد (١٩٨٨) ص ١٦-٢٠.

للشعب اليهودي في أرضه بعد مرور (٢٠٠٠) عام من التشتيت، وأن هذه العودة تستند في طياتها إلى ادعاءات دينية مبنية على مجموعة من النصوص التوراتية والتلمودية التي تشير صراحة أوضمنا إلى الحدود الدينية الموعودة أوالمعالم الأساسية فيها، وأيضاً على أسس تاريخية مبينة على دراسة التاريخ اليهودي العام.

الحدود الدينية الموعودة

يُعد العامل الديني من أهم الركائز التي استند إليها اليهود في مطالبهم للاستيلاء على أرض الميعاد المزعومة «فلسطين». وقد ارتبطت هذه المطالب بـ (الوعود الإلهية) لهم في امتلاك الأرض المقدسة بوصفهم الشعب المختار الذي يستحقها. وعليه فإن الحدود الدينية الموعودة هي التي جاء ذكرها في الكتب الدينية المقدسة، فضلاً عن تغييرات وإضافات رجال الدين اليهودي عليها. وهناك اختلافات كبيرة وتباين واضح في حدود وحجم الأرض طبقاً لهذه النصوص التي تتباين في عرض الفكرة، وتختلف فيما بينها حول مكان وحدود هذه الأرض، تختلف (تخوم) هذه الأرض، تتبدل من سفر لآخر دون أسباب منطقية، فهي تبدأ بجزء صغير في (نابلس)، كما ورد في سفر (التكوين): [٧]«**وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ**»، ثم ينقلها سفر آخر إلى أرض «كنعان» بتخومه، دون تحديد لمساحتها أوحدودها، وذلك في سفر (العدد) بأنها: «**وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا. أَرْضُ كَنْعَانَ بِتُخُومِهَا**»، وظل الغموض قائماً حول ماهية الأرض المقدسة ومقوماتها، وكذلك انتقلت هذه المرة بمساحة أبدية غير محددة، وتتعلق بالقدرة البصرية لخليل الله (إبراهيم) فجاء في سفر (التكوين): [١٥] «... **جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ**». حتى ذهبت التوراة في وعدها الأبدي إلى مرحلة التوسع بحدود تلك الأرض، لتأتي بها بصيغة الجمع كما في (سفر الخروج): [١٣] «...**وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ**». ثم بلغ الوعد ذروته في (سفر يشوع) بجعل الأرض الموعودة مرتبطة بمدى قدرة بني إسرائيل في السيطرة على الأرض، إذ إنهم مرتبطون عقائديا بكل أرض سكنوا فيها، ويحاولون احتلالها، أوما يسمونه (العودة) [١].

---

(١) أرض الميعاد، مرجع سابق، بتصرف.

الخلاصة:

إن النصوص التوراتية المتعلقة بحدود (أرض الميعاد) يعتريها عدم الوضوح، وعدم الدقة في أسماء المواقع، ما يشكك في كونها نصوصاً دينية أصلاً، وهذا ما منح اليهود فرصة لاستغلال الموقف بالمراوغة والطمع في حقوق الآخرين بشكل مستمر، حيث جعلوها تشمل مناطق أكثر اتساعاً من أرض فلسطين، فضموا إليها شرقي الأردن وشبه جزيرة سيناء، بل جعلوها متغيرة بحسب الظروف وبحسب الحاجة، ولم يكن التلمود هوالآخر أكثر وضوحاً في ذلك، لدرجة أن يذكر أحد الحاخامات: «فلسطين تدعى أرض الظبي، فكما أن جلد الظبي يعجز عن استيعاب لحمه وجسمه، كذلك هي أرض يسرائيل: عندما تكون مأهولة تجد لنفسها متسعاً، لكنها تتقلص متى كانت غير مأهولة، فحدود هذه الأرض متغيرة، وتزداد بازدياد المستوطنين اليهود فيها، ولا يختلف هذا القول كثيراً عن موقف «هرتزل» من الحدود حين بين أن ما سيقرر حدود الدولة هومدى حاجة الصهاينة: «كلما ازداد عدد المهاجرين ازدادت حاجتنا إلى الأرض»[1]، ويذكر آخر محاولاً إزالة ذلك التعارض بالقول: «إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط تُعَدُّ منحة منخفضة من الله لبني إسرائيل، لكن هذا لا يعني أن هذه الاراضي فقط هي حق إسرائيل فحقهم في الأرض هوأوسع من ذلك بكثير، فالله قد وعد اليهود وعداً مشروطاً، ووعود الله المشروطة لا تُلغى أبداً، بل يُحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل»[2].



(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع يابق، ص ٥٣٩١.

(٢) أرض الميعاد، مرجع سابق، بتصرف

المبحث الثامن

آليات عمل لمواجهة الأصولية الإنجيلية

توجد آليات عمل عديدة يمكن الاستفادة منها في تشجيع الأصوليات المعتدلة والمستنيرة، من خلال تكثيف التعاون معها، ومن خلال التنسيق الجاد والفاعل على الأرض، في مواجهة الأصوليات المتطرفة ومنها بالطبع الأصولية الإنجيلية، وذلك بتنويع المقاومة المادية وأساليب الضغط-قدر الاستطاعة-، والمقاومة المعنوية بمواجهتها فكرياً وثقافياً.

- المقاومة التوعوية، فهناك ضرورة للتوعية بالأخطار المحيطة بالأمة، والقضايا المحورية فيها مثل: قضية الصراع العربي الإسرائيلي، ومشكلة القضية الفلسطينية، وتعزيز الحوار الإسلامي المسيحي في سبيل الوصول إلى التعايش المشترك، ما يؤدي إلى توحيد الجهود والتحركات النضالية المشتركة بين التيارات الفكرية المختلفة، وذلك مع التحلي بالحكمة في هذه المواجهة، دون التهاون في الدفاع عن الأمة ونصرتها.

- المواجهة الإعلامية، بمواجهة الإعلام الصهيوني الذي يطغى على الإعلام الغربي، خصوصاً في قضايا الصراع، وذلك عبر قنوات نستطيع من خلالها مخاطبة الرأي العام الغربي ولوجزئياً لتصحيح ما أمكن من ملامح الصورة المشوهة عن أبناء الشرق الأوسط والمسلمين والإسلام.

- المقاومة التربوية، وذلك بإقرار موضوعات ومناهج تعليمية إلزامية، على طلاب المرحلة المتوسطة والعليا حيث تُخصص هذه المناهج لدراسة: المشكلة الفلسطينية وتاريخ اليهود والصهيونية العالمية.

- المقاومة العلمية، من خلال تكثيف الدراسات والبحوث العلمية، من خلال الجامعات ومراكز البحوث المتخصصة، حتى يتم تعرية أهدافهم السياسية في احتلال الأرض والشعب، وذبحه، تلك الأهداف التي تدلل على ابتعادهم عن صحيح وأهداف الأديان التوحيدية الداعية للسلام والعدل وحسن التعايش بين جميع البشر.

- العمل على وحدة صف جميع الجماعات والقوى والأحزاب ذات المرجعية الدينية بشكل عملي، لتعمل سوياً على الرد على العقائد المزيفة والأساليب المنحرفة

التي تتبناها الأصولية الإنجيلية والأصولية الصهيونية والأصولية الأم بطبيعة الحال.

- يجب العمل بجد على تهيئة وإعداد واستنهاض الأمة في جميع الميادين العلمية والدعوية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية، والعمل على تنمية القوى الفكرية والعقدية، وكذلك القوة المادية، لتصبح في مواجهة الأصوليات المنحرفة كافة.

- يمكن توحيد جهود الأصوليات الجادة والمعتدلة للاستفادة من الأرضيات المشتركة بينهما في بناء أسس لحوار جاد وبناء، بحيث يمكن من خلاله الوصول إلى نتائج مثمرة، تأتي بالخير للأمم المختلفة، وتنتج الحب والسلام لجميع البشر.

***

الفصـــل الخـــامس

تقييم ومقارنة الأصوليات الدينية

في سبيل استشراف مستقبلها

جـاء هذا الجـزء ليُمَثِّل أحد النتائـج الكاشفة المهمـة في هذه الدراسـة العلمية، حيث كشف عـن مقارنة علميـة منهجية بين الأصوليـات الدينية، من خـلال علاقتها السلبيـة والإيجابيـة ببعضها البعض، وكذلك في ضوء مراعاتهـا لمبادئ حقوق الإنسان التـي دعـت إليهـا الشرائـع الربانية والمواثيـق الدولية، ليثبـت من خلالـه الباحث أن الأصولية الإسلامية هـي الأكثر عدلاً، والأبرز مساواة، والأقل عنفاً، من خلال التحليل العميـق لسلوك هذه الحركات، ومن خلال شهادة الباحثين غير المسلمين (آرمسترونج، وحوستـاف لوبـون)، كما أنها تحـترم حقوق الإنسـان، سواء في دار الإسـلام أو في دار الحـرب، منذ عهد» صـلاح الدين» وحتى الآن، كما بينت الدراسـة كيف أن الأصوليات الدينية واللا دينية ترتبط بعلاقات وطيدة في سبيل القضاء على العدو المشترك والأوحد لهـا جميعاً (الإسـلام)، ذلك انما يأتـي لأسباب تاريخيـة عدة، أهما نجـاح الإسلام بشموليتـه وعالميته في الانتشـار، واستيعابه لملايين الخلق، ممن جعـل الله للهداية إلى قلوبهـم باباً، وجعله درباً ميسراً، فيما فشل الآخرون، فضلاً عن العداء التاريخي، منذ فتح الإسلام الكون، وأشرق نور العلم والهداية من جنباته.

المبحث الأول

خريطة امتداد الأديان في العالم

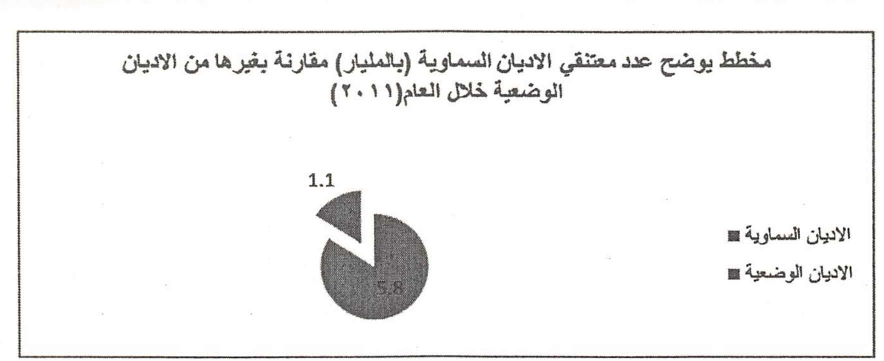
بعد أن تعرضنا لمفاهيم ظاهرة الأصولية الدينية وعناصرها في لأديان التوحيدية الثلاثة وبعض الأصوليات الدينية الأخرى، من أصوليات طائفية ومذهبية، وكيف أنها تتفق في بعض الأهداف والمظاهر والوسائل والمسببات مثل المرجعية الدينية، والنظرة للحياة الأخروية، والمكان المقدس، إلا أنها تختلف في أساليب عملها ومواطن انتشارها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجهات الداعمة لها، حيث تقوم جهات ومنظمات رسمية عدة بل دول أيضاً بتبني أفكار ومعتقدات العديد من الأصوليات وعلى رأسها الأصولية الإنجيلية، بينما يبقى التيار الأصولي الإسلامي أوما يعرف بالصحوة الدينية وحيداً تتلاطمه الأمواج دون سند أومعين، وهذا ما سبق أن أوضحناه عند مناقشة التبشير الذي يتم تدعيمه من ميزانيات الدول الأوروبية والأمريكية، بينما يقوم متطوعون أفراد من الغيورين على الدين بالزود عن الإسلام وتفنيد ادعاءات المشككين في أهل الدين بإمكانيات محدودة . وسوف ننتقل الآن إلى خرائط امتداد الأديان والمذاهب لنتعرف على مواطن انتشارها من حيث العدد والتوزيع الجغرافي، حيث تدلنا هذه الخرائط على مناطق انتشار الأصوليات الدينية المستهدفة من جانبها.

- لقد كشفت دراسة حديثة (٢٠١٢) لمركز «بيو» الأمريكي لأبحاث الأديان والحياة العامة[١]، أن (٨٤)٪ من سكان العالم يعتنقون الأديان السماوية، وهوما يشكل (٥,٨) مليار شخص من أصل (٦,٩) مليار نسمة تسكن مختلف دول العالم[٢]. ويظهر المخطط البياني التالي التوزيع العددي للسكان بمليار النسمة لأعداد أهل الديانات التوحيدية، مقارنة بأهل الديانات الوضعية:

---

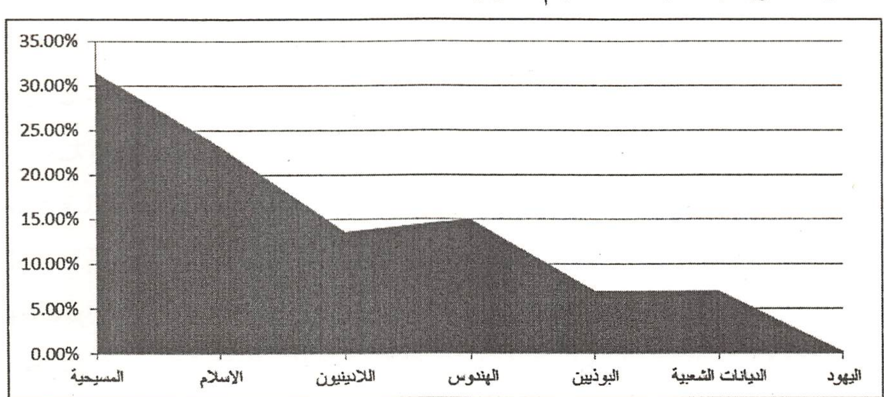
(١) وتقدم الدراسة التوزيع الجغرافي والعددي لجميع الأديان السماوية وغير السماوية، وشمل ذلك ٢٣٠ بلداً وإقليماً

(٢) المختوم، ياسر، وقفات مع دراسة بيوحول خريطة الأديان في العالم، مقالة منشورة في موقع مركز نماء للبحوث والدراسات، بتاريخ ٢٥/٣/٢٠١٣



مخطط رقم (١)

حيث تم تقسيم العالم إلى ثماني مجموعات دينية، واحتلت المسيحية المجموعة الدينية الأولى بما يمثل (٣١,٥) ٪ من سكان العالم المنتسبين إليها، يليها الإسلام في المرتبة الثانية، ويعتنقها نسبة (٢٣,٢)٪ من سكان العالم، ويمثلون ما يقارب من (٢,٢) مليار نسمة، أما اليهود فهم أقل المجموعات الدينية بنسبة ضئيلة لا تتعدى ٠,٢ ٪[١]، ولا يتجاوز عددهم (١٤) مليون شخص[٢]. أما الشكل التالي فيوضح توزيع سكان المعمورة بحسب انتماءاتهم الدينية:



مخطط رقم (٢)

أما عن التوزيع الجغرافي، فقد أشارت الدراسة ذاتها إلى تمركز الهندوس والبوذيين في آسيا والمحيط الهادئ، بحيث يشكلون نسبة (١٥ و٧) ٪ على التوالي،

(١) العجيب أنَّ نسبة اليهود لا تكاد تذكر ومع قلتهم فهم يتحكمون في العالم شرقاً وغرباً اقتصادياً وسياسياً بل ودينياً

(٢) http://www.pewresearch.org

أما معتنقو «الديانات الشعبية» فهم يمثلون (٦)٪ من سكان العالم[1]. ولقد أشارت الدراسة إلى استمرار ارتفاع عدد المسلمين بالموازاة مع النمو الديمغرافي للساكنة. وتوسع الإسلام في العالم بوتيرة أسرع بالمقارنة مع الأديان والجماعات الدينية الأخرى التي يتقلص عدد المنتسبين إليها، حيث نجد مثلا تراجع عدد المسيحيين الذين باتوا يشكلون (٣١,٥)٪ من سكان العالم، بعد أن كانوا يشكلون قبل سنوات (٣٥)٪ من ساكني المعمورة، وتأتي الدراسة في إطار استكمال لدراسة أخرى حول مستقبل التعداد السكاني للمسلمين في العالم، ركزت على توقعات سنوات (٢٠١٠-٢٠٣٠)، وتحدثت آنذاك عن ارتفاع التعداد السكاني للمسلمين في العالم بحوالي (٣٥) ٪ خلال العقدين المقبلين، وقالت إن عدد المسلمين في العالم سيرتفع من (١,٦) مليار مسلم سنة (٢٠١٠) إلى (٢,٢) مليار في عام (٢٠٣٠)م، وسوف يسجل تسارعاً في نمو الساكنة المسلمة، بمعدل ضعف النسبة التي تنمو بها الساكنة غير المسلمة، وهو ما يقارب معدلاً سنوياً للنمو قدر بحوالي (١,٥) ٪ مقابل (٠,٧)٪ للساكنة غير المسلمة. وخلصت الدراسة إلى أن استمرار النمو بهذه الوتيرة سيرفع نسبة المسلمين بالنسبة لعدد سكان العالم إلى (٢٦,٤)٪، ليصل عددهم سنة (٢٠٣٠) إلى (٨,٣) مليار نسمة. وطبقاً لنتائج الدراسة، فإن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تتوسع عددياً بدرجة أولى، وجغرافياً بدرجة ثانية. وبخصوص التوزيع الجغرافي للمسلمين، سجلت الدراسة أن (٩٣)٪ من ساكنة المنطقة العربية مسلمة، و(٣٠,٢)٪ من سكان القارة الإفريقية مسلمون، وحوالي (٢٤,٣)٪ من سكان قارة آسيا مسلمون، كما أن حوالي (٥,٩)٪ من مواطني أوروبا معتنقون للدين الإسلامي، و(١) ٪ من الأمريكيتين يعتنقون الإسلام. أما عن التوسع الجغرافي، فقد أبرزت الدراسة أن (٧٣) ٪ من المسلمين يعيشون أغلبية في (٤٩) بلداً، بما فيها (١٩) بلدا من أصل (٢٠) بلدا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كما يوجد أكثر من ربع المسلمين يعيشون في باقي دول العالم على شكل «أقلية»، وتفيد الدراسة بأنه

---

(١) تتمثل في الأديان التقليدية الصينية والإفريقية التي مارسها الأفارقة قبل مجيء المسيحية والإسلام، منها السانتريا وأمباندا وفودو..، وكذا أديان سكان أستراليا وأمريكا الأصليين، «أزتيك والإنكا والمايا».حيث تفيد الدراسة بأن حوالي ٤٠٥ مليون شخص عبر العالم يعتنق «أديانا شعبية»، ومن مجموع سكان العالم، يوجد حوالي ٦٪ من الساكنة الذين يعتنقون هذه «الديانات الشعبية»، الذين ينحصرون بنسبة ٩٠٪ في دول آسيوية، «حوالي ٣٦٥ مليون نسمة» فيما تتوزع البقية دول بإفريقيا جنوب الصحراء بنسبة ٦,٦ ٪، وفي الأمريكيتين بنسبة ٣ ٪..

يكاد «**لا توجد منطقة لا تعرف حضورا للمسلمين**». وبالتالي تصبح مناطق انتشار الأصولية الإسلامية بمفهومها الشامل، في إفريقيا (٩٣٪)، في آسيا (٣٠٪)، في أوروبا (٦٪) على الترتيب. أما على مستوى الدول، فتُعَدُّ شمال إفريقيا ممثلة في مصر، والجزائر هما الأبرز من حيث كثافة الوجود الأصولي، تليهما السعودية، وإندونيسيا، ثم باكستان وأفغانستان، على المستوى الأسيوي.

* * *

المبحث الثاني

خرائط انتشار الأصوليات الدينية في العالم

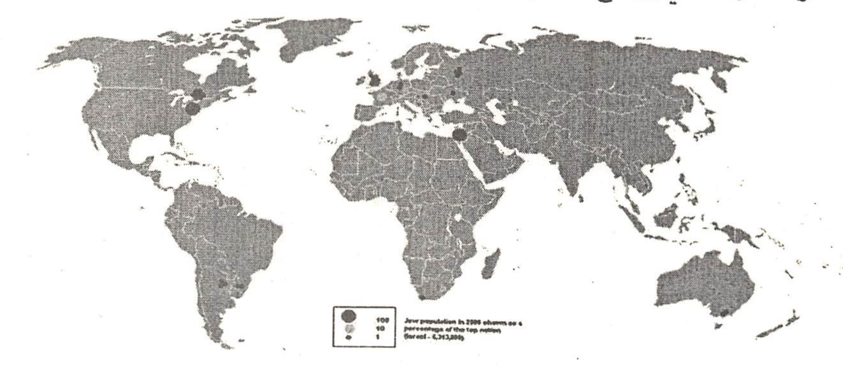
ناقش الباحث أماكن انتشار الأصولية الدينية ومناصريها جغرافياً وعددياً من خلال التعرف على أماكن تركز معتنقي الأديان في العالم، لكي تكون دليلاً للقارئ في معرفة أماكن نشأة الأصوليات الدينية ومناطق انتشارها وكذلك التعرف على المناطق المستهدفة منها. حيث نجد أن الأصولية الإسلامية قد نشأت في جزيرة العرب وشمال إفريقيا وجنوب شرق آسيا، وانتشرت حتى بلغ الأمر أقاصي الأرض ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لذا نرى معظم تيارات الأصولية الإسلامية قد خرجت من شبه جزيرة العرب مهبط الوحي (السلفية الوهابية، وتنظيم القاعدة، وجماعة التبليغ والدعوة)، وكذلك خرجت وبرزت العديد من الجماعات من شمال إفريقيا، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين العريقة، ذات القمم العالية، والهمم الغالية، وصاحبة الصولات والجولات في ميادين العمل الخيري والدعوي والاجتماعي والسياسي، بينما تقوم جماعات الدعوة بالانتشار في أوروبا، حيث أن نسبة المسلمين في أوروبا تقل كثيراً (١٪). إن انتشار الدين الإسلامي عددياً، وجغرافياً بشكل واسع، قد أقلق النصرانية واليهودية، ما يدعوها إلى ابتكار المزيد من الوسائل التنصيرية، والتهويدية، بحثاً عن المناطق الفقيرة المسلمة، ولنا في أكبر دولة إسلامية (إندونيسيا) خير مثال على معدلات التنصير التي أوردناها في الدراسة، ولا ننسى جنوب السودان المقسمة، والصومال المفككة، لذا فإن النصارى يوجهون أسلحتهم تجاه جزيرة العرب، وشمال إفريقيا، ذات الأغلبية المسلمة تزيد عن (٩٥٪)، فيما تبث الصهيونية سمومها في أندية الروتاري والليونز وحركات الماسونية وعبدة الشيطان في ربوع المعمورة. ذلك في الوقت الذي تصبح فيه أوروبا النصرانية معقلاً لتحالف البروتستانت مع الصهيونية العالمية، وتظل بعض مناطق آسيا (كوريا- اليابان- الصين-روسيا) في حالة إلحادية متأصلة، وقد يكون السبب في ذلك قسوة الشيوعية وأساليبها الدموية في العقاب.

خريطة انتشار اليهود حول العالم

يعتبر اليهود أقل المجموعات الدينية في العالم، ولا يتجاوز عدد المنتسبين للديانة اليهودية (١٥) مليون شخص في أنحاء العالم. ويعتبر اليهود إلى جانب البوذيين،

الأكثر ارتكازا بنسبة كبيرة كأقلية. وذكرت الدراسة أن(٤١)٪ فقط يوجدون بوصفهم أغلبيـة على شكل كيان في أرض فلسطين، بينما يعيش(٥٩) ٪ منهم أقلية في باقي دول العـالم، في مقدمتها الولايات المتحدة التي يقيم بها(٤١) ٪ من إجمالي عدد اليهود في العـالم أي ما يمثل حوالي(٦) ملايين شخص، ويشكلـون (١,٨) ٪ من ساكنة أمريكا. بينما تتوزع النسبة المتبقية لليهود كما يلي: حوالي(١,٥) مليون يهودي ويهودية في دول أوروبـا، و(٤٧٠) ألفاً بقـارة أمريكا الجنوبية و(٢٠٠) ألف بدول آسيا والمحيط الهادئ و(١٠) آلاف بإفريقيا جنوب الصحراء.

والشكل التالي يوضح أماكن التجمعات الكبرى لليهود في العالم:



مخطط رقم (٣)

مواطن انتشار الأصوليتين المسيحية والإنجيلية

تنتشـر الأصولية المسيحيـة (الأولى والثانية) في أوروبـا وأمريكا اللاتينية وبعض بلـدان منطقة الشـرق الأوسط على وجـه الخصوص، حيث يتوزعون بشـكل أوسع بين أوروبـا (٢٤٪) وأمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي (٢٤٪) وإفريقيا (جنوب الصحراء) (٢٤٪). وتـؤوي الولايات المتحدة والبرازيل والمكسيك أكبر مجموعات مسيحية. فيما تُعَدُّ إندونيسيا البلـد الأكبر في استقطاب التبشير منذ سنـوات باعتباره يحتضن أكثر المسلمين عدداً.

لا شـك أن الأصوليـة الإنجيليـة تُعَدُّ امتـداداً مباشـراً لحدثين هامـين تاريخياً أولهمـا الحـروب الصليبيـة بمراحلهـا الأربعـة مـن (١٠٩٨- ١٢٩١) والثانيـة مـن (١٤٩٩-١٢٢١)، والثالثـة مـن (١٢٢٠-١٢٩١)، أما عن المرحلـة الرابعة فهي تختلف

كثيراً، حيث بدأت من عام (١٣٠٠) وإلى الآن، فهناك حروب صليبية جديدة من الغرب إلى الشرق، ولكن بثوب جديد قوامه الضغط والحصار والمؤامرات دون سفك المزيد من الدماء مثلما كان بالسابق[١]. أما عن الحدث الآخر، فهوثورة الإصلاح وانشطار الكنيسة.

لقد احتضنت بريطانيا الحركة الصهيونية منذ بداية القرن العشرين، ووافقت على تسليم فلسطين إلى اليهود ومن ثم أسرعت كل من أمريكا وروسيا واعترفتا بدولة إسرائيل، وأخرجوا الفلسطينيين من ديارهم وألقوا بهم لاجئين خارج وطنهم.[٢]

لذا يصبح من الطبيعي والمنطقي أن تنتشر الأصولية الإنجيلية في الغرب البروتستانتي، انطلاقاً من رؤيا (يوحنا)، فالصهيونية قد نصبت البروتستانتية لتكون لليمين ديناً، يقول اليهود في البروتوكولات: «ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه التاج المقدس الذي أهدته له كل أوروبا، سيصير البطريرك لكل العالم»[٣]. ما يعني تسخير أوروبا الغربية البروتستانتية من أجل إقامة ملك «شعب الله المختار». ومن منطلق الجغرافيا ومدى انتشارهم في كثير من بلدان العالم، نجد منها: ألمانيا، الدنمارك، سويسرا، النرويج، إنجلترا، اسكتلندا، ايرلندا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذت تغزو المعاقل الكاثوليكية والأرثوذكسية، بفضل نشاط جمعيات التبشير البروتستانتية وأمكانياتها، فباتت تنتشر في اندونيسيا المسلمة، وجنوب السودان، ووسط إفريقيا، والصين، والبرازيل وفنزويلا، وكوريا الجنوبية واليابان[٤].

مواطن انتشار الأصولية البوذية

تنتشر البوذية في بعض بلدان شرق آسيا[٥]، في سري لانكا وتايلاند وبورما وهناك في

وهونج كونج وكوريا الجنوبية، وتوجد أيضاً بقوة في آسيا الوسطى، حيث هناك مجتمع اللاجئين التبتيين حول «الدالاي لاما» في منفاه بالهند هو الأقوى من بين التقاليد التبتية في آسيا الوسطى، وأخيراً هناك ثلاث مناطق تبتية تقليدية بوذية في روسيا، هي:

---

(١) Holy War: The Crusades And Their Impact On Today`s World. Ibid. .P368. 369.

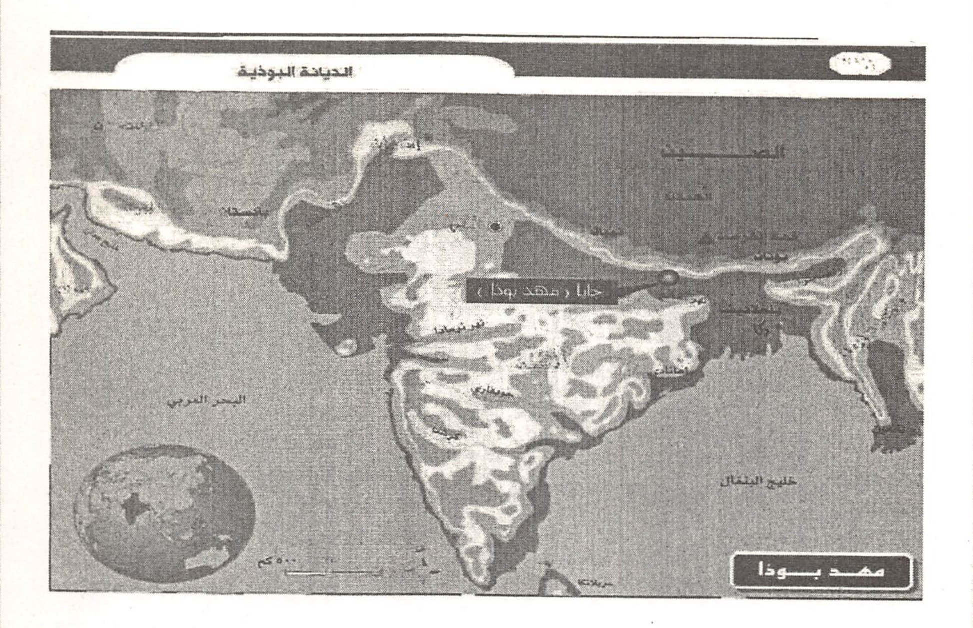
(٢) الحروب الصليبية، ناصر الأحمد.، شبكة انا المسلم على الويب.

(٣) البروتوكول الخامس عشر من ن كتاب حكماء صهيون، السيد ابراهيم عبدالله/ ص١١١.،، الصهيونية المسيحية، فريتح، ص٥٣.

(٤) وافي، علي عبدالواحد، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٤٣.، المسيحية الصهيونية، مرجع سابق، ص٥٤.

(٥) الكتاب: الأديان الحية، نشوؤها وتطورها.، أديب صعب، دار النهار للنشر، ٢٠١٠.

بورياتيا في سيبيريا، وكالميكيا في الشمال الغربي من بحر قزوين[1].

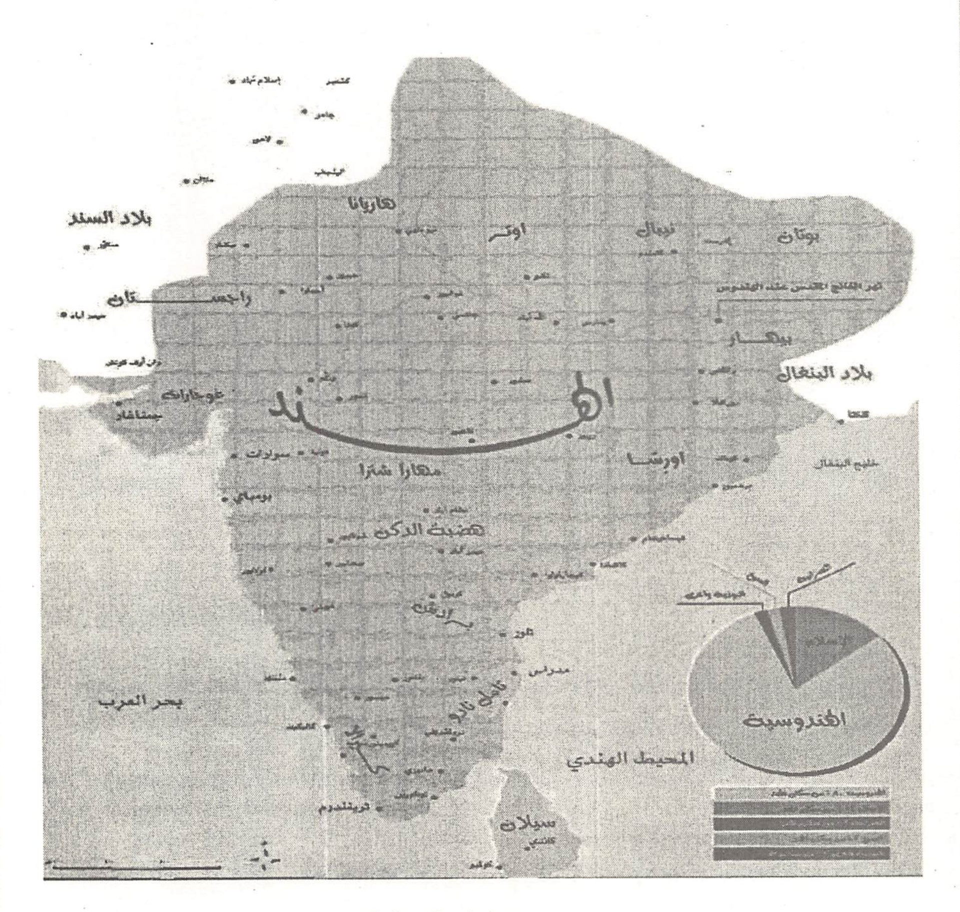


مخطط رقم (٤)

مواطن انتشار الأصولية الهندوسية

على الرغم من أن الهند شهدت نشأة الهندوسية، ألا إنها توجد كذلك في أماكن بعيدة جغرافياً عن الهند وأقربها الجارة باكستان المسلمة، وربما يُعزي السبب لهجرة الهنود لهذه الدول. فتجد الهندوسية في جنوب إفريقيا (١,٢ مليون)، المملكة المتّحدة (١,٢ مليون)، كندا (٠,٧ مليون)، هولندا (٠,٤ مليون)، سورينام (أمريكا اللاتينية ٠,٢ مليون)، جمهورية جويانا (أمريكا اللاتينية (٠,٤ مليون). فضلاً عن وجود (١,٥) مليون هندوسي في الولايات المتحدة.

(١) نُشر في الأصل جزءاً من دراسة: «البوذية وأثرها على آسيا» ألكسندر بيرزين. مجلة الدراسات العلمية الآسيوية، عدد ٨. القاهرة: جامعة القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، يونيو ١٩٩٦ م.


بلاد السند
هاريانا
اوتر
نيبال
بوتان
راجستان
بيهار
بلاد البنغال
الهند
غوجارات
اوريسا
مهارا شترا
هضبة الدكن
بحر العرب
المحيط الهندي
سيلان
الهندوسية
الإسلام

مخطط رقم (٥)

ويوضح الشكل التالي أماكن الانتشار الجغرافي للأصوليات الدينية التي تعرضت لها الدراسة



مخطط رقم (٦)

المبحث الثالث

علاقة الأصوليات الدينية ببعضها البعض

ذكرنا أن الأصوليات الدينية قديمة قدم ظهور الأديان، لذا يصبح من الطبيعي أن يكون هناك علاقة محتملة تقارباً أوعداءً بين بعضها البعض، ما يشكل علاقات متباينة، قد تكون تنافسية كما في حال أغلب الأصوليات مثل: الأصولية الإسلامية وباقي الأصوليات، أوعلاقة تكاملية كما تبدوالعلاقة بين الأصولية الهندوسية والسيخية، أوعلاقة تبادل المنافع والمصالح وفقاً لبراغماتية دينية وسياسية، كما بين الأصوليتين اليهودية والإنجيلية، أوعلاقة تبعية كما بين الأصولية الشيعية والبهائية والباطنية، لكن ما يميز هذه العلاقات أن كل تلك الأصوليات يجمعها قاسم مشترك، وهوأن عدوها واحد، ويكمن في صحوة أصولية إسلامية تنتشر بصورة كبيرة، فَتُوَجَّه لها كلُّ السهام وتُعقَدُ من أجلها المؤامرات لاستئصالها وإلحاق الأذى بأهلها، وتُبْرَمُ الصفقات لتقضي عليها، وتزج بها في وادي الظلمات لأسباب عدائية سبق التطرق إليها. والغريب أن يهتم الكونجرس الأمريكي ببحث ما أسموه (بالأصولية الإسلامية) منذ عام (١٩٨٥) بعقد الاجتماعات والمؤتمرات وإجراء المزيد من الدراسات، فيما لم يتطرق إلى أي من الأصوليات الدينية الأخرى. حيث أثبتت هذه الدراسات أن الأصولية الإسلامية تنشد تحقيق الهوية والذات الإسلامية، الذي يعتقدونه جريمة وتطرفاً وعنفاً وإرهاباً، بينما تُعَدُّ هذه الهوية اليهودية والنصرانية «نبوءات ووعوداً آلهية». واعترف الكونجرس في نهاية مؤتمره بأن الأصولية الإسلامية لا ترفض العلم والتكنولوجيا، لكن التحديث يجب أن يخضع لمقاييس شرعية على خلاف الأصولية النصرانية التي تُطَبِّق شعار «دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[(١)]. ويلعب الكونجرس الامريكي الدور الأبرز، والأكثر حسماً، في توجيه السياسة الامريكة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بعد ظهوره كلاعب أساس خلال العقود الثلاثة الأخيرة، هذا بجانب نفوذ الرئيس الأمريكي، الذي له من القوة وحرية التصرف في المجال الجيوسياسي ذلك مما جعل (الراديكالية الإسلامية)، تقبع في مخيلة البعض داخل الإدارة الأمريكية والكونجرس الأمريكي[(٢)].

---

(١) إنجيل مرقس، (١٢:١٧)

(٢) America and Plotical Islam. Ibid. P55.

المطلب الأول: مابين الخلاف والاختلاف في الأصوليات الدينية

قد تختلف أساليب العمل- سلبية كانت أم إيجابية- لدى الأصوليات الدينية، فيما تتشابه في بعض الأهداف، فمثلاً هناك تناقض تام بين أهداف الأصولية الإنجيلية وباقي الأصوليات، بينما تختلف طريقة الأصولية اليهودية عن باقي الأصوليات، من حيث الدموية والاستعلاء وهضم حقوق الأغيار (غير اليهود)، بينما تتشابه جميع الأصوليات التوحيدية المعتدلة في هدف نشر وتطبيق تعاليم الدين، وترتبط مع بعضها البعض في حوارات جادة، أما عن الأصوليات المتطرفة فهي قد تدخل في تحالفات منفعية، وتبادل الخبرات المختلفة، كما بين الأصولية اليهودية وباقي الأصوليات، خصوصاً الهندوسية والشيعية (عدا الإسلامية)، كما أن هذه الأصوليات البغيضة تتحد في الهدف الأساسي لها، وهوالمحاولة البائسة في القضاء على الإسلام، لذلك نراهم يرتبطون بصلات وشيجة في مواجهته، ولنأخذ مثالاً للعلاقة (**بين الإنجيلية واليهودية**)، حيث استفادت الأولى جراء ارتباطها بالثانية، فمنحتها مساحة أوسع إعلامياً، كما أكسبتها خبرة أكبر في العمل السري والعلني، فضلاً عن صبغها بالصبغة العدوانية والإرهابية التي تميّزت بها الحركة. وتتماهى الأصوليات عموماً في علاقتها مع الأصولية الإنجيلية، فمن سار في ركبها ودار في فلكها فهومن المقربين، وأما من كان غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه، « فمن ليس معنا فهوضدنا».

أما عن علاقة (**الأصولية المسيحية بالأصوليات الأخرى**)، فكانت علاقة سلبية قديماً، وقد تتباين حديثاً نتيجة معاناة الأمم والشعوب غير الأوربية من الأصوليات المسيحية التي استهدفت ثقافتها وتاريخها وهويتها الحضارية ووجودها أحياناً، كما في القارة الأمريكية التي أبيد معظم سكانها الأصليين، وما تزال سياسة التمييز العنصري قائمة إزاء الملونين وغير الأوربيين في الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد عانت الأمة العربية -كذلك- الأمرين من هذه الأصولية بدءاً من الحروب الصليبية التي لم تفرق بين اليهود والمسلمين في القتل، وصولاً إلى حركات الاستعمار المتتابعة على مصر، وعلى وجه التحديد الحملة الفرنسية بقيادة«نابليون» في عام (١٧٩٨م) وما رافقها من بعثات تبشيرية، ومحاولات فرض الثقافة واللغة ونمط الحياة الغربية عليها، إضافة إلى الصهيونية وأطماعها في الأرض العربية. فالغرب هوأول من جعل من الأصولية غطاء أيديولوجياً، أوقناعاً لسياسة الاستعمار والهيمنة، وللعنف السياسي وإرهاب الدولة بوجه خاص.

فيما ترتبط (**الأصولية الإنجيلية مع الأصولية اليهودية**) بعلاقة أبدية خاصة لا تنتهي بالطلاق، طالما لم تتحقق باقي النبوءات، يقول» لوثر»: «شاءت الروح القدس أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريق اليهود وحدهم، إنهم الأطفال ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات أسيادهم اليهود.....»[1]. فالكلام السابق لـ لوثر أحدث نتائج لعلاقة التزاوج بين اليهودية والمسيحية، وهي صورة تختلف شكلًا ومضمونًا عن الواقع العقدي لكلا الديانتين قبل مجيء لوثر، وظلت آراؤه حاضرة لتبشر بعهد جديد من التسامح المسيحي- اليهودي.

ويبدوبين الأصوليتين (**السيخية والهندوسية**)، علاقة سلبية وخلاف تاريخي عميق، بدا بوضوح في قيام الحكومة الهندوسية في عام (١٩٨٤) بأرسال وحدات من الجيش لنسف «المعبد الذهبي» لتطهيره من العناصر المحتمية بداخله، بما فيهم زعيمهم «جارنيل سبخ». وقد أفضي النسف إلي قتل حوالي ألف هندوسي، أعقبها اشتباكات دامية، لا تزال ذكراها محفورة في التاريخ العدائي بينهما، وعلى الرغم من ذلك إلا أن الأصوليتين ومعهما الأصولية الإسلامية، يشتركون في بعض المعتقدات والأفكار التي اقتبسها السيخ من الخليط غير المتجانس من العقائد والأفكار الإسلامية والثقافة الهندوسية، ومن أبرز هذه المعتقدات:

١- القول بالتوحيد : وهذا اقتبسوه من المسلمين إلا أنهم خلطوه بشرك الهندوس، فـ«بُرَهُمـا» هوالخالق عندهم وبهذا الجمع يكون السيخ قد جمعوا بين التوحيد عند المسلمين والشرك والتعدد عند الهندوس.

٢- القول بوحدة الوجود، وهذا من الهندوسية، فالإسلام يفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الإله الخالق المعبود وبين خلقه، وأما الهندوسية فتعتقد أن المخلوقات برزت من مادة الإله.
٣- تحريم عبادة الأصنام وصناعتها، كالمسلمين. أما الهندوس فتكاد تضيق بيوتهم ومعابدهم بها ٤- تحريم الرهبنة: وهذا بلا ريب مأخوذ من الإسلام الذي حرم الرهبانية وأوجب على العبد اكتساب معيشته، على خلاف الهندوس في ترك العمل والسلبية في الحياة.

٥- إباحة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وتحريم أكل لحوم الأبقار، وهذا من

---

(١) المقدم، محمد إسماعيل خدعة هرمجدون، دار بلنسيه، ٢٠٠٣م؛ وينظر أيضاً: المسيح اليهودي ونهاية العالم- المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا، رضا هلال، مكتبة الشروق، ٢٠٠٠م، ص٣٠.

دين الهندوس، لكونه في الإسلام مُحرماً.

وتبدو العلاقة بين (**البوذية والهندوسية**) وكذلك باقي الأصوليات متناقضة بعض الشيء، فعلى الرغم من نشأة وتطور البوذية في أحضان الهندوسية، إلا أن ذلك لم يمنع من نشوب خلافات بينهما على خلفيات طائفية وسياسية تزامنت مع نشوء الممالك والسلطنات في الهند القديمة ومناطق التيبت القديمة، فبمجرد أن دخلت السياسة وفلسفة الحكم طرفاً في الخلافات الدينية والطائفية التي ارتبط دخولها بدور المحتل البريطاني التاريخي في تفجير الخلاف بين الأصوليات في المناطق التي احتلها، وحينما انسحب المحتل البريطاني، قام كعادته بزراعة **الألغام الجيو- سياسية** التي يمكن تفجيرها عند الحاجة لزعزعة الاستقرار، وفتح صناديق الشرور (الإثنية- الطائفية والدينية)، بهدف توظيفها في الصراعات السياسية. فأنشأ البريطانيون ما عرف بـ(مناطق القبائل) على الحدود الباكستانية- الأفغانية، التي أصبحت تشكل صداعاً دائماً بين الأصولية الإسلامية الباكستانية والأفغانية التي تعمل من خلال جماعات مسلحة من جهة، وبين الدولة الباكستانية الليبرالية الغربية من جهة أخرى، وكذلك صراع كشمير الذي نشأ نتيجة بقاء الإقليم معلقاً بين إدارة هندوسية تدين بالولاء للهند، وشعب مسلم يدين بالولاء لباكستان. أما عن الحدود الهندية- الصينية، فقد اندلعت بؤرة صراع أخرى، نتيجة تحول إقليم التيبت الهندي إلى قاعدة لملايين البوذيين التيبيتين الصينيين القادمين عبر الحدود هرباً من الجيش الأحمر الصيني، ما أدى إلى تبلور معارضة أصولية دينية بوذية ضد نظام الحكم الشيوعي الصيني، وتوترت العلاقات بين الهند والصين واندلعت الحرب بينهما، وأصبحت الولايات المتحدة أيضاً منخرطة في توظيف استخدام مثلث الأصوليات: الهندوسية- البوذية- الإسلامية، في تقويض استقرار مثلث البلدان النووية الثلاثة: الهند- الصين- باكستان[1].

فيما تُعَدُّ العلاقة بين (**الهندوسية والإسلامية**) علاقة إقصاء وعداء، منذ الفتح الإسلامي للهند، والنظرية الطبقية الهندوسية التي عملت على تطهير الهند من غيرهم، وتجلت في أبرز مظاهرها الدموية والعنصرية، من مجازر عدة وهدم مساجد.

أما عن العلاقة بين (**الهندوسية واليهودية**)، **فهي إيجابية** متطورة منذ بدايتها، معززة بعملية تبادل المصالح والخبرات التقنية والعسكرية، بعد أن استغل

(١) موقع الجمل قسم الدراسات والترجمة، بتصرف.

الحزب الهندوسي المتطرف «بهاراتيا جاناتا» أحداث سبتمبر، واعتبرها فرصة سانحة لعقد شراكة مع دولة الاحتلال، وقام بالترويج لفكرة إنشاء جبهة للديموقراطيات الليبرالية في مواجهة تهديد «الإرهاب» الإسلامي، حيث أفضت هذه الرؤية السياسية إلى الحلم بمثلثٍ استراتيجيّ بين إسرائيل والهند والولايات المتحدة[١].

وتمثلت أهم المحطات العسكرية في تاريخ البلدين منذ الستينيات(١٩٦٥)، وذلك بقيام إسرائيل بتزويد الهند بكميات ضخمة من الأسلحة والمعدات العسكرية في مجال الصواريخ المضادة للدبابات وقذائف المدفعية وأجهزة الاتصالات. وقامت الهند بالرد السريع عقب عامين، حيث أرسلت لإسرائيل كميات ضخمة من قطع غيار مركبات القتال التي تحتاجها إسرائيل خاصة بالنسبة لدبابات(إم إكس ١٣). وفي عام (١٩٩٩) نشرت صحيفة «هآرتس» تقريراً عن تعاون الهند وإسرائيل في تطوير طائرة تجسس هندية، مقابل أن تقوم إسرائيل باستخدام قاعدة هندية قريبة من الحدود الباكستانية من أجل توجيه ضربة ضد المجمع النووي الباكستاني، بعد أن كان «بيريز» قد أبدى استعداده لمساعدة الهند في قمع الإرهاب والأصولية الإسلامية، متبنياً وجهة نظر الهند في اعتبار كشمير جزءاً من الأراضي الهندية، فضلاً عن إمداد إسرائيل الهند بمعلومات عن باكستان ونشطاء الحركات الكشميرية، في مقابل وجود مخابراتي إسرائيلي في الأراضي الهندية[٢].

المطلب الثاني: أبرز المظاهر المشتركة بين الأصوليات الدينية

أولاً: هدم المساجد.

توجد علاقة تشابه بين بعض الأصوليات في وسيلة هدم دور العبادة، على سبيل الإقصاء، حيث تتفق الأصولية الهندوسية مع كلٍّ من الأصوليتين الشيعية واليهودية في هدم مساجد المسلمين السنة، فهومن أبرز معالم هذه الأصوليات الجائرة، وهوأحد مظاهر الإرهاب الهندوسي الذي تجسد في حادثة المسجد البابري وغيره من المساجد، فيما تقوم الأصولية الشيعية في إيران بهدم مساجد السنة باستمرار، بينما لا تتورع الأصولية اليهودية عن هدم مساجد الفلسطينيين في غزة، والحقيقة أن فكرة هدم

---

(١) Louise Tillin, «ÜS-Israel-India: Strategic Âxis ω», BBÇ News, London, Press, 9 / 9 / 2003

(٢) مستقبل التحالف الهندي الإسرائيلي-مدحت أيوب- موقع قناة الجزيرة
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0FBË1967946-4465-2160-Ç-47D920D64ÂËB.htm

مساجد المسلمين السنة- أومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، والسعي في خرابها- لم يعد قاسماً مشتركاً يجمع بين الأصولية اليهودية والهندوسية والشيعية، وإنما امتدت لتطال الأصولية العلمانية، ممثلة في النظام العسكري الانقلابي في مصر، صاحب الأيديلوجية العلمانية الغربية، التي لم تتورع عن إحراق مسجدي «رابعة» و«الإيمان» شرق العاصمة، ثم تم إغلاق جامع «الفتح» وسط العاصمة، ومنع كبيرهم «السيسى» إقامة صلاة الجمعة في آلاف المساجد، بلغت ما يقارب من ألفي زاوية ومسجد في العاصمة الساحلية (الاسكندرية) فقط، كذلك الحال في سيناء المحاصرة وغيرها من المحافظات، أما الأصولية النصيرية ربيبة الشيعية ممثلة في النظام العلوي السوري، فقد قامت هي الأخرى بهدم (١٤٠٠) مسجد من المساجد التاريخية الأثرية في سوريا الأموية، بينما هدمت الأصولية اليهودية في عهد نتنياهو الحالي (١١٨) مسجداً، منها حوالي (٣٧) بشكل كامل، و(٨١) بشكل جزئي، خلال الحرب على غزة(٢٠١٤)، كما أنهم لا يفتأون عن محاولات هدم المسجد الأقصى الشريف لإعادة بناء الهيكل المزعوم.

ثانياً: الأطماع التوسعية

لقد برزت الأطماع التوسعية كهدف استراتيجي لدى بعض الأصوليات، خصوصاً اليهودية والهندوسية والشيعية فلقد أثبتت الدراسة كيف أن الأصولية الهندوسية سارت على درب حلم (إسرائيل الكبرى)، فصارت تعمل على ضم مناطق من دول مختلفة منها مصر، سعياً لتحقيق حلم «بالهند الكبرى» حدودها من قناة السويس غربًا إلى سنغافورة شرقًا، وقيل أن حدودها من جزيرة «بالي «إلى حدود» البلطيق» ومن كوريا إلى الكعبة، كل ذلك يأتي مستنداً على وهم أسطورة هندية مزعومة تحكي أن الإمبراطورية الهندوسية كانت تمتد ذات يوم في سنغافورة في الشرق إلى نهر النيل، مروراً بشبه الجزيرة العربية.

وهى بذلك تشترك في الهدف التوسعي مع الأصولية اليهودية التي تنشد «أرض إسرائيل الكاملة» التي حدودها من النيل إلى الفرات، أوحيثما تحط إليه (أخماص أقدامكم)، أما عن الأصولية الشيعية فهي تسعى إلى إعادة مملكة فارس القديمة التي من أهم أركانها مصر (الدولة الفاطمية)، بينما تجمع الأصولية الإنجيلية بين مساوئ الأصوليات الدينية واللادينية كافة، من أحلام توسعية تدميرية وظلم للإنسان، بزرع المحتل والسيطرة على دول العالم.. لتحقيق السعادة الأبدية لهم في مقابل فناء الشرية جميعاً.

المبحث الرابع

تقييم الأصوليات الدينية في ضوء مبادئ حقوق الإنسان

بعد أن استعراضنا جوانب وأبعاد ظاهرة الأصولية الدينية، ورأينا كيف أنها تتفق في أمور عدة مثل التمسك بنصوص الدين، وأن منها المحمود ومنها المذموم، فهناك من سلك مسلك العابد المتدين الورع المهتم بأمر دينه، وهناك من غالى في التمسك بحرفية النصوص، ديدنه في ذلك شواذ الناس وآحادهم، ورأينا كيف أن بعضهم قد رفع السلاح في وجه أخيه، وأخيراً هناك من سلب الممتلكات وهتك الأعراض، ولا يسعى إلا لدمار البشرية وبقائه هووفصيلته. فلا يتورع عن اغتنام أي فرصة للنيل من حقوقهم ومقدساتهم، لذا فقد ارتأى الباحث أن يقيِّم تلك الأصوليات بمقياس موضوعي مستنداً إلى أسس ومعايير مناسبة، تتمثل في موقف هذه الأصوليات في ضوء مبادئ حقوق الإنسان، وأعني بذلك سلوكياتها تجاه الآخرين ومدى احترامها لحقوق الغير الأساسية، ولنرى هل تراعي الأصوليات الدينية على الدوام مبادئ الحق والعدل والمساواة والتعايش والتسامح وعصمة الدم مع الآخرين؟ أم أنها تُستغل في قتل وسلب الآخر في سبيل تحقيق أحلام غير مبررة أومشروعة؟ وننوه هنا أن المقارنة ليست بين الأديان في جوهرها ومبادئها وأفكارها، إنما في تطبيق البشر أحكام هذه الأديان بحسب مصادرها، فالقرآن الكريم قد أشار إلى التوراة والإنجيل والقرآن بصفات تبرئ تلك الرسالات من الأطماع والغلووالتشدد والعنف غير المبرر، ولنتأمل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ....﴾[1]. كما قال في شأن فضل القرآن ومن يعمل به: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2]. إذن أننا حين نُحلل وننقد أصولية بعينها فهذا لا يعني نقد الدين والرسالة أوالكتاب الذي أنزل معه، إنما نهدف إلى التوعية بأخطاء ومآخذ تلك الأصوليات عند تطبيقها لمبادئه، وذلك من أجل توخي الحذر منها ومن بعض مظاهرها السلبية، وللعمل على تقويمها إن أمكن.

---

(١) سورة المائدة، آية (٤٤).

(٢) سورة الاسراء، آية (٩).

فالأصوليون حجة على أنفسهم وليس على الدين. وتؤكد على ذلك «أرمسترونغ» في كتابها الشهير (الحروب المقدسة) بقولها: «لو علم السيد المسيح بممارسات الكنيسة اليوم لارتاع، أحب أن أبين له الكثير حول الفاتيكان، حيث المسيحيون لا يستطيعون الاشتراك في كنيسة واحدة، سوف يروع من هذا».

المطلب الأول: تقييم الأصوليات الدينية وفقاً لمعيار العدل

في إطار تقييم ظاهرة الأصولية الدينية، قام الباحث بمقارنة سلوك هذه الأصوليات عند التعامل مع الآخرين ومدى ظلم الأصولية لغير المنتمين لها من المخالفين لها، سواء كانوا من ملتهم أم من ملل أخرى، حتى نتمكن من التفرقة بين الأصولية الحسنة المقبولة، وتلك القبيحة المنبوذة.

معيار العدل:

لقد جاءت الأديان التوحيدية بالعدل والسلام للبشر جميعاً، فهناك (٤٩) آية في الكتاب المقدس تدعوإلى العدل والعدالة، نذكر منها:

١- «لتفرح الأمم وتُهلل لأَنَّكَ بالعدلِ تدينُ بالاستقامة تَدين الشعوب، وفي الأرض تهدي الأمم سلام ...»[1]. ويعلمنا الكتاب المقدس أن الله هوإله عدل. في الواقع «إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ»[2]. ولقد أمر الله تعالى عباده بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى في المقابل عن الفحشاء والمنكر والبغي، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القربى وينهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. والعدل من مقاصد الشريعة الغراء، لذا فأحكام الشريعة مصطبغة بالعدل اصطباغاً تاماً، فالأحكام الشرعية هي العدل، والعدل هوالأحكام الشرعية، فلا تميل أبداً القواعد القانونية الشرعية إلى جانب الحاكم ضد مصالح المحكوم، ولا تعطي الرجال حقوقاً بحيث تظلم النساء، ولا يمكن أن تخطئ المقدار المناسب للجريمة، لأن واضعها يتصف بالعلم المطلق الشامل، والعدل التام الكامل[4]. إن العدل مع جميع الناس وجوبياً بغض النظر عن دينهم وانتماءاتهم ومحبتهم وبغضهم، فقد

---

(١) مزامير: (٦٧ آية ٥)

(٢) تثنية (٣٢: ٤)

(٣) سورة النحل، آية (٩٠).

(٤) الأشقر، عمر سلمان خصائص الشريعة الإسلامية مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، عام (١٠٩٢)م ص٧٢.

أمـر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحـداً إلا على سبيل العدل والإنصاف وترك الميـل إلى الظلم والاعتساف. وفي ذلك يقول (صاحـب الظلال) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ (١)، إن النص الكـريم يطلقه هكذا، عـدلاً شاملاً، بين الناس جميعاً، لا بـين المسلمين بعضهم وبعض فحسـب، ولا مع أهـل الكتاب دون سائر النـاس، وإنما حق لكل إنسـان بوصفه إنساناً. وعنـد الحديـث عن العدل لـدى الأصوليـة الإسلامية المتشـددة والعنيفـة، يدلنا واقع الحـال على وجود حالات- وإن قلَّت- تم فيها استحـلال أموال النصارى في بعض بلاد المسلمين، ومن استحلال دماء الأبرياء من المسلمين ومن غيرهم من المسالمين، ويستوي في ذلـك مـن كان في دار سلم أو في دارحرب، وذلك ما ترفضه أغلب حركات الأصولية الإسلاميـة المستنيرة لهذه السلوكيات الخارجـة عن الدين ما جعلها هي نفسها عرضة للتكفـير، وما شذ عنها إلا القليل من دعاة الغلووالتكفير والقتل، استناداً إلى رأى آحاد النـاس، وفي ظل غياب فهم فقه الواقع والأولويات، ولنا في نزول «مخلّص آخر الزمان» - ليصلح الفساد المستشري الذي عجزت عن إصلاحه المجتمعات بوسائلها التقليدية - أسـوة حسنة حيث نجد هـذا «المخلّص» أو «المهدي» في كل دين يلبس رداء دينه، فهوفي اليهودية يعمل لتخليص اليهود وإعلان سيادتهم على العالم ويقتل أعداء اليهود، وهوفي المسيحيـة نقيض ذلك، هويقضي على اليهود ويعلن حكم المسيـح. وكذلك عند الشيعة يعود فينتقم من قتلة أئمتهم، لكنه في الإسلام يملأ الدنيا عدلاً بعد أن مُلئت جوراً[٢].

وعن العدل لا تسل لدى الأصولية الإنجيلية التي تنتهك حرمات الأبرياء، ممن تم خطفهـم في أفغانسـتان وزجت بهم (دولة الحريات والعـدل) في مشهد «جوانتاناموا»، أو «أبوغريـب»، ضاربـة الديمقراطية وحقـوق الإنسان في مقتل، وصـولاً إلى فضيحتي السجون الأمريكية الطائرة، وتلك العائمة[٣]، ولتسود معايير المصلحة والمنفعة، والعقل

(١) سورة النساء، آية (٥٨)

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم: (٢/٣٣٨)- دار المعرفة- بيروت- ١٩٧٥م

(٣) تم فضح قضية معتقلات التعذيب الطائرة في عام(٢٠٠٦)،التي قامت بها الاستخبارات الأمريكية مستخدمة دولاً حليفة وتابعة عدة، فقامت بنقل العديد من السجناء السياسيين إلى أماكن أخرى لاستجوابهم تحت التعذيب، كما قامت باحتجاز بعضهم جواً، وآخرين تم خطفهم الى الولايات المتحدة نفسها،وكانت مجلة (دير شبيغل) الألمانية أكدت أن الولايات المتحدة دفعت مئات الملايين من الدولارات لشراء تعاون الأجهزة الاستخباراتية الأجنبية للعمل معها، ومن هنا كان الصمت أوالتغاضي حتى مع العلم بما يحدث، ثم تفجرت بعدها بعامين فضيحة تتعلق باستخدام السفن في نفس الغرض حيث استخدمت واشنطن أكثر من ١٧ سفينة لتحولها الى سجون عائمة منذ الحرب على أفغانستان في العام ٢٠٠١، وكانت أغلبية هذه السفن قريبة من سواحل جزيرة دييغوغارسيا في المحيط الهادي، حيث توجد أكبر القواعد العسكرية الأميركية.

المحافظ، الذي كان قديماً ضد العقلانية النفعية نجده الآن يقف مبرراً سياساته بخطاب مائع عن الحرية و«الحرب على الإرهاب» ونشر الليبرالية بالقوة. فهذا- ما لاشك فيه- أبشع صور الظلم، أن يُختطف إنسان دون جريمة، ثم يعتقل في ظروف لا إنسانية، ودون محاكمة، ويجبر على الطعام، وكذلك على الإدلاء باعترافات كاذبة، فضلاً عن أساليب التعذيب البدني والنفسي، ومن يُطَلَّقُ سراحه منهم بعد طول غياب، يتم تسليمه إلى فئة أخرى باغية، تمعن في إذلاله وحبسه وتعذيبه،كذلك غاب العدل عن محاكم التفتيش والتهجير القسري لدى الأصولية المسيحية المتشددة، فضلاً عن العدل المفقود لدى الأصولية اليهودية المتمثل في سلب حقوق الفلسطينيين، في أرضهم وديارهم، وقتل النساء والأطفال من قبل الحكومة الأصولية، أومن جانب قطعان المستوطنين من كل مكان وينعدم العدل حينما يتعلق بحقوق غير اليهودي ممن يسمونهم أغياراً، فيبيحون قتلهم ويحرمون عونه أومساعدته، ويغيب العدل كذلك عن الأصولية الشيعية التي تمعن في الاعتقال والقتل على الهوية، وفي هدم بيوت الله، وعن البوذية الطائفية الدموية التي تقتل المسلمين وتحرقهم وتُخلي البلاد منهم بدون أي ذنب، وحتى الهندوسية الطبقية العنصرية البغيضة، التي تعتبر غير الهندوسي بمثابة «حيوانات» لا يستحقون العيش في بلادهم.

المطلب الثاني: تقييم الأصوليات الدينية وفقاً لمعيار العنف

إن عنف بعض جماعات الأصولية الإسلامية ليس قاصراً عليها ولا على نصوصها المؤوّلة تأويلاً أيديولوجياً. فالعنف عموماً ونصوصه ليس بخطيئة، فهي موجودة في كل الأديان السماوية. فالمسيحية مثلاً التي تُوصف بالمسالمة والتسامح، يقول إنجيلها: «لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً: جئت لأفرق بين المرء وأبيه، والبنت وأمها، والكنّة وحماتها، فيكون أعداء الإنسان أهل بيته»[1].

وترى «آرمسترونج» أن الأصوليات التوحيدية متورطة في حروب مقدسة، مرتبطة بمشاعر وعاطفة أصولية بحتة، حيث خاضت تلك الأصوليات حروباً ذات طابع ديني، فحرب(١٩٦٧) تعدها إسرائيل حرباً مقدسة، فيما يعد الغرب الحروب الصليبية حروباً مقدسة، أما «صلاح الدين» فهو بطل الحرب المقدسة ضد الصليبيين المعتدين وقامت الأصوليتان المسيحية واليهودية بقتل الأسرى العزل من المسلمين، كما قامت الأصولية المسيحية بقتل اليهود كذلك، فيما تمسكت الأصولية الإسلامية القديمة

(١) متي، (١٠: ٣٤-٣٦).

بحقوق الأسير وحسن معاملته وعلاجه[1].

لقـد تبين لنـا من خلال الدراسـة أن الأصولية الإنجيليـة ذات الحروب المستمرة الظالمة والغزوات اللا شرعية هي أقساها، خصوصاً بعد أن أصبح المتطرفون الصهاينة يتحكّمون في مفاصـل السياسة الأميركية بعد تحكمهم بالسياسة الإسرائيلية. ولم يكن لديهـا وقـت للتسامح الدينـي أوالحفاظ على السـلام، وتليها الأصوليتـان الهندوسية والسيخيـة صاحبتا الرصيد الوافر من جرائم المجازر والحرق لبني الإنسان، فيما تُعَدُّ الأصولية اليهودية أساس العنف في الشرق الأوسط، حيث يمكن اعتبارها الأكثر تطرفاً مـن بين جميع الأصوليات، فهي تقـوم بين حين وآخر بقتل أهل البـلاد المحتلة، يستوي في ذلـك المحـارب والمدني، الطفل والكهـل، الرجل والمرأة، يقتلـون في المسجد والحقل ظلماً وعدواناً، يحتلون ويبنون المستوطنات، لا يكتفون بالمشيئة الإلهية لتحقيق الأهداف والأحلام، إنما ترى أن عليها اللجوء إلى الوسائل الطبيعية المحُرمة المجُرمة مثل الفانتوم والنابالم، والاستيطان في عقيدتهم واجب شرعي توراتي، لا ترفض مبدأ الإكراه الديني للتوصـل إلى السلوك المطلوب من الكافرين بالدين، ولقد برر العديد من المحللين لكون اليهـود أول من أقبل على التطـرف الديني، باعتبارهم عانوا أزمة العدالة الاجتماعية، حيـث اعتقدوا أن مدنية العصر الحديث هي السبب وراء اضطهادهم ومعاناتهم، فهم بـكل مـا يحملونه من خرافات دينيـة وأساطير لم يعـودوا مقتنعين لعقليـة عصر العلم والتكنولوجيـا، وهم مع شعورهم بالدونية التي عاصروها على يد المجتمع المتمدّن الذي يؤمـن بالنصرانية الغربية في نهاية القرن الخامس عشر، دُفعوا إلى ضرورة استخراج مخزونهم من الحيـل البارعة والمبادئ الدينية والخرافات والأساطير التي تمنعهم من إعـادة سلطة الدين في الحصول علـى حقوقهم المهضومة على يد الغرب، وقد استمروا في إخـراج وتدوير هـذا المخزون لسنوات، حتـى أصبح فيما بعد حقيقـة مقنعة للغرب وممارسـات شائعة في العالم الحديث، واتجاهات نحوالمزيد من التطرّف الديني، ويعد رائدهـم «هرتزل» مـن أشد دعـاة الأصولية الإرهابيـة الصهيونية، فقد شـكّل فريقاً مـن الإرهابيين ووزعهم بداية علـى روسيا والدول الأوروبية بهـدف الانتقام من الدول الأوروبيـة راعية (الجيتـو)، واستغل هرتزل المؤتمر الصهيـوني الأول، في تعبئة اليهود بالحقد على العـالم، من خلال المحاضرات التي ركزت على وضع المخططات للسيطرة علـى العالم عن طريق الوسائل الإرهابية التي نشاهد تطبيقها على أرض فلسطين منذ أن وطـأت قدم أول يهـودي في مطلع القرن حتى اليوم، حيث الإرهاب والعنف هوأساس

(١) Holy War:: The Crusades And Their Impact On Today`s World. Ibid. xvi

هـذه العقيـدة، فقد جـاء في التوراة «إذا لم تطـردوا سكان الأرض مـن أمامكم يكون الذيـن يستبقـون، فهم أشـواك في أعينكم ومناخـس في جوانبكـم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتـم ساكنون فيهـا». واستلهم اليهود مـن التوراة سياستهـم في البطش والعنـف، وما تدميرهم لأريحـا في قديم الزمان، ومذابح صـبرا وشاتيلا، ودير ياسين التـي دُمرت عام (١٩٤٨)، وذبحوا جميع سكانها من نسـاء وأطفال وشيوخ، إلا شواهد علـى البربرية الصهيونية، ولقد شهـد الإرهاب الصهيوني تحـولاً نوعياً وطفرة كبيرة خـلال العـام (١٩٩٥) وما تـلاه، حيث وُجه سـلاح التطرف إلى صـدر صهيوني مثله، فتـم اغتيال «إسحق رابـين»، كما تم قتل (٢٩) من الركع السجـود في الأقصى علي يد المتطرف اليهودي «جولد شتايين». وفي كتاب مهم (التطرف اليهودي في إسرائيل)، قام (إسرائيل شاحاك ونورتن مينرفينسكي)، مؤلفا الكتاب[١]، برصد دقيق لهذه الظاهرة في دولة إسرائيل الحديثـة، حيث أرجعها المؤلفان إلي الجذور التاريخية لها، موضحين أن المناصريـن للأصوليـة اليهودية في إسرائيل يقاومون العدالـة الاجتماعية والمساواة التـي هي من حق جميـع المواطنين خاصة هؤلاء(غـير اليهود)، وأشـارا إلي الدراسة التـي قام بهـا عالم الاجتماع اليهودي، «بورش كيميرلنج» التـي ذكر في نتائجها أن قِيم الديـن اليهودي علي الأقل في جانبه الأرثوذكسـي والقومي اللذان ينتشران في إسرائيل الآن، لا يمكـن أن تتماشي أوتنسجم مع قيم الديمقراطية ولا توجد أي متغيرات، قومية كانـت أم اجتماعية، يمكنهـا أن تؤثر علي السلوك الذي يتبناه اليهود الإسرائيليون ضد الديمقراطية، النابع من ازدرائهم لكل من هوغير يهودي، مستدلين بقول الحبر الأكبر كـوك: إن الفرق بـين روح اليهودي وروح غير اليهودي، هوأعظـم وأعمق من الفرق بين روح الإنسان وروح الماشية[٢].

إن بعض الحـركات الأصوليـة الإسلاميـة قد تلجـأ إلى العنـف في سبيل تحقيق هدفها، ومنها ما يقوم به على سبيل الدفاع عن النفس، أودفع الضرر، وتعتبر «تادرس»: «أنـه باستثناء العنف فإن آليات وسمات الأصولية القبطيـة هي نفسها آليات الأصولية الإسلاميـة.[٣]، حيث كان المسلمون واليهود ضحايا للأصولية المسيحية الفاشية، بداية

---

(١) إسرائيل شاحاك، أحد اليهود الناجين من مذابح(الهولوكست) وهوأستاذ جامعي متقاعد في الجامعة العبرية، وأحد المناضلين في جمعيات حقوق الإنسان، أما نورتن مينرفنسكي، فهوأستاذ التاريخ في جامعة سنترال كونكتكت، وله العديد من المؤلفات التي تمس الشرق الأوسط في العصر الحديث

(٢) الحسيني، مأمون دراسة: «مملكة الحاخامات» الصاعدة بقوة في «إسرائيل»، الخليج الأماراتية، منشور ة في تاريخ (٢٠٠٨/٥/٣) م.

(٣) الأقباط بين الأصولية والتحديث، مرجع سابق، ص ٥..

بذبح اليهود الذين عاشوا طويلا بسلام في ألمانيا، وعندما أخطأت الحملة الصليبية الرابعة عام (١٢٠٤) طريقها لتتجه نحو القسطنطينية بسبب خداع الفينيسيين، أصبحت الحرب المقدسة للكاثوليكية الرومانية ضد الأرثوذكسية الشرقية. إن جهاد «صلاح الدين» في القرن الثاني عشر وُجِّه نحو البرابرة المعتدين على دار الإسلام وليس فقط ضد محتلي القدس، وكانت دفاعاً عن النفس، فهو لم يحارب أو يغزو أحداً، وإنما حارب دفاعاً عن قدسية المكان وحرمة أهله، على عكس ما يُتهم به الإسلام دائماً، من أنه قد انتشر بحد السيف، وترد على ذلك «أرمسترونغ» برد مقنع: ما يذكره العلمانيون من السمات الدينية التاريخية، ويقررونه من أن الحروب والتغيير بالسيف أمور ضرورية لانتشار الدين، لكني أؤكد أنها ليست أجزاء ضرورية في انتشار الإسلام، وتصف ذلك بأنها وصمة وادعاء نابع من الخوف والحقد[١].

هناك وجه شبه بين الأصوليتين (الجناح العنيف) الإسلامية واليهودية، ويتمثل في وقوع حدث تاريخي ونادر، فلم يتكرر مرة أخرى، ذلك أن كليهما قد قام بتصفية رئيسه عقب اتفاق سلام وتنازل حتمي سوف يقع وبرعاية دولية، إن قتل السادات كان على غرار اغتيال كنيدي ومارتن لوثر، لأن من قام به هو من معسكر الرفض لما قام به الثلاثة، فالسادات في نظر الجهاديين خائن ومجرم لكامب ديفيد ومن عطل الجهاد ضد العدو الصهيوني، ما شكل ميلاد أصولية متشددة عنيفة، بينما كان «رابين» قد ألمح عن نيته تقديم بعض التنازلات للقلسطينين المفاوضينن، أما «كينيدي» فقد سار عكس رياح الصهيونية وهدد مصالحها التاريخية، بينما سلك لوثر مسلكاً مغايراً للإصلاح الذي كان يدعوله[٢].

العنصرية وعدم المساواة:

تتشابه الأصوليات الهندوسية واليهودية والإنجيلية في الطبقية وعدم المساواة، فالهندوسية تحكمها طبقة البراهمة التي لا تتزوج من طبقة أدنى، كما أنهم أصحاب عنصرية عميقة، تبدو في احتقارها لغيرها من الطبقات من غير الهندوس، وعدَّهم إياهم دون مرتبة (الحيوان)، ما يبين عوار هذه الأصولية، بينما يقسم الصهاينة الناس إلى يهود وأغيار كما أسلفنا، حيث حددت التوراة كيفية التعامل مع الغير

---

(١) Armstrong. Karen., Muhammad a prophet for our time.. Published October 17th 2006 by Eminent Lives (first published January 1st 2006). p164.

(٢) The clash of fundamentalism. crusades. Jihad. and modernity Ibid. .P118.119

تنفيساً للأحقاد وضغائن قديمة جديدة، بينما عبر التلمود عن نفس انعزالية متعالية تميز اليهود عن غيرهم، «الإله قد ندم على خلقه أربعة أشياء: المنفى والكلدانيين، والإسماعيليين (العرب)، ونزعة الشر»[1]. وهناك من النصوص ما يحث على الاستيلاء على المدن وحصار الشعوب، وضرب كل ذكر بحد السيف، وسبي النساء والأطفال وذوات الأربع، ومشاهد حرق وذبح وسلخ ودم تلفها كلمات مغلفة بغلاف الدين كذباً، يثير لديهم روح الكراهية والانتقام لكل كائن حي، ولم لا فإلههم يعتذر ويحزن، ويرغي، ويزبد في رغبته لمحوالإنسان عن وجه الأرض[2].

أما التلمود فنص على أنه: «مسموح لليهودي بقتل غير اليهودي دون معاقبة، وعليه لا ينقذ اليهودي غيره من خطر يهدد حياته كوقوعه في حفرة»[3]. لذا أكد (إسرائيل شاحاك) في كتابه (الديانة اليهودية) أن اليهودي لا يحاسب عن التسبب غير المباشر في قتل أحد من الأغيار، بينما تُعَدُّ جريمة قتل أحدهم مجرد معصية غير قابلة لعقوبة مدنية في الدنيا، إنما مجرد معصية ضد شرائع السماء. لذا فإن عبارات القتل والاستئصال والفناء تتكرر في الأسفار التوراتية المحرفة عند كل احتلال مدينة، وتعدد التوراة الملوك الذين قتلهم (يوشع)[4]، إذن فطريقة الأصولية اليهودية وربيبتها الإنجيلية في التعامل مع الآخرين- وفقا للتوراة- عبارة عن مشاهد قتل أطفال وتكسير عظام وشق نساء وسلب ممتلكات وسرقة مياه وإبادة حيوانات (ذوات الأربع)، وإلحاق الدمار بالمدن المسالمة والشعوب، وهذا ما يطابق أرض الواقع، ويوضح بجلاء لا شك فيه مدى التطابق بين اعترافات الحكومة الأصولية اليهودية في إسرائيل وبين ما جاء في التوراة، بل هوتطبيق نصي وحرفي للوصايا التوراتية المزيفة، حتى الألفاظ نجد (مخربين) التي تطلق على المجاهدين والمقاومين الأبطال، مذكورة في سفر صموئيل (١٣-١٧)، فكيف تكون السياسة اليهودية إذا كانت أحزاب إسرائيل كلها تعتمد التوراة مرجعاً لتأسيسها وتوجهاتها السياسية؟ لقد وضع سفر (العدد) تصوراً لما مارسته الدولة الأصولية اليهودية تجاه أهل فلسطين منذ عهد (شارون) وحتى (مائير كاهانا). أما سفر (التثنية): فقد نص على اغتصاب الأرض وطرد سكانها الأصليين وذبحهم. فيما يعد سفر (يوشع): سفر المذابح بحق، يستخدم في مدارس

---

(١) سفر سوكاه (٥٢ ب)

(٢) عماد، عبد الغني، صناعة الإرهاب، دار النفائس، بيروت ط١، عام (١٤٢٤) هـ، ص ١١٥.

(٣) السقا، أحمد حجازي، عودة المسيح المنتظر مرجع سابق، ص١١.

(٤) غزا فلسطين وارتكب العديد من المجازر والمذابح ضد سكانها

إسرائيل كنصوص كلاسيكية وللإعداد النفسي لجنود إسرائيل.

لقد كتب المحلل السياسي «ديفيد يوك» مقالاً خصص جزءاً منه للحديث عن جرائم «شارون» قائلاً: «أود اليوم رسم تاريخ موجز لخمسين سنة من الجرائم الشارونية ضد الإنسانية، بدءاً بمذبحة قبية (١٩٥٣) مروراً بغزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا إلى المجازر الجماعية للرجال والنساء والأطفال في جنين»، وسوف أقتبس من حديث إرهابي الإرهابيين (شارون) من مقابلته مع الصحفي «عاموس عوز» إبان غزوه لبنان سنة (١٩٨٢) حيث يقول شارون «لست أبالي بكون هذه الحرب قذرة حتى لوثبت لي ببراهين الرياضة البحتة، حتى لوتم قصف الجليل بالكاتيوشا فلا يهمني، فلسوف نشن حروباً أخرى، ونقتل وندمر المزيد والمزيد حتى ينالهم منا ما يقولون معه كفى كفى حسبنا ما لقينا، لئن حاول شخص أن يمسنا بسوء فإن رجال الشر سيمزقونه إرباً..... ودعهم يفهمون أننا بلد وحشي، ضار، متهور يهدد بالخطر من حوله...... فنحرق الأخضر واليابس ونضرم النار في كل حقول النفط في الشرق الأوسط. لو أُطلقتْ النار على أي من سفرائنا، فلن نتورع عن اشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة»[1].

هذا في الوقت الذي يحسب لأغلب حركات الأصوليات الإسلامية وبخاصة الدعوية انها لم تفرق بين البشر باعتبار الجنس أوالأصل، ولا الحسب ولا النسب، بل كان ميزانهم في ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2]. فعملوا على دعوة غير المسلمين من خلال المعاملة الحسنة، فالله لا ينظر إلى الأجسام ولا الإجساد، إنما إلى القلوب. فالإسلام رفع «سلمان» فارس، وقد وضع الكفرُ النسيبَ أبا لهب. وهذا يعد أحد اهم أسباب زيادة انتشار الإسلام عددياً وجغرافياً، فلا أحد يرضى أن يكون محتقراً بالخلقة، أوأن يكون طريق العزة والكرامة مسدوداً عليه.

* * *

(١) ديفيد بوك، عام على أحداث سبتمبر، ترجمة كمال البيطار، جريدة الخليج، ع (٨٥١٠)، تاريخ (٢٠٠٢/٩/٦).
(٢) سورة الحجرات، آية (١٣)

المبحث الخامس

الأصولية الدينية واستشراف المستقبل

يحمل المستقبل بُشريات عدة للوطن العربي والإسلامي، هذه البُشريات مرتبطة بسلوك الأمة، ومدى قابليتها وقدرتها على تغيير الوضع الحالي إلى الأفضل، إحدى هذه البشريات توضحها دراسة بحثية أمريكية تتمثل في الرغبة العارمة للمسلمين في تطبيق شريعة الله، هذه البشرى يقابلها على النقيض تماماً حالة من التشاؤم في المستقبل وفقدان ثقة العديد من الشعوب الغربية والأمريكية في أنظمتها وفي حكامها، في ظل تزايد الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والحد من أدوار بعض هذه الدول، سوف نناقش هذه المؤشرات والتوقعات بتأثيراتها على مجريات الأمور فيما يلي :

المطلب الأول: مستقبل الأصولية الدينية في الوطن العربي

لقد حاول الباحث أن ينظر في مستقبل الأصولية الدينية، مستعيناً في ذلك بالدراسات والبحوث السياسية، وآراء العديد من الكتاب والمحللين، بالإضافة الى بعض الشهادات المهمة لنقيم واقعاً حقيقياً، يتمثل في انتشار ظاهرة الأصوليات الدينية على مستوى العالم، وسيطرة الأصولية الإنجيلية ذات البعد البروتستانتي العميق، على زمام الأمور في الولايات المتحدة ودول الغرب، ويرى الباحث أن ظاهرة الأصولية الدينية بشكل عام لم ولن تختفي فالمظاهر التي تمثلها الأصولية سلبية كانت أم إيجابية: مثل التدين، الصحوة، التعصب، التطرف، العنصرية الدموية، ستظل موجودة في أهل جميع الديانات، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لكونها ترتبط بأبعاد دينية، وأفكار، وقيم، وثوابت ومعتقدات مستقرة لدى عموم البشر بحكم فطرة الإنسان وغريزته. أما الأصوليات التي لا أصل لها، أوتستند إلى أصول محرفة، فإنها معرضة للذوبان على المستوى البعيد في ظروف وحالات معينة.

أما على الصعيد الفلسطيني: ففي ظل تلاحق أنباء محاولات اقتحام باحة المسجد الأقصى المبارك، فإنه من الطبيعي والمتوقع أن يسارع اليهود الخطى، باستغلال فرصة التشتت والهوان والعجز العربي، في تنفيذ الخطوات العملية المعدة سلفاً في مشروع بناء الهيكل، بل الإسراع في الانتهاء من إقامة المعبد اليهودي مكان المسجد

الأقصى، بعد أن قطعت شوطاً كبيراً في حفريات الأنفاق أسفل المسجد الأقصى، فاليهود لا ينتظرون الأقدار مثل غيرهم، إنما تُدبر في الخفاء، وتعمل في السر حتى تعيد مجداً وتقيم ملكاً، إنهم يحاولون مغالبة السنن وكأنهم يريدون أن يصنعوا الأقدار صنعاً ويستخرجوها استخراجاً من مكنون الغيب ومستور القضاء، لهذا تراهم لا يتعاملون مع الأمور بالقدرية ولا يتركون شيئاً للمصادفات. لذلك فقد تضاعفت أعداد التنظيمات والجماعات الساعية والمتعاونة للهدم ثم البناء في الأرض المغتصبة، فهناك حوالي مائة وعشرين جماعة أصولية متشددة تُصنف في داخل إسرائيل نفسها بأنها متطرفة، منها ما لا يقل عن خمسة وعشرين جماعة متخصصة في المساعي الرامية لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل. وتشكل بعض هذه الجماعات تحالفات فيما بينها، ومن أبرزها ما يسمى بـ: (رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة وكانت هذه الرابطة هي السبب في إقناع «بنيامين نتنياهو» بافتتاح النفق المار تحت أساسات المسجد الأقصى عام (١٩٩٦)م.

وقد قامت تلك الجماعات منذ احتلال القدس(١٩٦٧)م وحتى العام (١٩٩٠)م بأكثر من أربعين عملاً عدائياً ضد المسجد الأقصى[١]. حيث شهد أبريل سنة (١٩٨٢) م العدد الأكبر من محاولات الاقتحام للأقصى وصلت إلى خمس مرات في شهر واحد، وكانت أخطر محاولة في الحادي عشر من هذا الشهر، عندما قام الجندي الإسرائيلي «آلان جودمان» باقتحام المسجد الأقصى عبر بوابة الغوانمة وأطلق النار على الحراس، ثم هرع إلى مسجد الصخرة وأطلق النار عشوائياً وبغزارة فأصاب وقتل من المصلين والحراس[٢]. ومنذ أن أُبْرِمَتْ اتفاقيات (مدريد وأوسلو)، وأعمال الاعتداء تزداد وتيرتها حتى بلغت أكثر من مئة محاولة منها أثنتان وسبعون محاولة منذ توقيع اتفاق أوسلووحتى منتصف عام (١٩٩٨)م. فيما تعدى عدد من اقتحموا المسجد في العام (٢٠١٢) اثني عشر ألفاً على مئات المرات المتتالية، وفقاً لإحصائية صادرة عن «مؤسسة الأقصى للوقف والتراث»، وهورقم مرشح للزيادة خلال الأعوام المقبلة. وكانت مجلة «فورن ريبورت» البريطانية قد كشفت عن وجود معلومات لدى جهاز (الشاباك الإسرائيلي)، بأن المتعصبين اليهود المنخرطين في تنظيمات سرية يدبرون لاعتداءات قريبة ونهائية على المسجد الأقصى[٣]. ناهيك عن وجود إشارات

---

(١) ،سلسلة قبل أن يُهدم الأقصى، مرجع سابق.

(٢) سلسلة حوارات،موقع مفكرة الإسلام،(٨ /٥ /٢٠١٢)، بتصرف.

(٣) مجلة فورن ريبورت البريطانية، العدد الصادر في الأسبوع الأول من سبتمبر عام (١٩٩٨)م.

متفرقة تخرج من إسرائيل في الآونة الأخيرة تحاول أن تمهد نفسياً لإمكانية حصول شكل من أشكال متوقعة لخطط وهجمات يقوم بها مئات ألوف المتطرفين، أو قيام متطرف يهودي بتكرار ما سبق أن قام به الإرهابي «عامير» قاتل «رابين» أو المجرم «جولد شتاين» في مذبحة المسجد الإبراهيمي، وقد يستخدم فيها القنابل أو الصواريخ.

وفي إطار عملية التهويد المنهجة، فسوف يقوم الاحتلال ببناء المزيد من الكنائس في محيط الأقصى، بعد ان وعَدَ بناء مئة كنيس يهودي خلال الفترة القصيرة المقبلة. حيث يطرح الأصوليون اليهود حالياً ثلاثة مشاريع قوانين أمام «الكنيست» تستهدف إتباع المسجد الأقصى لوزارة الأديان الإسرائيلية، واقتطاع (٧٠)٪ من مساحته الإجمالية (المقدرة بنحو ١٤٤ ألف متر مربع) وتحويلها إلى ساحات عامة. ويأتي ضمن هذا المشروع أن الاحتلال قام ببناء منصة في ساحة البراق[1]. كما أن الاحتلال يخطوخطوات سافرة حسبما يقول «رائد صلاح»: لفرض إدخال المجتمع الإسرائيلي في الحرم وأدائه الصلوات كأنه أمر طبيعي، في استنساخ لتجربة الحرم الإبراهيمي، بما يؤسس لتقسيم زماني ثم مكاني ومن ثم بناء الهيكل على حساب الأقصى... وذلك من شأنه أن يُعرض المدينة لتغيير في معالمها الهندسية والتاريخية العربية داخل السور. حيث يضطر الفلسطينيون إلى بيع محلاتهم أو تأجيرها هربا من الحصار الاقتصادي الخانق، وعلى رأسها الضرائب[2].

مستقبل الأصولية الإسلامية

على الرغم من أنَّ الدراسات الحديثة قد أكدت استمرار تفوق المسيحيين عددياً، إلا أنها في المقابل قد رسمت التوجهات المستقبلية التي ستعيد خارطة توزيع الأديان في العالم، فأوضحت حجم التراجع في نسبة انتشار المسيحية الذي يقابله التوسع الجغرافي والعددي للإسلام، لذا يصبح من الطبيعي ومن المتوقع أن تتصدر الأصولية الإسلامية المستنيرة وأهلها المرتبة الأولى في خريطة توزيع الأديان في العالم عددياً وجغرافياً في المستقبل القريب.

إن ما يعزز من مصداقية هذا الاستشراف، هووجود رغبة جارفة لدى معظم

---

(١) الجزيرة نت، برنامج «ما وراء الخبر»، حلقة بتاريخ ٨ /٩ /٢٠١٣ . وتحدث فيها كل من رئيس الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر الشيخ رائد صلاح، وأستاذ كرسي الإمام الغزالي بالمسجد الأقصى وجامعة القدس المفتوحة الدكتور مصطفى أبوصاوي، ورئيس قسم العلاقات الدولية بجامعة ماريمانت الدكتور غسان شبانة.

(٢) صحيفة البلاد، بتاريخ (٨ /٩ /٢٠١٣) م.

المسلمين الذين شاركوا في أحد الدراسات الحديثة[1] التي كان من نتائجها، أن أعرب غالبيتهم من المسلمين في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط عن رغبتهم في تطبيق الشريعة الإسلامية وقوانينها في بلدانهم لتصبح «القوانين الأساسية» السائدة والحاكمة في كافة المجالات العامة والخاصة، حيث أكدت الغالبية على قدرة أحكام الشريعة على حل مشاكلهم الخاصة في مسائل تهدف إلى حل النزاعات الأسرية والنزاعات بشأن الملكية. وخلصت الدراسة إلى إن هناك نسبة (٩٩)٪ في أفغانستان، تليها نسبة (٧٤)٪ في مصر، في حين يؤيدها نسبة (٧٢)٪ في إندونيسيا، ثم نسبة (٧١)٪ في نيجيريا، (٥٦)٪ في تونس وأخيراً في تركيا بنسبة (١٢)٪ من المستطلعة آراؤهم في البلدان التي شملتها الدراسة، وكذلك أبدت أغلبية المستطلعة آراؤهم تأييدهم الحرية الدينية رغم دعمها لتطبيق الشريعة. وأعرب نصف المستجوبين عن مخاوفهم بشأن التشدد الديني خصوصاً في مصر والعراق وتونس. وأبدى معظمهم ارتياحاً بشأن العلاقة ين ديانتهم والحياة المعاصرة. وعلى مستوى الالتزام الديني والأخلاقي، فقد أجمعت أغلبية كبيرة أن الدعارة أوالمثلية الجنسية أوالانتحار أوتناول الكحول تصرفات غير أخلاقية. ورفضت أغلبية واسعة العنف المُمَارسْ باسم الإسلام. فقال ما نسبته(٨١٪) من مسلمي الولايات المتحدة إن العنف لا يمكن «إطلاقا» تبريره مقابل متوسط بلغ (٧٣٪) في بقية أنحاء العالم. بيد أن أقليات لا يستهان بها في بنغلاديش ومصر وأفغانستان والأراضي الفلسطينية قالت إن العنف جائز.

إن هذه النتائج المبررة، إنما هي نتاج جهود وعطاء الأصولية المستنيرة التي تنير طريق المهتديين الجدد، أوتفتح باباً لصاحب الفطرة السليمة لاكتشاف حقيقة الدين السمحة، وعقيدته الحنيفة، ولكن رغم هذه البُشريات، ونظراً لضبابية المشهد السياسي بشكل عام، وعدم وضوح الرؤية المستقبلية، فإن الباحث يرى مستقبلاً أكثر صعوبة من ذي قبل للأصولية الإسلامية الناجحة، حيث سيتم مجابهتها بقوى مضادة داخلياً من أنصار الأصولية العلمانية الزائفة، ومن قوى الأصولية الشيوعية المندحرة، نراها تتكاتف وتتآلف وتتكتل مع قوى التعصب الديني خارجياً، وممثلها الأصولية الإنجيلية حليف الصهيونية، لتقوض وتعيق تحقيق المزيد من النجاحات لهذا الفصيل الأصيل من الشعوب المسلمة، وستسعى جاهدة، لا أقول لإسقاطه، وإنما لتقويضه ومن ثم دحره والقضاء عليه.

---

(١) دراسة: «مسلمو العالم: الديانة والسياسة والمجتمع» في تطبيق الشريعة الإسلامية في بلدانهم، والتي قام بها مركز» بيوللأبحاث»خلال الفترة ما بين عامي(٢٠٠٨) و(٢٠١٢)، حيث شملت العينة (٣٨)ألف مسلم موزعين على(٣٩) بلدا تنتمي إلى العالم الإسلامي، وقد صدرت الدراسة الثلاثاء. (٢٠١٣/٤/٣٠) م

كذلك فإن الباحث يتوقع عودة محمومة لوتيرة العنف مرة أخرى، خاصة في دول الربيع العربي، التي تعاني انفلاتاً أمنياً وأخلاقياً رهيباً وبروزها في واجهة الأحداث محلياً وعالمياً، وذلك بعد فترة من الهدوء النسبي الظاهري، الذي تمتع به العالم العربي، الذي شهد موجة من أحداث عنف غير مسبوقة، في فترة التسعينيات، وذلك كرد فعل لحالة الغضب تجاه حالة اغتصاب الديمقراطية، بُعيد انقلاب العسكر على أول رئيس شرعي مدني منتخب في منطقة الشرق الأوسط، واحتجازه قسراً في مكان مجهول، وكذلك هجمات الجيش والشرطة على أهالي سيناء، وهدم بيوت أصحابها، فضلا عن انتهاكات حقوق الإنسان الواضحة من قبل سلطة الانقلاب التي تمثلت بشكل فاضح في هتك عرض الأطفال، واغتصاب الحرائر وقتل المعتصمين السلميين، وحرق جثثهم والقائها في عربات القمامة، فصلاً عن نشاط المعارضة التونسية التي تسعى لاسقاط النظام المؤقت، وعودة أزلام النظام الفاسد السابق، بالإضافة إلى حالة التدهور والفوضي الأمنية وعدم الاستقرار في ليبيا، واليمن، والحرب غير المتكافئة في سوريا. كل هذه العوامل ترجح عودة الخيار المسلح من جانب بعض القوى الدينية الجهادية التي بدأت في الظهور بقوة- فعلاً- في العراق وسوريا، بعد أن راعها ما يحدث الآن من محاولات صريحة لإفشال ربيع الثورات والتربص بأهل الدين داخلياً وخارجياً، ولتصح هذه الجماعات فزاعة جديدة يُخوِّف بها الغرب العالم المستسلم، ويبدأ موجة صليبية جديدة في إطار الحرب المزعومة على الإرهاب. بينما يبدي بعض المؤرخين رأياً مغايراً[1]، فهم يرون أن الحركات الأصولية التي سيطرت على المجتمعات العربية والإسلامية طيلة ربع القرن الأخير وحققت نجاحات جماهيرية هي الآن في طور الأفول والانحدار بسبب انفصال التحالف الذي كان قائماً بين البرجوازية المتدينة في المدن، والشباب المسحوق بالفقر والبؤس وكذلك الطبقات الشعبية بالإضافة إلى طلبة الجامعات من المثقفين الأصوليين، باعتبار أن هذه الفئات هي التي أمنت للحركات الأصولية تلك الشعبية العارمة في الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي. وهي التي أوصلتها إلى أبواب السلطة تقريباً كما حصل في مصر بعد مقتل السادات مباشرة، أوفي الجزائر بعد نجاح جبهة الإنقاذ في انتخابات (١٩٩٢). إن هذا الطرح -على غرابته- يتناسى السبب الحقيقي للصراعات الدامية، وما حدث من عسكر السلطة في مصر والجزائر خير شاهد على ذلك، وأخيراً فإن الصحوة الإسلامية -وإن كانت ستعاني في المستقبل القريب- قادرة على العودة السريعة لتفجر طاقات الأمة، وليحمل

---

(١) صالح، هاشم، معضلة الأصولية الإسلامية.

لها مشروعها الحضاري المتميز. لكن هذه العودة ليست سهلة، فهي مرتبطة بمدى صلتها بأصول الإسلام فهماً وإيماناً وسلوكاً وتطبيقاً، ثم بمدى قدرتها على الوفاء بحاجات مجتمعها، ومطالب عصرها خصوصاً في حل القضايا الشائكة التي لها حلول مثالية شرعية، مثل: ثالوث المشاكل (الفقر والجهل والمرض) وحقوق الأقليات والحريات والتعددية والديمقراطية ونحوها، ثم بمدى تأثيرها في جماهير المسلمين ونخبها، ومدى اقتناعهم بها[1].

أما «برنارد لويس» فإنه يسلك مسلكاً مغايراً تماماً عند تقييمه للأصولية الإسلامية الناجحة، ويبدي نظرة تشاؤمية في معرض تنبؤاته لمستقبل الشرق الأوسط، من حيث اعتقاد الإسلاميين في الديمقراطية، معتبراً أنها دعوة خادعة تهدف إلى الوصول للحكم، وسوف ينقضّون على الديمقراطية، بمجرد تحقيقهم هذا الهدف، كذلك يتنبأ لويس بمصير انهزامي للقوى الضعيفة: «إن الديمقراطيات قد تفاوض ديمقراطيات أخرى وتساومها، لكن الأمر يكون أصعب مع الأديان ويبيت مستحيلاً إذا كانت الأديان أصولية»، هذا قول يعني ببساطة أن الشعوب في المنطقة يجب أن تتخلى عن قيمها وتراثها وتاريخها، وأن تسلّم للقوى الأخرى بالهيمنة والسيطرة. ويختم لويس نظرته التشاؤمية تجاه العالم العربي والإسلامي، حيث يقول:» بأن الدول العربية هي الأكثر تعرضاً لخطر التفكك وأنها ليست الوحيدة، فالاتجاه نحوالتفكك سيزداد بتشجيع من الشعور (الأثني) والشعور الطائفي المتنامين»[2].

وترد «أرمسترونغ» على اتهام الإسلام بالعنف، في شهادة مهمة على تجني بعض الباحثين الأمريكيين[3]: «إن ريتشارد داوكين، وكرستوفر هيتشنز، يحمّلان الدين الإسلامي مسؤولية الوحشية الإنسانية، والمفاجأة أنني أدركت أن كلاً منهما أبله ويستغلون حقيقة معاداة الإسلام السائدة في الغرب منذ ١١ سبتمبر، ..إن المسلمين لم يطلبوا منا التخلي عن نماذجنا وقيمنا، بل بالعكس»[4].

تعليق الباحث:

---

(١) مستقبل الأصولية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦١-٦٠.

(٢) برنارد لويس، تنبؤات برنارد لويس مستقبل الشرق الاوسط، ترجمة دار رياض الريس للكتب والنشر ط١، بيروت، عام (٢٠٠٠) م، بتصرف

(٣) خلال محاضرة بعنوان «الإسلام المتعاطف Understanding Islam» في معهد جامعة أكسفورد للدراسات الأمريكية بإنجلترا

(٤) كتيب أرمسترونغ الإسلام المتعاطف، بيع منه أكثر من ربع مليون نسخة في الساحل الشرقي بالولايات المتّحدة وحدها

إن «لويس»- في طرحه هذا- تناسى أن الأحزاب والنظم الدكتاتورية الفاسدة، هي التي انقضت على الديمقراطية التي أفرغوها من محتواها، وهم في الوقت ذاته لا يكفّون عن الصراخ مطالبين بالدعوة للحرية والديمقراطية، وهم يحملون في أيديهم آلاف الخناجر المسمومة ليغرزوها في صدر الآخرين، الذين هم ضمير الأمة الحي من الشرفاء. ولنا في تجربتي الجزائر (١٩٩٢) ومصر (٢٠١٣)، وسطوالعسكر المسلح على السلطتين، وانقلابهم على الشرعية والدستور بصورة همجية، أكبر دليل على عدم واقعية هذا التنبؤ، فقد انقضت قوى الظلام والجهل المدعاة- زوراً وبهتاناً-، بقوى الحداثة والعلمانية، فقامت بتحطيم قواعد الديمقراطية الزائفة، وألغت الانتخابات في البلدين وخطفت الرئيس الشرعي في مصر، فباتت بذلك أهلاً للفوضى والانقلاب والسطوعلى الشرعية، ومحطمة أسس الحرية والديمقراطية المزعومة. كما لم يذكر «لويس» أن الذي يساعد ويغذي عملية التفكك هوالغرب الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة والصهيونية العالمية التي تسعى للفرقة بين الدول، وتقيِّم الأمور وفقاً للبراجماتية السياسية، ووفقاً للتعصب الديني المقيت، دون الأخذ في الاعتبار معايير الدين والأخلاق.

المطلب الثاني: مستقبل الأصوليات الدينية التوحيدية

أولاً: مستقبل الأصولية اليهودية

في ضوء انتشار الدعاة الأصوليين وأنصارهم من العاملين في المؤسسات التربوية في القطاع الديني، ومع ارتفاع نسبة المواليد بشكل فائق في صفوف الجماعات الأصولية الرئيسة، كمستوطني «غوش إيمونيم»، فالأقرب أن عدد هؤلاء الذين يعتقدون في تلك الأساطير، وينذرون حياتهم لتحقيق الأهداف الأصولية سوف يتزايد رويداً رويداً ومع زيادة نشاط الأصوليين المتزامن مع الزيادة في الكم، فإنه من المتوقع زيادة مساحات البؤر الاستيطانية، لكونها كانت الأداة الأساسية لنجاح الأصوليين سياسياً قديماً، فيصبح من الطبيعي أن تسعى الأصولية اليهودية لزيادة رقعة نجاحها على الأرض في الأيام المقبلة[1]. ذلك مع ارتباطه بمحاولات أخرى لا تقل أهمية عن الاستيطان كمظهر من مظاهر نجاح الأصولية الصهيونية في تحقيق أهدافها، وهي محاولات تهويد القدس، وهدم الأقصى وتهجير البقية الباقية من أهل المدينة المقدسة، وإن كان من الصعب التنبؤ بمصير الشرق الأوسط ودولة الاحتلال، خلال سنة من الآن، وكذلك

---

(١) الأصولية اليهودية في إسرائيل: من اجل الارض والرب، مرجع سابق، ص ١٧٠.

مستقبل الأصولية اليهودية المرتبط بما سبق، وذلك لطبيعة مشكلة الشرق الأوسط المتغيرة باستمرار. مع الأخذ في الاعتبار التباين الشديد داخل مستوطنة (غوش إيمونيم)، بين الأكثرية المتدينة والأقلية غير المتدينة والانقسامات الشديدة بينهما.

أما عن الحلم الصهيوني في «إسرائيل الكاملة»، فسوف يستمر في ظل وجود ساسة أصوليين، مرتبطين بعلاقات صهيونية وطيدة، ولنرى معاً السفيرة الأمريكية التي نُشر على لسانها في جريدة الوطن القاهرية خبرٌ نقلته عن جريدة «معاريف الصهيونية»، مفاده أن عودة اليهود من الشتات ومن كافة بلدان العالم إلى أرض الموعد من النيل إلى الفرات صار وشيكاً، وأنه سيتم خلال العام (٢٠١٣)، وأعلنت بفخر أنها لعبت دورا محورياً وخطيراً، حقق لشعب الله المختار النبوءات التي قيلت عنه بصورة تعتبر إعجازية. كما أعلنت أن المصريين لن يمانعوا في عودة اليهود بل سيتوسلون إليهم لكى يعودوا إلى مصر وينتشلوهم من الفقر والمجاعة بعد إعلان إفلاس مصر الموشك والمتوقع خلال هذا العام. للأسف هذا الاعتقاد يؤمن به كل البروتستانت الأمريكان، خاصة المتطرفين منهم، ولذلك هم يساعدون إسرائيل بسيناريومأخوذ من العهد القديم سفر «أشعيا» (الإصحاح : ١٩) أهيج مصريين على مصريين، الأخ يقتل أخاه، والصديق يقتل صديقه من شارع إلى شارع ومن مدينة إلى مدينة، وتهراق روح مصر داخلها، وأفني مشورتها، لتكون سكة بين مصر وآشور «أي طريق من النيل إلى الفرات»[(١)].

أما عن الأصولية اليهودية المعتدلة التي لم تحقق النجاح السياسي نفسه على مستوى دولة الاحتلال، فإنها سوف تلقى المزيد من التحجيم والمقاومة من الأصولية اليهودية المتطرفة، والإنجيلية الشرسة التي سوف تسعى لتثبيت أقدامها لدى القوى السياسية الكبرى، وتنتقل من غزولآخر، فمن حرب العراق إلى حرب أفغانستان ومن قبلهما مجازر الشيشان، وغزولبنان. فضلاً عن دورها السياسي الخبيث في بث الفرقة بين الأشقاء في كل مكان.

ثانياً: مستقبل الأصولية المسيحة - الإنجيلية

إن من أهم نتائج الأصولية الإنجيلية سياسياً قيامها بالدور المسيحي قديماً في نثر بذور الحروب، وفي ظل تغير مفهوم (محاكم التفتيش) الذي انقلب إلى حروب فكرية من نوع خاص، وبالتالي يحمل المستقبل انحسار دور الأصولية المسيحية التقليدية، لينحصر في مجال التنصير، وذلك لمصلحة الأصوليتين المتصارعتين فكرياً وسياسياً

(١) بوابة الوطن الالكترونية بتاريخ (١٢-٨-٢٠١٣).

ولربما ميدانياً (الإنجيلية، والإسلامية)، فهما الأقوى والأسرع انتشاراً، خصوصاً أن خطط النشاط «التبشيري» تسير بنجاح لافت جنباً إلى جنب مع سياسة الدول التي تُتاح لها الفرصة تلوالفرصة في بلاد أصابها الثالوث الاستعماري الفقر، والجهل، والمرض، وبخاصة في البلدان العربية والإفريقية المنهكة فقراً وجهلاً.

أما عن الأصولية الإنجيلية، فقد ساد اعتقاد خاطئ في الماضي، بأن الحركة قد تراجعت وخَفَتَ بريقها وانطفأت جذوتها بخروج الرئيس «ريغان» من البيت الأبيض نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، بعد أن تعرف الناس قبل خروجه على الأغلبية الأخلاقية، وعلى برامج «بات روبتسون» التلفزيونية، كما أن فضائح القساوسة الإنجيليين الذين صنعوا شهرتهم عبر برامج التلفزيون أمثال «بيكر وجيمي سورغارت» أفقدت التيار كثيراً من الثقة، وتصوّر الناس حينها أن تيار (المسيحيين المحافظين) قد انتهى. لكنهم تمكنوا بحلول عام (١٩٩٢) من إحراز مكانة متميّزة داخل الحزب الجمهوري، حيث سيطر التيار على سبع مندوبيات ولايات من بينها اثنتان وأربعون من أصل ستة وأربعين مندوباً لولاية أوثلاثة أرباع ولاية «أوريغون» في ولاية (كارولينا الجنوبية)، ونصف (ألاسكا)، وثلث مندوبي ولاية (كاليفورنيا)، كذلك أشار المراقبون في حينه إلى أن ما نسبته (٤٠)٪ من أصوات الأنتخابات الرئاسية الأخيرة الذاهبة إلى «بوش الأكبر» حصل عليها من الإنجيليين.

ووفقاً للمعطيات السياسية الدولية الحالية، فسيستمر اعتماد الكثير من الدول النامية والفقيرة، على القوى العظمى حتى أجل قريب، وستزيد تبعات التداعيات الخطيرة حول الدور المركزي للولايات المتحدة خارج أمريكا أوداخلها، مع احتمالية تبدوقوية مستقبلاً، في أن يحدث تغيير سلبي في توجه الولايات المتحدة للعب دور في التأثير على ما يجري في العالم، وتحديدًا في الشرق الأوسط، رغم العلاقة الوطيدة بين الأصوليتين الإنجيلية واليهودية،، نتيجة اشتراكهم في الموروث الديني، فضلاً عن كون إسرائيل ستكون أكثر الدول المتضررة من ذلك. إن التوقعات باحتمالية تغيير طبيعة الدور الأمريكي والغربي تعززه العديد من الدراسات، حيث وجهت دراسة مثيرة للجدل لطمة جديدة للهيمنة الإمبريالية الأصولية على العالم، حيث نشرت صحيفة» تايم» الأمريكية خريطة توضح مدى شعبية الولايات المتحدة الأمريكية خلال الأعوام الأخيرة حتى عام(٢٠١٤)[1]. فكشفت الخريطة عن تراجع تأييد دولة مثل روسيا لأمريكا عما كانت

---

(١) هذه الخريطة تبين صعود وهبوط في معدل الثقة بالنسبة للولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم في السنوات الأخيرة

عليه، وفقا لآخر تقارير مركز «بيو» للأبحاث. ففي عام (٢٠١٣) كانت نسبة المؤيدين لأمريكا (٥١)٪، لكن النسبة انخفضت لتصل إلى (٢٨)٪. مع حلول عام (٢٠١٤)، نظرا للخلافات التي حدثت على الساحة السياسية والمشكلات التي طفت على السطح بين القادة الروس والأمريكان، أما على صعيد الوطن العربي فيرصد التقرير تراجعاً في شعبية الولايات المتحدة لدى مصر فبعد أن كانت تبلغ (١٦) ٪ عام (٢٠١٣) م، تراجعت لتصبح (١٠)٪ في هذا العام، وبالانتقال إلى «تركيا» الحليفة، نجد أن شعبية أمريكا تراجعت بشكل ملحوظ من نسبة (٢١)٪ة إلى ما نسبته(١٩)٪ فقط هذا العام.

إن ما يزيد الخطر على دور (الأصولية الأم)، من حيث انخفاض الشعبية، هواقترانها بتراجع في النفوذ الإقليمي والدولي، حيث كشفت نتائج الدراسة المنشورة في (٢٠١٤/٠١/٠٢)[1] أن (٧٠)٪ من الأمريكيين يعترفون بتراجع احترام بلادهم دولياً لأول مرة منذ أربعين عاماً،حيث ذكرت الدراسة أن غالبية الأمريكيين يعتقدون، أن نفوذ بلادهم تراجع، وأصبحت تمارس سلطة أقل في الساحة الدولية، كما طالب غالبية الأمريكيين المستطلعة أراؤهم إدارة بلادهم بالاهتمام بشؤونها على الصعيد الدولي. حيث يرى (٥٣)٪ من الأمريكيين أن دور الولايات المتحدة أقل أهمية وتأثيراً في العالم منه عما كان عليه في إدارة «بوش». فيما رأى ما نسبته (٧٠)٪ من المُستطلعين أن احترام للولايات المتحدة في العالم تراجع إلى ما كان عليه في نهاية ولاية «بوش» الثانية. كما رصدت الدراسة انتقاد السياسة الخارجية للرئيس «أوباما»، وقالت أن معارضيها بلغوا أكثر من (٥٦)٪ من المستطلعة أراؤهم، حين وافق عليها نسبة (٣٤)٪ فقط، كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن الأمريكيين لا يوافقون على إدارة رئيسهم للوضع في سوريا وإيران والصين وأفغانستان. حيث طالب نسبة (٥١)٪ من الشعب الأمريكي المستطلعة آراؤهم أن تحتل المسائل المحلية مثل الاقتصاد أولوية الإدارة الحالية، بينما عدَّد أغلبيتهم من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها السياسة الخارجية الأمريكية خلال عام (٢٠١٣)، ومنها كارثة «إدورد سنودن» وكشفه لبرامج التجسس الأمريكي التي اعتبروها من أخطر أخطاء «أوباما» خلال العام المنقضي، لأنها أدت إلى انهيار الثقة بين واشنطن وحلفائها ولاسيما الاتحاد الأوربي. كما قال آخرون أن مصداقية الولايات المتحدة اهتزت عندما تجاهل أوباما الخط الأحمر الذي وضعه حين حذر النظام السوري من استخدام أسلحة كيميائية، واستخدمه بالفعل «الأسد» وأفلت من العقاب الشديد، وكذلك تمرد الرئيس الأفغاني (الحليف السابق) على واشنطن ورفضه توقيع

(١) حيث كان المركز قد أجرى استطلاعاً لأكثر من ألفي شخص أمريكي في ديسمبر الماضي (٢٠١٣) م.

اتفاقيـة أمنية طويلة الأمد تُجنِّبُ تعرُّضَ القوات الأمريكية للموت المتواصل، فضلاً عن مليارات الدولارات المهدرة بسبب الفساد وسوء إدارة البنتاجون.

أمـا على الصعيـد الغربي، فقد أظهرت استطلاعات أخـرى حديثة أجراها نفس المركـز في (٣٩) بلدًا أن الغرب يفقد ثقتـه بالمستقبل، خلافًا للعالم النامي الذي يجدد ثقتـه بمستقبله. فكشفت النتائج أن (٣٣)٪ فقط من الأميركيين يعتقدون أن أطفالهم سيكونـون أفضل حالاً منهـم، حيث قال (٦٢)٪ إن أطفالهم سيعيشـون حياة أسوأ من حياتهـم. وكان الأوروبيـون أشد تشاؤمـاً، فهناك ما نسبته (٢٨)٪ مـن الألمان، ونسبة (١٧)٪ فقـط من البريطانيين هم مـن أبدوا ذلك، ويأتي هذا التشاؤم الغربي مناقضًا للتفـاؤل الذي سجله الاستطـلاع في العالم النامي، بينما ذكـر (٢٨)٪ من الصينيين، و(٥٩)٪ من الهنود، و(٦٥) ٪ من النيجيريين أنهم يعتقدون أن المستقبل سيكون أفضل بالنسبة لهم ولأطفالهم.

هـذه النتائـج الصادمـة للأصوليـة الإنجيلية قـد تعود إلـى أسبـاب اقتصادية واجتماعية، بشكل يثير قلق هذه الدول جراء تشاؤم مواطنيها بآفاق المستقبل، وشعورهم بعدم الاطمئنان إلى ما يخبئه الغد، وقد يكون ثمة علاقة بين التفاؤل المتزايد في العالم النامـي متمثلاً في انفتاح وسيطرة التنين الصينـي الاقتصادية، والتشاؤم المتعاظم في الغرب الذي يستند إلى تراجع اقتصادي وتفكك في العقد الاجتماعي.

ومع ذلك فإن المحللين يرون أن القوى التقنية والاقتصادية والسياسية سوف تقوم بدفـع (العولمة) إلى الأمام مجدداً، في إطار عملية مقاومـة العولمة ومحاولة انصهارها وذلـك ما نُقلَ عنهم في صحيفـة «فايننشيال تايمز» كما أنهم أبدوا تفاؤلاً بشأن مسألة التوافـق الأوروبي والدولي علـى العولمة، من أنه ما زال صامـدًا. وذلك مع المطالبة من الساسة بضرورة إيجاد حلول بمستوى الأوضاع الاقتصادية الجديدة. يأتي ذلك في ظل توقعـات المتابعين بأن عقدًا آخر من الاعتلال الاقتصـادي ينتظر الغرب، أوأزمة مالية أخرى، من المرجح أن تؤدي إلى حلول أشد راديكالية وتنجب سياسيين أكثر تطرفًا.

اختبار الفرضيات وتحليل النتائج:

في ضـوء مـا تم مناقشتـه مـن موضوعـات متعلقـة بالأصولية الدينيـة في العالم ودوافعها وآثارها وكذلك مظاهر الأصولية الإنجيلية يتبين لنا ما يلي:

إن الأصوليـة الدينية تتفـق من حيث المصدر، في كونها كلها تشـير إلى العودة إلى

الأصول والعودة إلى الدين لكنها تختلف من حيث سلامة المصدر وطبيعته، صدقاً أم كذباً، سليمة أم محرفة، وكل منها له من مظاهر حميدة وأخرى بغيضة، كذلك تتباين في الوسائل، وفي عوامل الظهور، ومناطق الانتشار فضلاً عن تشابه بعض أهدافها، فمن الأصوليات من سعى إلى نشر الدين وتطبيقه في نواحي الحياة كوسيلة لإسعاد البشرية جمعاء بينما تسعى أخرى إلى استعادة أمجادها بالقضاء على منافساتها من الأصوليات الأخرى وتدمير البشرية، كما بالأصولية الإنجيلية، فكلها شر مستطير، لاعتناقها نبوءات كاذبة ونصوصاً محرفة، تتبدل بحسب الحال والمآل، وأهدافها مستترة وغير مشروعة، متخذة من الدمار وخراب البشرية ومساندة المعتدي أسلوباً ومنهاج حياة.

وعليه فإننا نرفض الفرض العدمي الأول ونقبل بالفرض البديل.

إن الأصولية الإنجيلية ذات بعد توراتي عميق، وجذور عنصرية متأصلة، فكل من أحب الشعب المختار عليه التزام أدبي وديني ثابت بحمايته ودعمه، من خلال أعمال إلهية، تؤدي إلى عودته إلى وطنه المقدس، حَدُّه الأدنى من (الفرات إلى النيل)، وتنتهي حيث كل أرض تطأ قدم يهودي عليها تمهيداً للعودة الثانية. وهي تساند المعتدي المحتل تقرباً إلى الرب، فمن تقرب منهم تقرب إلى الرب ومن أغضبهم أغضبه (سبحانه وتعالى عما يصفون).

وعليه فإننا نرفض الفرض العدمي الثاني ونقبل بالفرض البديل.

تبدو خطورة الأصولية الإنجيلية العنصرية الدموية في بُعْدِّها الديني التوراتي المتجذر في أصلها، حيث تجعل منه وسيلة لتحقيق أهدافها المستترة التي تعتمد على نصوصاً محرفة مبدلة بحسب الأحوال، وتُعَدُّ بالنسبة لهم مقبولة ما دامت تدعوإلى الالتزام الديني الثابت بدعم الاحتلال، فهوالطريق الموصل إلى بركة الرب، لأن شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي، كما أن أرض إسرائيل هي كل الأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته، وعندما يتناقض القرار الإسرائيلي مع مواثيق الشرعية الدولية أوالقانون الدولي، فيجب احترام القرار الإسرائيلي لأنه تعبير عن إرادة الرب التي هي أولى بالاحترام أما القوانين الدولية فإنها تعكس إرادة الإنسان وحينئذ تسقط كل التسويات والمفاوضات، حتى يتحقق هدف الهيمنة على العالم عن طريق الحرب العالمية النووية الثالثة التي سوف تدمر مليارات البشر بحجة إرضاء الرب.

وعليه فإننا نرفض الفرض العدمي الثالث ونقبل بالفرض البديل.

بينت الدراسة أنه على الرغم من اصطفاف العالم شرقه وغربه ضد حرب «بوش» الصليبية على العراق، لكونها لم تكن مُبررة، ومبنية على أساس باطل، لكنها جاءت استجابة لقساوسة أشرار من الذين أقنعوا كبيرهم بأن هذه الحرب إنما هي مقدمة لأحد أهم النبوءات الغيبية (هرمجدون)، فوسوسوا له بالسوء، حتى أتت الحرب الظالمة على الأخضر واليابس، وظل العراق يعاني منذ ذلك الوقت وحتى الآن من تبعات هذه الحرب المُفَكِّكة أواصره، وبالتالي فإن العلاقة واضحة بين المسار السياسي للغرب والولايات المتحدة من جهة، وبين الأصولية الإنجيلية من جهة أخرى، وإلا لما قامت دولة إسرائيل، ولما شُنَّت الحروب الفاشية من أجلها، فالغرب يحقق للدولة اللقيطة مطالبها الدينية والسياسية والتاريخية تحت زعم التنبؤات الدينية.

وعليه فإننا نرفض الفرض العدمي الرابع ونقبل بالفرض البديل.

لقد حققت الأصولية الإنجيلية نجاحاً تلوالآخر، منذ زرع المحتل الصهيوني بالمنطقة العربية، ومن ثم قيامهم بالحفر أسفل المسجد الأقصى، تمهيداً لهدمه وبناء هيكلهم المزعوم مكانه، حتى يعود المسيح ثانية، وفي سبيل ذلك لا يكفون عن اقتحام الأقصى، ناهيك عن زيادة في الاتساع والانتشار والسيطرة على العالم من خلال نظام أحادي القطب، يحتكر العالم اقتصادياً ويهيمن عليه سياسياً.

وعليه فإننا نرفض الفرض العدمي الخامس ونقبل بالفرض البديل.

في ظل توقع الدراسات بزيادة عدد الانجيلين، بحيث يتفوقون على الكاثوليكيين عدديا، بحلول العام (٢٠٢٥) وفي مقابل ضعف وهوان أمة العرب، وفي ظل حالة انعدام للتوازن السياسي العالمي، فإننا بصدد حروب متتالية ظالمة، قد تؤدي إلى انهيار هذه الحركة، في ظل مؤشرات عدة مُتَمثِّلةً في تمكين الأصولية المعتدلة في بلاد المسلمين، يقابله فقدان في الثقة وتراجع شعبية دولة القطب (الأصولية الأم)، بما تعانيه من تخبط في السياسات الداخلية والخارجية، وكذلك تراجع في مصداقيتها الغائبة، ناهيك عن الأزمات الاقتصادية الطاحنة، ومشكلة التفكك الاجتماعي لدى الغرب، فقد يكون المستقبل في هلاكهم وتدبيرهم في تدميرهم، ويزول هذا التيار الإقصائي.

وعليه فإننا نقبل الفرض العدمي السادس

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي أرجوالله عز وجل أن أكون قد وُفقت فيها في عرض وتسليط الضوء على ظاهرة الأصولية الدينية المنتشرة في عالمنا، والبحث في عناصرها وجوانبها وأبعادها،حيث تم دراستها من حيث المسببات والآثار، موضحاً الدور الذي تلعبه في الصراع القائم بين المسلمين وسائر الأديان والمذاهب، ولقد برهنت الدراسة أن الاستعمار الغربي هوأساس الأصوليات الدينية سواء بشكل مباشر عن طريق التفكيك والمؤامرات ونثر بذور الخلاف بين أبناء البلد الواحد، أم بشكل غير مباشر من خلال الحروب والحملات الظالمة والقرارات السياسية مزدوجة المعايير والانحياز لفئة على حساب أخرى. كما أثبتت الدراسة عدم انفصال الدين عن الدولة في أية دولة كانت على وجه البسيطة، فالدين يلعب دوراً بالغ الأهمية في الدول التي تصف نفسها بأنها علمانية قبل غيرها. فالولايات المتحدة في مقدمة الدول التي يفصل دستورها بين الدين والدولة، إلا أن الوقائع والأحداث تثبت أن الملل المسيحية ذات التوجه الصهيوني، ذات سطوة كبيرة على إدارة الدولة. فهي التي تتدخل لدعم هذه السياسة، أوتلك، وللانحياز باستمرار إلى جانب إسرائيل على أنها الدولة التي يمهد قيامها لعودة المسيح المنتظر، وعلى أنها الدولة التي يُعتبر قيامها تحقيقاً لإرادة إلهية، وهذا ما أكده وعمِل على غرسه رؤساء الولايات المتحدة جميعاً عدا الكاثوليكي الوحيد (كنيدي) الذي أغتيل. وقد بدأ نفوذ الأصولية الإنجيلية منذ عهد«لوثر» زعيم الإصلاح ورائد المذهب البروتستانتي،حيث طرح فكراً غريباً مؤداه أن اليهود هم الأمة المفضلة، وتكريساً لذلك أصبح العهد القديم أوالتوراة المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود، كذلك فقد أُعتُبرت اللغة العبرية-باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله- هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

إن من أخطر ما انتهت إليه الدراسة، هوأن المعتقد الديني العنصري الطبقي المُحرف هوالمحرك الفعلي والحقيقي لسياسات القوى العظمى التي تتحكم في معظم

بلدان المعمورة، فضلاً عن كونها تُغَلِّبُ تلك النصوص – المدعاة ظلماً- الدينية، على القوانين والاتفاقيات الدولية البشرية، فتضيع الوقت من أجل (مراوغات) السلام، وأياديها على زناد أسلحتها النووية، وتتحين الفرصة لتنقض على الكون، في معركة وهمية تفني فيها بلايين البشر من أجل ألفية سعيدة لمئات الألوف منهم.

إننا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الكبوات من المحن محملة بالمنح، وأن تكون سبباً في إيقاظ الأمة من غفلتها، وإنهاضها من كبوتها، وشفائها من دائها، فأعجزها ذلك عن الحراك، وسلط عليها الأعداء من كل جنس، فلعل هذه الأصولية الإنجيلية تحمل بين أظهرها علاج هذه الأمة، وتكون طريقاً لإظهار الحق على الدين كله ولوكره الكافرون، وقد تكون هذه الممارسات الصهيونية بحق الشعوب المسالمة سبباً في التعجيل بهلاك الدول العظمى والدول المتحالفة معها، بمقاومتها المادية والفكرية، وفي ظل تزايد أزماتها الاقتصادية الخانقة.

وفي النهاية كلمة حق لا بد أن تذكر وهي أن العودة للأصول لا ضير فيها ولا ينبغي أن تشكِّل عقدة خوف أونقص لما اعتراها من تحريف في المعنى. كما ينبغي على دارسي تلك الحركات أن يكونوا موضوعيين في إيضاح منشأها والحكم على أعمالها لكي لا تشوه صورة الدين أي دين على أنه سببٌ في انتعاش الأعمال الإرهابية.

وهذا بالطبع جهد المقل، وبضاعته المزجاة، ما قصدت به إلا وجه الإله، وإن كنت أرجوحسن الخاتمة في الدنيا من جواد كريم رحيم، فإنني قد بحثت عن حسن خاتمة للدراسة، فعثرت على خاتمة القاضي الفاضل أستاذ العلماء وأمير البلغاء، المتمكن البارع الحاذق (عبد الرحيم البيساني) وزير السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، عليهم رحمات الله وبركاته، وهويعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلام قد استدركه عليه فقال (إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا ؟ وها أنا أخبرك به وذلك أني رأيتُ أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلا قال في غَدِه: لوغُيِّرَ هذا لكان أحسن ولوزيد هذا لكان يُستحَسن ولوقُدِّم هذا لكانَ أفضل ولوتُرِكَ هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العِبَرِ وهودليل على استيلاء النقص على جملة البشر)

ولقد ختمت بذا الختام مقالتي، وعلى الإله توكلي وثنائي فإن كان توفيق فمن رب الورى، والعجز للشيطان والأهواء في حينها أدعوالذي بدعائه، يمحوالخطأ ويزيد في

النعماء، أدعوبدعاء من حظي بحرف من صفوة العلماء، يا معلمي لله درك فارساً، أيا خير وريث للأنبياء، سبحانك اللهم ثم بحمدك، أستغفرك ربي وأتوب من أخطائي.

ومسك ختامي، أُرددُ وأتلوالقول البليغ، لفضيلة الشيخ العلامة **«يوسف القرضاوي»** : «إن كان التمسك بالإسلام الصحيح، عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، والدعوة إليه والاعتزاز به، والدفاع عن مبادئه وحرماته، أصولية» فليشهد الثقلان أننا أصوليون أقحاح.

***

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- لاشك أن مصطلح الأصولية يعد من أكثر المصطلحات إثارة للجدل منذ فترة، بما له من مدلول إيماني إيجابي أحياناً، وفقاً لمفهومه في الثقافة العربية الإسلامية، وآخر سلبي في الغالب، لارتباطه بالتراث اليهودي المسيحي في عهد سيطرة الكنيسة على مقاليد الأمور.

- إن من أبرز نقاط الاختلاف بين الأصوليات الدينية الاحيائية، امتلاك أصوليات الأديان التوحيدية روح العدل والتسامح والعدل، ما يعزز من مصداقية وجودها كلما قامت بتطبيق الدين الصحيح ونصوصه وبحسب مقتضيات الحال، وفي المقابل يملك بعضها روح العنف والإقصاء والعنصرية والتطرف كلما ابتعدت عن روح وصحيح نصوص الدين، أما الأصولية الإنجيلية فكلها شر ودمار.

- لقد أذابت الأصولية الدينية الفوارق بين الدول، وإلا لما كانت دولة صغيرة مثل إسرائيل تتحكم في مصائر ملايين البشر-بالحروب- في العالم، ولما كان- بلد الألف نسمة-» الفاتيكان» له من نشاط تنصيري واضح جعله يقود (٨٠٠) مليون نصراني كاثوليكي، ويُشرف على أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) كنيسة كاثوليكية، و(٨٦٢١٢) إرسالية، يتبعها مليون و(٦٧٣) قسيساً، كذلك الأمر مع بلوغ الأصولية الإنجيلية ذات النشأة الصهيونية المتطرفة أرفع المناصب السياسية في دول الغرب.

- هناك علاقة واضحة بين الدين والسياسة لدى الأصوليات الدينية، ويحتفظ معظمها بعلاقات مع الدول، ومنها من يطمح في السيطرة على الحكم، وهذا ليس بخطيئة في حد ذاته، إنما المشكلة تتركز في استغلال نصوص دينية محرفة أوعقيدة وثنية في نواح سياسية مدمرة للشعوب، بحيث يصبح التمسح بالأفعال الإلهية والتنبؤات حجة للتهرب من الالتزامات والمماطلة في المفاوضات والتذرع بها في مواجهة استحقاقات الشعوب العادلة.

- يُعبر الموقف الأمريكي من إسرائيل عن نموذج صارخ لاختلاط الدين بالسياسة وتوظيفه بشكل سيء، وهذا مما يُحرِّمه الغرب على غيرهم، وتفرضه علينا الأنظمة

المستبدة الفاسدة، ويناصرهم في ذلك أناس من بني جلدتنا من مدعي الليبرالية والعلمانية، فدور العقيدة والدين يبدوواضحاً فيما تتخذه من قرارات وسياسات، ومن استقاء دائم لرموز خطابية من العهد القديم من التوراة، لذا يصبح «الالتزام الأدبي- الأخلاقي» بدعم إسرائيل بمثابة تأكيد على أن ديانة هذه البلاد هي في جذورها ديانة توراتيه، وُضِعَتْ شروحها في قوالب عبرانية .

- تُعَدُّ الأصولية الصهيونية وربيبتها الإنجيلية، ممثلتين في الأصولية الإمبريالية (الأم) من الأصوليات الدموية الإقصائية، استناداً لتأويلات خائبة. لذا فهما الأكثر تطرفاً بين جميع الأصوليات الدينية، بما تحويانه من مظاهر قتل وحرق وهدم وعنصرية وطبقية بين البشر، بحيث أصبح الصراع هدفاً في حد ذاته لتحقيق النصر الإلهي المزعوم.

- إن ما تقترفه الأصولية الإنجيلية من آثام، يشكل خطراً إنسانياً واجتماعياً على البشرية جمعاء خطراً على الإسلام وأهله باعتدائها على العراق وأفغانستان وفلسطين، حيث يتبع هذه العمليات الإرهابية موجات من التنصير والتغريب والغزوالفكري وتدمير الهوية، وقد تخلف عواصف من العنف المضاد والمتشبع بروح الانتقام.

- بينما تُعَدُّ الاصولية الصهيونية الأكثر عنفاً، والأشد ظلماً وعنصرية، وذلك إنما ينبع من النظرة القومية العنصرية التي ينظرون من خلالها لغير اليهودي.

- يزعم الإنجيليون أن الله يبارك إسرائيل ويلعن لاعنيها، وبالتالي فإن دعم إسرائيل طريق إلى بركة الرب، حتى لوتناقض القرار الإسرائيلي مع مواثيق الشرعية الدولية فيجب احترام القرار الإسرائيلي لأنه تعبير عن إرادة الرب، أما القوانين الدولية فإنها تعكس إرادة الإنسان.

- من أخطر النتائج التي كشفتها الدراسة، عدم وجود طائل من عملية السلام المزعومة، من جهتين، الأولى: أن دولة الاحتلال- جغرافياً- تُعَدُّ دولة عقيمة العمق الاستراتيجي، شحيحة المياه، فاقدة الشرعية والحدود، احتلالية، وعدائية، وبالتالي فهي تسعى إلى تعويض مناطق الضعف هذه بالتعدي على جيرانها، ومحاولة التوسع أفقياً باحتلال أراض جديدة، وعدم التفريط فيما تحت أيديها، أما الثانية: فتبدو في البعد الديني للأصولية الإنجيلية التي تجعل من الالتزام بدعم وجود ومساندة واستمرار المحتل طاعة للإله.

- لقد حشد اللاهوت الديني المتطرف جهدهم ساعين لاحتلال أراضي المسلمين بطرق دموية وشريرة لإقامة مملكة الله، وكان الله يطلب من عباده ذبح الاخرين لكسب رضائه، فالاستيلاء على القدس وهدم الأقصى، وإقامة الهيكل -بيت الرب- المزعوم مكانه هوقمة العبادة ورجاء الخلاص عندهم، متجاهلين ما سوف يتسبب به عملهم هذا من خراب ودمار وسفك دماء.
- رغم التوقعات باستمرار هيمنة النظام العالمي الإنجيلي وأصوليتها» الأم»، ورغم افتقادنا القطب الموازي والتكتل الإسلامي القوي، إلا أن المستقبل يحمل الخير للعالم أجمع بزوال هذه الكيانات السرطانية البغيضة، التي تتآكل شعبيتها، وتتراجع مصداقيتها الغائبة أصلاً، وفي ظل تزايد الأزمات الاجتماعية والاقتصادية الطاحنة عليها.

ثانياً: التوصيات

١. إن دراسة أسس الأصولية الإنجيلية ومبادئها وتتبع مسيرتها التاريخية في الثقافات الغربية، وإدراك دورها المباشر في صناعة القرار السياسي في أوروبا، تُشكّل واجباً معرفياً، بدونه يستحيل فهم العناصر المتحركة للسياسة الأمريكية والأوروبية في الشرق الأوسط.

٢. إن التحديات التي تواجهها البشرية تستوجب تكثيف التواصل مع أهل الديانات والطوائف الأخرى المعتدلة التي تعارض الأصولية الإنجيلية، والتعاون في صد هجماتها التدميرية -التي لا تقف عند الاحتلال والحروب الإقليمية إنما تمتد إلى حرق العالم نووياً- وذلك من خلال التقارب بين الحركات الدينية والقومية، والعمل على تقريب وجهات النظر، لتكون داعماً أساسياً، ولاعباً فعالاً، سواء كان ذلك داخلياً، أم خارجياً، مع فتح قنوات الحوار مع المخالفين في الدين والفكر والسياسة، مع العلمانيين، ومع القوميين، ومع الغربيين، ومع العقلاء من الحكام الذين يستمعون النصح فيتبعون أحسنه.

٣. على الباحثين الاهتمام ببحوث مقارنة الأديان، ومقارنة مذاهب الفرق والنحل الضالة، وتوعية الشباب من أخطر الوقوع في شراكها.

٤. هناك ضرورة علمية وعملية، للتوعية الجادة للمفكرين والقادة والساسة العرب، وتبصيرهم بحقيقة الصراع الديني الحضاري الذي في جوهره صراع فكري

عقائـدي، وليس صراعاً قومياً. مع العمل على ابتـكار طرق ووسائل جديدة تؤثر في عملية التوعية إيجاباً.

٥. تعطـي الدول الكبرى مجـالاً لمفكريها في عملية الدراسة والفكر والتخطيط، ثم يأتي قـادة السياسة لينفخوا الـروح في تنبؤات المفكرين، ويطبقوهـا على شعوب الشرق الأوسط، التي آن الأوان لدولها أن تعلي من شأن المفكرين والمثقفين، لأنهم أصحاب رؤيـة ودراية بالصراعـات الدولية، وهم أيضاً قادرون على وضـع الحلول للمشاكل والأزمات المستعصية.

٦. يجـب علـى المخلصين من الأمة العمل بجـد على تهيئة وإعـداد واستنهاض وتوجيه شبابنـا في جميع الميادين العلميـة والدعوية والاقتصاديـة والإعلامية والعسكرية، بحيـث تتبنى الحركـة الإسلامية العالميـة منهجاً فقهياً معاصـراً، يعمل على تنمية القوى الفكرية والعقدية، وكذلك القوة المادية لديهم، حتى يظلوا في إطار الاستنارة دون تساهـل مفرط أوتشدد منبوذ يؤدي إلى العنف، ويعمل على توحيد الصف على كلمة سواء ونبذ الخلافات وطرح الشقاق، ويعبر عن آمال وطموح الأمة، ويشد من عضد صحوتها المباركة.

٧. يجـب العمل على تحصين الشبـاب بالعلوم النافعة والأخذ بـأدوات التقنية الجادة، فالتعليـم الجـاد هوالمصـل الواقـي من ضـلالات الفكـر، وهرقطـة المخرفين من أصحـاب الفرق الدينية الضالة التي تسعى لتنصيرهـم أوتهويدهم. والمساهمة في تغييره لنجد لنا -كأمة عربية- مكاناً في ظل عالم مزدوج المعايير، ومعقد التكتلات.

٨. إنه من الواجـب علينا في سبيل استنهاض الأمم الاهتمام بالمقاومة التوعوية، لتزيد مـن عزم عوامها قبـل مثقفيها، وذلك بكشف المستور عـن أصحاب الأيديولوجيات الخفية والضالة، وليقف الجميع في خندق مقاومة ومحاربة هؤلاء الأصوليين الجدد، مع التحلي بالحكمة، دون التهاون في الدفاع عنه ونصرته في حدود المقصد الشرعي مـن دفـع الضرر أوالدفاع عـن النفس، ضد ما يشكلونه من أهـوال الحروب وخبث المؤامرات، وقبح الاستعلاء بالاستيلاء وحفاظاً على الأمن والسلام الدوليين.

٩. يجب توخى الحـذر من خطورة الاختراق الفكري والعقـدي، من جانب الصهيونية المتحالفة مع المسيحية، فما دَخَلَ «بولس» اليهودي المسيحية إلا من صحبته للحواري «برنابا »، ما أحدث خطأً منهجياً في الديانة المسيحية، يلقون تبعاته وآثاره الوخيمة

حتى الآن.

١٠. علـى الأمة أن لا تغفل عن عدوهـا الحقيقي، وهوالقوى الاستعمارية الغربية، لكونه عنصـراً أساسيـاً في زرع المحتل الصهيـوني، فالاستعمار الغربي لعـب دوراً رئيساً خبيثـاً في إحياء المنظمات الأصولية البغيضة التي تهدد الوجود العربي والإسلامي. فيجـب علينا التعـاون والتكتل اقتصادياً ومادياً وفكريـاً، للتحرر من هيمنة النظام العالمي وسيطرة الدول الأصولية الغربية، ومحاولة تشكيل قوة ضغط عليها في عصر التكتلات.

* * *

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

١. القرآن الكريم.

٢. صحيح البخاري، دار الفكر العربي، ط١، بيروت (١٤٢١ هـ -٢٠٠١م).

٣. صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٥ م).

٤. الكتاب المقدس، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، (١٩٦٦)م.

٥. موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط٢،(٢٠٠٥)م.

٦. منير البعلبكي، قاموس المورد، دار العلم الملايين، بيروت، ط١١، (١٩٩٧م).

٧. منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية: «دائرة معارف مسرة مقتبسة عن موسوعة المورد»، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩٠م).

٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٣، (١٩٩٠) م.

٩. سامي عبدالله المغلوث، أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض،ط١،(٢٠٠٧)م.

١٠. صالح الشلهوب، قاموس الكشاف، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن، (٢٠٠٤) م.

ثانياً: المراجع العربية

١. رضوان أحمد الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، (٢٠٠٦) م.

٢. عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط١، (١٩٩٩.) م.

٣. صالح بن عبدالله الهذلول، الأصولية الإنجيلية نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض، ط١،(١٩٩٦)م.

٤. رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم «المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا»، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٢، (٢٠٠١ مـ).

٥. ناصر بن محمد الزامل، الصهاينة الجدد: مهمة لم تنته، مؤسسة فؤاد بيعنوللتجليد، الرياض، (٢٠٠٦) مـ.

٦. محمد عيسى داود، المسيح الدجال والحرب القادمة، دار البشير للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، (٢٠٠٢-٢٠٠٣) مـ.

٧. يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم، صوت القلم العربي، مصر، ط٢، عام (٢٠١٠) مـ.

٨. برنارد لويس، أزمة الإسلام: الحرب المقدّسة والإرهاب المدنّس، بدون ناشر، ط١، (٢٠٠٣) مـ.

٩. يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الإسرائيلي (دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية). مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط٢، (١٩٩٧) مـ.

١٠. سعد بن علي الشهراني، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، جامعة أم القرى، (٢٠٠٥) مـ.

١١. أمل عاطف الخضري، التنصير في فلسطين في العصر الحديث، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة، الجامعة الإسلامية بغزة، (٢٠٠٤) مـ.

١٢. عبدالرحمن جيرة، الرد على القس بوش: في كتابه محمد مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين سلسلة الردود على الافتراءات(١)، دار الحرمين للتحقيقات العلمية والنشر ط٢، (٢٠٠٦) مـ.

١٣. عبدالعزيز مصطفى كامل، حمى سنة ٢٠٠٠: نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين، مؤسسة دار السليم للنشر: الرياض، السعودية، (١٩٩٩) مـ.

١٤. محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط٢، (٢٠٠٦) مـ.

١٥. محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي،دار النفائس، بيروت، ط١، (١٤٢٤)هـ.

١٦. سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، الدار السلفية، القاهرة،ط١، (١٤١٤)هـ.

١٧. فوزي الجدبة، حرب عام ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل: دراسة في الجغرافية السياسية، الجامعة الإسلامية، غزة،(٢٠٠٨) م.

١٨. يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ترجمة سعيد عياش، مدار للنشر، رام الله، (٢٠٠٢) م.

١٩. زينب عبدالعزيز، حرب صليبية بكل المقاييس، دار الكتاب العربي، دمشق،ط١، (٢٠٠٣)

٢٠. محمد إسماعيل المقدم، خدعة هرمجدون، دار بلنسية، الرياض، ط١، (٢٠٠٣) م.

٢١. هاشم صالح، مخاضات الحداثة الإبستمولوجية، دار الطليعة، بيروت، (٢٠٠٨) م.

٢٢. سعد بن علي الشهراني، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، جامعة أم القرى (٢٠٠٥) م.

٢٣. عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج (٦)، دراسات في القضية الفلسطينية. بيروت(١٩٩٠) م.

٢٤. فايز فريتح، المسيحية الصهيونية، دراسة تحليلية لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، (٢٠٠٥) م.

٢٥. هويدا عبدالحميد مصطفى، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، ط١، عام(٢٠١٠) م.

٢٦. عبير مهدي، أرض الميعاد في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط١،(٢٠١٢)م.

٢٧. خليل حسين، دراسة: منشأ الحركات الأصولية وتداعياتها، كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية. دراسة مقدمة إلى: الجيش اللبناني مركز البحوث والدراسات

الاستراتيجية (RSSC)، بيروت نيسان (٢٠١١)م.

٢٨. عماد علي عبدالسميع، الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، (٢٠٠٤) م.

٢٩. يوسف العاصي الطويل، الصليبيون الجدد، الحملة الثامنة، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي (١٩٩٩)م.

٣٠. محمد كنوش الشرعة ونظام محمد بركات، القوى الدينية ودورها في الحياة السياسية في إسرائيل، مجلة المنارة، م(١٢)، ع(١)، عام (٢٠٠٦)م.

٣١. إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، دار الشروق، ط٢، عام (١٩٩٣)م.

٣٢. ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ العربي، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٣، ديسمبر (١٩٨٥)م.

ثالثاً: المراجع المُترجمة

١. تيودور هرتسل، الدولة اليهودية، ترجمة عادل غنيم، بدون ناشر، (١٨٩٦)م.

٢. مايكل كوربت وجوليا ميتشيل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة: عصام فايز وناهد وصفي، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، (٢٠٠٦) م.

٣. غريس هالسل، النبوءة والسياسة: الانجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية»، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، ط٥، (٢٠٠٣)م.

٤. فريد هاليداي، الأمة والدين في الشرق الأوسط، ترجمة: عبد الإله النعيمي، ط١، دار الساقي بيروت، (٢٠٠٠)م.

٥. صامويل هنتجون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، دار التضامن للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، (١٩٩٩)م.

٦. هاينريش فيلهلم شيفر، صراع الأصوليات: التطرف المسيحي، التطرف الإسلامي، والحداثة الاوروبية ترجمة صلاح هلال، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، (٢٠١٢)م.

٧. أيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة حسني زينة، مؤسسة الدراسات

الفلسطينية بيروت، (١٩٩٩)م.

٨. بيـتر سكاون، أمريكا الكتاب الاسود، ترجمة ايناس ابوحطب، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان،ط١، (٢٠٠٣) مـ.

رابعاً: أهم المراجع الاجنبية:

1. Karen, Armstrong, Holy War: «The Crusades And Their Impact On Today`s World», Anchor Books, New York, (2001).

2. Tariq Ali's The Clash of Fundamentalisms, Verso,(2003.)

3. Takis Fotopoulos' the War against 'Terrorism', Athens, Gordios,) 2003).

4. Fawaz A.Gerges, America and Political Islam: «Clash Of Cultures Or Clash Of Interests?» Sara H Lawrance College, Camridge University press,(1999).

5. Dale F.Eickelman and James Piscatori, Muslim Plotics, Princeton Unversity Press, Princeton and Oxford, 2-nd Edition, (2004).

6. Bernard Lewis, the Future of the Middle East: Predictions (London, 1997).

Falwell, Jerry. 1980. Listen America! NY.: Bantam.

7. Martin, W. With God on Our Side. New York: Broadway Books, (1996).

8. Reed, Ralph. Active Faith: How Christian are Changing the Soul of American Politics. New York: The Free Press, (1996).

9. Stephen Sizer :Christian Zionism: Road-map to Armageddon? (USA: IVP Academic, (2004).

10. Pappe, Israel at Crossroads between civic Democracy and Jewish

Zealotocracy, Journal of Palestine studies, Vol. XXXIX ،No.3 spring (2000).

11. Zarembski, Laura S., Israel's Religious Right Not a Monolith, Middle East Quarterly, Vol. V11, No2, June, (2000).

12. Karen Armstrong, «Violent Islamic radicals know they are heretical Extremists are proud of their deviance, and moderate Muslims can›t be held responsible», The Guardian, Saturday 8 July.(2006).

13. Ed Lewis, (Australia): A useful short history, November 13, (2006).

خامساً: مصادر الشبكة الدولية للمعلومات:

- http://www.pewinternet.org/
- http://www.pewforum.org/
- http://www.alhawali.com
- http://churchnewss.blogspot.com/2009/12/blog-post_24.html
- http://www.almethaq.info/news/
- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8F19EE4C-3F52-4CEB-9B1B-FC7E874D1A21.htm
- http://www.islammemo.cc
- http://www.islamlight.net/
- http://www.islamway.net/
- http://www.ohchr.org/AR/Pages/WelcomePage.aspx
- http://www.amnesty.org/ar/central-african-republic?page=1
- http://www.cirs-tm.org/